الروضة البهية

في شرح

منظومة ابن أبي داود الحائية

لأبي عرفات

محمد بن نبيه علي آل ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الروضة البهية
في شرح
منظومة ابن أبي داود الحائية

لأبي عرفات
محمد بن نبيه علي آل ضيف الله

رقم الإيداع

الناشر: مكتبة العلوم والحكم

محمول ٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

مقدمة، وتقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

✍ومما منّ الله به عليّ ويسّر لي أن قمت بشرح المنظومة الحائية "وذلك من خلال دروس مسائية بمسجد الإمام البخاري الكائن بقرية كفر السواقي أبوكبير شرقية فطلب منا طبع الشرح لتعم الفائدة فلما يسر الله تعالى بالطبع اخترنا له عنوانا هو: «الروضة البهية في شرح منظومة بن أبي داود الحائية» فقرّت به أعين أهل السّنة، وغص بها أهل البدعة، وقد وفقني الله لذكر الأحاديث بأسانيدها كاملة والفضل في هذا لله، فإنّ الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، كما قال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ. والكتاب يعدّ ردًّا على المبتدعة في كل زمان ومكان.

والله أسأل أن ينفع به وأن يكتب له القبول.

أبو عرفات/ محمد بن نبيه علي آل ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

نصّ المنظومة وعدد أبياتها: ٣٣ بيتا

١/ تَمَسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى	ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
٢/ وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التي	أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ
٣/ وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَليكِنا	بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصَحُوا
٤/ وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً	كَمَا قَالَ أتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا
٥/ ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقاً قرأتَهُ	فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ
٦/ وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً	كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
٧/ بمْوُلُودِ ولَيسَ بِوَالِدِ	وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ
٨/ وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وعِنْدَنَا	بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
٩/ رَوَاهُ جَرِيرٌ عَن مَقَالِ مُحمَّدٍ فقُلْ	مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ
١٠/ وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ	وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ
١١/ وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ	بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ
١٢/ إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ	فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ
١٣/ يَقُولُ : ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا	ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأَمْنَحُ
١٤/ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم	ألا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبوهُم وقُبِّحُوا
١٥/ وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ	وَزِيرَاهُ قُدْمًا ، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَحُ
١٦/ وَرابِعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم عَلِيٌّ	حَليفُ الخَيرِ ، بالخَيرِ مُنْجِحُ
١٧/وإنَّهُمُ و الرَّهْطُ لا رَيْبَ فِيْهِمْ	عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ في الخُلْدِ تَسْرَحُ
١٨/ سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحَةٌ	وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المِمَدَّحُ

١٩/ وَقُـلْ خَيْـرَ قـولٍ في الصَّـحَابةِ كُلِّهِـمْ ... ولا تَـــكُ طَعَّانـــاً تَعِيْـــبُ وَتَجْـــرَحُ

٢٠/فَقَـدْ نَطَـقَ الـوَحْيُ المبِـينُ بِفَضْـلِهِمْ ... وفي الفَـــتْحِ آيٌ في الصَّـــحابةِ تَمْـــدَحُ

٢١/ وبالقَـــدَرِ المقْـــدُورِ أيْقِـــنْ فإنَّـــهُ ... دِعَامَـــةُ عقْـــدِ الـــدِّينِ والـــدِّينُ أفْـــيَحُ

٢٢/ وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلاً نَكِـيرًا ومُنْكَـراً ... وَلا الحَـــوضَ والمِيـــزانَ إنَّـــكَ تُنْصَـــحُ

٢٣/ وقُـــلْ يُخْـــرِجُ اللهُ العَظِـــيمُ بِفَضـــلِهِ ... مِـن النـارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

٢٤/عَلَـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بِمَائِـهِ ... كَحَـبِّ حَمِيـلِ السَّـيْلِ إذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

٢٥/فـــإنَّ رَسُـــولَ اللهِ للخَلـــقِ شَـــافعٌ ... وقُـــلْ فِي عَـــذابِ القَـــبرِ حـــقٌّ مُوَضَّـــحُ

٢٦/ولا تُكْفِّـرَنَّ أهْـلَ الصَّـلاةِ وإنْ عَصَـوا ... فكلُّهُـــمُ يَعْصِـــي وذُو العَـــرشِ يَصْـــفَحُ

٢٧/ ولا تَعتقِـــدْ رَأيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ ... مَقَـــالٌ لِمَـــنْ يهـــواهُ يُـــرْدِي ويَفْضَـــحُ

٢٨/ ولا تَـــكُ مُرْجِيًّـــا لَعُوبًـــا بدِينِـــهِ ... ألا إنَّمَـــا المرْجِـــيُّ بالـــدِّينِ يَمْـــزَحُ

٢٩/ وقُـــلْ إنَّمـــا الإيمـــانُ قَـــوْلٌ ونيَّـــةٌ ... وفِعْـــلٌ عَلَـــى قَـــولِ النـــبيِّ مُصَـــرَّحُ

٣٠/ ويَـــنْقُصُ طَـــوْرًا بالمعَاصِـــي وَتَـــارةً ... بطَاعَتِـــهِ يَنْمِـــي وفي الـــوَزنِ يَـــرْجَحُ

٣١/وَدَعْ عنـــكَ آراءَ الرِّجـــالِ وَقـــولَهُم ... فَقَـــولُ رَسُـــولِ اللهِ أزكَـــى وَأَشْـــرَحُ

٣٢/وَلا تَـكُ مِـن قـوْمٍ تَلَهَّـوْ بِـدِينِهِم ... فَـــتَطْعنَ في أَهَـــلِ الحَـــدَيثِ وتَقْـــدَحُ

٣٣/إذا مَـا اعتقـدْتَ الـدَّهْرَ يـا صَـاحِ هـذِهِ ... فَأَنْـــتَ عَلَـــى خَـــيْرٍ تَبِيـــتُ وتُصْـــبِحُ

✵

ترجمة صاحب المنظومة

كما في طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو بكر بن أبي داود السجستاني.

✍ولد سنة (٢٣٠) هـ.

✍ رحل به والده من سجستان فطوف به شرقًا وغربًا وأسمعه من علماء ذلك الوقت سمع بخراسان والجبال وأصبهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والشام ومصر والجزيرة والثغور واستوطن بغداد وصنف المسند والسنن والتفسير والقراءات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

✍من كبار حفاظ الحديث. وكان فهِمًا عالمـًا حافظًا وحدث عن علي بن خشرم المروزي وأبي داود سليمان ابن معبد السنجي وسلمة بن شبيب ومحمد بن يحيى الذهلي وأحمد بن الأزهر النيسابوري وإسحاق بن منصور الكوسج ومحمد بن بشار بندار ومحمد بن المثنى وعمرو بن علي ونصر بن علي البصريين وإسحاق بن إبراهيم النهشلي وزياد بن أيوب ومحمد بن عبد الله المخرمي ويعقوب الدورقي ويوسف بن موسى القطان ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وخلق كثير من أمثالهم.

✍روى عنه أبو بكر بن مجاهد المقرىء وعبد الباقي بن قانع ودعلج بن أحمد وأبو بكر الشافعي ومحمد بن المظفر الوراق والدارقطني وأبو حفص بن شاهين وأبو القاسم بن جبابة والمخلص وأبو عبد الله بن بطة وعيسى بن علي

الوزير وكان عيسى يشير إلى موضع في داره فيقول: حدثنا أبو القاسم البغوي في ذلك الموضع وحدثنا يحيى بن صاعد في ذلك الموضع وحدثنا أبو بكر بن مجاهد في ذلك الموضع وذكر غير هؤلاء فيقال له: لا تزال تذكر أبا بكر بن أبي داود فيقول: ليته إذا مضينا إلى داره كان يأذن لنا في الدخول إلى داره والقراءة عليه؟ ونصب له السلطان المنبر فحدث عليه لفضله ومعرفته.

له تصانيف. منها: المسند، والسنن، والتفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، والمصاحف. وغير ذلك.

كان إمام أهل العراق.

وقال الأزهري: سمعت أحمد بن إبراهيم بن شاذان يقول أخرج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث فاجتمع إليه أصحاب الحديث وسألوه أن يحدثهم فأبى وقال ليس معي كتاب فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟ قال أبو بكر: فأثاروني فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي فلما قدمت بغداد قال البغداديون مضى ابن أبي داود إلى سجستان ولعب بالناس ثم فيجوا فيجًا اكتروه إلى سجستان ليكتب لهم النسخة فكتبت وجيء بها إلى بغداد وعرضت على الحفاظ فخطئوني في ستة أحاديث منها ثلاثة حدثت بها كما حدثت وثلاثة أحاديث أخطأت فيها.

وفي موسوعة أقوال الدارقطني - (ج ٢٣ / ص ١٣٧) قال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن أبي بكر بن أبي داود فقال: ثقة. إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث.

قال أبو الحسين بن أبي يعلى: أخبرنا الوالد السعيد قراءة قال: أخبرنا موسى بن عيسى السراج قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال: حدثنا وهب بن بيان وعبد الله بن محمد بن المسور وموسى بن عامر المري قالوا: حدثنا سفيان عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس يبلغ به النبي ﷺ قال: " **من صور صورة**

كلف أن ينفخ فيها ولن يفعل ومن تحلم كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع حديث قوم لم يحبوا أن يسمع حديثهم صب في أذنيه الآنك" والحديث رواه البخاري في صحيحه باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

✍قال أبو الحسين بن أبي يعلى: أنبأنا أبو الحسين من ولد المهتدي بالله عن عمر بن شاهين قال سمعت أبا بكر ابن أبي داود يقول دخلت الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مداً باقلاً وكنت آكل منه مداً وأكتب عن أبي سعيد الأشج ألف حديث فلما كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث.

✍وعمي في آخر عمره. استقر وتوفي ببغداد سنة (٣١٦)هـ.كما ذكر مصطفى بن قحطان الحبيب في كتاب (الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام).

೫◈೩

شرح المنظومة

❁ **قال الناظم:** رَحِمَهُ اللَّهُ:

١(تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيًا لعلك تفلح)

❁ **الشرح:**

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى ٣/ ٢٠٣: "ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، الاعتقاد لله ولرسوله ﷺ".

فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم.

ولذا نجد كتب أهل السنة تبدأ بتحديد المصدر قبل بسط الاعتقاد، وهذا نستفيده مما كان يداوم عليه رسول الله ﷺ في خطبة الجمعة، فكان دائمًا يقول في مقدمتها: كما عند أحمد في مسنده – ط/ مؤسسة قرطبة - القاهرة (ج ٣ / ص ٣١٠)برقم (١٤٣٧٣)- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر عن أبيه عن جابر قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: (**أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى صبحتكم الساعة ومستكم من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي والضياع يعني ولده المساكين**). قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل مصعب بن سلام وقد توبع.

وكان ﷺ يكرر ذلك في كل جمعة ليؤكد أهمية العناية بهذا المصدر وضرورة رعايته والمحافظة عليه.

وروى مسلم في صحيحه باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٢٠٤٢) قال:وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ « **صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ** ». وَيَقُولُ « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ** ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ « **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ** ». ثُمَّ يَقُولُ « **أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَىَّ وَعَلَىَّ** ».

۞ الشرح:

قوله: (تمسك) التمسك في اللغة الأخذ بالشيء والاعتصام به، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (آل عمران: ١٠٣: ١٠٢).

۞ بيان الآيات:

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ عَنْ زُبَيْدٍ الْيَامِيِّ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قَالَ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مَوْقُوفٌ، وَقَدْ تَابَعَ مُرَّةَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

✍وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: «**أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى**».

✍وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم(٣١٥٩) –قال: حدثني علي بن حمشاد العدل ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم قالا: ثنا مسعر عن زبيد عن مرة بن شراحيل عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قول الله ﷻ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى.قال الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

✍وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم(١/ ١٦٠) خرجه الحاكم مرفوعا والموقوف أصح، وَاللهُ أَعْلَمُ.

✍قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ وَعَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَطَاوُسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَأَبِي سِنَانٍ وَالسُّدِّيِّ، نَحْوَ ذَلِكَ.

✍وَقَدْ ذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُنِ: ١٦].

✍وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قَالَ: لَمْ تُنْسَخْ، وَلَكِنْ حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذَهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَيَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَآبَائِهِمْ وأبنائهم.

✍وقوله تعالى: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أَيْ حَافَظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَالِ صِحَّتِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ لِتَمُوتُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَى عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ أَنَّهُ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ، فَعِيَاذًا بِاللهِ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ «في مسنده ١/ ٣٠١.» برقم (٢٧٣٥)- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا روح ثنا شعبة قال سمعت سليمان عن مجاهد ان الناس كانوا يطوفون بالبيت وبن عباس جالس معه محجن فقال قال رسول الله ﷺ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ «**ولو ان قطرة من الزقوم قطرت لأمرت على أهل الأرض عيشهم فكيف من ليس لهم طعام الا الزقوم**».قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٥٦٩٥)-قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إدْرِيسَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ زُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مُرَّةَ بْنِ شَرَاحِيلَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وَحَقُّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلاَ يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلاَ يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرُ وَإِيتَاءُ الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ أَنْ تُؤْتِيَهُ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَخَافُ الْفَقْرَ، وَفَضْلُ صَلاَةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاَةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلاَنِيَةِ.

وروى الإمام أحمد بن حنبل –في مسنده / ط قرطبة (ج ٢ / ص ١٩١)برقم(٦٧٩٣) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو قال كنت جالسا معه في ظل الكعبة وهو يحدث الناس قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يضرب خباءه ومنا من هو في جشرة ومنا من ينتضل إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة قال فانتهيت إليه وهو يخطب الناس ويقول: (**أيها الناس انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرا لهم وينذرهم ما يعلمه شرا لهم ألا وان عافية هذه الأمة في أولها وسيصيب آخرها بلاء وفتن يرقق بعضها بعضا تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء فيقول هذه هذه ثم تجيء فيقول هذه هذه ثم تنكشف فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب ان يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع وقال**

مرة ما استطاع) فلما سمعتها أدخلت رأسي بين رجلين وقلت فإن بن عمك معاوية يأمرنا فوضع جمعه على جبهته ثم نكس ثم رفع رأسه فقال: **(أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله)** قلت له أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة فمن رجال مسلم.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ في مسند ه - (ج ٣ / ص ٢٩٣) برقم (١٤١٥٧):

- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن آدم ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت النبي ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن**» قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد قوي على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سفيان - وهو طلحة بن نافع الواسطي الإسكاف - فقد روى له البخاري مقرونا واحتج به مسلم » وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ به.

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾(الأعراف: ١٧٠: ١٦٩).

بيان الآيات:

يقول تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِي صَنِيعِهِمْ هَذَا مَعَ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ لَيُبَيِّنُنَّ الْحَقَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ كَقَوْلِهِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

قَالَ الطبري في التفسير: - (ج ١٣ / ص ٢١٥) بقرقم(١٥٣٢٧)- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، قال: فيما يوجبون على الله من غُفران ذنوبهم التي لا يَزالون يعودون فيها ولا يَتُوبون منها.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يرغبهم فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، أَيْ وَثَوَابِي وَمَا عِنْدِي خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى الْمَحَارِمَ وَتَرَكَ هَوَى نَفْسِهِ وَأَقْبَلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ يَقُولُ أَفَلَيْسَ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَاضُوا بِعَرَضِ الدُّنْيَا عَمَّا عِنْدِي عَقْلٌ يَرْدَعُهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّفَهِ وَالتَّبْذِيرِ، ثُمَّ أَثْنَى تَعَالَى عَلَى مَنْ تَمَسَّكَ بِكِتَابِهِ الَّذِي يَقُودُهُ إِلَى اتِّبَاعِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أَيْ اعْتَصَمُوا بِهِ وَاقْتَدَوْا بِأَوَامِرِهِ، وَتَرَكُوا زَوَاجِرَهُ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

وفي صحيح البخاري (برقم ٧٤٠٥)- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ في مسنده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ وَأَحْسَبُهُ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَرِيضًا، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَوَافَقَهُ فِي السُّوقِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ «كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلَانُ»؟ قَالَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرْجُو اللهَ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو**

وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»، ثُمَّ قَالَ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ ثَابِتٍ غَيْرَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ، وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ مُرْسَلًا.

✍فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ في مسند ه - (ج ٣ / ص ٤٠٢) برقم(١٥٣٤٧)- حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك يحدث عن حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر إلا قائما قال قلت يا رسول الله الرجل يسألني البيع وليس عندي أفأبيعه قال: «**لا تبع ما ليس عندك**» قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: " بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر إلا قائما " وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين) وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ، وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ (بَابُ كَيْفَ يَخِرُّ لِلسُّجُودِ)، ثُمَّ سَاقَهُ مِثْلَهُ فقيل: معناه أن لا أموت إلا مسلما، وقيل: معناه أن لا أُقْتَلَ إِلَّا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ وَهُوَ يَرْجِعُ إلى الأول.

✍وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ قِيلَ بِحَبْلِ اللهِ أَيْ بِعَهْدِ اللهِ، كَمَا قَالَ فِي الآية بعدها ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ أَيْ بِعَهْدٍ وَذِمَّةٍ، وَقِيلَ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ يَعْنِي الْقُرْآنَ كَمَا فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ عَنْ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا فِي صِفَةِ الْقُرْآنِ «**هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ**».

✍وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ خَاصٌّ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْعَرْزَمِيِّ عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**». وذكره الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٢٤) وقال حسن صحيح.

✍وَرَوَى ابنُ أبي شيبة في مصنفه - (ج ١٠ / ص ٤٨٢) برقم (٣٠٦٢٩)- قال: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَن حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ، عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ، عَنِ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ الأَعْوَرِ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ رَدٍّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي مَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ دعا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، خُذْهَا إِلَيْك يَا أَعْوَرُ**» وذكره الألباني في الضعيفة برقم (٦١٨٩).

✍وَقَالَ وَكِيعٌ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين. يا عبد الله هذا الطَّرِيقِ، هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ الْقُرْآنُ.

✍وَقَوْلُهُ: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ أَمَرَهُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفرِقَةِ، وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفَرُّقِ، وَالْأَمْرِ بِالِاجْتِمَاعِ وَالِائْتِلَافِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**».

وَقَدْ ضُمِنَتْ لَهُمُ الْعِصْمَةُ عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَعَدِّدَةُ أَيْضًا، وَخِيفَ عَلَيْهِمُ الِافْتِرَاقُ وَالِاخْتِلَافُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَافْتَرَقُوا عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، مِنْهَا فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَمُسَلَّمَةٌ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى مَا كَانَ عليه النبي ﷺ وأصحابه.

✍وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَهَذَا السِّيَاقُ فِي شَأْنِ الأوس

والخزرج، فإنه قد كان بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فأثمرت عَدَاوَةً شَدِيدَةً وَضَغَائِنَ وأحقاد، طَالَ بِسَبَبِهَا قِتَالُهُمْ وَالْوَقَائِعُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَدَخَلَ فِيهِ مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ، صَارُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ بِجَلَالِ اللهِ، مُتَوَاصِلِينَ فِي ذَاتِ اللهِ، مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] إلى آخر الآية، وَكَانُوا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ بِسَبَبِ كفرهم، فأنقذهم اللهُ مِنْهَا أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، وَقَدِ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَعَتَبَ مَنْ عتب منهم، بما فضل عليهم في القسم، بِمَا أَرَاهُ اللهُ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ الله بي؟**» فكلما قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.

وَقَدْ ذَكَرَ الإمام البخاري في صحيحه - (برقم ٣٣٣٠) قال: - حدثنا محمد أخبرنا مخلد بن يزيد أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: غزونا مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي ﷺ فقال (**ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال ما شأنهم**). فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي ﷺ (**دعوها فإنها خبيثة**). وقال عبد الله بن أبي سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله فقال النبي ﷺ (**لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه**) وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما رقم ٢٥٨٤.

❁ بيان الرواية:

✍قوله: (غزونا) قيل غزوة المريسيع وقيل غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة.

✍قوله: (ثاب) اجتمع.

✍قوله: (لعاب) يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة وقيل مزاح واسمه جهجاه بن قيس الغفاري وكان أجير عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✍قوله: (فكسع) من الكسع وهو ضرب دبر غيره بيده أو رجله وقيل هو ضرب العجز بالقدم.

✍قوله: (أنصاريا) هو سنان بن وبرة.

✍قوله: (تداعوا) استغاثوا ونادى بعضهم بعضا.

✍قوله: (ما بال دعوى الجاهلية) ما حالها بينكم وهي التناصر والتداعي بالآباء أي لا تداعوا بها بل تداعوا بالإسلام الذي يؤلف بينكم.

✍قوله: (ما شأنهم) ما جرى لهم.

✍قوله: (دعوها) اتركوا هذه المقالة.

✍قوله: (خبيثة) قبيحة منكرة وكريهة مؤذية تثير الغضب والتقاتل على الباطل].

❁ (الهدى) في الكتاب والسنة يطلق على أمرين:

١ - التوفيق والسداد. ٢ - الدلالة والبيان والإرشاد.

ومن خلال السياق يمكن معرفة المراد. فقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ (القصص: ٥٦)

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٢).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ (لأعراف: ١٧٨).

قال ابن كثير في التفسير: مَنْ هَدَاهُ اللهُ فَإِنَّهُ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّهُ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ لَا مَحَالَةَ، فَإِنَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سيئات أعمالنا، من يهد الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» الْحَدِيثُ بِتَمَامِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أحمد وأهل السنن وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ (الفاتحة: ٦).

كل هذه الآيات في هداية التوفيق، وليست لأحد غير الله تعالى وفي صحيح مسلم باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ. (١٨) برقم ٧٠٨٦ - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللهِ ﷺ « **قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِى وَسَدِّدْنِى وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ** »..

فالذي يشرح الصدر ويوفق ويهدي هو الله ولذلك قال سبحانه مخاطبـًا نبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (القصص: ٥٦).

روى البخاري في صحيحه باب إنك لا تهدي من أحببت.وروى مسلم في صحيحه باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **يا عَمِّ، قُلْ:**

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ **يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ**، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

هداية الدلالة والبيان:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ (فصلت: ١٧).

ولو كان من باب هداية التوفيق لما استحبوا العمى على الهدى.

قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ (البلد: ١٠).

وهذه الهداية تكون كذلك للأنبياء والصالحين والعلماء، ومن ذلك قوله تعالى في حق رسوله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (الشورى: من الآية٥٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (السجدة: ٢٤).

ومراد الناظم:

أوصيك أيها المسلم السني: أن يكون مرجعك دائماً وأبداً كتاب الله.

قوله: واتبع الهدى: (اتبع الهدى) أي: سنة النبي ﷺ وهديه: وهو ما بينه للناس ودلهم عليه مما أوحى إليه ربه، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهديه ﷺ هو خير زاد ليوم المعاد، والوقوف بين يدي رب العباد. وفي حثه رحمه الله على التمسك بالسنة إبطال لقول الطائفة الضالة الذين يتسمون بـ (القرآنيين)

الذين يقولون: نحن لا نأخذ إلا بالقرآن، ومن كان كذلك فهو ليس بآخذٍ حتى بالقرآن؛ لأن الله قد أمر في كتابه في آيات عديدة بالأخذ بالسنة والتمسك بها، ولذا لا يكون العبد متمسكاً بالقرآن إلا إذا أخذ بالسنة، فلا بد من الأخذ بالأمرين معاً.

✍قال الله تعالى آمراً أمهات المؤمنين: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٤).

✍وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: من الآية٧).

✍قول الناظم: ولا تك بدعياً: أي لا تترك الكتاب والسنة، وفيه إشارة إلى الهُوَة العميقة التي سقط فيها المبتدعة جميعاً، وهي تركهم الكتاب والسنة، للأهواء والبدع.

✍**فالبدعي هو**: من ترك الكتاب والسنة ولم يتلق عنهما، ولم يأخذ دينه منهما.

✍والناظر إلى عامة أهل البدع يجد أن منشأ ضلالتهم هو عدم التمسك بالكتاب والسنة، إما بالاعتماد على العقول والآراء أو غير ذلك مما جعله أهل الأهواء مصدراً لهم في الاستدلال.

❀◊❀

البدعة

۞ تعريف البدعة في اللغة:

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (أَبْدِعَتُ الشيء قولاً وفعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال).

✍**يقول أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي** (المتوفى: ٣٢١هـ) في جمهرة اللغة: (كل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه، والاسم البدعة، والجمع: البدع).

✍**يقول أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي** (المتوفى: ٣٩٣هـ) في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (أبدعت الشيء: أخرجته لا على مثال، والله تعالى بديع).

۞ تعريف البدعة في الشرع:

هي ترك السنة إلى الهوى وذلك باستحداث ما لم يكن من هدي سيد المرسلين ولا من هدي خلفائه الراشدين.

۞عوامل ظهور البدعة: على ضربين:

✍ **الضرب الأول: عامل ابتدائي قدري أزلي:** وعنه قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فالله جل وعلا قادر على أن يجعل الناس كلهم أمة واحدة، على إيمان أو على كفر، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

الضرب الثاني: ثانوي كسبي، ومنه:

١-الهوى والإنقياد له :

تعريف الهوى في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٣٧١): «الهَوَى مقصور: هَوَى النَّفْس، وإذا أَضفته إليك قلت هَوايَ، والهَوى: العِشْق يكون في مداخل الخير والشر، والهَوِيُّ: المَهْوِيُّ، وهَوى النفس: إرادتها والجمع الأَهْوَاء.

والهَوَى محبةُ الإِنسان الشيء وغَلَبَتُه على قلبه، ومتى تُكُلِّمَ بالهَوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى يُنْعَتَ بما يُخرجُ معناه كقولهم هَوًى حَسَنٌ وهَوًى موافق للصواب».

وقال الراغب في مفردات القرآن(١ / ١٥٤٣): «الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل: سمى بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفل.

وقال ابن عاشور- رحمه الله-في التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية - (ج ٣٠ / ص ٩٢) الهوى هو: (ما تهواه النفس فهو مصدر بمعنى المفعول مثل الخلق بمعنى المخلوق، فهو ما ترغب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفعَ الكامل. وشاع الهوى في المرغوب الذميم ولذلك قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾.

ويقول ابن القيم- رحمه الله-في كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، ص٢٢- ٢٣،: «وأما الهوى فهو ميل النفس إلى الشيء وفعله هوي يهوى هوى مثل عمى يعمى عمى وأما هوى يهوي بالفتح فهو السقوط ومصدره الهوي بالضم، ويقال الهوى أيضا على نفس المحبوب قال الشاعر:

إن التي زعمت فؤادك ملها   خلقتْ هواك كما خلقتَ هوى لها

ويقال: هذا هوى فلان وفلانة هواه أي مهويته ومحبوبته، وأكثر ما يستعمل في الحب المذموم....وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالاً مقيداً).

ويقول ابن رجب الحنبلي في كتاب جامع العلوم والحكم، ١ / ٣٩٠.: «وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه).

تعريف الهوى في الاصطلاح:

يقول علي بن محمد بن علي الجرجاني، في كتاب التعريفات١ / ٣٢٠: الهوى هو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشر).

وأما المقصود باتباع الهوى، فيقول ابن عاشور في التحرير والتنوير ٣٠/ ٩٢ -: «واتباع الهوى: ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة على ما يدعو إليه الحق والرشد.

وذم الله اتباع الهوى في مواضع كثيرة من كتابه :

قال تعالى في سورة [الأعراف (١٧٥: ١٧٦)]: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

منها قال تعالى في سورة الفرقان/ ٤٣: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

وقال تعالى في سورة [الفرقان: ٥٠]: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقال تعالى في سورة القصص٥٠: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الجاثية/ ٢٣: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

أدلة من السنة في ذم الهوى:

١/ روى أبوداود في سننه برقم (٤٥٩٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ ح وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ قَالَ حَدَّثَنِى صَفْوَانُ نَحْوَهُ قَالَ حَدَّثَنِى أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَرَازِىُّ عَنْ أَبِى عَامِرٍ الْهَوْزَنِىِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلاَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ « **أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ وَهِىَ الْجَمَاعَةُ** ». زَادَ ابْنُ يَحْيَى وَعَمْرٌو فِى حَدِيثَيْهِمَا «**وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِى أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ**».قال الألباني: حديث حسن.

٢/ ذكر الحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثميفي كتاب غاية المقصد فى زوائد المسند - (ج ١ / ص ٢٦٤) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَشْهَبِ، عَنْ أَبِى الْحَكَمِ الْبُنَانِىِّ، عَنْ أَبِى بَرْزَةَ، عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّما أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِى بُطُونِكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلاَّتِ الْهَوَى**».

٣/أخرج الطبراني في الأوسط برقم(٥٤٥٢)- حدثنا محمد بن محمد الجذوعي قال حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة قال حدثنا حميد بن الحكم الجرشي قال سمعت الحسن يحدث عن انس بن مالك عن النبي ﷺ: **(ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه من الخيلاء وثلاث منجيات العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفاقة ومخافة الله في السر والعلانية).**
لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا حميد بن الحكم تفرد به إبراهيم بن محمد بن عرعرة.

مظاهر إتباع الهوى:

متبع الهوى تجده منقاداً لهواه، غير متحرر من عبوديته لشهوات نفسه، فكلما هويت نفسه شيئًا أقدم إليه، دون رادع يردعه فلذلك تظهر على أعمالهبعض المظاهر منها:

١/ الجدل بالباطل وعدم الاعتراف بالخطاء

٢/ إنكار بعض المنكرات دون البعض لهوىً في نفسه.

٣/ تضخيم بعض الأمور مع التساهل في غيرها

٤/ إتباع السقطات والزلات.

٥/ التعلق بالأشخاص وتعظيمهم.

٦/ إتباع المتشابه.

أسباب إتباع الهوى.:

١/ ضعف المعرفة بالله والدار الآخرة.

٢/ فراغ القلب من الإخلاص لله ﷻ

٣/ مجالسه أهل الأهواء..

٤/ الكبر والعناد.

❁حكم متبع الهوى؟

✍اتباع الهوى ليس على منزلة واحدة، فمنه ما يكون كفرا أو شركا أكبر، ومنه ما يكون كبيرة، ومنه ما يكون صغيرة من الصغائر..

فإن اتبع هواه حتى قاده إلى تكذيب الرسول، أو الاستهزاء به، أو الإعراض عنه - كما هو واضح من سياق آيتى الفرقان والجاثية - فهذا مشرك شركا أكبر. وهكذا كل من قاده الهوى إلى ارتكاب ما دلت الأدلة على أنه شرك أكبر أو كفر أكبر، كدعاء الأموات، أو جحد المعلوم بالضرورة، أو ترك الصلاة، أو استحلال الزنا أو الخمر..

وإن اتبع هواه فحلف بغير الله تعالى، أو راءى بعمله، فهو مشرك شركا أصغر..

وإن اتبع هواه ففعل بدعة غير مكفّرة فهو مبتدع.

وإن اتبع هواه ففعل كبيرة كالزنا أو شرب الخمر من غير استحلال، فهو فاسق..

وإن اتبع هواه ففعل صغيرة، فهو عاص غير فاسق..

وبهذا تعلم أن اتباع الهوى يقود إلى أمور متفاوتة، فلا يصح أن يقال: إن من اتبع هواه فهو كافر بإطلاق..

ولفظ ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ تنطبق على من أتى الشرك الأكبر والأصغر، فكل من تعلق بغير الله، ففيه عبودية وتأله لهذا الغير، وهذا قد يكون كفرا أكبر أو أصغر، ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع المعاصي تدخل في الشرك بمفهومه العام لأن كل من عصى الله تعالى فهو متبع لهواه، وعابد لهواه، كما روى الخاري في صحيحه باب ما يتقى من فتنة المال: برقم(٦٠٧١) قال: - حدثني يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **(تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض)**.

لكن الحكم على كون الفعل - الذي قاد الهوى إليه - كفرا أكبر أو أصغر يُرجع فيه إلى قواعد الشريعة وأدلتها التفصيلة الأخرى.

الجهل بالشرع وبمقاصده. :

لقد ذم الله تعالى الجهل وحذر منه وبيّن أنه سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين وأن الناس لجهلهم كذبوا بهم يقول تعالى مخبراً عن قول نوح لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٩].

وذكر سبحانه أن الجهل هو الذي دفع قوم لوط لعمل جريمتهم البشعة من اللواط، يقول تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل: ٥٥]

والجهل أيضا يدفع الناس للشرك بالله قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف].

ويعتبر ظهور الجهل وانتشاره من علامات قرب وقوع الساعة ففى صحيح البخاري باب رفع العلم وظهور الجهل برقم(٨٠)- حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا عبد الوراث عن أبى التياح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (إن **(من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا)** والحديث: أخرجه مسلم في العلم باب رفع العلم وقبضه رقم ٢٦٧١

فاعلم أيها الموفق أن النبى ﷺ رتب ظهور الجهل وكثرته على قلة العلم ورفعه وبالجهل يكثر وقوع المحرمات وانتهاكها ومن أعظمها القتل وهو الهرج

وهذا القتل الواقع الآنبين المسلمين بعضهم البعض دليل على تفرقهم وجهلهم. ففى سنن الترمذي برقم سنن الترمذي (٢٢٠٠) قال: - حدثنا هناد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ إن «**من ورائكم أياما يرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج**» قالوا يا رسول الله ما الهرج ؟ قال: «**القتل**».وقال الشيخ الألباني: صحيح

والجهل الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه سيقع في الأمة وأنه سيكون من أسباب تفرقها هو جهل بأمرين.

أـ الجهل بعلوم الشريعة.

ب ـ الجهل باللغة العربية.

أ ـ الجهل بعلوم الشريعة: لما علم الصحابة رضوان الله عليهم خطورة الجهل على مستوى الفرد وعلى الجماعة حرصوا على تعليم الناس أمور دينهم وعلى تلقين أبنائهم أصول الاعتقاد وتوصيتهم بالتمسك بالسنة.

فكان عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي الناس بتعلم العلم فيقول: عليك بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله أو قال أصحابه. إذ الجهل خطر عظيم يقود الناس إلى البدعة والإحداث في الدين والسير على غير هدى وخير مثال على ذلك ما ذكره البغوي في شرح السنة ـ متنا وشرحا - باب العتق على الخدمة (ج ١٠ / ص ٥٤) قال: وعن الشعبي قال: خرج ناس من أهل الكوفة إلى الجبانة يتعبدون، واتخذوا مسجداً، وبنوا بنيانـًا، فأتاهم عبد الله بن مسعود، فقالوا: مرحبـًا بك يا أبا عبد الرحمن لقد سرنا أن تزورنا، قال: ما أتيتكم زائراً،ولست بالذي أترك حتى يهدم مسجد الجبان، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ أرأيتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم من كان يجاهد العدو، ومن كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلّموا من أنتم أعلم منهم.

قال: واسترجع فما برح حتى قلع أبنيتهم وردهم.

✍**فانظر أيها الموفق:** كيف عزا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما فعلوه إلى الجهل إذ أمرهم بالتعلم فقال: ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم.

✍وهذا ما فقهه ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأن أشد ما يفرق الأمة ويوقع بينها الاختلاف هو الجهل بدينها.

ففي فضائل القرآن لأبي عُبَيْد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهَرَوي(٢٢٤ هـ). برقم (٧٦) قال: - حدثنا أبو عبيد وحدثنا هشيم، عن العوام، عن إبراهيم التيمي، قال: خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس فقال: « كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؛ وقبلتها واحدة ؟ » فقال ابن عباس: « يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا ». قال: فزبرهعمر وانتهره، فانصرف ابن عباس. ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال: « أعد علي ما قلت ». فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه).

✍وما قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الحق فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها فلم يتعد ذلك فيها وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أو جهل فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات فلم يكن بد من الأخذ ببادئ الرأي أو التأويل بالترخص الذي لا يغني من الحق شيئا إذ لا دليل عليه من الشريعة فضلوا وأضلوا.

✍لذلك كان على المجتهد المتصدر للتعليم والفتيا العلم بعلوم الشريعة المتضمن العلم بكتاب الله تعالى وما يلحق به من معرفة أحكامه ومعانيه وفرضه وأدبه وإرشاده وإباحته وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصهوعليه أيضا العلم بالسنة

النبوية دراية وروايةوكذلك عليه العلم بالإجماع والقياس يقول الإمام الشافعي رحمه الله: على أن ليس لأحد أبدا أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس.

فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا.. وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله .

ومن العلم بعلوم الشريعة: العلم بمقاصدها وقواعدها الكلية، ولقد نبه رسول الله ﷺ إلى ذلك وأخبر أن الأمة ستبتلى بمن يدعي العلم وليس له حظ منه إلا حفظ النصوص دون فهم لمعانيها، واستيعاب لها أو معرفة بمقاصد الشريعة وقواعدها ومتى صدر ـ من هذا شأنه ـ وترأس حدثت الفتنة ووقعت الفرقة كما روى البخاري في صحيحه باب قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ برقم٣١٦٦ – قال: وقال ابن كثير عن سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا قال (**إنما أتألفهم**). فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال اتق الله يا محمد فقال (**من يطع الله إذا عصيت ؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني**). فسأل رجل قتله – أحسبه خالد بن الوليد – فمنعه فلما ولى قال (**إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الومية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**) والحديث: أخرجه مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤.

بيان الرواية:

قوله: (بذهبية) قطعة من ذهب.

قوله: (صناديد) رؤساء جمع صنديد.

قوله: (غائر العنين) عيناه داخلتان في رأسه لاصقتان بقعر الحدقة ضد الجاحظ.

قوله: (مشرف الوجنتين) عاليهما والوجنتان العظمان المشرفان على الخدين وقيل لحم جلد الخدين.

قوله: (كث اللحية) كثير شعرها.

قوله: (ضئضئ) هو الأصل والعقب وقيل هو كثرة النسل.

قوله: (لا يجاوز حناجرهم) لا يفقهون معناه ولا ينتفعون بتلاوته.

قوله: (يمرقون) يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ من الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء.

قوله: (الرمية) الصيد المرمي.

قوله: (قتل عاد) أي أستأصلهم بالكلية بأي وجه ولا أبقي أحدا منهم .

ولقد تربى الصحابة ﭫ على يد محمد ﷺ على تلقي النصوص وفهمها واستيعابها والعمل بها.

وفي كتاب المعتصر من المختصر من مشكل الآثار - (ج ٢ / ص ١٥٠) قال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتي الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وآخرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ثم لقد رأيت اليوم رجالا يؤتي

أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ولا يدري ما آخره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل).

وفي كتاب العلم لأبي خيثمة - (ج ١ / ص ٣١)برقم (١٣٠)- حدثنا أبو خيثمة ثنا وكيع عن سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن: أن عليا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مر بقاص فقال أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت).

فيجب على العلماء أن يلموا بعلوم الشريعة وأن يجمعوا الأمة بذلك ومتى ما اختل هذا الأمر وتصدر الناس ورأسهم من يدعي العلم وهو في الحقيقة جاهل بشيء مما مضى فهنا تقع الفتنة في الأمة والاختلاف في الدين ويصاب المجتمع المسلم بالفرقة.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوقوع هذا الأمر وحذرنا من ذلك ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه باب كيف يقبض العلم برقم (١٠٠)- قال: حدثنا إسماعيل بن أويس قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

ومن أسباب الفرقة: ترأس الجهلة، وأن الاختلاف المؤدي للفرقة لا يصدر أبدا من العلماء الراسخين في العلم.

فاعلم أيها الموفق: أن الاختلاف في بعض القواعد الكلية لا يقع في العاديات الجارية بين المتبحرين في علم الشريعة العاملين بمواردها ومصادرها.

أما الاختلاف المؤدي للفرقة والذي يُلقي العداوة بين المسلمين إنما يقع حينما: يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين - ولم يبلغ تلك الدرجة - فيعمل على ذلك ويعد رأيه رأيا وخلافه خلافا ولكن تارة يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع وتارة يكون في كلي وأصل من أصول الدين -

كان من الأصول الاعتقادية أو من الأصول العملية ـ فتراه آخذا ببعض جزئيات الشريعة في هدم لكيانها حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها وهذا هو المبتدع وعليه نبه الحديث الصحيح .

ولقد جاء التحذير من ترؤس الجهلة على لسان رسول الله ﷺ وأخبر أن ذلك من أشراط الساعة كما روى الطبراني في الكبير برقم (٩٠٨) – حدثنا محمد بن حاتم المروزي ثنا حيان بن موسى وسويد بن نصر قالا ثنا عبد الله بن المبارك ثنا عبد الله بن عقبة حدثني بكر بن سوادة عن أبي أمية اللخمي: أن النبي ﷺ قال: إن من أشراط الساعة ثلاثة إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر).قال الألباني صحيح.

والتماس العلم عند الأصاغر لا يكون إلا بترأسهم وتصدرهم للفتيا من جهة، وذهاب العلماء الراسخين أو تنحيتهم من جهة أخرى.

قال ابن عبد البر: في كتاب جامع بيان العلم وفضله باب (حال العلم إذا كان عند الفساق: برقم(٥٧٢)– قرأت على سعيد بن نصر، أن قاسم بن أصبغ حدثهم، قال: حدثنا ابن وضاح، قال: حدثنا موسى بن معاوية، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن هلال الوزان، عن عبد الله بن عكيم، قال: كان عمر يقول: ألا إن أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، ألا إن الناس لن يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم.

وفيه برقم(٥٧٣)– أخبرنا عبد الرحمن، قال: أخبرنا عمر، قال: أخبرنا على، قال: أخبرنا أبو نعيم الفضل بن دكين، عن سعد بن أوس العبسى، عن بلال –يعنى: ابن يحيى– أن عمر بن الخطاب، قال: قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم: إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا. "

وفي المعجم الكبير للطبراني برقم "٨٥٨٩ - حدثنا على بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن سعيد بن وهب عن عبد الله: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذاك حين هلكوا.

وليس المراد هنا بالأصاغر صغار السن فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستشير الصغار وكان القراء أهل مشورته كهولا وشبانا

ولكن الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه في الكتاب والسنة فيضلون ويضلون وأهل البدع أصاغر في العلم.

ولقد جاءت نصوص أخرى تحذر من ترؤس هؤلاء الجهلة وتصدرهم لقيادة الأمة إذ بذلك تجتلب المحن والفتن على المسلمين ففي سنن بن ماجه باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣٦) - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يزيد بن هارون. حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن أبي الفرات عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ **(سيأتي على الناس سنوات خداعات. يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق. ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين. وينطق فيها الرويبضة)** قيل: وما الرويبضة؟ قال: **(الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)**.قال الشيخ الألباني: صحيح .

بيان الرواية:

قوله: (سنوات خداعات) الخداع المكر والحيلة. وإضافة الخداعات إلى السنوات مجازية. والمراد أهل السنوات. وقال في النهاية سنون خداعة أي تكثر فيها لأمطار ويقل الريع فذلك خداعها. لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف. وقيل الخداعة القليلة المطر من خدع الريق إذا جف.

قوله: (الرويبضة) تصغير رابضة. وهو العاجز الذي ربض عن مغالي الأمور وقعد عن طلبها. وتاؤه للمبالغة.

قوله: (في أمر العامة) متعلق به ينطق.

إن ترؤس هؤلاء الأصاغر إضاعة للأمانة مؤذن بقرب قيام الساعة، ففي صحيح البخاري باب رفع الأمانة برقم(٦١٣١)- حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**). قال كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال (**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**).

يقول ابن حجر في الفتح: إن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الأشراط ومقتضاه أن العلم ما دام قائما ففي الأمر فسحة وكأن المصنف أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر .

وما حدثت الفتنة في الأمة ودبت الفرقة إلا حينما تصدر مثل هؤلاء الناس وقادوهم، وهذا ما حدث في الفتنة على عثمان رضي الله عنه وهذا كان وصف الخارجين عليه المقدمين على قتله، فقد كانوا من الأعراب ومن سفهاء الناس وعامتهم. ولما خرج سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخارجين على عثمان ـ وعثمان رضي الله عنه محصور- فرأى سعد رضي الله عنه رؤساءهم صفق بيديه أحدهما على الأخرى ثم استرجع ثم أظهر الكلام فقال: والله إن أمرا هؤلاء رؤساؤه لأمر سوء.، وصدق رضي الله عنه وهل أسوأ من قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه والذي نتج عن قتله اندلاع الفتن وفشو الفرقة في الأمة الإسلامية.

والناظر لأحوال أهل البدع ورؤسائهم المفرقين للأمة شيعا، يجدهم بعيدين عن استيعاب علوم الشريعة جاهلين بفهم معانيها ومعرفة قواعدها ومقاصدها معرضين عن تتبع سنة رسول الله ﷺ وسنة الصحابة رضي الله عنهم وهذا ما أوقعهم في الاختلاف.

وبوب بن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: بابا فيمن تأول القرآن وتدبره وهو جاهل بالسنة ثم يقول: أهل البدع أجمع اضربوا عن السنة، وتأولوا

الكتاب على غير ما بينت السنة فضلوا وأضلوا نعوذ بالله من الخذلان ونسأله التوفيق والعصمة برحمته .

✍ولجهل أهل البدع نجدهم عند مناظرتهم لأهل السنة العالمين بقول الله وقول رسوله نجدهم ينقطعون ويحيدون في المناظرة بالمنقول من الكتاب والسنة ويقرون على أنفسهم بذلك وأنهم إنما يجيدون الرأي والنظر والقياس كما فعل بشر المريسي، لما ناظر الإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني في مسألة خلق القرآن التي يدعيها بشر وكانت المناظرة بحضرة الخليفة العباسي " المأمون" أظهر بشر من الجهل بالقرآن والسنة الشيء الكثير ولما حاد عن المناظرة بنص التنزيل قال: عندي أشياء كثيرة إلا أنه (أي الإمام عبدالعزيز الكناني) يقول بنص التنزيل وأنا أقول بالنظر والقياس فليدع مناظرتي بنص التنزيل وليناظرني بغيره ومن أراد المناظرة فلينظرها في كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن (تأليف: عبدالعزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠هـ) – رحمه الله.

✍ولا عجب أن يكون هذا حال أصحاب البدع من الجهل بالكتاب والسنة والبعد عن تلقي العلم من السلف الصالح وتصدرهم قبل استيعابهم لما قال الله وقال رسوله ﷺ مع دخول الشبهات إليهم فهذا واصل بن عطاء اعتزل حلقة الحسن البصري وكون له حلقة يرأسها يعلم فيها الناس رأيه فضل وأضل .

✍وهؤلاء الخوارج الأزارقة أول من أظهر البدع الزائدة فيهم رجل يقال له: عبد ربه الكبير وهو بائع رمان وعبد ربه الصغير وهو معلم كتاب .

✍وهذا جهم بن صفوان يُسأل عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فيفتى بأن عليها العدة فيخالف كتاب الله بجهله فقد قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨].

✍قال ابن عبد البر في كتابجامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان - (ج ١ / ص ٣٠٥) برقم(٥٥٧)- حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال: حدثنا الحسن بن محمد بن عثمان، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا مروان بن جناح، قال: حدثنا يونس بن ميسرة، عن أبى إدريس الخولاني، عن أبى الدرداء، أنه كان يقول: تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه، والعالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس لا خير فيهم، إن أغنى الناس رجل عالم افتقر إلى علمه فنفع من افتقر إليه، وإن استغنى عن علمه نفع نفسه بالعلم الذي وضع الله - ﷻ عنده، فما لى أرى علماءكم يموتون، وجهالكم لا يتعلمون، ولقد خشيت أن يذهب الأول، ولا يتعلم الآخر.

ولو أن العالم طلب العلم لازداد علمًا وما نقص العلم شيئًا، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائمًا؟

فما لى أراكم شباعًا من الطعام جياعًا من العلم؟!.

ဆ◈ဆ

جهلاء ولكن لا يعلمون

١ـ **إن من الجهل**: عدم العمل بالعلم، ولقد ذم الله سبحانه علماء السوء الذين يقولون ما لا يعملون فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]

لذلك كان الصحابة ﭫ حريصين على العمل الذي علموه يخافون من السؤال يوم القيامة يقول أبو الدرداء ﭬ: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: وقد علمت فماذا عملت فيما علمت.، ويوصينا ﭬ فيقول: لا تكون تقيا حتى تكون عالما ولا تكون بالعلم جميلا حتى تكون به عاملا .

✍ويقول ابن مسعود ﭬ:تعلموا، تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا .

✍ويقول الشاطبي: " العلم المعتبر شرعا ـ أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق ـ هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها .

ثم إن مخالفة عمل العالم لقوله الذي يدعو إليه قد يصد الناس عن دين الله تعالى خاصة إذا كان عمله ظاهرا لهم، ثم إنه قد يوقعهم في الفتنة من حيث هو عالم فيقتدي بعمله الناس قد يتلبس عليهم من عمله ما هو صحيح موافق للحق بما هو باطل فالله المستعان.

٢ـ إن من الجهل: عدم فهم الدليل ووضعه في غير موضعه وهذا نتيجة قصور العلم لذلك وصف رسول الله ﷺ الخوارج بأنهم «يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم».

✍وفي كتاب مقالة التعطيل والجعد بن درهم: لمحمد بن خليفة بن علي التميمي: يقول ابن تيمية: وكانت البدع الأولى مثل " بدعة الخوارج " إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه" .

٣ـ من الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.، فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة وإنكار ما يجهله فلقد أنكرت أم يعقوب على عبدالله بن مسعود لعنه للواشمات والمتنمصات كما روى البخاري في صحيحه في التفسير: سورة الحشر: برقم (٤٦٠٤)- حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: **(لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)** فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. قالت بلى قال فإنه قد نهى عنه قالت فإني أرى أهلك يفعلونه قال فاذهبي فانظري فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئا فقال لو كانت كذلك ما جامعتنا) والحديث: أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة...رقم ٢١٢٥.

✍لذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى ما يفعله المسلم عند الجهل ببعض العلم كما في مسند أحمد - (ج ٢ / ص ١٨١)برقم(٦٧٠٢) قال: - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أنس بن عياض ثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب ان لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي

وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه فكرهنا ان نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض ان القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

✍**انتبه** أيها الموفق لما أرشد إليه رسول الله ﷺ حيث قال: **(وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)** ولم يقل نازعوا فيه أو اعملوا برأيكم أو ردوا ما جهلتم.

٤ـ إن من الجهل: أن ينكر الإنسان ما يجهله وما غاب عن علمه خاصة إذا كان مع المخالف فيقع منه التكذيب ببعض الحق ومن الجهل أن يرد بعض الحق الذي يكون مع مخالفه إذا كان مختلطا بالباطل فيؤدي هذا الرد إلى الاختلاف والنزاع .

٥ـ **إن من الجهل**: الانشغال والاهتمام بالعلوم الدنيوية التى يتحصل المسلم بها على وظيفة ودخل ويكون انشغاله على حساب تعلمه أمور دينه الأساسية فكثيرا ما نجد من المسلمين من بلغ مراتب عالية في العلوم الدنيوية ولكنه قليل العلم في أمور دينه حتى لا يكاد يفرق بين أركان الصلاة وواجباتها فضلا عن مستحباتها فيكون بذلك لقمة سائغة وبيئة خصبة لتقبل البدع ونشرها إذ لا حصانة لديه من العلم الشرعى الصحيح.

✍لهذا يجب على ولاة الأمر والمربين الحرص على تزويد المناهج الدراسية بالعلوم الشرعية الكفيلة بتزويد المسلم كفايته وحاجته مع تعليمهم العلوم الدنيوية فلا تعارض البتة بين الأمرين.

٦ـ **إن من الجهل**: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص بدون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية.

✍يقول الشاطبى رحمه الله في كتاب الإعتصام ١/ ١٨١: ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد والجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافه بعضها لبضع فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها وعامها المرتب على خاصها.. إلى أن قال: " فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الإنسان.. وشأن متبعى المتشابهات أخذ دليل ما؛ أي دليل كان عفوا وأخذاً، وإن كان ثم ما يعارضه من كلى أو جزئى فكأن العضو الواحد لا يعطى في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقيا فمتبعه متبع متشابه ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به .

✍ويقول بن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣١٦: «إذا ميّز العالم بين ما قاله الرسول (وما لم يقله، فإنه يحتاج أن يفهم مراده ويفقه ما قاله، ويجمع بين الأحاديث ويضم كل شكل إلى شكله، فيجمع بين ما جمع الله بينه ورسوله، ويُفرق بين ما فرق الله بينه ورسوله؛ فهذا هو العلم الذي ينتفع به المسلمون، ويجب تلقيه وقبوله، وبه ساد أئمة المسلمين كالأربعة وغيرهم»

✍فينبغي للمسلم أن يتنبه إلى مخططات أعداء الدين الموجهة للمسلمين من محاولتهم تجزئة الشريعة والحد من العمل بها وتعطيل بعض أحكامها لإضعاف المجتمع المسلم ومحاولتهم الدائمة لتشكيك الناس في السنة النبوية كما كان من أمر الإعلاميين (إسلام بحيري وإبراهيم حمالات وميزو وجمال البنا ونوال السعداوي وغيرهم كثير).

✍ولقد علم أعداء الدين أهمية العلم الشرعي في بقاء الأمة المسلمة وقوتها وعلموا أيضا خطورة الجهل وكيف أنه أقوى سلاح لتفريق هذه الأمة ومن ثم السيطرة عليها فعمدوا جاهدين إلى نشر الجهل بالدين الإسلامي بين صفوف أبنائه ومحاولة فصل المسلم عن دينه ثم استغلال المسلمين الجهلاء لبث مخططاتهم الاحتلالية ولمد نفوذهم على ثروات المسلمين بل وعقولهم.

ولقد سلكوا وسائل عدة لتحقيق هدفهم من نشر الجهل بين المسلمين منها:

✍استفادوا من فترة احتلالهم لبلاد المسلمين بالتدخل في المناهج التعليمية، ومحاولة إحلال المناهج الغربية مكان المناهج الإسلامية في البلاد المحتلة.

✍عملوا على محاولة استبعاد دراسة القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي في البرامج التعليمية العامة.

✍عملوا على تشويه عقائد المسلمين وإثارة الشكوك والشبهات حولها، عبر وسائل التربية والتعليم من جهة وعبر وسائل الإعلام من جهة أخرى وكم خدم المستأجرون والمندسون والمنافقون والجهلاء أعداء الدين في تحقيق أهدافه.

✍ولم يقتصر أعداء الدين على نشر الجهل بالدين الإسلامي وتعزيز وجوده بل عمدوا أيضا إلى محاولة تجهيل المسلمين بلغة دينهم لغة القرآن الكريم: " اللغة العربية" ولذلك يشجعون العامية في الإعلام والإعلان نطقا وكتابة.

ب ـ الجهل باللغة العربية: من الجهل الذي يؤدي إلى سوء فهم نصوص الشريعة ومن ثم تعدد الآراء وتفرقها هو الجهل باللغة العربية لذا عد تعلم اللغة العربية من العلوم الواجب على المجتهد معرفتها إذ علم اللغة العربية علم لا يحل الاجتهاد في الشريعة إلا بالاجتهاد فيه فالمجتهد بلا بد مضطر إليه .

✍يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله ﷻ وهو العلم بلسان العرب ومواقع كلامها وسعة لغتها...وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنة والفرائض واللحن ـ يعني النحو ـ كما يتعلم القرآن .

✍وكثيرا ما يقع الخطأ والاشتباه في فهم النصوص الشرعية بسبب الجهل بلسان العرب يقول: الإمام الشافعي رحمه الله: "... إن القرآن نزل بلسان العرب

دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها.

وكم من شبهة دخلت على أهل الفرقة والبدعة لجهلهم بلسان العرب.

ولقد عد الإمام الشاطبي في الإعتصام ١/ ١٧٧: من المآخذ التي تؤخذ على أهل البدع والتي تعد من سماتهم: تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العُرُوّ عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله: فيفتاتون على الشريعة بما فهموا ويخالفون الراسخين في العلم وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط وليس كذلك كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قول الله ﷻ: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]، فقال: هو هذا الصرصر، يعني صرار الليل" ثم ذكر رحمه الله أمثلة كثيرة تبين جهلهم بالعربية ثم قال: " فمثل الاستدلالات لا يعبأ بها وتسقط مكالمة أهلها.... إذ هو خروج عن طريقة كلام العرب إلى اتباع الهوى فحق ما حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: إنما هذا القران كلام فضعوه مواضعه ولا تتبعوا به أهواءكم، أي: فضعوه على مواضع الكلام ولا تخرجوه عن ذلك فإنه خروج عن طريقه المستقيم إلى اتباع الهوى.

ويقول الشاطبي أيضا: " ولعلك إذا استقريت أهل البدع المتكلمين أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم ومن ليس له أصالة باللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه .

ولقد أظهر بشر المريسي القائل بخلق القرآن من جهله باللغة العربية ما أظهره عند مناظرته للإمام عبدالعزيز الكناني في أكثر من موضع، كان جهله بالعربية من أسباب قوله بخلق القرآن. حتى قال الإمام عبدالعزيز عنه: " وإنما دخل الجهل على بشر ومن قال بقوله لأنهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأول القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول وإنها تتكلم بالشيء كما

يجري على لسانها وكل كلامهم ينقض بعضه بعضا، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم ولا يعتقده عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك وسمعت عبد الملك بن قريب الأصمعي وقد سأله رجل فقال له: أتدغم الفاء في الباء؟ فتبسم الأصمعي ـ وقبض على يدي وكان لي إلفاً صديقا ـ فقال: أما تسمع يا أبا محمد ؟ ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته فقال: يا هذا أتدغم الفاء في الباء في لغة ماني الساساني.. فأما العرب فلا تعرف هذا.

إن جهل أصحاب البدع باللغة العربية جعلهم يقولون بأصولهم الاعتقادية البدعية والتي يفارقون بها جماعة المسلمين ويفرقون الأمة ويخالفون نصوص الكتاب والسنة وليس لهم مستند إلا الجهل والرأي والظن .

✍ففي تاريخ بغداد – (ج ١٢ / ص ١٧٤) قال: أخبرنا عبد الله حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا سوار بن عبد الله حدثنا الأصمعي عبد الملك بن قريب قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله وعده قال لا قال أفرأيت ان وعده على عمل عقابا يخلف وعده فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد خلفا ولا عارا ان تعد شرا ثم لا تفعله ترى ان ذاك كرما وفضلا إنما الخلف ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فأوجدنى هذا في كلام العرب قال اما سمعت إلى قول الأول لا يرهب بن العم ما عشت صولتى ولا اختشى من خشية المتهدد وانى ان اوعدته أو وعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى.

✍فعلى ولاة أمرالمسلمين وعامتهم العناية باللغة العربية حكاية وفهما والحذر مما يحيكه أعداء الدين من المحاولات الأكيدة التي يعملونها لصرف المسلمين عن دينهم وكتاب ربهم بصرفهم عن اللغة العربية بوسائل شتى ودعاوى كاذبة: منها: أن اللغة العربية صعبة التناول والاستعمال ولا تواكب التقدم الحضاري المادي فأخذوا يدعون إلى إحلال اللهجة المحلية العامية مكانها كما دعوا إلى إحلال اللغة الأجنبية من إنجليزية أو فرنسية أو غيرها مكان اللغة العربية

وجعل هذه اللغة الأجنبية هي لغة الدراسة واللغة الرسمية في البلاد كما عملوا إلى الدعوة إلى رسم المصحف بالرسم الإملائي الحديث وترك الرسم العثماني بدعوى التسهيل والتيسير وهدفهم صد المسلمين وتجهيلهم بالقرآن الكريم ولغته.

فبتنحية اللغة العربية أو إهمالها يتحقق للأعداء هدفان وتضرب الأمة المسلمة بذلك ضربتين هما:

١/ جهل الناس بدينهم وبفهم كتاب الله تعالى إذ ليس المقصود من نزول القرآن قراءته فقط بل تدبر معانيه والعمل به ولا يكون ذلك إلا لمن يجيد اللغة العربية.

٢/ تمزيق الأمة المسلمة، والقضاء على عامل من عوامل وحدة الأمة وتحقيق جماعتها ألا وهو عامل اللغة، فاللغة لغة القرآن الكريم هي من عوامل جمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فأنى اتجهت إلى قطر إسلامي ولقيت مسلما حييته بتحية الإسلام العربية " السلام وعليك... فرد السلام باللسان العربي، وإن سألته عن حاله أجابك بلسان عربي: الحمد لله؛ تسري بينهم الألفة والمحبة وإن اختلفت ألوانهم وأجناسهم فالذي يجمعهم كتاب ربهم القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين'.وبهذه اللغة العربية لغة القرآن ولغة الدين يكتب الفكر وتكتب ثقافة الأمة أجمع فتتوحد الأمة وتستقل عن غيرها وتتبع كتاب ربها لا تتبع غيره .

أجواء البدعة:

كلما ظهرت السنة في مكان أو زمان، أو شخص أو جماعة، اختفت البدع، وكلما حجبت السنة، راجت البدعة.

ذم البدعة وأهلها في الحديث والأثر:

١/ روى الآجري في كتاب الشريعة - (ج ١ / ص ١٦٩) برقم (١٥٢) قال: - حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي قال حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الحسن بن عبيد الله النخعي، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول على منبره: أيها الناس إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم، فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس، فدخلوه طوعا وكرها، وقد وضعت لكم السنن، ولم يترك لأحد مقالا إلا أن يكفر عبد عمدا عينا، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، اعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه).

٢/ -وروى أبو داود في سننه باب لزوم السنة برقم (٤٦١٣)- حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ الْهَمْدَانِىُّ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِىَّ عَائِذَ اللهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ كَانَ لاَ يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلاَّ قَالَ اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ مَا لِلنَّاسِ لاَ يَتَّبِعُونِى وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِىَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلاَلَةٌ وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ. قَالَ قُلْتُ لِمُعَاذٍ مَا يُدْرِينِى رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ قَالَ بَلَى اجْتَنِبْ مِنْ كَلاَمِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِى يُقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ وَلاَ يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا. قَالَ أَبُو دَاوُدَ قَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِىِّ فِى هَذَا وَلاَ يُنْئِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ مَكَانَ يُثْنِيَنَّكَ. وَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ الزُّهْرِىِّ فِى هَذَا الْمُشَبَّهَاتِ مَكَانَ الْمُشْتَهِرَاتِ وَقَالَ لاَ يُثْنِيَنَّكَ كَمَا قَالَ عُقَيْلٌ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِىِّ

قَالَ بَلَى مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ حَتَّى تَقُولَ مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ.) قال الألباني: صحيح الإسناد موقوف..

٣/ - روى البخاري في صحيحه باب الإقتداء بسنن النبي ﷺ.حديث رقم (٦٨٥٣)- حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا

بيان الرواية:

قوله رضي الله عنه: (القراء) جمع قارئ والمراد العالم بالقرآن والسنة.

قوله رضي الله عنه: (استقيموا) اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى والاقتداء بسنن رسول الله ﷺ فعلا وتركا.

قوله رضي الله عنه: (سبقتم..) أي إن استقمتم سبقتم غيركم سبقا ظاهرا إلى كل خير وروي (سبقتم) أي سبقكم السلف سبقا متمكنا فلعلكم تلحقون بهم بعض اللحوق.

قوله رضي الله عنه: (أخذتم يمينا وشمالا) خالفتم الأمر وأخذتم غير طريق الاستقامة.].

٤/ - وروى الآجري في كتاب الشريعة - (ج ١ / ص ٢٢) برقم (١٩)- قال: وأخبرنا ابن عبد الحميد أيضا قال نا زهير بن محمد قال: أخبرنا سليمان بن حرب قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول قال: قال أبو العالية: تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي عليها أصحابه، فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء قال: فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح، وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: يا بني

أحدثت بهذا محمدا؟ قلت: لا، قالت: فحدثه إذن قال محمد بن الحسين: علامة من أراد الله به خيرا: سلوك هذا الطريق، كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء، وسنبين ما يرضونه إن شاء الله تعالى.

٥/ –وقال أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (٢٨٦ هـ). في كتاب البدع والنهي عنها - (ج ١ / ص ١٥) نا أسد عن زيد عن سفيان عن ربيعة بن صالح عن عثمان بن حاصر عن أبن عباس أنه قال: (عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع).

٦/ – وقال أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (٢٨٦ هـ). في كتاب البدع والنهي عنها - (ج ١ / ص ١٥) نا أسد قال نا زيد عن جعفر بن برقان عن يحيى بن أبي هاشم قال ثنى رجل: إن معاذ بن جبل قام بالشام فقال أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع إلا وإن رفعه ذهاب أهليه وإياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمركم العتيق).

٧/ – وقال أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (٢٨٦ هـ). في كتاب البدع والنهي عنها - (ج ١ / ص ١٥) نا أسد قال نا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة إن أبن مسعود قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهليه عليكم بالعلم فأن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم عليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق).

٨/ روى الطبراني في المعجم الكبير - (ج ٩ / ص ١٥٤) برقم(٨٧٧٠) – قال: حدثنا محمد بن النضر الأزدي ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله قال: اتبعوا ولا

تبتدعوا فقد كفيتكم كل بدعة ضلالة وعن ابن مسعود - ﷺ - قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل ضلالة).

٩/ روى الدارمي في سننه - (ج ١ / ص ٥٨) برقم (٩٨)قال: - أخبرنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي عن حسان قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة). إسناده صحيح..

بيان الرواية:

قوله: (عَنْ حَسَّانَ): غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عَلَى أَنَّهُ فَعْلَانُ، وَقَدْ يَنْصَرِفُ عَلَى أَنَّهُ فَعَّالٌ، وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ شَاعِرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُكَنَّى أَبَا الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيَّ الْخَزْرَجِيَّ، وَهُوَ مِنْ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ الْمَدَرِ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، رَوَى عَنْهُ عُمَرُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةُ، وَمَاتَ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسِينَ، وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، عَاشَ مِنْهَا سِتِّينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتِّينَ فِي الْإِسْلَامِ

قوله: (قَالَ) أَيْ: حَسَّانُ.

قوله: (مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً) أَيْ سَيِّئَةً مُزَاحِمَةً لِسُنَّةٍ.

قوله: (فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا) أَيْ فِي الْعَدَدِ وَالْقَدْرِ، أَوْ مِنْ شَآمَةِ ارْتِكَابِ الْبِدْعَةِ يُحْرَمُونَ مِنْ بَرَكَاتِ السُّنَّةِ.

قوله: (ثُمَّ لَا يُعِيدُهَا): أَيِ لَا يُعِيدُ اللهُ تِلْكَ الْحَسَنَةَ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى ابْتِدَاعِ السَّيِّئَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ كَانَتْ مُتَأَصِّلَةً مُسْتَقِرَّةً فِي مَكَانِهَا، فَلَمَّا أُزِيلَتْ عَنْهُ لَمْ يُمْكِنْ إِعَادَتُهَا كَمَا كَانَتْ أَبَدًا فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ شَجَرَةٍ ضَرَبَتْ عُرُوقَهَا فِي تُخُومِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قُلِعَتْ لَمْ يُمْكِنْ إِعَادَتُهَا كَمَا كَانَتْ (رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ). أَيْ: مَوْقُوفًا، لَكِنَّ

مِثْلَ هَذَا لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى إِخْبَارٍ بِغَيْبٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ثُمَّ.. إِلَى... إِلَخْ. فَيَكُونُ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ.

١٠/ – وروى الإمام أحمد في الزهد قال: حدثنا عبد الله حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن بن ابن شراعة عن الحسن قال اعرفوا المهاجرين بفضلهم واتبعوا اثارهم واياكم وما احدث الناس في دينهم فان شر الامور المحدثات).

١١/ – روى أبو داود في سننه – (ج ٤ / ص ٣٣٢)برقم (٤٦١٤)قال: – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ ح وَحَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَذِّنُ قَالَ حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ دُلَيْلٍ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِىَّ يُحَدِّثُنَا عَنِ النَّضْرِ ح وَحَدَّثَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِىِّ عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِى الصَّلْتِ – وَهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ ابْنِ كَثِيرٍ وَمَعْنَاهُمْ – قَالَ كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ فَكَتَبَ أَمَّا بَعْدُ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالاِقْتِصَادِ فِى أَمْرِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلاَّ قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِى خِلاَفِهَا وَلَمْ يَقُلِ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ. مِنَ الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِىَ بِهِ الْقَوْمُ لأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفَوْا وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِ الأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ.فَمَا أَحْدَثَهُ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِى وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِى فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَبِيرِ بِإِذْنِ اللهِ وَقَعْتَ مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ وَلاَ ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِىَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلاَ أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِى الْجَاهِلِيَّةِ

الْجُهلاَءُ يَتكَلَّمُونَ بِهِ فِى كَلاَمِهِمْ وَفِى شِعْرِهِمْ يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلاَمُ بَعْدُ إِلاَّ شِدَّةً وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِﷺفِى غَيْرِ حَدِيثٍ وَلاَ حَدِيثَيْنِ وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتكَلَّمُوا بِهِ فِى حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ وَتَضْعِيفًا لأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَىْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِى مُحْكَمِ كِتَابِهِ مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ وَلَئِنْ قُلْتُمْ لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا وَلِمَ قَالَ كَذَا. لَقَدْ قَرَءُوْا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ وَمَا يُقَدَّرْ يَكُنْ وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلاَ نَمْلِكُ لأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا). قال الألباني: صحيح مقطوع.

١٢/ - وقال أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني (٢٨٦ هـ).في كتاب البدع برقم(٦٦) - نا أسد قال: نا بعض أصحابنا قال: كان أيوب السختياني يقول: « ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا ».

١٣/ - وفي سنن الدارمي - (ج ١ / ص ٥٨) برقم (٩٨) - أخبرنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي عن حسان قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة).قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

١٤/ - وفي سنن الدارمي - (ج ١ / ص ٥٨) برقم (٩٩) - أخبرنا مسلم بن إبراهيم ثنا وهيب ثنا أيوب عن أبي قلابة قال: ما ابتدع رجل بدعة ألا استحل السيف).قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح).

١٥/ وقال علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي في كتابه المسند- (ج ١ / ص ٢٧٤) برقم(١٨١٩)- حدثني محمد بن علي الجوزجاني نا أحمد بن يونس قال قال رجل لسفيان وأنا أسمع يا أبا عبد الله أوصني قال: إياك والأهواء إياك والخصومة وإياك والسلطان).

❊

❁ موقف السلف من البدعة:

١/ جاء في أصول الاعتقاد: قيل لعلي بن أبي طالب: إن ها هنا رجلا يتكلم في المشيئة قال: فقال له: يا عبد الله خلقك الله ﷻ لما شاء أولما شئت؟ قال: بل لما شاء. قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال: فيميتك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال: فيدخلك حيث شاء أو شئت؟ قال: حيث شاء. قال: والله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف، قال: ثم تلا: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.اهـ

٢/ وفي الإبانة لابن بطة: عن عبد الكريم الجزيري، عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، قالا: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة.

٣/ روى بن أبي شيبة في مصنفه من كتاب الإيمان برقم: ٣١٠٦٦- حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: إنَّ الإسْلامَ ثَلاثُ أَثَافِي: الإِيمَانُ وَالصَّلاةُ وَالْجَمَاعَةُ، فَلا تُقْبَلُ صَلاةٌ إلاَّ بِإِيمَانٍ، وَمَنْ آمَنَ صَلَّى وَمَنْ صَلَّى جَامَعَ، وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ..

٤/ روى مسلم في صحيحه باب التحريض على قتال الخوارج برقم(٢٥١٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِى سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا سلمة بن كهيل قال: حَدَّثَنِى زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليست قراءتكم إلى قراءتهم شيئا، ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيئا، ولا صيامكم إلى صيامهم شيئا يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**) لو يعلم الجيش

يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لنكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليست له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض أفتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلا، حتى مر بنا على قنطرة، قال: فلما التقينا وعلى الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، قال: فوحشوا برماحهم، واستلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتلوا بعضهم على بعض، قال: وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التمسوا فيهم المخدج، فلم يجدوا، قال: فقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه، حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، فقال: أخرجوهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر، وقال: صدق الله، وبلغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا،وهو يحلف).

✍قال النووي في شرحه على مسلم (٧/ ١٥٢): "إنما استحلفه ليسمع الحاضرين ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ويظهر لهم أن عليا وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، وأنهم محقون في قتالهم".

٥/ قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: روى عبد الرحمن بن أبي حاتم بسنده إلى علي، قال: حدثنا محمد بن حجاج الحضرمي المضري حدثنا يعلى ابن عبد العزيز حدثنا عتبة بن السكن الفزاري حدثنا الفرج بن يزيد الكلاعي قال: قالوا لعلي يوم صفين: حكمت كافرا أو منافقا، قال: ما حكمت مخلوقا، ما حكمت إلا القرآن.

٦/ ذكرابن وضاح في كتاب البدع (١/ ٤٥)فقرة ٣١: قَالَ نَا مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقُرَشِيُّ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: " كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى بَلَغَ ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء: ١١١] ، فَرَفَعَ أَصْوَاتَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا جُلُوسًا حَوْلَهُ ، فَجَاءَ مُجَالِدُ بْنُ مَسْعُودٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ ، فَلَمَّا رَآهُ الْقَوْمُ قَالُوا: مَرْحَبًا مَرْحَبًا ، اجْلِسْ ، قَالَ: «مَا كُنْتُ لِأَجْلِسَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ كَانَ مَجْلِسُكُمْ حَسَنًا ، وَلَكِنَّكُمْ صَنَعْتُمْ قَبْلُ شَيْئًا أَنْكَرَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا أَنْكَرَ الْمُسْلِمونَ»

✍ مُجَالِد بن مَسْعُود السُّلَمِي، أخو مُجَاشِع بن مسعود، يكنى أبا معبد.

✍ قال البخاري وابن حبان له صحبة، كان إسلامه بعد أخيه مجاشع بعد الفتح. روى عنه أبو عثمان النهدي. وفد على النبي ﷺ مع أخيه سنة تسع.

✍ ذكر أبو القاسم البغوي ما يدل على أنه بقي إلى حدود الأربعين.

۞ تفنيد شبهة (البدعة الحسنة):

✍ روى أحمد في مسنده - (ج ٤ / ص ١٢٦) برقم (١٧١٨٥) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان قال ثنا عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال عرباض صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**

المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

✍اعلم أيها الموفق: أن الخروج من الفتن مرهون باتباع الحبيب النبي ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين من بعده (أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه).

✍واعلم أيها الموفق: أن قوله «كل بدعة» كلية عامة شاملة مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم «كل» والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه. إذن فالنبي ﷺ حينما قال: «**كل بدعة ضلالة**» كان يدري ما يقول، وكان يدري معنى ما يقول، وقد صدر هذا القول منه عن كمال نصح للأمة.

✍واعلم أيها الموفق: أنه إذا توفر في الكلام كمال النصح والإرادة، وكمال البيان والفصاحة وكمال العلم والمعرفة، دل ذلك على أن الكلام يراد به ما يدل عليه من المعنى.أفبعد هذه الكلية يصح أن نقسم البدعة إلى أقسام ثلاثة، أو إلى أقسام خمسة؟ أبداً هذا لا يصح، وما ادعاه بعض العلماء من أن هناك بدعة حسنة. فلا تخلوا من حالين:

١ ـ أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.

٢ ـ أن تكون بدعة فهي سيئة لكنلا يعلم عن سوئها.

فكل ما ادُعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا.

✍واعلم أيها الموفق: أنه لا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ «**كل بدعة ضلالة**». إن هذا السيف الصارم إنما صنع في مصانع النبوة والرسالة، إنه لم يصنع في مصانع مضطربة، لكنه صنع في مصانع النبوة وصاغه النبي ﷺ هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول إنها حسنة ورسول الله ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة**».

ولعل قائلا يقول ما تقول فيما رواه البخاري في صحيحه (كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان برقم(١٩٠٦). - عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله).

بيان الرواية:

قوله: (أوزاع) جماعات.

قوله: (الرهط) من ثلاثة إلى عشرة.

قوله: (أرى) واجتهاده هذا من إقراره ﷺ للذين صلوا خلفه ولكنه لم يستمر بهم خشية أن تفرض عليهم.

قوله: (أمثل) أفضل.

قوله: (فجمعهم على أبي) جعله إماما لهم.

قوله: (البدعة) سماها بدعة لأنها لم يسنها رسول الله ﷺ وقال نعم البدعة هذه ليدل على فضلها وأن من البدع ما هو مستحسن ومقبول إن كان يندرج تحت مستحسن في الشرع.

قوله: (ينامون عنها) أي إذا ناموا ولم يصلوا التراويح ثم قاموا آخر الليل فصلوا فهو أفضل.

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي كلام لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور ٦٣)، قال الإمام أحمد رحمه الله: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول النبي ﷺ «**أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك**».

جاء في كتاب إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد - (ج ٣ / ص ١٨٣)فقرة رقم - (١٠٨): وقال ابن عبّاس: "يوشِك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! ".

❁ بيان الرواية:

قوله: "وقال ابن عبّاس" هو: حَبْر الأمة، وترجُمان القرآن، عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب، ابن عمّ النبي ﷺ.

قوله: "يوشِكُ" معناه: يقرُب.

قوله: "أن تنزل عليكم حجارة من السماء" عقوبةً لكم كما نزلت الحجارة على من كان قبلكم ممن خالفوا الرسل.

قوله: "أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر" هذا هو السبب الذي يوجِب نزول الحجارة وهو طاعة العلماء والأمراء فيما يخالف شرع الله.

❁ سبب ورود المقالة:

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما هذه المقالة لَمّا بلغه أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما الخليفتين الراشدين، كانا لا يريان فسخ الحج إلى العمرة، بينما رسول الله ﷺ أمر بفسخ الحج إلى العمرة لمن لم يَسُقِ الهدي.

فهذا عند عبد الله بن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يدلُّ على وجوب فسْخ الحج إلى العمرة لمن لم يَسُقِ الهدي، عملاً بأمر الرسول ﷺ، لأنه أمر بذلك أصحابه وأكّد عليهم، ولَمّا خالف ذلك الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر، ورأيا أنه لا يجب فسْخ الحج إلى العمرة، بل المُضي في الإفراد أفضل، من.

أجل أن لا يُهْجَر البيت في بقية السنّة، لأن الحاج إذا جمع بين الحج والعمرة في سفر واحد، فهذا مما يسبِّب أن لا يأتي الناس مّرة أخرى للعمرة، بل يكتفون بسفرٍ واحد.

وما قاله أبوبكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا،كان اجتهادا منهما، ولكن الاجتهاد إذا خالف الدليل فلا يجوز العمل به.

فإذا كان ابن عبّاس يُنكر على من أخذ برأي الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر، لأنه اجتهاد مخالف للنص، وأن ذلك يوجِب العقوبة، فكيف بطاعة العلماء والأمراء في التحليل والتحريم من غير دليل؟.

وهذا مما يدل على وجوب احترام سنة الرسول ﷺ، وأنها هي المنتهى بعد كتاب الله ﷻ، وأنه إذا حصل اجتهاد من المجتهدين يجب عرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما قام عليه الدليل أخذناه، وما خالف الدليل تركناه، وإنْ كان قائله من أفضل الناس، كأبي بكر وعمر، فضلاً عن غيرهما.

والاجتهاد سائغ، وهو "استنباط الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنّة"، ولكن عند التطبيق لا يجوز لنا أن نأخذ إلا ما قام عليه الدليل من أقوال أهل العلم، فلا يجوز لنا أن نأخذ ما خالف الدليل إمّا تعصُّباً لصاحبه، وإما لأنه يوافق أهواءنا، ويوافِق رغباتنا، بل المدار على الكتاب والسنّة: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

والعامي يسأل أهل العلم، ويأخذ بقولهم، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

✍**الوجه الثاني**: إننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ وكان مشهوراً بالوقوف على حدود الله تعالى حتى كان يوصف بأنه كان وقافاً عند كلام الله تعالى. فلا يليق بعمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ وأن يقول عن بدعة «نعمة البدعة». وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «**كل بدعة ضلالة**» بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر إنها «نعمت البدعة» على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي ﷺ في قوله: «كل بدعة ضلالة» فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير بقوله «نعمت البدعة هذه» إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله ﷺ فقد ثبت في صحيح البخاري كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان برقم(٢٠١٢) حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال (أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها). تابعه يونس. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح رقم ٧٦١.

. فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وسماها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل ومعه الرجل والرجل ومعه الرجلان والرهط والنفر في المسجد فرأى أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة

فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ فهي سنة لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أعادها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبهذا التقعيد لا يمكن أبداً أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم.

✍ واعلم أيها الموفق: أن من القواعد الشرعية قاعدة نصها: للوسائل أحكام المقاصد. فلا يلبس عليك قول من يقول: إن هناك أشياءَ مبتدعة قبِلَها المسلمون وعملوا بها وهي لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ كالمدارس وتصنيف الكتب، وما أشبه ذلك وهذه البدعة استحسنها المسلمون وعملوا بها ورأوا أنها من خيار العمل. فكيف نجمع بين هذا الذي يكاد أن يكون مجمعاً عليه بين المسلمين وبين قول الرسول ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**».

✍ **فالجواب**: أن نقول: هذا في الواقع ليس ببدعة بل هذا وسيلة إلى مشروع، والوسائل تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة. وحسب قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد. فوسائل المشروع مشروعة، ووسائل غير المشروع غير مشروعة، بل وسائل المحرم حرام. والخير إذا كان وسيلة للشر كان خيرا ممنوعاً واستمع إلى الله عزوجل يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَاْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨)، فسبُّ آلهة المشركين ليس عدْواً بل حق وفي محله لكن سب رب العالمين عدْوٌ وفي غير محله وعدوان وظلم، ولهذا لما كان سبُّ آلهة المشركين المحمود سبباً مفضياً إلى سب الله كان محرماً ممنوعاً، فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد.

✍ ومن ثمّ: فالمدارس وتصنيف العلم وتأليف الكتب وإن كان بدعة لم يوجد في عهد النبي ﷺ على هذا الوجه إلا أنه ليس مقصداً بل هو وسيلة والوسائل لها أحكام المقاصد. ولهذا لو بنى شخص مدرسة لتعليم علم محرم كان البناء حراماً ولو بنى مدرسة لتعليم علم شرعي كان البناء مشروعاً.

واعلم أيها الموفق: أنه لو قال قائل: كيف تجيب عن قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة». وسنَّ بمعنى «شرّع».

فالجواب: أن من قال «من سن في الإسلام سنةً حسنةً» هو القائل: «كل بدعة ضلالة» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير. ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «**كل بدعة ضلالة**» لحديث «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أن النبي ﷺ يقول: «**من سن في الإسلام**» والبدع ليست من الإسلام، ويقول «حسنة» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السَنِّ والتبديع.

وهناك جواب ثان: أن معنى «**من سَنَّ**» من أحيا سُنّة كانت موجودة فعُدمت فأحياها، وعلى هذا فيكون «السَنُّ» إضافياً نسبيّاً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك جواب ثالث: أن معنى «السَنّ» أي سن العملَ تنفيذاً وليس سنّ العملَ تشريعاً: يدل عليه سبب ورود الحديث كما رواه مسلم في صحيحه باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة: برقم ٢٣٩٨-قال: حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِىُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِى جُحَيْفَةَ عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِى النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِى السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالآيَةَ الَّتِى فِى الْحَشْرِ

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** ». قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ - قَالَ - ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ**». فهنا يكون معنى «السَنّ» سن العمل تنفيذاً وليس سن العمل تشريعـًا، فصار معنى «من سن في الإسلام سنة حسنة» من عمل بها تنفيذاً لا تشريعـًا لأن التشريع ممنوع «كل بدعة ضلالة».

❁ واعلم أيها الموفق: أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

✍**الأول: السبب**: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيّـًا فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثال ذلك أن تتقرب المرأة بالصيام والصلاة حال حيضها.وذلك لأن نزول الحيض معارض للسبب الشرعي فتمتنع المرأة به عن الصلاة والصيام.

وكمن صلى الفريضة جالسا بدون سبب شرعي فصلاته باطلة لمخالفته السبب الشرعي. فالسَّبَب الشَّرْعِيّ هُوَ المؤدي إِلَى الحكم. والسبب الشرعي هو: ما كان مستمداً من الشرع فقط كالوقت بالنسبة لوجوب الصلاة، وبلوغ النصاب بالنسبة لوجوب الزكاة.

✍فالأسباب الشّرعيّة هي الّتي تبنى عليها الأحكام الشّرعيّة.

فإباحة المرأة للرّجل حكم شرعي، له سبب يجب تلقّيه من السّمع، فما لم يُسمَع من الشّرع لا يكون سببًا صحيحًا، والسّبب في إباحة المرأة للرّجل إمّا عقد الزّواج الصّحيح، وإما ملك اليمين بشروطه.

✍**ومنها**: قطع يد السّارق حكم شرعي، وله سبب شرعي وهو أخذ مال غيره خفية من حرز مثله بشروطه.

✍**ومنها**: حِلُّ البدلين حكم شرعي، وله سبب شرعي هو العقد الصّحيح.

ولنا رسالة تضمنت هذه الصور وغيرها تحمل عنوانَ (رخصٍ مزورة).

✍**الثاني**: **الجنس**: فلابد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، كأن يضحي رجل بديك رومي وأوز، فلا تصح أضحيته؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.

✍**الثالث**: **القَدْر**: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على الصلوات الخمس على أنها فريضة فهذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى المغرب أربع ركعات ذاكرا غير ناسي فصلاته لا تصح بالاتفاق.وكانت بدعة غير مقبولة.

✍**الرابع**: **الكيفية**: فلو أن رجلاً صلى الجنازة بركوع وسجود في بدعة غير مقبولة لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

✍**الخامس**: **الزمان**: فلو أن رجلاً أخر الوقوف بعرفة إلى يوم النحر وذبح أضحيته في يوم عرفة التاسع من ذي الحجة فنسكه باطل لمخالفته الشرع في الزمان.

✍**السادس**: **المكان**: فلو أن رجلاً اعتكف في ميدان من الميادين فإن اعتكافه لا يصح؛ وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد.ومن قرأ ذكر

دخول الخلاء عند دخول المسجد وقرأ ذكر دخول المسجد عند دخول الخلاء كان مبتدعا وبدعته غير مقبولة.

فاللهم إن أحييتنا فأحينَا على السنة متبعين غير مبدلين ولا مغيرين وإن توفيتنا فتوفنا على السنة متبعين غير مبدلين ولا مغيرين وأنت راض عنا. آمين آمين. يارب العالمين.

يقول الناظم:

٢/ (ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنجو وتربحُ)

الشرح:

قول الناظم: (دن) فعل أمر من الفعل دان يدين دينـًا.

والمعنى: أقم دينك على الكتاب والسنة وآمن وأطع وامتثل ما جاء فيهما، بتصديق الأخبار وفعل الأوامر وترك النواهي.واحترام الحدود والتزام الأخلاق والسلوكيات التي مدحها وترك ما ذمه من أخلاق وسلوكيات.

وقوله: " والسنن التي أتت عن رسول الله " السنن: جمع سنة، والمراد الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ الثابتة عنه، فقوله: "أتت عن رسول الله" هذا تقييد وإرشاد إلى أن السنن لابد أن تصح حتى يؤخذ بها وتكون مقبولة، فإن صحت سواء بطريق التواتر أو الآحاد فهي حجة وعمدة في أمور الدين كلها العقيدة وغيرها.

قوله: (تنجو) لم يذكر من أي شيء؛ ليعم النجاة من كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة.

وقوله (وتربح) هذا زيادة على النجاة، فالنجاة رأس المال وفوقه أرباح متعددة بحسب قوة اعتصام المرء بالكتاب والسنة أرباح دنيوية وأرباح أخروية.

❁ **الآيات الدالة على هذا:**

✍يقول تعالى في سورة الأنفال: آية ٢٤]: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

✍يقول تعالى في سورة الحشر: آية ٧: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

✍يقول تعالى في سورة النساء آية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

✍يقول تعالى في سورة النساء آية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

✍يقول تعالى في سورة النور آية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

✍قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (البقرة: ٣٨)

✍وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾﴾ (طه: من الآية١٢٣)

❁ **بيان الآيات:**

١/ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

✍**قال ابن القيم في التفسير: تضمنت هذه الآية أمورا:**

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالإستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات. فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهرا وباطنا. فهؤلاء هم الأحياء، وإن ماتوا وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان. ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ.

فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة. فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة. وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول.

✍قال مجاهد لِما يُحْيِيكُمْ يعني: للحق.

✍وقال قتادة: هو هذا القرآن، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

✍وقال السدي: هو الإسلام، أحياهم به بعد موتهم بالكفر.

✍قال ابن إسحاق وعروة بن الزبير- واللفظ له- لما يحييكم: يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وهذه كلها عبارات عن حقيقة واحدة. وهي القيام بما جاء به الرسول ظاهرا وباطنا.

✍قال الواحدي: والأكثرون على أن معنى قوله: لِما يُحْيِيكُمْ هو الجهاد. وهو قول ابن إسحاق، واختيار أكثر أهل المعاني.

✍قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم، يريد أن أمرهم إنما يقوى بالحرب والجهاد، فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم، واجترأ عليهم عدوهم.

✍قال ابن القيم: الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة. أما في الدنيا: فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد.

وأما في البرزخ: فقد قال تعالى: في سورة آل عمران: الآية (١٦٩): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

وأما في الآخرة: فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم ولهذا قال ابن قتيبة: لما يحييكم يعني الشهادة.

وقال بعض المفسرين: لما يحييكم يعني الجنة. فإنها دار الحيوان، وفيها الحياة الدائمة الطيبة. حكاه أبو علي الجرجاني. والآية تتناول هذا كله. فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحيي القلوب الحياة الطيبة، وكمال الحياة في الجنة. والرسول داع إلى الإيمان وإلى الجنة. وهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة.

والإنسان مضطر إلى نوعين من الحياة حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار ويؤثر ما ينفعه على ما يضره. ومتى نقصت فيه هذه الحياة له من الألم والضعف بحسب ذلك. ولذلك كانت حياة المريض والمحزون وصاحب الهم والغم والخوف والفقر والذل دون حياة من هو معافىً من ذلك.

وحياة قلبه وروحه التي بها يميز بين الحق والباطل، والغي والرشاد، والهوى والضلال فيختار الحق على ضده، فتفيده هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار في العلوم والإرادات، والأعمال. وتفيده قوة الإيمان والإرادة والحب للحق، وقوة البغض والكراهة للباطل: فشعوره وتميزه ونصرته بحسب نصيبه من هذه الحياة. كما أن البدن الحي يكون شعوره وإحساسه بالنافع والمؤلم أتم، ويكون ميله إلى النافع ونصرته عن المؤلم أعظم فهذا بحسب حياة البدن. وذلك بحسب حياة القلب. فإذا بطلت حياته بطل تمييزه وإن كان له نوع تمييز لم يكن فيه قوة يؤثر بها النافع على الضار، كما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله من روحه. فيصير حيا بذلك النفخ. وكان فضل ذلك من جملة الأموات فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول ﷺ من الروح الذي ألقى الله إليه.قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وقال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾. وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا. ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ فأخبر أن وحيه روح ونور. فالحياة والاستنارة موقوفة على نفخ الرسول الملكي فمن أصابه نفخ الرسول الملكي ونفخ الرسول البشري حصلت له الحياتان.

ومن حصل له نفخ الملك دون نفخ الرسول حصلت له إحدى الحياتين، وفاتته الأخرى.

قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾ فجمع له بين النور والحياة، كما جمع لمن أعرض عن كتابه بين الموت والظلمة. قال ابن عباس وجميع المفسرين: كان كافرا ضالا فهديناه.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتضمن أمورا.

أحدها: أنه يمشي في الناس بالنور، وهم في الظلمة. فمثله ومثلهم كمثل قوم أظلم عليهم الليل، فضلوا ولم يهتدوا للطريق. وآخر معه نور يمشي به في الطريق ويراها، ويرى ما يحذره فيها.

وثانيها: أنه يمشي بنوره فهم يقتبسون فيه لحاجتهم إلى النور.

وثالثها: أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم.

وقوله،: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

المشهور في الآية: أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان. ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته وبين أهل معصيته وبين طاعته. وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين.

✍**وفي الآية قول آخر**: أن المعنى: أنه سبحانه قريب من قلبه لا تخفى عليه خافية. فهو بينه وبين قلبه. ذكره الواحدي عن قتادة.

وكان هذا أنسب بالسياق. لأن الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن. دون القلب. فإن الله سبحانه بين العبد وبين قلبه. فيعلم هل استجاب له قلبه، وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه.

✍**وعلى القول الأول**: فوجه المناسبة: إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم. فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة، وعقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ كقوله تعالى: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

✍ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب، وإن استجاب بالجوارح.

✍وفي الآية سر آخر وهو أنه جمع لهم بين الشرع والأمر به وهو الاستجابة، وبين القدر والإيمان به. فهي كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وكقوله: ﴿فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ. وَما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ﴾.

٢/ قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

✍قال سهل التستري في تفسيره التستري (ص: ١٦٥): أصول مذهبنا ثلاث: أكل الحلال، والاقتداء بالرسول ﷺ في الأخلاق والأفعال، وإخلاص النية في جميع الأعمال ».

✍وقال كذلك: ألزموا أنفسكم ثلاثة أشياء، فإن خير الدنيا والآخرة فيها: صحبتها بالأمر والنهي بالسنة، وإقامة التوحيد فيها وهو اليقين، وعلماً فيه اتصال

الروح، وصاحب هذه الثلاثة أعلم بما في بطن الأرض مما على ظهرها، ونظره في الآخرة أكثر من نظره في الدنيا، وهو في السماوات أشهر بين الملائكة منه في الأرض بين أهله وقرابته. فقيل: ما العلم الذي فيه إيصال الروح؟ قال: علم قيام الله عليه والرضا.

وقال ابن كثير في تفسيره: قَوْلُهُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ أَيْ: مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرٍّ.

وفي تفسير ابن أبي حاتم - محققا (١٠/ ٣٣٤٦) برقم: (١٨٨٥٣) عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَتْ: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والوصلة أَشَيْءٌ وَجَدْتَهُ فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: بَلَى شَيْءٌ وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَتْ: وَاللهِ لَقَدْ تَصَفَّحْتُ مَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُ الَّذِي تَقُولُ! قَالَ: فَمَا وَجَدْتِ فِيهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْوَاصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ وَالنَّامِصَةِ قَالَتْ: فَلَعَلَّهُ فِي بَعْضِ أَهْلِكَ. قَالَ: فَادْخُلِي فَانْظُرِي فَدَخَلَتْ فَنَظَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ بَأْسًا فَقَالَ لَهَا: أَمَا حَفِظْتِ وَصِيَّةَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾.

وَروى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه برقم. (٤٨٨٦)- والإمام مسلم في صحيحه برقم (٢١٢٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ،

قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا).

٣/ قوله تعالى في سورة النساء آية: (٦٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

قال ابن كثير: قَوْلُهُ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ ﷺ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الِانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أَيْ: إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانِعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**".

وَروى الْبُخَارِيُّ في صحيحه برقم ٤٥٨٥ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فِي شَرِيجٍ مِنَ الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ**»، وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الحُكْمِ حِينَ أَحْفَظَهُ الأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرٍ لَهُمَا فِيهِ سَعَةٌ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَمَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَاتِ إِلَّا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

٤/ قوله تعالى في سورة [النساء: ١١٥]﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

قال ابن كثير في التفسير: قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى﴾. أَيْ وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، فَصَارَ فِي شِقٍّ، وَالشَّرْعُ فِي شِقٍّ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ منه بعد ما ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ لَهُ وَاتَّضَحَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. هَذَا مُلَازِمٌ لِلصِّفَةِ الْأُولَى، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فِيمَا عُلِمَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا، فَإِنَّهُ قَدْ ضُمِنَتْ لَهُمُ الْعِصْمَةُ فِي اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَعْظِيمًا لِنَبِيِّهِمْ، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنِ ادَّعَى تَوَاتُرَ مَعْنَاهَا، وَالَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الِاحْتِجَاجِ عَلَى كَوْنِ الْإِجْمَاعِ حُجَّةً تَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بَعْدَ التَّرَوِّي وَالْفِكْرِ الطَّوِيلِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الِاسْتِنْبَاطَاتِ وَأَقْوَاهَا، وَإِنْ كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدِّلَالَةَ مِنْهَا عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾. أَيْ إِذَا سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ جَازَيْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ نُحَسِّنَهَا فِي صَدْرِهِ وَنُزَيِّنَهَا لَهُ اسْتِدْرَاجًا لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الْقَلَم: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [الصَّفِّ: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ١١٠] وَجَعْلَ النَّارَ مَصِيرَهُ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الهدى لم يكن له طريق إلا إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً﴾ [الكهف: ٥٣].

٥/ قوله تعالى في سورة النور آية (٦٣) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أَيْ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَبِيلُهُ وَمِنْهَاجُهُ وَطَرِيقَتُهُ وَسُنَّتُهُ وَشَرِيعَتُهُ، فَتُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ بِأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَمَا وَافَقَ ذَلِكَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَرْدُودٌ على قائله وفاعله كائنا من كان، كما ثبت في الصحيحين وَغَيْرِهِمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» أَيْ فَلْيَحْذَرْ وَلْيَخْشَ مَنْ خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا. أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَيْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ بِدْعَةٍ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أَيْ فِي الدُّنْيَا بِقَتْلٍ أَوْ حد أو حبس أو نحو ذلك.

كما روى الْإِمَامُ البخاري في صحيحه برقم ٦٤٨٣ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**» والحديث رواه مسلم في صحيحه برقم. ٢٢٨٤

٦/ قوله تعالى في سورة البقرة آية٣٨ ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قَالَ أَبُو العالية: الهدى: الأنبياء والرسل والبينات وَالْبَيَانُ.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: الْهُدَى: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْهُدَى: الْقُرْآنُ، وَهَذَانَ الْقَوْلَانِ صَحِيحَانِ. وَقَوْلُ أَبِي الْعَالِيَةِ أَعَمُّ.

والمعنى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ﴾ أَيْ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى مَا أَنْزَلْتُ بِهِ الْكُتُبَ وَأَرْسَلْتُ بِهِ الرُّسُلَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ أَيْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا.كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ [طه: ١٢٣] ﴿قالَ اهْبِطا

مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ فِي سُورَةِ [طه: ١٢٤]. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾ كَمَا قَالَ هَاهُنَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ أَيْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا مَحِيصَ.

الأحاديث والآثار الواردة في هذا:

١/ روى مالك في الموطأ قسم البلاغيات بإسناد حسنه الألباني: ١٨٦ – عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – مُرْسَلًا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ**».

بيان الرواية:

(وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ): رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ الْإِمَامُ مَالِكٌ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ (مُرْسَلًا): اعْلَمْ أَنَّ الْمُرْسَلَ هُوَ أَنْ يَقُولَ التَّابِعِيُّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، لَكِنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ أَنَّ قَوْلَ مَنْ دُونَ التَّابِعِيِّ أَيْضًا يُسَمَّى مُرْسَلًا، وَبِهِ ذَهَبَ الْخَطِيبُ، لَكِنْ قَالَ: إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُوصَفُ بِهِ رِوَايَةُ التَّابِعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.اهـ.

فَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى قَوْلِهِ ؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ مَالِكًا مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ) أَيْ: شَيْئَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَوْ حَكَمَيْنِ بِفَتْحِهِمَا (لَنْ تَضِلُّوا)؟ أَيْ: لَنْ تَقَعُوا فِي الضَّلَالَةِ (مَا تَمَسَّكْتُمْ) أَيْ: مُدَّةَ تَمَسُّكِكُمْ (بِهَا) أَيْ: بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا (كِتَابَ اللهِ): أَيِ: الْقُرْآنَ (وَسُنَّةَ رَسُولِهِ) أَيْ: حَدِيثَ رَسُولِهِ، وَهُمَا مَنْصُوبَانِ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ، أَوْ بِتَقْدِيرِ أَعْنِي. وَقِيلَ: بِالرَّفْعِ عَلَى الْخَبَرِيَّةِ بِتَقْدِيرِهِمَا، ثُمَّ فِي الْعُدُولِ عَنْ سُنَّتِي مُبَالَغَةٌ فِي زِيَادَةِ شَرَفِهِ وَالْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ بِذِكْرِهِ

السَّبَبَ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ خِلَافَتُهُ عَنِ اللهِ وَقِيَامُهُ بِرِسَالَتِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ لَيْسَ إِلَّا مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ لَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ.

٢/ رَوَى رَزِينٌ، وأَحْمَدُ.عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَنْ جَنبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعِنْدَ رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: اسْتَقِيمُوا عَلَى الصِّرَاطِ وَلَا تَعْوَجُّوا، وَفَوْقَ ذَلِكَ دَاعٍ يَدْعُو، كُلَّمَا هَمَّ عَبْدٌ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ! لَا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ". ثُمَّ فَسَّرَهُ فَأَخْبَرَ: " أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمُفَتَّحَةَ مَحَارِمُ اللهِ، وَأَنَّ السُّتُورَ الْمُرْخَاةَ حُدُودُ اللهِ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ هُوَ الْقُرْآنُ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ»**. وقال الألباني في صحيح الترغيب: حديث صحيح.

۞ بيان الرواية:

✍ قوله: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا) أَيْ: بَيَّنَ مَثَلًا.

✍ قوله: (صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا): بَدَلٌ مِنْ مَثَلًا عَلَى إِهْدَامِ الْمُبْدَلِ، كَمَا فِي قَوْلِكَ: زِيدٌ رَأَيْتُ غُلَامَهُ رَجُلًا صَالِحًا.

✍ قوله: (وَعَنْ جَنبَتَيِ الصِّرَاطِ): بِفَتْحِ النُّونِ كَذَا فِي النِّهَايَةِ نَقَلَهُ مِيْرَكُ أَيْ: عَنْ طَرَفَيْهِ وَجَانِبَيْهِ يَعْنِي يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ.

✍ قوله: (سُورَانِ): وَالْجُمْلَةُ حَالٌ عَنْ صِرَاطًا.

✍ قوله: (فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ): الْجُمْلَةُ صِفَةُ سُورَانِ أَيْ: جِدَارَانِ فَاصِلَانِ بَيْنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَطَرَفَيْهِ الْخَارِجَيْنِ عَنِ الصِّرَاطِ الْقَوِيمِ، الْمُشَبَّهَيْنِ بِسُورِ الْبَلَدِ مِنْ جَنبَتَيْهِ، أَحَدُ جَانِبَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَالْآخَرُ مِنَ الْعَدُوِّ وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

✍ قوله: (وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ): جَمْعُ السِّتْرِ بِالْكَسْرِ.

✍قوله: (مُرَخَاةٌ) أَيْ: مُرْسَلَةٌ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْأَبْوَابِ فِي "مُفَتَّحَةٌ"، وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى صَاحِبِهَا لِإِفَادَةِ التَّفْخِيمِ.

✍قوله: (وَعِنْدَ رَأْسِ الصِّرَاطِ) أَيْ: عَلَيْهِ.

✍قوله: (دَاعٍ): عَطُوفٌ عَلَى وَعَنْ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ.

✍قوله: (يَقُولُ): أَيِ الدَّاعِي.

✍قوله: (اسْتَقِيمُوا): أَيِ اسْتَوُوا.

✍قوله: (عَلَى الصِّرَاطِ وَلَا تَعْوَجُّوا): بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ مِنَ الِاعْوِجَاجِ، كَذَا فِي نُسْخَةِ السَّيِّدِ وَغَيْرِهِ، وَفِي نُسْخَةٍ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ عَلَى حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ وَهُوَ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ، أَيْ: لَا تَمِيلُوا إِلَى الْأَطْرَافِ.

✍قَالَ الطِّيبِيُّ: عَطَفَ عَلَى " اسْتَقِيمُوا " عَلَى الطَّرْدِ وَالْعَكْسِ، لِأَنَّ مَفْهُومَ كُلٍّ مِنْهُمَا يُقَرِّرُ مَنْطُوقَ الْآخَرِ وَبِالْعَكْسِ.

✍قوله: (وَفَوْقَ ذَلِكَ): عَطْفٌ عَلَى: وَعِنْدَ رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الصِّرَاطُ أَوِ الدَّاعِي.

✍قوله: (دَاعٍ يَدْعُو، كُلَّمَا هَمَّ عَبْدٌ) أَيْ: قَصَدَ وَأَرَادَ (أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا) أَيْ: قَدْرًا يَسِيرًا (مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ) أَيْ: سُتُورِهَا.

✍قَالَ الطِّيبِيُّ: كُلَّمَا ظَرْفٌ يَسْتَدْعِي الْجَوَابَ وَهُوَ: قَالَ اهـ. وَالضَّمِيرُ فِي (قَالَ): رَاجِعٌ إِلَى الدَّاعِي.

✍قوله: (وَيْحَكَ): زَجْرٌ لَهُ عَنْ تِلْكَ الْهِمَّةِ، وَهِيَ كَلِمَةُ تَرَحُّمٍ وَتَوَجُّعٍ تُقَالُ لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ لَا يَسْتَحِقُّهَا كَذَا قَالَهُ الطِّيبِيُّ، يَعْنِي ثُمَّ اسْتُعْمِلَ لِمُجَرَّدِ الزَّجْرِ عَمَّا هَمَّ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ.

✍قوله: (لَا تَفْتَحْهُ) أَيْ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ أَيْ سُتُورِهَا.

✍وَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْأَبْوَابَ مَرْدُودَةٌ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ سَابِقًا " أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ": غَيْرُ مُغْلَقَةٍ اهـ. وَهُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ.

✍قوله: (فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ) أَيْ: تَدْخُلْهُ يَعْنِي: لَا تَقْدِرُ أَنْ تَمْلِكَ نَفْسَكَ وَتُمْسِكَهَا عَنِ الدُّخُولِ بَعْدَ الْفَتْحِ..

✍قوله: (ثُمَّ فَسَّرَهُ) أَيْ: أَرَادَ تَفْسِيرَهُ.

✍قوله: (فَأَخْبَرَ: أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الْإِسْلَامُ): وَهُوَ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ.

✍قوله: (وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمُفَتَّحَةَ مَحَارِمُ اللهِ): فَإِنَّهَا أَبْوَابٌ لِلْخُرُوجِ عَنْ كَمَالِ الْإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالدُّخُولِ فِي الْعَذَابِ وَالْمَلَامَةِ.

✍قوله: (وَأَنَّ السُّتُورَ الْمُرْخَاةَ حُدُودُ اللهِ): الْمُرَادُ مِنَ السُّتُورِ الْأُمُورُ الْمَسْتُورَةُ غَيْرُ الْمُبَيَّنَةِ مِنَ الدِّينِ الْمُسَمَّاةُ بِالشُّبْهَةِ الْمُعَبَّرُ عَنْهَا بِ " حَوْلَ الْحِمَى " فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ.

✍قوله: (وَأَنَّ الدَّاعِيَ): وَفِي نُسْخَةٍ: وَالدَّاعِي بِالرَّفْعِ.

✍قوله: (عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ هُوَ الْقُرْآنُ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ مِنْ فَوْقِهِ) أَيْ: فَوْقِ الصِّرَاطِ أَوْ مِنْ فَوْقِ الدَّاعِي الْأَوَّلِ.

✍قوله: (هُوَ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ). قَالَ الطِّيبِيُّ: هُوَ لَمَّةُ الْمَلَكِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَاللَّمَّةُ الْأُخْرَى هِيَ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ. أَيِ: الَّتِي أَثَرُهَا الْهَمُّ، وَكَانَ الْأَظْهَرُ أَنْ يَقُولَ: وَالْهَمُّ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ.

٣/ وفي كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٧٢)برقم ١٩٠- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا - قَالَ: مَنْ تَعَلَّمَ كِتَابَ اللهِ ثُمَّ اتَّبَعَ مَا فِيهِ ؛ هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ فِي الدُّنْيَا، وَوَقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: مَنِ اقْتَدَى

بِكِتَابِ اللهِ لَا يَضِلُّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]. رَوَاهُ رَزِينٌ.

بيان الرواية:

(وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ) أَيْ مَوْقُوفًا (مَنْ تَعَلَّمَ كِتَابَ اللهِ): نَظَرًا أَوْ حِفْظًا أَوْ عِلْمًا بِمَعْنَاهُ (ثُمَّ اتَّبَعَ مَا فِيهِ): مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ (هَدَاهُ اللهُ مِنَ الضَّلَالَةِ): ضَمَّنَ هَدَى مَعْنَى آمَنَ، فَعَدَّاهُ بِمَنْ أَيْ آمَنَهُ اللهُ مِنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَذَا قَالَهُ الطِّيبِيُّ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ ثَبَّتَهُ اللهُ عَلَى الهدايةة، وَوَقَاهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الضَّلَالَةِ مَا دَامَ يَعِيشُ (فِي الدُّنْيَا، وَوَقَاهُ) أَيْ: حَفِظَهُ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُوءَ الْحِسَابِ) أَيْ: مُنَاقَشَتَهُ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى السُّوءِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ عُذِّبَ» "

قَالَ الطِّيبِيُّ: وَفِيهِ أَنَّ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ مَنُوطَةٌ بِمُتَابَعَةِ كِتَابِ اللهِ.اهـ.

وَمُتَابَعَة القرآن مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَمُتَابَعَتِهِ، فَهُمَا مُتَلَازِمَانِ شَرْعًا لَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ.

(وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ:) أَيِ ابْنُ عَبَّاسٍ (مَنِ اقْتَدَى بِكِتَابِ اللهِ) أَيْ: فِي الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا (لَا يَضِلُّ) أَيْ: لَا يَقَعُ فِي الضَّلَالَةِ (فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى) أَيْ: لَا يَتْعَبُ وَلَا يُعَذَّبُ (فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ) اسْتِشْهَادًا لِمَا قَالَهُ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه: ١٢٣] أَيْ مَا يُهْدَى بِهِ، أَوْ أُرِيدَ بِهِ الْمَصْدَرُ مُبَالَغَةً، وَهُوَ الْقُرْآنُ بِقَرِينَةِ الْإِضَافَةِ أَيِ: الْهِدَايَةُ الْمَخْصُوصَةُ بِي الْمَنْسُوبَةُ إِلَيَّ، وَفِي مَعْنَاهَا الْهِدَايَةُ النَّبَوِيَّةُ وَالسُّنَّةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ، وَلِذَا قَالَ فِي الْمَعَالِمِ أَيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]: ظَاهِرُ كَلَام ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَفْيَ الضَّلَالَةِ فِي الدُّنْيَا، وَنَفْيَ التَّعَبِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ: مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَهُوَ مُلَازَمَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لَا يَضِلُّ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُعِدَّ

التَّعَبَ الدُّنْيَوِيَّ مَعَ النَّعِيمِ الْأُخْرَوِيِّ تَعَبًا أَوْ لِانْشِرَاحِ صَدْرِهِ وَاطْمِئْنَانِ قَلْبِهِ وَتَسْلِيمِهِ تَحْتَ الْقَضَاءِ مَعَ الرِّضَا ارْتَفَعَ التَّعَبُ كُلُّهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٤/ وروى رزين بإسناد ضعفه الألباني: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا ؛ فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيَرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ.

بيان الرواية:

(عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا): بِتَشْدِيدِ النُّونِ أَيْ: مُقْتَدِيًا بِسُنَّةِ أَحَدٍ وَطَرِيقَتِهِ (فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ) أَيْ: عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَعَلِمَ حَالَهُ وَكَمَالَهُ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِقَامَةِ. قَالَ الطِّيبِيُّ: أُخْرِجَ الْكَلَامُ مَخْرَجَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ تَنْبِيهًا بِهِ عَلَى الِاجْتِهَادِ وَتَحَرِّي طَرِيقِ الصَّوَابِ بِنَفْسِهِ بِالِاسْتِنْبَاطِ مِنْ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ فَلْيَقْتَدِ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَنَّهُمْ نُجُومُ الْهُدَى وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُوصِي الْقُرُونَ الْآتِيَةَ بَعْدَ قُرُونِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِمْ وَالِاهْتِدَاءِ بِسِيَرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ اهـ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُوصِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ بِالِاقْتِدَاءِ بِالصَّحَابَةِ، لَكِنْ خَصَّ أَمْوَاتَهُمْ لِأَنَّهُ عَلِمَ اسْتِقَامَتَهُمْ عَلَى الدِّينِ وَاسْتِدَامَتَهُمْ عَلَى الْيَقِينِ بِخِلَافِ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَيًّا فَإِنَّهُ يُمْكِنُ مِنْهُمُ الِافْتِتَانُ وَوُقُوعُ الْمَعْصِيَةِ وَالطُّغْيَانِ، بَلِ الرِّدَّةُ وَالْكُفْرَانُ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَاتِمَةِ، وَهَذَا تَوَاضُعٌ مِنْهُ فِي حَقِّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِكَمَالِ خَوْفِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَمَّا رَأَى مِنَ الْفِتَنِ الْعَظِيمَةِ وَوُقُوعِ الْهَالِكِينَ فِيهَا وَإِلَّا فَهُوَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ ﷺ بِالْجَنَّةِ وَقَالَ: «**رَضِيتُ لِأُمَّتِي مَا رُضِيَ لَهُمْ**» وَأَنَّهُ أَفْقَهُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلِذَا اخْتَارَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ تَشَهُّدَهُ عَلَى تَشَهُّدِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا قَوْلُهُ: (فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ). قَالَ الطِّيبِيُّ: الْفِتْنَةُ كَالْبَلَاءِ يُسْتَعْمَلَانِ فِيمَا يُدَافِعُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الشِّدَّةِ

وَالرَّخَاءِ اهـ. وَهُمَا فِي الشِّدَّةِ أَظْهَرُ، وَأَمَّا قَوْلُ الطِّيبِيُّ: لِأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْفِتْنَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣] فَفِيهِ نَظَرٌ ظَاهِرٌ (أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - ﷺ): إِشَارَةٌ إِلَى مَنْ مَاتَ، أَفْرَدَ الضَّمِيرَ فِي " مَاتَ " نَظَرًا إِلَى اللَّفْظِ. وَقَالَ: (أُولَئِكَ) نَظَرًا إِلَى الْمَعْنَى كَذَا ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ،.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الصَّحَابِيَّ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الَّذِي لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ وَآمَنَ بِهِ وَمَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَمَّا مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ فَهُوَ فِي خَطَرٍ مِنَ الرِّدَّةِ، سَوَاءٌ آمَنَ بَعْدَهَا أَوْ لَا.

وما نحن عليه: أن الصحبة تبطل بالردة والموت عليها.

قوله: (كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ) أَيْ: أُمَّةِ الْإِجَابَةِ وَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ فَكَانُوا أَفْضَلَ الْأُمَمِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي الذِّهْنِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى انْقِرَاضِ الْعَالَمِ اهـ. أَوْ يُقَالُ: الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَوْجُودِينَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَيَلْزَمُ مِنْهُ الْأَفْضَلِيَّةُ عَلَى سَائِرِ الْقُرُونِ لِحَدِيثِ: " «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» " الْحَدِيثَ.

قوله: (أَبَرَّهَا قُلُوبًا) أَيْ: أَطْوَعَهَا وَأَحْسَنَهَا وَأَخْلَصَهَا وَأَعْلَمَهَا أَوْ أَكْثَرَهَا إِيمَانًا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الْآيَةَ. وَقَالَ ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣] أَيْ ضَرَبَهَا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَالتَّكْلِيفَاتِ الصَّعْبَةِ وَالشَّدَائِدِ الَّتِي لَا تُطَاقُ لِأَجْلِ أَنْ يَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهَا مِنَ التَّقْوَى، إِذْ لَا تَظْهَرُ حَقِيقَتُهَا إِلَّا عِنْدَ ذَلِكَ فَوَجَدَهَا مَعَ ذَلِكَ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الِانْقِيَادِ وَالرِّضَا أَوْ أَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى مِنْ قَوْلِهِمْ: امْتَحَنْتُ الذَّهَبَ وَفَتَنْتُهُ إِذَا أَذَبْتَهُ بِالنَّارِ حَتَّى خَرَجَ خَالِصًا نَقِيًّا، أَوْ أَذْهَبَ الشَّهَوَاتِ وَالْحُظُوظَ الدُّنْيَوِيَّةَ عَنْهَا كَمَا قَالَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

قوله: (وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا) أَيْ: أَكْثَرَهَا غَوْرًا مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ وَأَدَقَّهَا فَهْمًا وَأَوْفَرَهَا حَظًّا مِنَ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ كَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْفَرَائِضِ وَالتَّصَوُّفِ لِسَعَةِ صُدُورِهِمْ وَشَرْحِ قُلُوبِهِمْ، فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أُمَّةً جَامِعًا لِلشَّمَائِلِ السَّنِيَّةِ وَالْفَضَائِلِ الْبَهِيَّةِ لَا تُوجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي جَمَاعَةٍ، وَأَمَّا مَنْ بَعْدَهُمْ فَقَدِ افْتَرَقُوا فَبَعْضُهُمْ صارَ مُفَسِّرًا وَبَعْضُهُمْ مُحَدِّثًا وَغَيْرُ ذَلِكَ لِعَدَمِ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ الْعُظْمَى وَالِاسْتِعْدَادَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَلِذَا اعْتَرَضَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ عَلَى الْعَلَّامَةِ التَّفْتَازَانِيِّ فِي قَوْلِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] أَنَّ الْجَوَابَ مِنْ أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا يُدْرِكُونَ تَحْقِيقَ مَاهِيَّةِ الْأَهِلَّةِ، وَلِذَا عَدَلَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] مَعَ أَنَّ السَّائِلَ مِنْ أَجِلَّاءِ الصَّحَابَةِ وَهُوَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الَّذِي قَالَ ﷺ فِي حَقِّهِ: " **هُوَ أَعْلَمُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ** ".

قوله: (وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا) أَيْ: فِي الْعَمَلِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَمْشُونَ حُفَاةً، وَيُصَلُّونَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ كُلِّ آنِيَةٍ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ سُؤْرِ النَّاسِ، وَكَذَا فِي الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِمْ، وَيَقُولُونَ فِيمَا لَا يَدْرُونَ: لَا نَدْرِي، وَكَانُوا يَتَدَافَعُونَ الْفَتْوَى عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُشِيرُونَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، وَكَذَا فِي الْقِرَاءَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتْلُونَ الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ عَلَى لُحُونِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ النَّغَمَاتِ وَالتَّمْطِيطَاتِ وَغَيْرِهَا، وكانوا يسمعون القرآن بإصات وتدبر لا بتهليل ولا بتكبير.وَكَذَا فِي الْأَحْوَالِ الْبَاطِنِيَّةِ فَإِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَرْقُصُونَ وَلَا يَصِيحُونَ وَلَا يُطِيحُونَ وَلَا يَطْرُقُونَ، وَلَا يَجْتَمِعُونَ لِلْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ، وَلَا يَتَحَلَّقُونَ لِلْأَذْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسَاجِدِ وَلَا فِي بُيُوتِهِمْ، بَلْ كَانُوا فَرْشِيِّينَ بِأَبْدَانِهِمْ، عَرْشِيِّينَ بِأَرْوَاحِهِمْ، كَائِنِينَ مَعَ الْخَلْقِ فِي الظَّاهِرِ، بَائِنِينَ عَنِ الْخَلْقِ مَعَ الْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، وَكَانُوا يَلْبَسُونَ مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الصُّوفِ وَالْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، غَيْرَ مُتَقَيِّدِينَ بِالْأَوْصَافِ الْمَخْصُوصَةِ وَالْمُرَقَّعَاتِ الْمُنْتَقَشَةِ، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ مَا تَهَيَّأَ لَهُمْ مِنَ

الْحَلَالَاتِ وَالْمُسْتَلَذَّاتِ، غَيْرَ مُحْتَرِزِينَ مِنَ اللَّحْمِ أَوِ اللَّبَنِ أَوِ الْفَوَاكِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّ هَذَا بِتَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُرَبِّي الْكَامِلِ الْمُكَمِّلِ -.

✍قَوْله: (اخْتَارَهُمُ اللهُ) أَيْ: مِنْ بَيْنِ الْخَلَائِقِ (لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ): الَّذِي كَانَ كَالْإِكْسِيرِ فِي كَمَالِ التَّأْثِيرِ (وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ): فَإِنَّهُمْ نَقَلَةُ أَقْوَالِهِ وَحَمَلَةُ أَحْوَالِهِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَيْضًا جَاهَدُوا حَقَّ الْجِهَادِ حَتَّى فَتَحُوا الْبِلَادَ وَأَظْهَرُوا الدِّينَ لِلْعِبَادِ، مَعَ اشْتِغَالِهِمْ بِأَحْوَالِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، جَزَاهُمُ اللهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي يَوْمِ التَّنَادِ (فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ) أَيْ: عَلَى غَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ، أَيْ زِيَادَةَ قَدْرِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْغَزْوِ وَالْإِنْفَاقِ وَمَزِيَّةِ الثَّوَابِ وَغَيْرِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠] (وَاتَّبِعُوهُمْ): بِتَشْدِيدِ التَّاءِ أَيْ: كُونُوا مُتَّبِعِينَ لَهُمْ حَالَ كَوْنِكُمْ مَاشِينَ (عَلَى أَثَرِهِمْ): بِفَتْحِهِمَا وَبِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ: عَقِبَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَإِنَّهُمُ اتَّبَعُوا أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَا شَاهَدُوا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ".

✍قوله: (وَتَمَسَّكُوا) أَيْ: خُذُوا وَاعْمَلُوا (بِمَا اسْتَطَعْتُمْ): وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَجْزِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنِ الْمُتَابَعَةِ الْكَامِلَةِ، لَكِنْ مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ وَالْمَحَبَّةُ عَلَى قَدْرِ الْمُتَابَعَةِ كَمَا أَنَّ الْمُتَابَعَةَ عَلَى قَدْرِ الْمَحَبَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] (مِنْ أَخْلَاقِهِمْ): الْحَمِيدَةِ (وَسِيَرِهِمْ): السَّعِيدَةِ (فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ): لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَتْبَاعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ.

✍قَالَ الطِّيبِيُّ فِي قَوْلِهِ: " فَاعْرِفُوا لَهُمْ " قَدْ أَجْمَلَ هَاهُنَا ثُمَّ فَصَّلَ بِقَوْلِهِ: فَضْلَهُمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِرْفَانِ مَا يُلَازِمُهُ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِمْ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: " وَاتَّبِعُوهُمْ " عَطْفٌ عَلَى اعْرِفُوا عَلَى سَبِيلِ الْبَيَانِ، وَقَوْلُهُ: " عَلَى أَثَرِهِمْ " حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ مِنْ فَاعِلِ " اتَّبِعُوا " نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَفْعُولِ اهـ. وَخَطَرَ بِالْبَالِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالْحَالِ أَنَّ هَذَا مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شَهَادَةٌ عَلَى حَقِّيَّةِ الْأَصْحَابِ الْمُتَقَدِّمِينَ رَدًّا عَلَى الرَّافِضَةِ وَالْمُلْحِدِينَ.

٥/ روى الدارمي في سننه عَنْ جَابِرٍ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَسَكَتَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ! مَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ ! فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لَاتَّبَعَنِي**».

بيان الرواية:

(عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنُسْخَةٍ): بِضَمِّ النُّونِ أَيْ: بِشَيْءٍ نُسِخَ وَنُقِلَ (مِنَ التَّوْرَاةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ) أَيْ: فَهَلْ تَأْذَنُ لَنَا أَنْ نُطَالِعَ فِيهَا لِنَطَّلِعَ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ وَشَرَائِعِ مُوسَى ﷺ. (فَسَكَتَ): مِنْ كَمَالِ حِلْمِهِ وَغَايَةِ لِينِهِ وَرَحْمَتِهِ (فَجَعَلَ) أَيْ: شَرَعَ عُمَرُ (يَقْرَأُ): تِلْكَ النُّسْخَةَ ظَنًّا أَنَّ السُّكُوتَ عَلَامَةُ الرِّضَا وَالْإِذْنِ (وَوَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ): مِنْ أَثَرِ الْغَضَبِ (فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لِعُمَرَ: ثَكِلَتْكَ): بِكَسْرِ الْكَافِ أَيْ فَقَدَتْكَ (الثَّوَاكِلُ) أَيْ: مِنَ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَأَصْلُهُ دُعَاءٌ لِلْمَوْتِ، لَكِنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ غَيْرَ قَاصِدِينَ بِهِ حَقِيقَةَ ذَلِكَ كَتَرِبَتْ يَمِينُهُ وَرَغِمَ أَنْفُهُ (مَا تَرَى): مَا: نَافِيَةٌ بِتَقْدِيرِ الِاسْتِفْهَام (مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ !) " مَا " هَذِهِ مَوْصُولَةٌ أَوْ مَوْصُوفَةٌ (فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ): فَعَرَفَ آثَارَ الْغَضَبِ فِيهِ (فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ): غَضَبُ اللهِ تَوْطِئَةٌ لِذِكْرِ غَضَبِ رَسُولِهِ إِيذَانًا بِأَنَّ غَضَبَهُ غَضَبُهُ، وَإِيمَاءً إِلَى أَنَّ التَّعَوُّذَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَضَبِ اللهِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا يَتَعَوَّذُ مَنْ غَضِبِ رَسُولِهِ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِغَضَبِهِ تَعَالَى وَاللهُ أَعْلَمُ.

قول عمر: (رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا): قَالَهُ اعْتِذَارًا عَمَّا صَدَرَ عَنْهُ، وَجُمِعَ الضَّمِيرُ إِرْشَادًا لِلسَّامِعِينَ، أَوْ إِيمَاءً إِلَى أَنِّي مَعَ الْحَاضِرِينَ فِي مَقَامِ الرِّضَا طَلَبًا لِلرِّضَا وَاجْتِنَابًا عَنِ الْغَضَبِ (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا): بِالْأَلِفِ دُونَ الْهَمْزَةِ، أَيْ: ظَهَرَ (لَكُمْ مُوسَى): عَلَى الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ (فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي): لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الِاتِّبَاعِ لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِهِ لَا مَحْذُورَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْمَحْذُورُ فِي اتِّبَاعٍ يُؤَدِّي إِلَى التَّرْكِ (لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ): فَكَيْفَ مَعَ وُجُودِي وَعَدَمِ ظُهُورِ مُوسَى تَتَّبِعُونَ كِتَابَهُ الْمَنْسُوخَ وَتَتْرُكُونَ الْأَخْذَ مِنِّي (وَلَوْ كَانَ) أَيْ: مُوسَى كَمَا فِي نُسْخَةٍ (حَيًّا) أَيْ: فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ (وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي) أَيْ: زَمَانَهَا (لَاتَّبَعَنِي): لِأَنَّ دِينَهُ صَارَ مَنْسُوخًا فِي زَمَانِي، وَلِأَخْذِ الْمِيثَاقِ مِنْهُ وَمِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] الْآيَةَ. قِيلَ: رَسُولٌ عَامٌّ فَالتَّنْوِينُ لِلتَّنْكِيرِ، وَقِيلَ: خَاصٌّ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَالتَّنْوِينُ لِلتَّعْظِيمِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي الْحَدِيثِ نَهْيٌ بَلِيغٌ عَنِ الْعُدُولِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَى غَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ.

يقول الناظم:

٣(وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا)

٤(ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً ... كما قال أتباع لجهم وأسجحوا)

٥(ولا تقل القرآن خلقٌ قرأته ... فإن كلام الله باللفظ يوضحُ)

الشـرح:

أولا: الزمن الذي وقعت فيه فتنة خلق القرآن ٢١٨هـ: ٢٣٤هـ

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَدِينُهُم قَائِماً فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ قُفْلُ بَابِ الفِتْنَةِ؛ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانكسرَ البَابُ، قَامَ رُؤُوْسُ الشَّرِّ عَلَى الشَّهِيْدِ عُثْمَانَ حَتَّى ذُبِحَ صَبراً، وَتفرَّقتِ الكَلِمَةُ، وَتَمَّتْ وَقعةُ الجَمَلِ، ثُمَّ وَقعَةُ صِفِّيْنَ.

فَظَهَرَتِ الخَوَارِجُ، وَكَفَّرتْ سَادَةَ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ الرَّوَافِضُ وَالنَّوَاصِبُ.

وَفِي آخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ظَهرتِ القَدَرِيَّةُ، ثُمَّ ظَهرتِ المُعْتَزِلَةُ بِالبَصْرَةِ، وَالجَهْمِيَّةُ وَالمُجَسِّمَةُ بِخُرَاسَانَ فِي أَثْنَاء عَصرِ التَّابِعِيْنَ مَعَ ظُهورِ السُّنَّةِ وَأَهْلِهَا إِلَى بَعْدِ المائَتَيْنِ، فَظَهَرَ المَأْمُوْنُ الخَلِيْفَةُ - وَكَانَ ذَكِيّـاً مُتكَلِّمـاً، لَهُ نَظَرٌ فِي المَعْقُوْلِ - فَاسْتجلَبَ كُتبَ الأوَائِلِ، وَعَرَّبَ حِكمَةَ اليُونَانِ، وَقَامَ فِي ذَلِكَ وَقَعَدَ، وَخَبَّ وَوَضَعَ، وَرَفَعَتِ الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ رُؤُوْسَهَا، بَلْ وَالشِّيْعَةُ، فَإِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ. وَآلَ بِهِ الحَالُ أَنْ حَمَلَ الأُمَّةَ عَلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَامتَحنَ العُلَمَاءَ، فَلَمْ يُمْهَلْ. وَهَلَكَ لِعَامِه، وَخَلَّى بَعْدَهُ شَرّاً وَبَلاَءً فِي الدِّيْنِ، فَإِنَّ الأُمَّةَ مَا زَالتْ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ العَظِيْمَ كَلاَمُ اللهِ -تَعَالَى- وَوَحْيُه وَتَنْزِيْلُه، لاَ يَعْرِفُوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ، حَتَّى نبَغَ لَهُمُ القَوْلُ بِأَنَّهُ كَلاَمُ اللهِ مَخْلُوْقٌ مَجْعُولٌ، وَأنَّه إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ -تَعَالَى- إِضَافَةَ تَشرِيفٍ، كَبَيتِ اللهِ، وَنَاقَةِ اللهِ. فَأَنكرَ ذَلِكَ العُلَمَاءُ. وَلَمْ تَكُنِ الجَهْمِيَّةُ يَظهرُوْنَ فِي دَوْلَةِ المَهْدِيِّ وَالرَّشِيْدِ وَالأَمِينِ، فَلَمَّا وَلِيَ المَأْمُوْنُ، كَانَ مِنْهُم، وَأَظهرَ المَقَالَةَ.

رَوَى: أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الدَّوْرَقِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ نُوْح: أَنَّ الرَّشِيْدَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ بِشْرَ بنَ غِيَاثٍ المَرِيْسِيَّ يَقُوْلُ: القُرْآنُ مَخْلُوْقٌ، فَلِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ أَظفَرَنِي بِهِ، لأَقْتُلَنَّه.

قَالَ الدَّوْرَقِيُّ: وَكَانَ مُتَوَارِيـاً أَيَّامَ الرَّشِيْدِ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيْدُ، ظَهَرَ، وَدَعَا إِلَى الضَّلاَلَةِ.

قُلْتُ: ثُمَّ إِنَّ المَأْمُوْنَ نَظَرَ فِي الكَلاَمِ، وَنَاظَرَ، وَبَقِيَ مُتوَقِّفـاً فِي الدُّعَاءِ إِلَى بِدعَتِهِ.

✍قَالَ أَبُو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ: خَالَطَه قَوْمٌ مِنَ المُعْتَزِلَةِ، فَحَسَّنُوا لَهُ القَوْلَ بِخَلقِ القُرْآنِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ وَيُرَاقِبُ بَقَايَا الشُّيُوْخِ، ثُمَّ قَوِيَ عَزْمُه، وَامتَحَنَ النَّاسَ.

✍عن ابْنِ أَكْثَمَ، قَالَ: قَالَ لَنَا المَأْمُوْنَ: لَوْلاَ مَكَانُ يَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ، لأَظهرتُ أَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوْقٌ.

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِه: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، وَمَنْ يَزِيْدُ حَتَّى يُتَّقَى؟

فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنِي أَخَافُ إِنْ أَظْهَرتُهُ فَيَرُدُّ عَلَيَّ، يَخْتلِفُ النَّاسُ، وَتَكُوْنُ فِتْنَةٌ، وَأَنَا أَكرهُ الفِتْنَةَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَنَا أَخْبرُ ذَلِكَ مِنْهُ.

قَالَ لَهُ: نَعَمْ.

فَخَرَجَ إِلَى وَاسِطَ، فَجَاءَ إِلَى يَزِيْدَ، وَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، وَيَقُوْلُ لَكَ: إِنِّي أُرِيْدُ أَن أُظْهِر خَلقَ القُرْآنِ.

فَقَالَ: كَذبتَ عَلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ لاَ يَحمِلُ النَّاسَ عَلَى مَا لاَ يَعْرِفُوْنَهُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً، فَاقعُدْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي المَجْلِسِ، فَقُلْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَنْ كَانَ الغَدُ، اجْتَمَعُوا، فَقَامَ، فَقَالَ كَمَقَالتِه.

فَقَالَ يَزِيْدُ: كَذَبتَ عَلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ، إِنَّه لاَ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى مَا لاَ يَعْرِفُوْنَهُ وَمَا لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.

قَالَ: فَقَدِمَ، وَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، كُنْتَ أَعْلَمَ، وَقَصَّ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَيْحَكَ يُلْعبُ بِكَ!!

✍قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: لَمَّا دَخلنَا عَلَى إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ لِلْمِحْنَةِ، قَرَأَ عَلَيْنَا كِتَابَ الَّذِي صَارَ إِلَى طَرَسُوْسَ -يَعْنِي: المَأْمُوْنَ- فَكَانَ فِيْمَا قُرِئَ عَلَيْنَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]: ﴿وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأَنعَامُ: ١٠٢].

فَقُلْتُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ﴾.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ امْتُحِنَ القَوْمُ، وَوُجِّهَ بِمَنْ امتنعَ إِلَى الحَبْسِ.

ثانيا: سبب إذكاء الفتنة:

الابتلاء الواقع من قبل المعتزلة، ومعهم السلطة، على أهل السنة، في الفتنة. من سنة ٢١٨هـ، حين أجمع المأمون رأيه على القول بخلق القرآن والدعاء له، وإكراه الناس عليه، إلى أن أفضت الخلافة إلى المتوكل سنة ٢٣٤هـ. فأمر بترك هذا القول المبتدع، ونبذ قائله وإظهار السنة.

ثالثا: ماذا تعني فتنة خلق القرآن؟ومن أول من أظهرها؟ومن تكلم بها؟

تعني فتنة خلق القرآن الكريم: إنكار صفة الكلام لله تعالى.وأول من أظهر هذه الفتنة في الإسلام- فتنة خلق القرآن- الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية، وضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط، يوم الأضحى، حيث خطب فقال: "أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه.

ثم حمل لواء هذه الفتنة بعد الجعد جهم بن صفوان الذي قتله سلمة بن أحوز بخراسان..

وتكلم بها بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد وكان قاضيا للمعتصم.

ولك تراجم هؤلاء كما ذكرها الذهبي في السير:

١/ الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ... مُؤَدِّبُ مروانَ الحِمَارِ.

✍هُوَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ بِأَنَّ اللهَ مَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً، وَلاَ كَلَّمَ مُوْسَى، وَأَنَّ ذَلِكَ لاَ يَجُوْزُ عَلَى اللهِ.

✍قَالَ المَدَائِنِيُّ: كَانَ زِنْدِيقًا.

✍وَقَدْ قَالَ لَهُ وَهْبٌ: إِنِّي لأَظُنُّكَ مِنَ الهَالِكِيْنَ، لَوْ لَمْ يُخْبِرْنَا اللهُ أَنَّ لَهُ يداً، وَأَنَّ لَهُ عَيْنًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الجَعْدُ أَنْ صُلِبَ.

٢/ جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ أَبُو مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلاَهُم، السَّمَرْقَنْدِيُّ، الكَاتِبُ، المُتَكَلِّمُ، أُسُّ الضَّلاَلَةِ، وَرَأْسُ الجَهْمِيَّةِ.

✍كَانَ صَاحِبَ ذَكَاءٍ وَجِدَالٍ.

✍كَتَبَ لِلأَمِيْرِ حَارِثِ بنِ سُرَيْجٍ التَّمِيْمِيِّ، وَكَانَ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ، وَيُنَزِّهُ البَارِي عَنْهَا بِزَعمِه، وَيَقُوْلُ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَيَقُوْلُ: إِنَّ اللهَ فِي الأَمكِنَةِ كُلِّهَا.

✍قَالَ ابْنُ حَزْم: كَانَ يُخَالِفُ مُقَاتِلاً فِي التَّجْسِيْمِ. وَكَانَ يَقُوْلُ: الإِيْمَانُ عَقدٌ بِالقَلْبِ، وَإِن تَلَفَّظَ بِالكُفْرِ.

✍قِيْلَ: إِنَّ سَلْمَ بنَ أَحْوَزَ قَتَلَ الجَهْمَ؛ لإِنْكَارِه أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوْسَى.

٣/ بِشْرُ بنُ غِيَاثِ بنِ أَبِي كَرِيْمَةَ العَدَوِيُّ

المُتَكَلِّمُ، المُنَاظِرُ، البَارِعُ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِشْرُ بنُ غِيَاثِ بنِ أَبِي كَرِيْمَةَ العَدَوِيُّ مَوْلاَهُمُ، البَغْدَادِيُّ، المَرِيْسِيُّ، مِنْ مَوَالِي آلِ زَيْدِ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

✍كَانَ بِشْرٌ مِنْ كِبَارِ الفُقَهَاءِ.

✍أَخَذَ عَنِ: القَاضِي أَبِي يُوْسُفَ. وَرَوَى عَنْ: حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، وَسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ.

ﮐﮯوَنَظَرَ فِي الكَلاَمِ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَانْسَلَخَ مِنَ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى، وَجَرَّدَ القَوْلَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَدَعَا إِلَيْهِ، حَتَّى كَانَ عَيْنَ الجَهْمِيَّةِ فِي عَصْرِهِ وَعَالِمَهُم، فَمَقَتَهُ أَهْلُ العِلْمِ، وَكَفَّرَهُ عِدَّةٌ، وَلَمْ يُدْرِكْ جَهْمَ بنَ صَفْوَانَ، بَلْ تَلَقَّفَ مَقَالاَتِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

ﮐﮯقَالَ البُوَيْطِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: نَاظَرْتُ المَرِيْسِيَّ، فَقَالَ: القُرْعَةُ قِمَارٌ.

فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيْثَ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ فِي القُرْعَةِ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ لأَبِي البَخْتَرِيِّ القَاضِي، فَقَالَ: شَاهِداً آخَرَ وَأَصْلِبُهُ.

ﮐﮯوَقَالَ أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بنُ القَاسِمِ: كَانَ وَالِدُ بِشْرٍ يَهُوْدِيًّا، قَصَّاراً، صَبَّاغًا فِي سُوَيْقَةِ نَصْرٍ.

ﮐﮯوَلِلمَرِيْسِيِّ تَصَانِيْفُ جَمَّةٌ. ذَكَرَهُ النَّدِيْمُ، وَأَطْنَبَ فِي تَعْظِيْمِهِ.وَقَالَ: كَانَ دَيِّنًا، وَرِعًا، مُتَكَلِّمًا.

ﮐﮯثُمَّ حَكَى ابن النديم أَنَّ البَلْخِيَّ قَالَ: بَلَغَ مِنْ وَرَعِهِ أَنَّهُ كَانَ لاَ يَطَأُ أَهْلَهُ لَيْلاً مَخَافَةَ الشُّبْهَةِ، وَلاَ يَتَزَوَّجُ إِلاَّ مَنْ هِيَ أَصْغَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِيْنَ، مَخَافَةَ أَنْ تَكُوْنَ رَضِيْعَتَهُ.

ﮐﮯوَكَانَ جَهْمِيًّا، لَهُ قَدَرٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَشْرَبُ النَّبِيذَ، وَقَالَ مَرَّةً لِرَجُلٍ اسْمُهُ كَامِلٌ: فِي اسْمِهِ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الاسْمَ غَيْرُ المُسَمَّى.

ﮐﮯوَصَنَّفَ كِتَابًا فِي التَّوْحِيْدِ، وَكِتَابَ (الإِرْجَاءِ)، وَكِتَابَ (الرَّدِّ عَلَى الخَوَارِجِ)، وَكِتَابَ (الاسْتِطَاعَةِ)، و(الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ فِي الإِمَامَةِ)، وَكِتَابَ (كُفْرِ المُشَبِّهَةِ)، وَكِتَابَ (المَعْرِفَةِ)، وَكِتَابَ (الوَعِيْدِ)، وَأَشْيَاءَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي نِحْلَتِهِ.

وَنَقَلَ غَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِيَزِيْدَ بنِ هَارُوْنَ: عِنْدَنَا بِبَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَال لَهُ: المَرِيْسِيُّ، يَقُوْلُ: القُرْآنُ مَخْلُوْقٌ.

فَقَالَ: مَا فِي فِتْيَانِكُمْ مَنْ يَفْتِكُ بِهِ ؟

قُلْتُ: قَدْ أُخِذَ المَرِيْسِيُّ فِي دَوْلَةِ الرَّشِيْدِ، وَأُهِينَ مِنْ أَجْلِ مَقَالَتِهِ.

رَوَى: أَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ مَهْدِيٍّ أَيَّامَ صُنِعَ بِبِشْرٍ مَا صُنِعَ يَقُوْلُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوْسَى، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وَقَالَ المَرُّوْذِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ - وَذَكَرَ المَرِيْسِيَّ - فَقَالَ: كَانَ أَبُوْهُ يَهُوْدِيّاً، أَيَّ شَيْءٍ تُرَاهُ يَكُوْنُ ؟!

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: كَانَ بِشْرٌ يَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي يُوْسُفَ، فَيَصِيْحُ، وَيَسْتَغِيثُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوْسُفَ مَرَّةً: لاَ تَنْتَهِي أَوْ تُفْسِدَ خَشَبَةً. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: مَا كَانَ صَاحِبَ حُجَجٍ، بَلْ صَاحِبَ خُطَبٍ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الأَثْرَمُ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنِ الصَّلاَةِ خَلْفَ بِشْرٍ المَرِيْسِيِّ، فَقَالَ: لاَ تُصَلِّ خَلْفَهُ.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: بِشْرٌ المَرِيْسِيُّ كَافِرٌ.

قال الذهبي: وَقَعَ كَلاَمُهُ إِلَى عُثْمَانَ بنِ سَعِيْدٍ الدَّارِمِيِّ الحَافِظِ، فَصَنَّفَ مُجَلَّداً فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ.

وَمَاتَ: فِي آخِرِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمائَتَيْنِ، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِيْنَ، فَهُوَ بِشْرُ الشَّرِّ، وَبِشْرٌ الحَافِي بِشْرُ الخَيْرِ، كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ هُوَ أَحْمَدُ السُّنَّةِ، وَأَحْمَدَ بنَ أَبِي دُوَادَ أَحْمَدُ البِدْعَةِ.

وَمَنْ كُفِّرَ بِبِدْعَةٍ - وَإِنْ جَلَّتْ - لَيْسَ هُوَ مِثْلَ الكَافِرِ الأَصْلِيِّ، وَلاَ اليَهُوْدِيِّ، وَالمَجُوْسِيِّ، أَبَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَصَامَ، وَصَلَّى، وَحَجَّ، وَزَكَّى - وَإِنِ ارْتَكَبَ العَظَائِمَ، وضَلَّ، وَابتَدَعَ - كَمَنْ عَانَدَ الرَّسُوْلَ، وَعَبَدَ الوَثَنَ، وَنَبَذَ الشَّرَائِعَ، وَكَفَرَ، وَلَكِنْ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنَ البِدَعِ وَأَهْلِهَا.

٤/ ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَس أَبُو مَعْنٍ النُّمَيْرِيُّ البَصْرِيُّ :

العَلاَّمَةُ، أَبُو مَعْنٍ النُّمَيْرِيُّ، البَصْرِيُّ، المُتَكَلِّمُ، مِنْ رُؤُوْسِ المُعْتَزِلَةِ القَائِلِيْنَ بِخَلْقِ القُرْآنِ – جَلَّ مُنْزِلُهِ –.

✍وَكَانَ نَدِيماً، ظَرِيْفاً، صَاحِبَ مُلَحٍ، اتَّصَلَ بِالرَّشِيْدِ، ثُمَّ بِالمَأْمُوْنِ.

✍رَوَى عَنْهُ: تِلْمِيْذُهُ الجَاحِظُ.

✍قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ: العَالَمُ هُوَ بِطِبَاعِهِ فِعْلُ اللهِ.

✍وَقَالَ: المُقَلِّدُوْنَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ لاَ يَدْخُلُوْنَ النَّارَ، بَلْ يَصِيرَوْنَ تُرَاباً، وَإِنَّ مَنْ مَاتَ مُسْلِماً وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى كَبِيْرَةٍ، خُلِّدَ فِي النَّارِ، وَإِنَّ أَطْفَالَ المُؤْمِنِيْنَ يَصِيرَوْنَ تُرَاباً، وَلاَ يَدْخُلُوْنَ جَنَّةً.(قَبَّحَ اللهُ هَذِهِ النِّحْلَةِ.)

✍قَالَ المُبَرِّدُ: قَالَ ثُمَامَةُ: خَرَجْتُ إِلَى المَأْمُوْنِ، فَرَأَيْتُ مَجْنُوناً شُدَّ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟

قُلْتُ: ثُمَامَةُ. فَقَالَ: المُتَكَلِّمُ؟

قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: جَلَسْتَ عَلَى هَذِهِ الآجُرَّةِ، وَلَمْ يَأْذنْ لَكَ أَهْلُهَا.

فَقُلْتُ: رَأَيْتُهَا مَبْذُولَةً.

قَالَ: لَعَلَّ لَهُمْ تَدْبِيراً غَيْرَ البَذْلِ، مَتَى يَجِدُ النَّائِمُ لَذَّةَ النَّوْمِ؟

إِنْ قُلْتَ: قَبْلَهُ، أَحَلْتَ، لأَنَّهُ يَقْظَانُ.

وَإِنْ قُلْتَ: فِي النَّوْمِ، أَبْطَلْتَ، إِذِ النَّائِمُ لاَ يَعْقِلُ.

وَإِنْ قُلْتَ: بَعْدَهُ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْهُ، وَلاَ يُوْجَدُ شَيْءٌ بَعْدَ فَقْدِهِ.

قَالَ: فَمَا كَانَ عِنْدِي فِيْهَا جَوَابٌ.

وَعَنْهُ، قَالَ: عُدْتُ رَجُلاً، وَتَرَكْتُ حِمَارِي عَلَى بَابِهِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَإِذَا صَبِيٌّ رَاكِبُهُ، فَقُلْتُ: لِمَ رَكِبْتَهُ بِغَيْرِ إِذْنِي؟

قَالَ: خِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ. قُلْتُ: لَوْ ذَهَبَ، كَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ.

قَالَ: فَهَبْهُ لِي، وَعُدَّ أَنَّهُ ذَهَبَ، وَارْبَحْ شُكْرِي. فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُوْلُ.

قال الذهبي قَالَ هَاشِمُ بنُ مُحَمَّدٍ الخُزَاعِيُّ: حَدَّثَنَا الجَاحِظُ سَنَةَ (٢٥٣هـ)، حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ، قَالَ: شَهِدْتُ رَجُلاً قَدَّمَ خَصْمَهُ إِلَى وَالٍ، فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللهُ، هَذَا نَاصِبِيٌّ، رَافِضِيٌّ، جَهْمِيٌّ، مُشَبِّهٌ، يَشْتِمُ الحَجَّاجَ بنَ الزُّبَيْرِ، الَّذِي هَدَمَ الكَعْبَةَ عَلَى عَلِيٍّ، وَيَلْعَنُ مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي طَالِبٍ.

يقول بنُ المُزَرَّعِ: حَدَّثَنَا الجَاحِظُ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو العَتَاهِيَةِ عَلَى المَأْمُوْنِ، فَطَعَنَ عَلَى المُبْتَدِعَةِ، وَلَعَنَ القَدَرِيَّةَ، فَقَالَ المَأْمُوْنُ: أَنْتَ شَاعِرٌ، وَلِلْكَلاَمِ قَوْمٌ.

قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ ثُمَامَةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقُلْ لَهُ يُجِبْنِي.

ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ، فَحَرَّكَهَا، وَقَالَ: يَا ثُمَامَةُ! مَنْ حَرَّكَ يَدِي؟

قَالَ: مَنْ أُمُّهُ زَانِيَةٌ. فَقَالَ: يَشْتِمُنِي يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ.

فَقَالَ ثُمَامَةُ: نَاقَضَ وَاللهِ.

قَالَ أَبُو رَوْقٍ الهِزَّانِيُّ: حَدَّثَنَا الفَضْلُ بنُ يَعْقُوْبَ، قَالَ: اجْتَمَعَ ثُمَامَةُ وَيَحْيَى بنُ أَكْثَمَ عِنْدَ المَأْمُوْنِ، فَقَالَ المَأْمُوْنُ لِيَحْيَى: مَا العِشْقُ؟

قَالَ: سَوَانِحُ تَسْنَحُ لِلْعَاشِقِ، يُؤْثِرُهَا، وَيَهِيمُ بِهَا.

قَالَ ثُمَامَةُ: أَنْتَ بِالفِقْهِ أَبْصَرُ، وَنَحْنُ أَحْذَقُ مِنْكَ. قَالَ المَأْمُوْنُ: فَقُلْ.

قَالَ: إِذَا امْتَزَجَتْ جَوَاهِرُ النُّفُوْسِ بِوَصْلِ المُشَاكَلَةِ، نَتَجَتْ لَمْحَ نُوْرٍ سَاطِعٍ تَسْتَضِيءُ بِهِ بَوَاصِرُ العَقْلِ، وَتَهْتَزُّ لإِشْرَاقِهِ طَبَائِعُ الحَيَاةِ، يُتَصَوَّرُ مِنْ ذَلِكَ اللَّمْحِ نُوْرٌ خَاصٌّ بِالنَّفْسِ، مُتَّصِلٌ بِجَوْهَرِهَا، يُسَمَّى عِشْقاً.

فَقَالَ المَأْمُوْنُ: هَذَا - وَأَبِيْكَ - الجَوَابُ.

قال الذهبي: قَالَ هَارُوْنُ الحَمَّالُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَبِي كَبْشَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي سَفِيْنَةٍ، فَسَمِعْتُ هَاتِفاً يَقُوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، كَذَبَ المَرِيْسِيُّ عَلَى اللهِ.

ثُمَّ عَادَ الصَّوْتُ يَقُوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، عَلَى ثُمَامَةَ وَالمَرِيْسِيِّ لَعْنَةُ اللهِ.

قَالَ: وَمَعَنَا رَجُلٌ مِن أَصْحَابِ المَرِيْسِيِّ فِي المَرْكَبِ، فَخَرَّ مَيْتاً.

٥/ أحمد بْن أبي دؤاد بْن حَرِيز، القاضي أبو عبد الله الأياديّ الْبَصْرِيُّ ثم البَغْداديُّ. واسم أبيه: الفَرَج. [الوفاة: ٢٣١ - ٢٤٠ هـ]

قال الذهبي: ولي القضاء للمعتصم وللواثق بالله، وكان مصرِّحًا بمذهب الْجَهْميّة، داعيةً إلى القول بخلْق القرآن. وكان موصوفًا بالْجُود والسّخاء، وحسن الخُلُق، وغزارة الأدب.

قال الصُّولِيّ: كان يُقال: أكرم من كان في دولة بني العبّاس البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد، لولا مَا وَضع به نفسه من محبّة المِحْنة لاجتمعت الألْسُنُ عليه، ولَمْ يُضَفْ إلى كرمه كرم أحد.

ولد ابن أبي دؤاد سنة ستّين ومائة بالبصرة.

قال حَرِيز بْن أحمد بن أبي دؤاد: كان أبي إذا صلّى رفع يده إلى السماء وخاطب ربه وقال:

ما أنت بالسَّبب الضَّعيف وَإنَّما ... نُجْحُ الْأُمُور بقُوَّة الأسباب
فاليومَ حاجَتُنَا إليك، وإنَّما ... يُدْعَى الطّبيبُ لساعة الأَوْصَاب

وقال أبو العَيْنَاء: كان أحمد بن أبي دؤاد شاعرًا مُجيدًا، فصيحًا بليغًا، ما رأيتُ رئيسًا أفصح منه. وقال فيه بعضُ الشعراء:

لقد أَنْسَتْ مساوئَ كلِّ دهرٍ ... محاسنُ أحمد بن أبي دؤاد
وما سافرتُ في الآفاق إلَّا ... ومن جَدْوَاك راحلتي وزادي
يُقيمُ الظّنُّ عندك والأماني ... وإنْ قلقت ركابي في البلاد

وقال الصولي: حدثنا عَوْن بْن محمد الكِنْدِيّ قال: لَعَهْدِي بالكَرْخ، وإن رجلا لو قال: ابن أبي دؤاد مُسلم لقُتِل في مكانه. ثُمَّ وقع الحريق في الكرخ، وهو

الذي لَمْ يكن مثله قطّ. كان الرجلُ يقوم في صينّية شارع الكَرْخ فيرى السفن في دجلة. فكلم ابن أبي دؤاد المعتصمَ في النّاس وقال: يا أمير المؤمنين رعيّتك في بلد آبائك ودار مُلْكهم، نزل بهم هذا الأمر، فاعِطْف عليهم بشيء يُفَرَّقُ فيهم، يُمسك أرماقهم ويبنون به ما انْهَدَمَ. فلَم يزل يُنازله حتّى أطلق له خمسة آلاف ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين إنْ فَرّقها عليهم غيري خفتُ أن لا يقسّم بالسَّويَّة. قال: ذاك إليك، فقسّمها على مقادير ما ذهبَ منهم، وغرِم من ماله جُملة.

قال عون: فلَعَهْدِي بالكَرْخ بعد ذلك، وإنّ إنسانًا لو قال: زر ابن أبي دؤاد وسخ لقتل.

وقال ابن دريد: أخبرنا الحسن بْن الخضِر قال: كان ابن أبي دؤاد مؤالفًا لأهل الأدب من أيّ بلد كانوا. وكان قد ضمّ إليه جماعة يموّنهم، فلمّا مات اجتمع ببابه جماعة منهم، فقالوا: يُدفن مَن كان على ساقِه الكرم وتاريخ الأدب ولا نتكلّم فيه؟ إنّ هذا لَوَهْنٌ وتقصير. فلمّا طلع سريره قام ثلاثة منهم، فقال أحدهم:

اليوم مات نظامُ الفَهْم واللَّسَن ... ومات مَن كان يُسْتعدى على الزَّمَن
وأظلمَتْ سُبُل الآداب إذ حُجِبَتْ ... شَمسُ المكارم في غيم من الكفن

وقال الثاني:

ترك المنابرَ والسّريرَ تواضعا ... وله منابر لو يشا وسَريرُ
ولِغَيْره يُجْبَى الخَراجُ وإنّما ... تُجْبَى إليه مَحامدٌ وأجورُ

وقال الثالث:

وليس نسيمَ المسْك ريحَ حَنُوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلَّفُ
وليس صرير النعش ما يسمعونه ... ولكنّها أصلاتُ قوم تُقَصَّفُ

قال الذهبي في السير: قال أبو رَوْق الهِزّانيّ: حكى لي ابنُ ثعلبة الحنفيّ عن أحمد بن المعذل أن ابن أبي دؤاد كتب إلى رجل من أهل المدينة: إنْ تابَعتَ أمير المؤمنين في مقالته استوجبتَ حُسن المكافأة. فكَتبَ إليه: عَصَمَنا اللهُ وإيَّاك من الفتنة. الكلامُ في القرآن بدعة يشترك فيها السّائل والمجيب، تعاطى السّائل ما

لَيْسَ له، وتكلَّفَ المجيبُ ما ليس عليه. ولا نعلمُ خالقًا إلّا الله، وما سواهُ مخلوق إلّا القرآنُ، فإنّه كلامُ الله.

وعن المهتدي بالله محمد ابن الواثق قال: كان أبي إذا أراد أن يقتلَ رجلًا أحضَرَنَا ذلك المجلس. فَأُتِيَ بشيخ مخضوبٍ مقيَّد، فقالَ أبي: ائذنوا لابن أبي دؤاد وأصحابه. فأُدْخِلَ الشيخُ، فقالَ: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين. فقال له: لا سلّم الله عليك. قال: بئس ما أدبك مؤدبك. فقال له ابن أبي دؤاد: يا شيخ ما تقول في القرآن؟ فقال: لَمْ تُنْصِفْنِي، وُلِّيَ السّؤال. قال: سَلْ. قال: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال: هذا شيءٌ عَلِمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وعمر، والخلفاء الراشدون، أم شيء لَم يعلموه؟ فقال - يعني ابن أبي دؤاد -: شيء لم يعلموه. فقال: سبحان الله، شيء لَم يعلمه رَسُول الله ﷺ، وَلا أبو بكر، ولا الخلفاء الراشدون علمته أنت. فخجل ابن أبي دؤاد فقال: أَقِلْنِي. قال: أَقَلْتُك. ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال: هذا شيء علمه رسول الله ﷺ والخلفاء؟ قال: علموه، ولِم يَدْعوا النّاس إليه. قال: أفلا وَسِعَكَ ما وَسِعَهُم؟ فقام أبي الواثق ودخل خُلْوَته، واستلقى على ظهره وهو يقول: هذا شيء لَم يعلمه النبي ﷺ، وَلا أَبُو بَكْرٍ، ولا عمر، ولا عثمان، ولا عليّ، ولَم يدعوا إليه، أفلا وسِعك مَا وَسِعَهم. ثُمَّ دعا عمّارًا الحاجب، وأمره أن يرفع عنه القيود، ويُعطيه أربعمائة دينار، وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد، ولم يمتحن بعدها أحدا. قال الذهبي: في رواتها غير مجهول.

قال ثعلب: أنشدني أبو الحَجّاج الأعرابيّ:

نَكَسْتَ الدين يا ابن أبي دؤاد ... فأصبح من أطاعكَ في ارتداد

زَعمت كلام ربّك كان خَلْقًا ... أما لكَ عند ربّك من مَعَاد؟

كلامُ الله أنزله بعلْم ... وأنزله على خير العباد

وَمَنْ أمسى ببابكَ مُستضيفًا ... كَمَنْ حلّ الفَلاةَ بغير زَاد

لقد أظرفْتَ يا ابن أبي دؤاد ... بقولك إنّني رجلٌ إيادي

وقال أبو بكر الخلال في كتاب " السنة ": حدثنا الحَسَن بْن أيّوب المخرّميّ قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: ابن أبي دؤاد؟ قال: كافر بالله العظيم.

وقال: حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الوليد يقول: استتبت ابن أبي دؤاد منً: القرآن مخلوق في لَيْلَةٍ ثلاث مرّات، يتوب ثُمَّ يرجع.

وقال: حدَّثَنِي محمد بْن أبي هارون، قال: حدثنا إسحاق بْن إبراهيم بْن هانئ، قال: حضرتُ العيد مع أبي عبد الله، فإذا بقاصٍّ يقول: على ابن أبي دؤاد لعنة الله، وحشا الله قبره نارًا. فقال أبو عبد الله: ما أنفعهم للعامّة.

وقال خالد بْن خِداش: رأيتُ في المنام كأنّ آتيًا أتاني بطَبَق، فقال: اقرأه. فقرأت: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ابن أبي دؤاد يريد أن يمتحن النّاسَ. فمن قال: القرآن كلامُ الله، كُسِيَ خاتَمًا من ذَهَب، فَصُّهُ ياقوتة حمراء، وأدخله الله الجنّة وغفر له. ومن قال: القرآنُ مخلوق، جُعِلت يمينه يمين قرد، فعاش بعد ذلك يومًا أو يومين ثُمَّ يصير إلى النار. ورأيتُ قائلًا يقول: مسخ ابن أبي دؤاد، ومُسِخَ شعيب، وأصاب ابن سَمَاعة فالج، وأصابَ آخر الذَّبْحَة - ولَمْ يُسَمَّ -.هذا منام صحيح الإسناد، وشُعَيب هو ابن سهل القاضي من الجهمية.

وقد رمي ابن أبي دؤاد بالفالج وشاخ، فعن أبي الْحُسَين بْن الفضل: سمع عبد العزيز بْن يحيى المكيّ قال: دخلتُ عَلَى أَحْمَد بْن أَبِي دُؤاد وهو مفلوج، فقلتُ: لَم آتِكَ عائدًا، ولكنْ جئتُ لأحمد الله على أنْ سَجَنَكَ في جِلْدِك.

وقال الصولي: حدثنا المغيرة بْن محمد المهلَّبيّ قال: مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد هو وأبوهُ منكوبَيْن في ذي الحجة، سنة تسعٍ وثلاثين، ومات أبوه يوم السّبت لسبْعٍ بقين من المحرَّم سنة أربعين.

قال الصُّوليّ: ودفن في داره ببغداد.

وقال الذهبي في السير: غَضِبَ المُتَوَكِّلُ على أحمد بن أبي دؤاد، وَصَادَرَهُ، وَسَجَنَ أَصْحَابَهُ، وَحُمِّلَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَافْتَقَرَ هُوَ وَآلُهُ. وَولَّى يَحْيَى بنَ أَكْثَمَ القَضَاءَ، وَأَطْلَقَ مَنْ تَبَقَّى فِي الاعْتِقَالِ مِمَّنِ امْتَنَعَ مِنَ القَوْلِ

بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَأُنْزِلَتْ عِظَامُ أَحْمَدَ بنِ نَصْرٍ الشَّهِيْدِ، وَدَفَنَهَا أَقَارِبُهُ، وَبنَى قَصرَ العَرُوْسِ بِسَامَرَّاءَ، وَأُنْفِقَ عَلَيْهِ ثَلاَثُوْنَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَالْتَمَسَ المُتَوَكِّلُ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَذَهَبَ إِلَى سَامَرَّاءَ وَلَمْ يَجْتَمِعْ بِهِ، اسْتَعْفَى، فَأَعْفَاهُ، وَدَخَلَ عَلَى وَلَدِهِ المُعْتَزِّ، فَدَعَا لَهُ.

رابعا: سبب اختلاف الناس في القرآن: اختلافهم في صفة الكلام، ويجدر بنا في هذا المقام أن نسرد بعض هذه المقالات التي قيلت في هذه الصفة، ونشأت منها هذه الفتنة.

امتحان الإمام أحمد في الفتنة:

قال الذهبي في السير: قال الأَصَمُّ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الأَنْبَارِيَّ يَقُوْلُ: لَمَّا حُمِلَ أَحْمَدُ إِلَى المَأْمُوْنِ، أُخبرتُ، فَعَبَرْتُ الفُرَاتَ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الخَانِ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَعَنَّيْتَ.

فَقُلْتُ: يَا هَذَا، أَنْتَ اليَوْمَ رَأْسٌ، وَالنَّاسُ يَقتدُوْنَ بِكَ، فَوَ اللهِ لَئِنْ أَجبتَ إِلَى خلقِ القُرْآنِ، لَيُجِيْبَنَّ خَلقٌ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُجِبْ، لَيَمْتَنِعَنَّ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيْرٌ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ لَمْ يَقْتُلْكَ فَإِنَّك تَمُوتُ، لاَبُدَّ مِنَ المَوْتِ، فَاتَّقِ اللهَ وَلاَ تُجِبْ.

فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَبْكِي، وَيَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، أَعِدْ عَلَيَّ.

فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ الأَدَمِيُّ: حَدَّثَنَا الفَضْلُ بنُ زِيَادٍ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: أَوَّلُ يَوْم امتَحَنه إِسْحَاقُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمائَتَيْنِ، فَقعدَ فِي مَسْجِدِه، فَقَالَ لَهُ جَمَاعَةٌ: أَخْبِرْنَا بِمَنْ أَجَابَ.

فَكَأَنَّهُ ثَقُلَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمُوهُ أَيْضـاً.

قَالَ: فَلَمْ يُجِبْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِنَا - وَالحَمْدُ للهِ -.

ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ أَجَابَ وَمَنْ وَاتَاهُم عَلَى أَكْثَرِ مَا أَرَادُوا، فَقَالَ: هُوَ مَجْعُولٌ مُحْدَثٌ.

وَامتَحَنَهُم مَرَّةً مَرَّةً، وَامتَحَنَنِي مَرَّتينِ مَرَّتينِ، فَقَالَ لِي: مَا تَقُوْلُ فِي القُرْآنِ؟

قُلْتُ: كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ.

فَأَقَامَنِي وَأَجْلَسَنِي فِي نَاحِيَةٍ، ثُمَّ سَأَلهُم، ثُمَّ رَدَّنِي ثَانيَةً، فَسَأَلَنِي وَأَخَذَنِي فِي التَّشبيهِ.

فَقُلْتُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ ۝١١﴾ [الشُّورَى: ١١].

فَقَالَ لِي: وَمَا السَّمِيعُ البَصِيرُ؟

فَقُلْتُ: هَكَذَا قَالَ تَعَالَى.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيُّ: جَعَلُوا يُذَاكرُوْنَ أَبَا عَبْدِ اللهِ بِالرَّقَّةِ فِي التَّقِيَّةِ وَمَا رُوِيَ فِيْهَا.

فَقَالَ: كَيْفَ تَصْنَعُوْنَ بِحَدِيْثِ خَبَّابٍ: (**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالمِنْشَارِ، لاَ يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ**) رواه أحمد والبخاري في الصحيح.

وَقَالَ: لَسْتُ أُبَالِي بِالحَبْسِ، مَا هُوَ وَمَنْزِلِي إِلاَّ وَاحِدٌ، وَلاَ قَتلاً بِالسَّيْفِ، إِنَّمَا أَخَافُ فِتْنَةَ السَّوْطِ.

فَسَمِعَهُ بَعْضُ أَهْلِ الحَبْسِ، فَقَالَ: لاَ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَمَا هُوَ إِلاَّ سَوْطَانِ، ثُمَّ لاَ تَدْرِي أَيْنَ يَقَعُ البَاقِي، فَكَأَنَّهُ سُرِّيَ عَنْهُ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بن مُصْعَبٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَاحِبُ شُرطَةِ المُعْتَصِمِ خِلاَفَةً لأَخِيهِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، قَالَ:

مَا رَأَيْتُ أَحداً لَمْ يُدَاخِلِ السُّلْطَانَ، وَلاَ خَالَطَ المُلُوْكَ، كَانَ أَثبتَ قَلْباً مِنْ أَحْمَدَ يَوْمَئِذٍ، مَا نَحْنُ فِي عَيْنِهِ إِلاَّ كَأَمْثَالِ الذُّبَابِ.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّافِعِيِّ (حفيد الشافعي لابنته): أَنَّهُم أَنْفَذوهُ إِلَى أَحْمَدَ فِي مَحبسِه لِيُكَلِّمهُ فِي مَعْنَى التَّقيَّةِ، فَلَعَلَّهُ يُجِيبُ.

قَالَ: فَصِرْتُ إِلَيْهِ أُكلِّمُهُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرتُ وَهُوَ لاَ يُجِيبنِي.

ثُمَّ قَالَ لِي: مَا قَوْلُكَ اليَوْمَ فِي سَجْدَتَي السَّهوِ؟

وَإِنَّمَا أَرسلُوهُ إِلَى أَحْمَدَ لِلإِلفِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحْمَدَ أَيَّامَ لُزُوْمِهِمُ الشَّافِعِيَّ.

فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِمَّنْ يَتَقَشَّفُ وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَكَانَ أَحْفَظَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ لِلْحَدِيْثِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتبَطَّنَ بِمَذَاهِبه المَذمُومَةِ.

ثُمَّ لَمْ يُحَدِّثْ أَبُو عَبْدِ اللهِ بَعْدَ مَا أَنْبَأْتُكَ أَنَّهُ حَدَّثَنِي فِي أَوّلِ خِلاَفَةِ الوَاثِقِ، ثُمَّ قَطعَه إِلَى أَنْ مَاتَ، إِلاَّ مَا كَانَ فِي زَمَنِ المُتَوَكِّلِ.

قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: حُمِلَ أَبِي وَمُحَمَّدُ بنُ نُوْحٍ مِنْ بَغْدَادَ مُقَيَّدَيْنِ، فَصِرنَا مَعَهُمَا إِلَى الأَنْبَارِ.

فَسَأَلَ أَبُو بَكْرٍ الأَحْوَلُ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنْ عُرِضتَ عَلَى السَّيْفِ، تُجيبُ؟

قَالَ: لاَ.

ثُمَّ سُيِّرَا، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: صِرنَا إِلَى الرَّحْبَةِ، وَرَحَلنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَعَرَضَ لَنَا رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيُّكُم أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ؟

فَقِيْلَ لَهُ: هَذَا. فَقَالَ لِلْجمَّالِ: عَلَى رِسْلكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا، مَا عَلَيْكَ أَنْ تُقتلَ هَا هُنَا، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ؟

ثُمَّ قَالَ: أَسْتودِعُكَ اللهَ، وَمَضَى.

فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيْلَ لِي: هَذَا رَجُلٌ مِن العَرَبِ مِنْ رَبِيْعَةَ يَعْمَلُ الشَّعْرَ فِي البَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بنُ عَامِرٍ، يُذكَرُ بِخَيْرٍ.

✍أَحْمَدُ بنُ أَبِي الحَوَارِيِّ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً مُنْذُ وَقعتُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَقوَى مِنْ كَلِمَةِ أَعْرَابِيٍّ كَلَّمنِي بِهَا فِي رَحبَةِ طَوقٍ.

قَالَ: يَا أَحْمَدُ، إِنْ يَقتلْكَ الحَقُّ مُتَّ شَهِيداً، وَإِنْ عِشتَ عِشتَ حَمِيداً. فَقَوَّى قَلْبِي.

✍قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: فَلَمَّا صِرنَا إِلَى أَذْنَةَ، وَرَحلنَا مِنْهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَفُتِحَ لَنَا بَابُهَا، إِذَا رَجُلٌ قَدْ دَخَلَ، فَقَالَ: البُشْرَى! قَدْ مَاتَ الرَّجُلُ -يَعْنِي: المَأْمُوْنَ-.

قَالَ أَبِي: وَكُنْتُ أَدعُو اللهَ أَنْ لاَ أَرَاهُ.

✍عن مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ:

تَبيّنتُ الإِجَابَةَ فِي دَعْوَتَيْنِ: دَعَوتُ اللهَ أَنْ لاَ يَجمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ المَأْمُوْنِ، ثُمَّ حُبِسَ فِي دَارٍ اكتُرِيَتْ عِنْد دَارِ عُمَارَةَ، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى حَبْسِ العَامَّةِ فِي دَربِ المَوْصِليَّةِ.

فَقَالَ: كُنْتُ أُصلِّي بِأَهْلِ السجنِ، وَأَنَا مُقَيَّدٌ.

فَلَمَّا كَانَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعَ عَشَرَ - قُلْتُ: وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ المَأْمُوْنِ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْراً - حُوِّلتُ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ -يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ-.

✍وَأَمَّا حَنْبَلٌ، فَقَالَ: حُبِسَ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي دَارِ عُمَارَةَ بِبَغْدَادَ، فِي إِصْطَبْلِ الأَمِيْرِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ؛ أَخِي إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، وَكَانَ فِي حَبْسٍ ضَيِّقٍ، وَمَرِضَ فِي رَمَضَانَ.

ثُمَّ حُوِّلَ بَعْدَ قَلِيْلٍ إِلَى سِجْنِ العَامَّةِ، فَمَكَثَ فِي السِّجنِ نَحْواً مِنْ ثَلاَثِيْنَ شَهْراً.

وَكُنَّا نَأْتِيهِ، فَقَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ (الإِرْجَاءِ) وَغَيْرَهُ فِي الحَبْسِ، وَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِهِم فِي القَيْدِ، فَكَانَ يُخرِجُ رِجلَهُ مِنْ حَلقَةِ القَيدِ وَقْتَ الصَّلاَةِ وَالنَّومِ.

قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: كَانَ يُوجَّهُ إِلَيَّ كلَّ يَوْمِ برَجلَيْنِ، أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ رَبَاحٍ، وَالآخرُ أَبُو شُعَيْبٍ الحجَّامُ، فَلاَ يَزَالاَنِ يُنَاظِرَانِي، حَتَّى إِذَا قَامَا دُعِيَ بِقَيدٍ، فَزِيدَ فِي قُيُودِي، فَصَارَ فِي رِجْلِيَّ أَرْبَعَةُ أَقيَادِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، دَخَلَ عَلَيَّ، فَنَاظَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ:

مَا تَقُوْلُ فِي عِلْمِ اللهِ؟ قَالَ: مَخْلُوْقٌ. قُلْتُ: كَفَرْتَ بِاللهِ.

فَقَالَ الرَّسُوْلُ الَّذِي كَانَ يَحضرُ مِنْ قَبْلِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ: إِنَّ هَذَا رَسُوْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِيْنَ.

فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَفرَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ، وَجَّهَ -يَعْنِي: المُعْتَصِمَ- بِبُغَا الكَبِيْرِ إِلَى إِسْحَاقَ، فَأَمرهُ بِحملِي إِلَيْهِ، فَأُدْخِلتُ عَلَى إِسْحَاقَ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، إِنَّهَا -وَاللهِ- نَفْسُك، إِنَّه لاَ يَقتلُك بِالسَّيْفِ، إِنَّهُ قَدْ آلَى - إِنْ لَمْ تُجبْه - أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرباً بَعْدَ ضَربٍ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ فِي مَوْضِعٍ لاَ يُرَى فِيْهِ شَمسٌ وَلاَ قمرٌ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣]، أَفيَكُوْنُ مَجعولاً إِلاَّ مَخْلُوْقاً؟

فَقُلْتُ: فَقَدْ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝﴾ [الفيلُ: ٥] أَفَخَلَقَهُم؟

قَالَ: فَسَكَتَ. فَلَمَّا صِرنَا إِلَى المَوْضِعِ المَعْرُوْفِ بِبَابِ البُسْتَانِ، أُخرجتُ، وَجِيءَ بِدَابَّةٍ، فَأُرْكبتُ وَعَلَيَّ الأَقيَادُ، مَا مَعِي مَنْ يُمْسِكُنِي، فَكِدتُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنْ أَخِرَّ عَلَى وَجْهِي لِثِقَلِ القُيودِ.

فَجِيءَ بِي إِلَى دَارِ المُعْتَصِمِ، فَأُدْخِلْتُ حُجْرَةً، ثُمَّ أُدخلتُ بَيتاً، وَأُقفلَ البَابُ عَليَّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَلاَ سرَاجَ.

فَأَردتُ الوضوءَ، فَمددتُ يَدِي، فَإِذَا أَنَا بِإِنَاءٍ فِيْهِ مَاءٌ، وَطسْتٌ مَوْضُوْعٌ، فتوضَّأتُ وَصَلَّيْتُ.

فلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، أَخْرَجْتُ تِكَّتِي، وَشددتُ بِهَا الأقيَادَ أَحمِلُهَا، وَعَطفتُ سَرَاويلِي.

فَجَاءَ رَسُوْلُ المُعْتَصِمِ، فَقَالَ: أَجبْ.

فَأَخَذَ بِيَدِي، وَأَدخلَنِي عَلَيْهِ، وَالتِّكَّةُ فِي يَدِي، أَحْمِلُ بِهَا الأقيَادَ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي دُوَادَ حَاضِرٌ، وَقَدْ جَمَعَ خَلقـًا كَثِيْراً مِنْ أَصْحَابِه.

فَقَالَ لِي المُعْتَصِمُ: ادنُه، ادنُه.

فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرُبتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اجلسْ.

فَجَلَسْتُ، وَقَد أَثقلتْنِي الأقيَادُ، فَمكثْتُ قَلِيْلاً، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَأذنُ فِي الكَلاَمِ؟

قَالَ: تَكَلَّمْ. فَقُلْتُ: إِلَى مَا دَعَا اللهُ وَرَسُوْلُه؟

فَسَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ.

فَقُلْتُ: فَأَنَا أشهدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ جدَّك ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُوْلُ:

لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ عَبْد القيسِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ الإِيْمَانِ، فَقَالَ: (**أَتَدْرُوْنَ مَا الإِيْمَانُ؟**).

قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُه أَعْلَمُ.

قَالَ: (**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ**).

قَالَ أَبِي: فَقَالَ -يَعْنِي: المُعْتَصِمَ-: لَوْلاَ أَنِّي وَجَدْتُك فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبلِي، مَا عَرَضتُ لَكَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ إِسْحَاقَ، أَلَم آمُرْكَ برفعِ المِحْنَةِ؟

فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّ فِي هَذَا لَفَرَجـًا لِلْمُسْلِمِيْنَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُم: نَاظِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمْه.

فَقَالَ: مَا تَقُوْلُ فِي القُرْآنِ؟ قُلْتُ: مَا تَقُوْلُ أَنْتَ فِي عِلمِ اللهِ؟

فَسَكَتَ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُم: أَلَيْسَ قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعْدُ: ١٦] وَالقُرْآنُ أَلَيْسَ شَيْئًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأَحقَافُ: ٢٥] فَدَمَّرتْ إِلاَّ مَا أَرَادَ اللهُ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٢] أَفَيَكُوْنُ مُحدَثٌ إِلاَّ مَخْلُوْقًا؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿ص وَالقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ۝١﴾ [ص: ١]

فَالذِّكرُ هُوَ القُرْآنُ، وَتِلْكَ ليسَ فِيْهَا أَلِفٌ وَلاَمٌ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُم حَدِيْثَ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الذِّكْرَ)،

فَقُلْتُ: هَذَا خَطأٌ، حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ: (وكتب في الذكر كل شيء ".أخرجه البخاري في أول بدء الخلق، و١٣ / ٣٤٥، ٣٤٧ في التوحيد).

وَاحتجُوا بِحَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ: (مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ جَنَّةٍ وَلاَ نَارٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ أَعْظَمَ مِنْ آيَةِ الكُرْسِيِّ).

فَقُلْتُ: إِنَّمَا وَقَعَ الخَلْقُ عَلَى الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ وَالأرضِ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَى القُرْآنِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَدِيْث خَبَّابٍ: (يَا هَنَتَاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلاَمِهِ).

فَقُلْتُ: هَكَذَا هُوَ.

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ يَنْظُرُ إِلَى أَبِي كَالمُغْضَبِ.

قَالَ أَبِي: وَكَانَ يَتكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيْهِ، وَيَتكَلَّمُ هَذَا، فَأَرُدُّ عَلَيهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الرَّجُلُ مِنْهُم، اعترضَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ، فيَقُوْلُ:

يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، هُوَ -وَاللهِ- ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ!

فَيَقُوْلُ: كَلِّمُوهُ، نَاظِروهُ.

فَيكلِّمُنِي هَذَا، فَأردُّ عَلَيْهِ، وَيكلِّمنِي هَذَا، فَأردُّ عَلَيْهِ، فَإذَا انقطَعوا، يَقُوْلُ المُعْتَصِمُ: وَيْحكَ يَا أَحْمَدُ! مَا تَقُوْلُ؟

فَأَقُوْلُ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، أَعطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَقُوْلَ بِهِ.

فَيَقُوْلُ أَحْمَدُ بنُ أَبِي دُوَادَ: أَنْتَ لاَ تَقُوْلُ إِلاَّ مَا فِي الكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ؟

فَقُلْتُ لَهُ: تَأَوَّلتَ تَأويلاً، فَأَنْتَ أَعْلَمُ، وَمَا تَأَوَّلتُ مَا يُحبَسُ عَلَيْهِ، وَلاَ يُقَيَّدُ عَلَيْهِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَقَدِ احتجُّوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ مَا يَقْوَى قَلْبِي، وَلاَ ينطَلِقُ لِسَانِي أَن أَحكِيَهُ.

أَنكرُوا الآثَارَ، وَمَا ظَنَنتُهُم عَلَى هَذَا حَتَّى سَمِعْتُه، وَجعَلُوا يُرغُونَ، يَقُوْلُ الخَصْمُ كَذَا وَكَذَا، فَاحتججتُ عَلَيْهِم بِالقُرْآنِ بقَولِه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ﴾ [مَرْيَمُ: ٤٢]، أَفَهَذَا مُنكَرٌ عِندكُم؟

فَقَالُوا: شَبَّهَ، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، شَبَّهَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ البُوْشَنْجِيُّ: حَدَّثَنِي بَعْض أَصْحَابِنَا:

أَنَّ أَحْمَدَ بنَ أَبِي دُوَادَ أَقْبَلَ عَلَى أَحْمَدَ يُكَلِّمُهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، حَتَّى قَالَ المُعْتَصِمُ: يَا أَحْمَدُ، أَلاَ تُكَلِّمُ أَبَا عَبْدِ اللهِ؟

فَقُلْتُ: لَسْتُ أَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فَأُكلِّمَهُ!!

قَالَ صَالِحٌ: وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ يَقُوْلُ:

يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، وَاللهِ لَئِنْ أَجَابَكَ، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلفِ دِيْنَارٍ، وَمائَةِ أَلْفِ دِيْنَارٍ، فَيَعُدُّ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَعُدَّ.

فَقَالَ: لَئِنْ أَجَابَنِي لأُطْلِقَكُنَّ عَنْهُ بِيَدِي، وَلأَرْكَبَنَّ إِلَيْهِ بِجُندِي، وَلأَطَأَنَّ عَقِبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَاللهِ إِنِّي عَلَيْكَ لَشَفِيْقٍ، وَإِنِّي لأُشْفِقُ عَلَيْكَ كَشَفقتِي عَلَى ابْنِي هَارُوْنَ، مَا تَقُوْلُ؟

فَأَقُوْلُ: أَعطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَلَمَّا طَالَ المَجْلِسُ، ضَجِرَ، وَقَالَ: قُومُوا، وَحَبَسَنِي -يَعْنِي عِنْدَهُ- وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ إِسْحَاقَ يُكَلِّمُنِي، وَقَالَ: وَيْحَكَ! أَجِبْنِي.

وَقَالَ: وَيْحَكَ! أَلَمْ تكنْ تَأتينا؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، أَعْرِفُه مُنْذُ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً، يَرَى طَاعتَكَ وَالحَجَّ وَالجِهَادَ مَعَكَ.

فَيَقُوْلُ: وَاللهِ إِنَّهُ لَعَالِمٌ، وَإِنَّهُ لَفَقِيْهٌ، وَمَا يَسوءُنِي أَنْ يَكُوْنَ مَعِي يَرُدُّ عَنِّي أَهْلَ المِلَلِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتَ تَعْرِفُ صَالِحًا الرَّشِيْدِيَّ؟ قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ.

قَالَ: كَانَ مُؤَدِّبِي، وَكَانَ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ جَالِسًا - وَأَشَارَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الدَّارِ - فَسَأَلنِي عَنِ القُرْآنِ، فَخَالَفَنِي، فَأَمرْتُ بِهِ، فَوُطِئَ وَسُحِبَ! يَا أَحْمَدُ، أَجِبنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ فِيْهِ أَدنَى فَرَجٍ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

قُلْتُ: أَعطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

فَطَالَ المَجْلِسُ، وَقَامَ، وَرُدِدْتُ إِلَى المَوْضِعِ.

فلَمَّا كَانَ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَجَّهَ إِلَيَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، يَبِيتَانِ عِنْدِي وَيُنَاظِرَانِي وَيُقِيمَانِ مَعِي، حَتَّى إِذَا كَانَ وَقْتُ الإِفطَارِ، جِيْءَ بِالطَّعَامِ، وَيَجتَهِدَانِ بِي أَنْ أُفطِرَ فَلاَ أَفْعَلُ – قُلْتُ: وَكَانَتْ لَيَالِيَ رَمَضَانَ –.

قَالَ: وَوجَّهَ المُعْتَصِمُ إِلَيَّ ابْنَ أَبِي دُوَادَ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَقُوْلُ لَكَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ: مَا تَقُوْلُ؟ فَأَرُدُّ عَلَيْهِ نَحْواً مِمَّا كُنْتُ أَرُدُّ.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: وَاللهِ لَقَدْ كَتَبَ اسْمَكَ فِي السَّبْعَةِ: يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ وَأبو خيثمة، وأحمد الدورقي، والقواريري، وسعدويه، وأحمد بن حنبل. وقيل: خلف المخزومي)، فَمَحَوتُهُ، وَلَقَدْ سَاءنِي أَخذُهُم إِيَّاكَ.

ثُمَّ يَقُوْلُ: إِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَضْرِبَكَ ضَرْباً بَعْدَ ضَربٍ، وَأَنْ يُلْقِيَكَ فِي مَوْضِعٍ لاَ تَرَى فِيْهِ الشَّمْسَ.

وَيَقُوْلُ: إِنْ أَجَابَنِي، جِئْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أُطْلِقَ عَنْهُ بِيَدِي، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَلَمَّا أَصبَحْنَا، جَاءَ رَسُوْلُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي حَتَّى ذَهَبَ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُم: نَاظِرُوهُ، وَكَلِّمُوهُ.

فجعلُوا يُنَاظِرُونِي، فَأَردُّ عَلَيْهِم، فَإِذَا جَاؤُوا بِشَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ مِمَّا لَيْسَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قُلْتُ: مَا أدرِي مَا هَذَا.

قَالَ: فَيَقُوْلُوْنَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِذَا تَوَجَّهَتْ لَهُ الحجَّةُ عَلَيْنَا، ثَبَتَ، وَإِذَا كَلَّمنَاهُ بِشَيْءٍ، يَقُوْلُ: لاَ أدرِي مَا هَذَا.

فَقَالَ: نَاظِرُوهُ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَحْمَدُ، أَرَاكَ تَذْكُرُ الحَدِيْثَ وَتنتحلَهُ.

فَقُلْتُ: مَا تَقُوْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النِّسَاءُ: ١١]؟

قَالَ: خصَّ اللهُ بِهَا المُؤْمِنِيْنَ. قُلْتُ: مَا تَقُوْلُ: إِنْ كَانَ قَاتلاً أَوْ عَبداً؟

فَسَكَتَ، وَإِنَّمَا احتججتُ عَلَيْهِم بِهَذَا، لأَنَّهُم كَانُوا يَحتجُّوْنَ بِظَاهِرِ القُرْآنِ.

فحَيْثُ قَالَ لِي: أرَاكَ تَنْتَحلُ الحَدِيْثَ، احتججتُ بِالقُرْآنِ -يَعْنِي: وَإِنَّ السُّنَّةَ خَصَّصَتِ القَاتِلَ وَالعبدَ، فَأَخْرَجَتْهُمَا مِنَ العمومِ-.

قَالَ: فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى قُربِ الزَّوَالِ.

فَلَمَّا ضجرَ، قَالَ: قومُوا.

ثُمَّ خَلاَ بِي، وَبعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ إِسْحَاقَ، فَلَمْ يَزَلْ يُكلمنِي، ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ، وَرُددتُ إِلَى المَوْضِعِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ، قُلْتُ: خليقٌ أَنْ يَحْدُثَ غداً مِنْ أمرِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ لِلْموكَّلِ بِي: أُرِيْدُ خيطاً.

فَجَاءنِي بخيطٍ، فشددتُ بِهِ الأقيَادَ، وَرددتُ التِّكَّةَ إِلَى سَرَاوِيلِي مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ أمرِي شَيْءٌ، فَأتعرَّى.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، أُدخلتُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا هِيَ غَاصَّةٌ، فَجَعَلتُ أُدْخَلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السُّيوفُ، وَقَوْمٌ مَعَهُمُ السِّيَاطُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي اليَومَيْنِ المَاضيين كَبِيْرُ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاَءِ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: اقعدْ. ثُمَّ قَالَ: نَاظِروهُ، كَلِّمُوهُ.

فَجعَلُوا يُنَاظرُونِي، يَتكَلَّمُ هَذَا، فَأردُّ عَلَيْهِ، وَيَتكَلَّمُ هَذَا، فَأردُّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ صوتِي يعلُو أصوَاتَهُم.

فَجَعَلَ بَعْضُ مَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأسِي يُوْمِئُ إِلَيَّ بِيَدِهِ، فَلَمَّا طَالَ المَجْلِسُ، نَحَّانِي، ثُمَّ خَلاَ بِهِم، ثُمَّ نَحَّاهُم، وَردَّنِي إِلَى عِنْدِهِ، وَقَالَ: وَيْحَك يَا أَحْمَدُ! أَجبنِي حَتَّى أُطلقَ عَنْكَ بِيَدِي.

فرددتُ عَلَيْهِ نَحْوَ ردِّي، فَقَالَ: عَلَيْكَ.. - وَذَكَرَ اللَّعنَ - خُذوهُ، اسحبُوهُ، خَلِّعُوهُ. فسُحبتُ، وَخُلعتُ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَ صَارَ إِلَيَّ شعرٌ مِنْ شعرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كمِّ قَمِيصِي، فَوجَّهَ إِلَيَّ إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ يَقُوْلُ: مَا هَذَا المصرورُ؟

قُلْتُ: شَعْرٌ مِنْ شعرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَسعَى بَعْضهُم ليخرقَ القمِيصَ عَنِّي.

فَقَالَ المُعْتَصِمُ: لاَ تخرقُوهُ.

فَنُزِعَ، فَظننتُ أَنَّهُ إِنَّمَا دُرِئَ عَنِ القمِيصِ الخَرْقُ بِالشّعرِ.

قَالَ: وَجلَسَ المُعْتَصِمُ عَلَى كُرْسِيٍّ، ثُمَّ قَالَ: العُقَابَيْنِ وَالسِّيَاطُ.

فَجِيْءَ بِالعقَابينِ، فَمُدَّتْ يَدَايَ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ خَلْفِي: خُذْ نَاتِئَ الخَشبتَينِ بِيَديكَ، وَشُدَّ عَلَيْهِمَا.

فلمْ أَفهَمْ مَا قَالَ، فَتخلَّعتْ يَدَايَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيُّ: ذَكرُوا أَنَّ المُعْتَصِمَ ألاَنَ فِي أَمرِ أَحْمَدَ لَمَّا علِّقَ فِي العُقَابينِ، وَرَأَى ثبَاته وَتصمِيمَه وَصلاَبتَه، حَتَّى أَغرَاهُ أَحْمَدُ بنُ أَبِي دُوَادَ، وَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِنْ تَركتَه، قِيْلَ: قَدْ تركَ مَذْهَبَ المَأْمُوْنِ، وَسَخطَ قَوْلَه. فَهَاجه ذَلِكَ عَلَى ضَربِه.

وَقَالَ صَالِحٌ: قَالَ أَبِي: وَلَمَّا جيءَ بِالسيَاطِ، نظرَ إِلَيْهَا المُعْتَصِمُ، فَقَالَ: ائتُونِي بغَيْرِهَا.

ثُمَّ قَالَ لِلْجلاَّدِيْنَ: تقدَّمُوا.

فَجعَلَ يتقدمُ إِلَيَّ الرَّجُلُ مِنْهُم، فيَضْرِبنِي سَوطينِ، فَيَقُوْلُ لَهُ: شُدَّ، قَطعَ اللهُ يدكَ!

ثُمَّ يَتَنَحَّى وَيتقدمُ آخرُ، فيَضْرِبنِي سوطينِ، وَهُوَ يَقُوْلُ فِي كُلِّ ذَلِكَ: شُدَّ، قطعَ اللهُ يدَكَ!

فَلَمَّا ضُربتُ سَبْعَةَ عَشَرَ سوطاً، قَامَ إِلَيَّ -يَعْنِي: المُعْتَصِمُ- فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، عَلاَمَ تَقتلُ نَفْسَك؟ إِنِّي -وَاللهِ- عَلَيْكَ لَشفيقٌ.

وَجَعَلَ عُجَيْفٌ يَنخَسُنِي بقَائِمَةِ سيفِه، وَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ هَؤُلاَءِ كُلَّهُم؟

وَجَعَلَ بَعْضُهُم يَقُوْلُ: وَيْلَكَ! إِمَامُكَ عَلَى رَأْسك قَائِمٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُم: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، دمُه فِي عُنُقِي، اقْتُلْهُ.

وَجَعَلُوا يَقُوْلُوْنَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي الشَّمْسِ قَائِمٌ!

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، مَا تَقُوْلُ؟

فَأَقُوْلُ: أَعطُونِي شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ أَقُوْلُ بِهِ.

فَرَجَعَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ لِلْجلاَّدِ: تقدمْ، وَأَوجعْ، قطعَ اللهُ يدَك.

ثُمَّ قَامَ الثَّانِيَةَ، وَجَعَلَ يَقُوْلُ: وَيْحك يَا أَحْمَدُ! أَجِبنِي.

فَجَعَلُوا يُقبلُوْنَ عَلَيَّ، وَيَقُوْلُوْنَ: يَا أَحْمَدُ، إِمَامُك عَلَى رَأسكَ قَائِمٌ!

وَجَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُوْلُ: مَنْ صنعَ مِنْ أَصْحَابِك فِي هَذَا الأَمْرِ مَا تَصْنَعُ؟

وَالمُعْتَصِمُ يَقُوْلُ: أَجبنِي إِلَى شَيْءٍ لَكَ.

فِيْهِ أَدنَى فَرَجٍ حَتَّى أُطلِقَ عَنْكَ بِيَدِي.

ثُمَّ رَجعَ، وَقَالَ لِلْجَلاَّدِ: تقدَّمْ.

فَجَعَلَ يَضْرِبُنِي سَوطينِ، وَيتنحَّى، وَهُوَ فِي خلاَلِ ذَلِكَ يَقُوْلُ: شُدَّ، قطعَ اللهُ يدَك.

فَذَهَبَ عَقلِي، ثُمَّ أَفقتُ بَعْدُ، فَإِذَا الأَقيَادُ قد أطلقتْ عَنِّي.

فَقَالَ لِي رَجُلٌ مِمَّن حضرَ: كَبَبْنَاكَ عَلَى وَجْهِك، وَطَرحنَا عَلَى ظَهركَ بَارِيَّةً وَدُسنَاكَ!

قَالَ أَبِي: فَمَا شعرتُ بِذَلِكَ، وَأَتَونِي بِسَوِيْقٍ، وَقَالُوا: اشربْ وَتَقَيَّأْ.

فَقُلْتُ: لاَ أُفطِرُ.

ثُمَّ جِيْءَ بِي إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، فَحضرتُ الظّهرَ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ سِمَاعَةَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْفتَلَ مِنْ صَلاَتِه، وَقَالَ لِي: صَلَّيْتَ، وَالدَّمُ يَسيلُ فِي ثوبِكَ؟

قُلْتُ: قَدْ صَلَّى عُمَرُ وَجُرحُه يَثعَبُ دَمـاً.

قَالَ صَالِحٌ: ثُمَّ خُلِّيَ عَنْهُ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَكَانَ مَكثُه فِي السجنِ مُنْذُ أُخذَ إِلَى أَنْ ضُربَ وَخُلِّيَ عَنْهُ، ثَمَانِيَةً وَعِشْرِيْنَ شَهْراً.

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ الرَّجلَينِ اللَّذينِ كَانَا مَعَهُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَحَداً يُشبِهُه، وَلَقَدْ جَعَلتُ أَقُوْلُ لَهُ فِي وَقْتِ مَا يُوجَّه إِلَينَا بِالطَّعَامِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنْتَ صَائِمٌ، وَأَنْتَ فِي مَوْضعِ تَقِيَّةٍ. وَلَقَدْ عَطِشَ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الشَّرَابِ: نَاوِلْنِي.

فَنَاوَلَه قَدَحـاً فِيْهِ مَاءٌ وثَلجٌ، فَأَخَذَهُ، وَنظرَ فِيْهِ، ثُمَّ رَدَّهُ، وَلَمْ يشربْ، فَجَعَلتُ أَعْجَبُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى الجُوْعِ وَالعطشِ، وَهُوَ فِيْمَا هُوَ فِيْهِ مِنَ الهولِ.

قَالَ صَالِحٌ: فَكُنْتُ أَلتمسُ وَأَحتَالُ أَنْ أُوصلَ إِلَيْهِ طعَامـاً أَوْ رَغِيفـاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، فَلَمْ أَقْدِرْ.

وَأَخبرَنِي رَجُلٌ حضَرَه: أَنَّهُ تَفقَّده فِي الأَيَّامِ الثَّلاَثَةِ وَهُم يُنَاظرونَه، فَمَا لَحَنَ فِي كَلِمَةٍ.

قَالَ: وَمَا ظَنَنتُ أَنَّ أَحداً يَكُوْنُ فِي مِثْلِ شَجَاعَتِه وَشِدَّةِ قَلْبِه.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ:

ذَهبَ عقلِي مِرَاراً، فَكَانَ إِذَا رُفعَ عَنِّي الضَّربُ، رَجعتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَإِذَا اسْترخيتُ وَسقطتُ، رُفِعَ الضَّربُ، أَصَابَنِي ذَلِكَ مِرَاراً.

وَرَأَيْتُه -يَعْنِي: المُعْتَصِمَ- قَاعِداً فِي الشَّمْسِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ، فَسَمِعْتُه - وَقَد أَفقتُ - يَقُوْلُ لاِبْنِ أَبِي دُوَادَ: لَقَدِ ارتكبتُ إِثْمـاً فِي أَمرِ هَذَا الرَّجُلِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِنَّهُ -وَاللهِ- كَافِرٌ مُشرِكٌ، قَدْ أَشرَكَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

فَلاَ يزَالُ بِهِ حَتَّى يَصرِفَه عَمَّا يُرِيْدُ.

وَقَدْ كَانَ أَرَادَ تَخلِيَتِي بِلاَ ضَربٍ، فَلَمْ يَدعْه، وَلاَ إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيْمَ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَبَلَغَنِي أَنَّ المُعْتَصِمَ قَالَ لاِبْنِ أَبِي دُوَادَ بَعْدَ مَا ضُرِبَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: كَمْ ضُرِبَ؟

قَالَ: أَرْبَعَةً، أَوْ نَيِّفاً وَثَلاَثِيْنَ سَوطاً.

✍قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ الأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا حُملَ أَحْمَدُ لِيُضْرَبَ، جَاؤُوا إِلَى بِشْرِ بنِ الحَارِثِ، وَقَالُوا: قَدْ وَجبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتكَلَّمَ.

فَقَالَ: أَتُرِيدُوْنَ مِنِّي أَقُومَ مَقَامَ الأَنْبِيَاءِ، لَيْسَ ذَا عِنْدِي، حَفِظَ اللهُ أَحْمَدَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه.

✍قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ سِنَانٍ، قَالَ:

بَلَغَنِي أَنَّ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ جَعَلَ المُعْتَصِمَ فِي حِلٍّ يَوْمَ فتحِ عَاصمَةِ بَابَكَ، وَظفرَ بِهِ، أَوْ فِي فَتحِ عَمُّورِيَّةَ، فَقَالَ: هُوَ فِي حِلٍّ مِنْ ضَربِي.

وَسَمِعْتُ أَبِي؛ أَبَا حَاتِمٍ يَقُوْلُ: أَتيتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ بَعْدَ مَا ضُرِبَ بِثَلاَثِ سِنِيْنَ أَوْ نَحوِهَا، فَجرَى ذِكْرُ الضَّربِ، فَقُلْتُ لَهُ: ذهبَ عَنْكَ أَلَمُ الضَّربِ؟

فَأَخْرَجَ يَدَيْهِ، وَقبضَ كُوعَيْهِ اليَمِيْنَ وَاليَسَارَ، وَقَالَ: هَذَا، كَأَنَّهُ يَقُوْلُ: خُلعَ، وَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْهُمَا أَلَمَ ذَلِكَ.

✍قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ المُثَنَّى صَاحِبُ بِشْرٍ، قَالَ:

قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: قِيلَ لِي: اكتبْ ثَلاَثَ كَلِمَاتٍ، وَيُخَلَّى سَبِيلُكَ.

فَقُلْتُ: هَاتُوا. قَالُوا: اكتبْ: اللهُ قَدِيْمٌ لَمْ يَزَلْ.

قَالَ: فكتبتُ. فَقَالُوا: اكْتُبْ: كُلُّ شَيْءٍ دُوْنَ اللهِ مَخْلُوْقٌ.

وَقَالُوا: اكتبْ: اللهُ رَبُّ القُرْآنِ. قُلْتُ: أَمَّا هَذِهِ فَلاَ، وَرَمَيتُ بِالقلمِ.

فَقَالَ بِشْرُ بنُ الحَارِثِ: لَوْ كَتَبهَا، لأَعطَاهُم مَا يُرِيْدُوْنَ.

وَبِهِ، قَالَ: وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ الحَارِثِ العُبَادِيُّ - وَكَانَ رَافَقَنَا فِي بلاَدِ الرُّوْمِ - قَالَ: حضَرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الطُّفَاوِيُّ، فَذُكِرَ لَهُ حَدِيْثٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: أُخْبِرَكَ بنَظِيْرِ هَذَا، لَمَّا أُخرِجَ بِنَا، جَعَلتُ أُفكرُ فِيْمَا نَحْنُ فِيْهِ، حَتَّى إِذَا صِرنَا إِلَى الرَّحبَةِ، أُنزِلنَا بِظَاهِرِهَا، فمددتُ بَصَرِي، فَإِذَا بِشَيْءٍ لَمْ أَسْتَثبتْه، فَلَمْ يَزَلْ يدنُو، وَإِذَا أَعْرَابِيٌّ جَعَلَ يَتخطَّى تِلْكَ المَحَاملَ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ، فَوَقَفَ عليَّ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ؟

فَسَكَتُّ تَعجُّباً!! ثُمَّ أعادَ، فَسَكَتُّ، فَبركَ عَلَى رُكبتَيه، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَال: أَبشرْ، وَاصْبِرْ، فَإِنَّمَا هِيَ ضَربَةٌ هَا هُنَا، وَتَدْخُلُ الجَنَّةَ هَا هُنَا.

ثُمَّ مَضَى، فَقَال الطُّفَاوِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! إِنكَ محمودٌ عِنْدَ العَامَّةِ.

فَقَالَ: أَحْمَدُ اللهَ عَلَى دِيْنِي، إِنَّمَا هَذَا دِينٌ، لَوْ قُلْتُ لَهُم، كفرتُ.

فَقَال الطُّفَاوِيُّ: أَخبِرْنِي بِمَا صَنعُوا بِكَ؟

قَالَ: لَمَّا ضُربتُ بِالسيَاطِ، جَعَلتُ أَذكرُ كَلاَمَ الأَعْرَابِيِّ، ثُمَّ جَاءَ ذَاكَ الطَّوِيْلُ اللِّحْيَةِ -يَعْنِي: عُجَيفاً- فَضَربنِي بقَائِمِ السَّيْفِ، ثُمَّ جَاءَ ذَاكَ، فَقُلْتُ: قَدْ جَاءَ الفرجُ، يَضْرِبُ عُنُقِي، فَأَستريحُ.

✍فَقَال لَهُ ابْن سمَاعَةَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، اضربْ عُنُقَه، وَدمُه فِي رَقَبَتِي.

✍فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: لاَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، لاَ تفعلْ، فَإِنَّه إِنْ قُتلَ أَوْ مَاتَ فِي دَارِكَ، قَالَ النَّاسُ: صَبَرَ حَتَّى قُتلَ، فَاتَّخذَه النَّاسُ إِمَاماً، وَثَبَتُوا عَلَى مَا هُم عَلَيْهِ،

وَلَكِنْ أَطلِقْه السَّاعَةَ، فَإِنْ مَاتَ خَارجًا مِنْ مَنْزِلِكَ، شَكَّ النَّاسُ فِي أَمرِه، وَقَالَ بَعْضُهُم: أَجَابَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُجِبْ.

✍فَقَالَ الطُّفَاوِيُّ: وَمَا عَلَيْكَ لَوْ قُلْتَ؟

✍قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَوْ قُلْتُ، لَكفرتُ.

وَبِهِ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُوْلُ: دَعَا المُعْتَصِمُ بِعَمِّ أَحْمَدَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: تَعْرِفونَه؟

قَالُوا: نَعَمْ، هُوَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ. قَالَ: فَانظرُوا إِلَيْهِ، أَلَيْسَ هُوَ صَحِيْحَ البَدَنِ؟

قَالُوا: نَعَمْ، وَلَوْلاَ أَنَّهُ فعلَ ذَلِكَ، لكُنْتُ أَخَافُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لاَ يُقَامُ لَهُ.

قَالَ: وَلَمَّا قَالَ: قَدْ سَلَّمْتُه إِلَيْكُم صَحِيْحَ البَدَنِ، هَدأَ النَّاسُ وَسَكَنُوا.

قُلْتُ: مَا قَالَ هَذَا مَعَ تَمكُّنِهِ فِي الخِلاَفَةِ وَشَجَاعتِهِ إِلاَّ عَنِ أمرٍ كَبِيْرٍ، كَأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَمُوْتَ مِنَ الضَّربِ، فَتَخْرُجَ عَلَيْهِ العَامَّةُ.

وَلَوْ خَرَجَ عَلَيْهِ عَامَّةُ بَغْدَادَ، لَرُبَّمَا عجِز عَنْهُم.

✍وَقَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَمرَ المُعْتَصِمُ بِتخليَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، خَلعَ عَلَيْهِ مُبَطَّنَةً وَقَمِيصًا، وَطَيلسَانًا وَقَلَنْسُوَةً وَخُفًّا.

فَبَينَا نَحْنُ عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَالنَّاسُ فِي المَيدَانِ وَالدُّروبِ وَغَيْرِهَا، وَغُلِّقَتِ الأسواقُ، إِذ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَى دَابَّةٍ مِنْ دَارِ المُعْتَصِمِ فِي تِلْكَ الثِّيَابِ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي دُوَادَ عَنْ يَمِيْنِهِ، وَإِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ -يَعْنِي: نَائِبَ بَغْدَادَ- عَنْ يسَارِهِ.

فَلَمَّا صَارَ فِي الدِّهلِيزِ قَبْلَ أَنْ يَخرُجَ، قَالَ لَهُمُ ابْنُ أَبِي دُوَادَ: اكشفُوا رَأْسَهُ.

فَكشفُوهُ -يَعْنِي: مِنَ الطَّيلسَانِ- وَذَهَبُوا يَأْخُذُوْنَ بِهِ نَاحِيَةَ المَيدَانِ نَحْوَ طَرِيْقِ الحَبْسِ، فَقَالَ لَهُم إِسْحَاقُ: خُذُوا بِهِ هَا هُنَا - يُرِيْدُ دِجلَةَ -.

فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الزَّوْرَقِ، وَحُمِلَ إِلَى دَارِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ صُلِّيَتِ الظُّهرُ، وَبَعَثَ إِلَى وَالِدِي وَإِلَى جِيرَانِنَا وَمَشَايِخِ المَحَالِّ، فَجُمِعُوا، وَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُم: هَذَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَإِنْ كَانَ فِيْكُم مَنْ يَعْرِفُهُ، وَإِلاَّ فَلْيَعْرِفْهُ.

✍قَالَ ابْنُ سمَاعَةَ - حِيْنَ دَخَلَ الجَمَاعَةُ - لَهُم: هَذَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَإِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ نَاظرَهُ فِي أَمرِهِ، وَقَدْ خَلَّى سَبِيلَهُ، وَهَا هُوَ ذَا، فَأُخْرِجَ عَلَى فَرَسٍ لإِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَمَعَهُ السُّلْطَانُ وَالنَّاسُ، وَهُوَ مُنْحَنٍ، فَلَمَّا ذهبَ لِينزلَ، احتَضَنْتُهُ، وَلَمْ أَعْلَمْ، فَوَقعَتْ يَدِي عَلَى مَوْضِعِ الضَّربِ، فَصَاحَ، فَنَحَّيْتُ يَدِي، فَنَزَلَ مُتَوَكِّئاً عَلَيَّ، وَأغلقَ البَابَ، وَدَخلنَا مَعَهُ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى وَجْهِهِ لاَ يَقدِرُ أَنْ يتحرَّكَ إِلاَّ بِجهدٍ،وَنزعَ مَا كَانَ خُلِعَ عَلَيْهِ، فَأَمرَ بِهِ، فَبِيعَ، وَتَصدَّقَ بِثمنِهِ.

وَكَانَ المُعْتَصِمُ أمرَ إِسْحَاقَ بنَ إِبْرَاهِيْمَ أَنْ لاَ يقطعَ عَنْهُ خَبرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تُرِكَ فِيْمَا حُكِيَ لَنَا عِنْدَ الإِيَاسِ مِنْهُ.

وَبَلَغَنَا: أَنَّ المُعْتَصِمَ ندمَ، وَأُسقطَ فِي يَدِه، حَتَّى صلحَ، فَكَانَ صَاحِبُ خَبَرِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ يَأْتِينَا كُلَّ يَوْمٍ يَتعرَّفُ خبرَه، حَتَّى صَحَّ، وَبقيتْ إِبهامَاهُ مُنْخلعَتينِ، يَضْربَانِ عَلَيْهِ فِي البَردِ، فَيُسَخَّنُ لَهُ المَاءُ، وَلَمَّا أَردنَا علاجَه، خِفْنَا أَنْ يدسَّ أَحْمَدُ بنُ أَبِي دُوَادَ سُمّاً إِلَى المُعَالِجِ، فَعمِلنَا الدَّوَاءَ وَالمرهَمَ فِي مَنْزِلنَا.

وسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: كُلُّ مَنْ ذَكَرنِي فَفِي حِلٍّ إِلاَّ مُبتدِعاً، وَقَدْ جَعلتُ أَبَا إِسْحَاقَ - يَعْنِي: المُعْتَصِمَ- فِي حِلٍّ، وَرَأَيْتُ اللهَ يَقُوْلُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّوْنَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم﴾ [النُّورُ: ٢٢] وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ بِالعفوِ فِي قِصَّةِ مِسْطَحٍ).

✍قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَمَا ينفعُكَ أَنْ يُعَذِّبَ اللهُ أَخَاكَ المُسْلِمَ فِي سَببِكَ؟!!

✍قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ بُرْغُوْثُ -يَعْنِي: يَوْمَ المِحْنَةِ-: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، هُوَ كَافِرٌ حلاَلُ الدَّمِ، اضربْ عُنُقَه، وَدمُه فِي عُنُقِي.

وَقَالَ شُعَيْبٌ كَذَلِكَ أَيْضـاً: تَقَلَّدْ دَمِي، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو إِسْحَاقَ إِلَيْهِمَا.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: لَمْ يَكُنْ فِي القَوْمِ أَشَدُّ تَكْفِيْراً لِي مِنْهُمَا، وَأَمَّا ابْنُ سِمَاعَةَ، فَقَالَ:

يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، إِنَّه مِنْ أَهْلِ بَيْتِ شَرفٍ ولَهُم قَدَمٌ، وَلَعَلَّهُ يَصِيرُ إِلَى الَّذِي عَلَيْهِ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، فكَأَنَّه رقَّ عِنْدَهَا، وَكَانَ إِذَا كَلَّمنِي ابْنُ أَبِي دُوَادَ، لَمْ أَلتفتْ إِلَى كَلاَمِه، وَإِذَا كلَّمنِي أَبُو إِسْحَاق، أَلَنْتُ لَهُ القَوْلَ.

قَالَ: فَقَالَ فِي اليَوْم الثَّالِثِ: أَجِبنِي يَا أَحْمَدُ، فَإِنَّه بَلَغَنِي أَنَّكَ تحبُّ الرِّئَاسَةَ، وَذَلِكَ لَمَّا أَوغرُوا قَلْبَه عَلَيَّ.

وَجَعَلَ بَرْغُوْثُ يَقُوْلُ: قَالَ الجَبْرِيُّ: كَذَا وَكَذَا كَلاَمٌ هُوَ الكُفْرُ بِاللهِ.

فَجعلتُ أَقُوْلُ: مَا أَدرِي مَا هَذَا، إِلاَّ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ أَحدٌ صَمَدٌ لاَ شِبْهَ لَهُ وَلاَ عِدْلَ، وَهُوَ كَمَا وَصفَ نَفْسَهُ، فَسَكَتَ.

وَقَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ: يَا أَحْمَدُ، إِنِّي لأُشْفِقُ عَلَيْكَ كَشفقَتِي عَلَى ابْنِي هَارُوْنَ، فَأَجِبْنِي، وَاللهِ لَودِدتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عرفتُكَ يَا أَحْمَدُ، اللهَ اللهَ فِي دَمِكَ.

فلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ ذَلِكَ، قَالَ: لَعنكَ اللهُ، لَقَدْ طَمعتُ أَنْ تُجِيبَنِي.

ثُمَّ قَالَ: خُذُوهُ، وَاسحَبُوهُ.

فَأُخذتُ ثُمَّ خُلِّعتُ، وَجِيْءَ بِعُقَابَيْنِ وَأَسيَاطٍ، وَكَانَ مَعِي شعرٌ مِنْ شعرِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ صُيِّرتُ بَيْنَ العُقَابين، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ، اللهَ اللهَ، إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ)**، يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، فِيمَ تَسْتحلُّ دَمِي؟ اللهَ اللهَ، لاَ تَلقَ اللهَ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ مُطَالَبَةٌ، اذكرْ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ وُقُوفَك بَيْنَ يَدَيِ اللهِ -تَعَالَى- كَوقُوفِي بَيْن يَدَيك، وَرَاقبِ اللهَ.

فَكَأَنَّهُ أَمسكَ، فَخَافَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ أَنْ يَكُوْنَ مِنْهُ عطفٌ أَوْ رَأفَةٌ، فَقَالَ: إِنَّه كَافِرٌ بِاللهِ، ضَالٌّ مُضِلٌّ.

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمَّا أَردنَا علاجَه، خِفْنَا أَنْ يَدُسَّ ابْنُ أَبِي دُوَادَ إِلَى المُعَالِجِ، فَيُلقِيَ فِي دَوائِه سُمّـًا، فَعمِلنَا الدَّوَاءَ وَالمرهَمَ عِنْدنَا، فكَانَ فِي بَرنِيَّةٍ، فإِذَا دَاوَاهُ رَفَعنَاهَا.

قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَصَابَه البَرْدُ، ضُرِبَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ: لَقَدْ ظننتُ أَنِّي أَعطَيتُ المجهودَ مِنْ نَفْسِي.

الإِمَامِ أحمد فِي دولة الوَاثِقِ:

قَالَ حَنْبَلٌ: لَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللهِ بَعْدَ أَنْ بَرِئَ مِنَ الضَّربِ يَحضرُ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، وَيُحَدِّثُ وَيُفْتِي، حَتَّى مَاتَ المُعْتَصِمُ، وَوَلِيَ ابْنُهُ الوَاثِقُ، فَأَظْهَرَ مَا أَظهرَ مِنَ المِحْنَةِ وَالمَيلِ إِلَى أَحْمَدَ بنِ أَبِي دُوَادَ وَأَصْحَابِه.

فَلَمَّا اشتدَّ الأَمْرُ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، وَأَظْهَرتِ القُضَاةُ المِحْنَةَ بخلقِ القُرْآنِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ فَضْلِ الأَنْمَاطِيِّ وَبَيْنَ امْرَأَته، وَبيْنَ أَبِي صَالِحٍ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَشْهَدُ الجُمُعَةَ، وَيُعِيدُ الصَّلاَةَ إِذَا رَجَعَ، وَيَقُوْلُ: تُؤْتَى الجُمُعَةُ لِفَضلِهَا، وَالصَّلاَةُ تُعَادُ خَلْفَ مَنْ قَالَ بِهَذِهِ المَقَالَةِ.

وَجَاءَ نَفرٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَقَالُوا: هَذَا الأَمْرُ قَدْ فَشَا وَتفَاقمَ، وَنَحْنُ نَخَافُه عَلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَذَكَرُوا ابْنَ أَبِي دُوَادَ، وَأَنَّهُ عَلَى أَنْ يَأْمُرَ المُعَلِّمِيْنَ بتعَلِيْمِ الصِّبْيَانِ فِي المكَاتِبِ: القُرْآنُ كَذَا وَكَذَا، فَنَحْنُ لاَ نَرضَى بِإِمَارَتِه. فَمَنَعهُم مِنْ ذَلِكَ، وَنَاظَرَهُم.

بينما نَحنُ فِي أَيَّامِ الوَاثِقِ، إِذ جَاءَ يَعْقُوْبُ لَيلاً بِرِسَالَةِ الأَمِيْرِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ:

يَقُوْلُ لَكَ الأَمِيْرُ: إِنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ قَدْ ذَكَرَكَ، فَلاَ يَجتَمِعَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ وَلاَ تُسَاكِنِّي بِأَرْضٍ وَلاَ مَدينَةٍ أَنَا فِيْهَا، فَاذهبْ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَرضِ اللهِ.

قَالَ: فَاختَفَى أَبُو عَبْدِ اللهِ بَقِيَّةَ حَيَاةِ الوَاثِقِ.

وَكَانَتْ تِلْكَ الفِتْنَةُ، وَقُتِلَ أَحْمَدُ بنُ نَصْرٍ الخُزَاعِيُّ.

وَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُختفياً فِي البَيْتِ لاَ يَخرجُ إِلَى صَلاَةٍ وَلاَ إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى هلكَ الوَاثِقُ.

وَعَنْ إِبْرَاهِيْمَ بنِ هَانِئٍ، قَالَ: اخْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللهِ عِنْدِي ثَلاَثاً، ثُمَّ قَالَ: اطلُبْ لِي مَوْضِعاً.

قُلْتُ: لاَ آمَنُ عَلَيْكَ. قَالَ: افعلْ، فَإِذَا فعلتَ، أَفَدتُكَ.

فَطَلَبْتُ لَهُ مَوْضِعاً، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: اخْتَفَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فِي الغَارِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ.

قَالَ أَبُو الحُسَيْنِ بنُ المُنَادِي: حَدَّثَنِي جَدِّي؛ أَبُو جَعْفَرٍ، قَالَ: لقيتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، فرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ مَجمرَةً يُسخِّنُ خِرقَةً، ثُمَّ يَجْعَلُهَا عَلَى جَنْبِهِ مِنَ الضَّربِ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، مَا كَانَ فِي القَوْمِ أَرَأفُ بِي مِنَ المُعْتَصِمِ.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ البُوْشَنْجِيِّ، قَالَ: حَدَّثَ أَحْمَدُ بِبَغْدَادَ جهرَةً حِيْنَ مَاتَ المُعْتَصِمُ.

فَرَجَعتُ مِنَ الكُوْفَةِ، فَأَدْرَكتُه فِي رَجَبٍ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ، ثُمَّ قَطَعَ الحَدِيْثَ لِثَلاَثٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ بِلاَ مَنعٍ.

بَلْ كَتَبَ الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ الجَعْدِ قَاضِي بَغْدَادَ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادَ:

إِنَّ أَحْمَدَ قَدِ انبَسَطَ فِي الحَدِيْثِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَحْمَدَ، فَقَطَعَ الحَدِيْثَ وَإِلَى أَنْ تُوُفِّيَ.

۞ الإِمَامِ أحمد فِي دَوْلَةِ المُتَوَكِّلِ:

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلِيَ المُتَوَكِّلُ جَعْفَرٌ، فَأَظهَرَ اللهُ السُّنَّةَ، وَفَرَّجَ عَنِ النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُنَا وَيُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فِي أَيَّامِ المُتَوَكِّلِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى الحَدِيْثِ وَالعِلْمِ أَحوجَ مِنْهُم إِلَيْهِ فِي زَمَانِنَا.

✍قَالَ حَنْبَلٌ: ثُمَّ إِنَّ المُتَوَكِّلَ ذَكَرَه، وَكَتَبَ إِلَى إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ فِي إِخْرَاجِه إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُوْلُ إِسْحَاقَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ يَأْمُرُه بِالحُضُوْرِ، فَمَضَى أَبُو عَبْدِ اللهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ أَبِي عَمَّا دُعِيَ لَهُ؟

فَقَالَ: قَرَأَ عَلَيَّ كِتَابَ جَعْفَرٍ يَأْمُرُنِي بِالخُرُوجِ إِلَى العَسكرِ -يَعْنِي: سُرَّ مَنْ رَأَى-.

قَالَ: وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ: مَا تَقُوْلُ فِي القُرْآنِ؟

فَقُلْتُ: إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ قَدْ نَهَى عَنْ هَذَا.

قَالَ: وَخَرَجَ إِسْحَاقُ إِلَى العَسْكَرِ، وَقَدَّمَ ابْنَه مُحَمَّداً يَنُوبُ عَنْهُ بِبَغْدَادَ.

✍قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَقَالَ لِي إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ: لاَ تُعْلِمْ أَحداً أَنِّي سَأَلْتُكَ عَنِ القُرْآنِ!

فَقُلْتُ لَهُ: مَسْأَلَةُ مُستَرشِدٍ أَوْ مَسْأَلَةُ مُتَعَنِّتٍ؟

قَالَ: بَلْ مُستَرشِدٍ. قُلْتُ: القُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوْقٍ.

قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: قَالَ لِي إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ: اجعَلْنِي فِي حِلٍّ مِنْ حُضُوْرِي ضَرْبَكَ.

فَقُلْتُ: قَدْ جَعَلتُ كُلَّ مَنْ حَضَرَنِي فِي حِلٍّ.

وَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ؟

فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ: ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأَعرَافُ: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الخَلقِ وَالأَمرِ.

فَقَالَ إِسْحَاقُ: الأَمْرُ مَخْلُوْقٌ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! أَمَخْلُوْقٌ يَخْلُقُ خَلقاً؟!!

قُلْتُ: يَعْنِي: إِنَّمَا خَلَقَ الكَائِنَاتِ بِأَمرِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: (كُنْ) [الأَنعَامُ: ٧٣].

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: عَمَّنْ تَحكِي أَنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوْقٍ؟

قُلْتُ: عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلاَ مَخْلُوْقٍ.

قَالَ حَنْبَلٌ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ مَا يَتَحَمَّلُ بِهِ أَوْ يُنفِقُه، وَكَانَتْ عِنْدِي مائةُ دِرْهَمٍ، فَأَتيتُ بِهَا أَبِي، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَأَصْلحَ بِهَا مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ، وَاكترَى وَخَرَجَ، وَلَمْ يَمضِ إِلَى مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ، وَلاَ سَلَّمَ عَلَيْهِ.

فَكَتَبَ بِذَلِكَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَبِيْهِ، فَحَقَدَهَا إِسْحَاقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ أَحْمَدَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ، وَلَمْ يَأْتِ مَولاَكَ مُحَمَّداً.

فَقَالَ المُتَوَكِّلُ: يُرَدُّ وَلَوْ وَطِئَ بِسَاطِي - وَكَانَ أَحْمَدُ قَدْ بَلَغَ بُصْرَى -.

فَرُدَّ، فَرَجَعَ وَامْتَنَعَ مِنَ الحَدِيْثِ إِلاَّ لِوَلَدِهِ وَلَنَا، وَرُبَّمَا قَرَأَ عَلَيْنَا فِي مَنْزِلِنَا.

ثُمَّ إِنَّ رَافِعـاً رَفَعَ إِلَى المُتَوَكِّلِ: إِنَّ أَحْمَدَ رَبَّصَ عَلَوِيّـًا فِي مَنْزِلِهِ، يُرِيْدُ أَنْ يُخْرِجَهُ وَيُبَايِعَ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ عِنْدنَا عِلمٌ، فَبينَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ نِيَامٌ فِي الصَّيْفِ، سَمِعنَا الجَلَبَةَ، وَرَأينَا النِّيْرَانَ فِي دَارِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَأَسرَعنَا،وَإِذَا بِهِ قَاعِدٌ فِي إِزَارٍ، وَمُظَفَّرُ بنُ الكَلْبِيِّ صَاحِبُ الخَبَرِ وَجَمَاعَةٌ مَعهُم، فَقَرَأَ صَاحِبُ الخَبَرِ كِتَابَ المُتَوَكِّلِ: وَرَدَ عَلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَنَّ عِندَكُم عَلَوِيّـًا رَبَّصته لِتُبَايِعَ لَهُ وَتُظهِرَهُ، فِي كَلاَمٍ طَوِيْلٍ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ مُظَفَّرٌ: مَا تَقُوْلُ؟

قَالَ: مَا أَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئـًا، وَإِنِّي لأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِي وَيُسْرِي، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةٍ عَلَيَّ، وَإِنِّي لأَدعُو اللهَ لَهُ بِالتَّسديدِ وَالتَّوفيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي كَلاَمٍ كَثِيْرٍ.

فَقَالَ مُظَفَّرٌ: قَدْ أَمَرَنِي أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ أُحَلِّفَكَ.

قَالَ: فَأَحلَفَهُ بِالطَّلاَقِ ثَلاَثـًا أَنَّ مَا عِنْدَهُ طَلِبَةَ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ.

ثُمَّ فَتَّشوا مَنْزِلَ أَبِي عَبْدِ اللهِ وَالسربَ وَالغُرفَ وَالسطوحَ، وَفتَّشوا تَابوتَ الكُتُبِ، وَفتَّشوا النِّسَاءَ وَالمَنَازِلَ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئـًا، وَلَمْ يُحِسُّوا بِشَيءٍ، وَرَدَّ اللهُ الَّذِيْنَ

كَفرُوا بِغَيظهِم، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى المُتَوَكِّلِ، فَوَقَعَ مِنْهُ مَوقِعًا حَسَنًا، وَعَلِمَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ مَكْذُوْبٌ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الَّذِي دَسَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِن أَهْلِ البِدَعِ، وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى بَيَّنَ اللهُ أَمرَهُ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ الثَّلْجِيِّ.

فلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّام، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوْسٌ بِبَابِ الدَّارِ، إِذَا يَعْقُوْبُ - أَحَدُ حُجَّابِ المُتَوَكِّلِ - قَدْ جَاءَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَدَخَلَ، وَدَخَلَ أَبِي وَأَنَا، وَمَعَ بَعْضِ غِلمَانِه بَدْرَةٌ عَلَى بَغلٍ، وَمَعَهُ كِتَابُ المُتَوَكِّلِ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ: إِنَّه صَحَّ عِنْدَ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ بَرَاءةُ سَاحَتِكَ، وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْكَ بِهَذَا المَالِ. تَسْتَعِينُ بِهِ. فَأَبَى أَنْ يَقبَلَهُ، وَقَالَ: مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، اقبلْ مِنْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مَا أَمرَكَ بِهِ، فَإِنَّه خَيْرٌ لَكَ عِنْدَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ رَدَدتَه، خِفتُ أَنْ يَظُنَّ بِكَ سُوءاً.

فَحِيْنَئِذٍ قَبِلهَا. فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ.

قُلْتُ: لَبَّيكَ. قَالَ: ارفعْ هَذِهِ الإِنْجَانَةَ وَضَعْهَا -يَعْنِي: البَدْرَةَ- تَحْتَهَا.

فَفَعَلتُ، وَخَرجْنَا.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، إِذَا أُمُّ وَلَدِ أَبِي عَبْدِ اللهِ تَدقُّ عَلَيْنَا الحَائِطَ، فَقَالَتْ: مَوْلاَيَ يَدعُو عَمَّه.

فَأَعْلَمتُ أَبِي، وَخَرَجْنَا، فَدَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَذَلِكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَا عَمِّ! مَا أَخَذَنِي النَّوْمُ.

قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِهَذَا المَالِ.

وَجَعَلَ يَتَوَجَّعُ لأَخذِهِ، وَأَبِي يُسَكِّنُهُ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: حَتَّى تُصبِحَ وَتَرَى فِيْهِ رَأْيَكَ، فَإِنَّ هَذَا لَيْلٌ، وَالنَّاسُ فِي المَنَازِلِ.

فَأَمسَكَ وَخَرَجنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحَرِ، وَجَّهَ إِلَى عُبْدُوْسِ بنِ مَالِكٍ، وَإِلَى الحَسَنِ بنِ البَزَّارِ، فَحضرَا، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُم: هَارُوْنُ الحَمَّالُ، وَأَحْمَدُ بنُ مَنِيْعٍ، وَابْنُ الدَّوْرَقِيِّ، وَأَبِي، وَأَنَا، وَصَالِحٌ، وَعَبْدُ اللهِ، وَجَعَلْنَا نَكتُبُ مَنْ يَذْكُرُونه مِنْ أَهْلِ السِّتر وَالصَّلاَحِ ببَغْدَادَ وَالكُوْفَةِ، فَوجَّهَ مِنْهَا إِلَى أَبِي كُرَيْبٍ، وَلِلأَشَجِّ، وَإِلَى مَنْ يَعْلَمُوْنَ حَاجتَه، فَفَرَّقهَا كُلَّهَا مَا بَيْنَ الخَمْسِيْنَ إِلَى المائَةِ، وَإِلَى المائَتَيْنِ، فَمَا بَقِيَ فِي الكِيْسِ دِرْهَمٌ.

الآيات الدالة على أن الكلام صفة لله تعالى:

١/ قال تعالى: (﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

٢// قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

٣/ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

٤/ قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

٥/ قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

٦/ قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

٧/ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

٨/ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠].

٩/ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق: ١٣].

١٠/ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢﴾ [الشعراء: ١٩٢].

مذهب السلف:

قالوا إن الكلام صفة لله كسائر الصفات الأخرى، وهي صفة ذات وفعل، يتكلم بها متى شاء وكيف شاء، وهو حروف وأصوات يسمعها من يشاء من مخلوقاته، وإن الكلام بصوت ليس كصوت المخلوقين وكلامه قديم النوع، كما أن سائر صفات الله تعالى قديمة.

كما أنهم أجمعوا على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع كلام الله من الله تعالى، لا من الشجر أو الحجر، أو من غيره، كما قالت الجهمية والمعتزلة، لأنه لو سمع من غير الله تعالى، لكان بنو إسرائيل أفضل من ذلك منه، فإنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة، وهو غير معقول.

وكذلك لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحرفاً، وليس معنى في النفس، فإنه لو كان معنى في النفس كما زعمت الكلابية والأشاعرة والماتريدية، لم يكن ذلك تكليماً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا هو شيء يسمع.

فالقرآن عند السلف كلام الله تعالى. ووحيه وتنزيله، فيه معاني توحيده، ومعرفة آياته وأنه غير مخلوق بحروفه ومعانيه فهو كلام الله تعالى حقيقة، ويضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً ومؤدياً، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية كلام الله أو عبارة عنه، كما قالت الكلابية والأشاعرة والماتريدية.

ولما شاعت المحنة في عهد المأمون، وكثر اختلاف الناس وتنازعهم في ذلك، التزم السلف بوصف القرآن أنه غير مخلوق بياناً للحق ورداً على ما شاع من بدعة الجهمية والمعتزلة من أن القرآن مخلوق.

قال الإمام البخاري في خلق أفعال العباد: "القرآن كلام الله غير مخلوق".

قال البخاري: "حركاتهم وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة وأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعي في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

ويقول ابن خزيمة في التوحيد: "باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة" ثم ذكر الأدلة على ذلك.

وذكر اللالكائي مذهب السلف في القرآن فقال: "ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روى عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم به على الحقيقة، وأنة أنزل على محمد ﷺ وأمره بالتحدي، وأنه يدعو الناس إليه، وأن القرآن على الحقيقة، متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف محفوظ في صدور الرجال ليس بحكاية ولا عبارة عن القرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق، وغير مجهول ومربوب، بل صفة من صفات ذاته لم يزل به متكلماً، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة، ثم أورد الأدلة على ذلك١.

وقال ابن بطة في الإبانة بعد كلام سبق: "ثم من بعد ذلك يعلم بغير شك ولا مرية ولا وقوف، أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، فيه معاني توحيده، ومعرفة آياته، وصفات أسمائه، وهو علم من علمه غير مخلوق، كيف قرأ وكيف كتب وكيف تلي وفي أي موضع كان في السماء وجد أو في الأرض حفظ، في اللوح المحفوظ وفي المصاحف وفي ألواح الصبيان مرسوماً أو في حجر منقوشاً وعلى كل الحالات وفي كل الجهات كلام الله غير مخلوق".

هذا مذهب السلف في صفة الكلام ومن جملة ذلك القرآن عندهم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال اللفظ دون المعنى كما قالت الجهمية والمعتزلة، ولا المعنى دون اللفظ كما قالت الكلابية والأشاعرة، والماتريدية، وهو منزل غير مخلوق سمعه جبريل من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل، فهو المكتوب بالمصاحف والمحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة، فالسلف أثبتوا لله سبحانه صفة الكلام، منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من سمات النقص كما أثبتوا له سائر الصفات إثباتـاً بلا تمثيل وتنزيهـاً بلا تعطيل. ويرى هذا كله عبرة تقال للماتريدية والأشعرية الذين خالفوا عقيدة السلف في القرآن وقالوا إن كلام الله هو كلام نفسي لا يسمع ولا بحروف ولا صوت وأن هذا القرآن العربي مخلوق وليس هو كلام الله على الحقيقة وإنما هو دال على كلام الله النفسي فهؤلاء الماتريدية والأشعرية من القائلين ببدعة خلق القرآن ومن أعظم المعطلين لصفة كلام الله ومن أعظم المبتدعين لبدعة الكلام النفسي فهم أبشع وأشنع من المعتزلة فإن أولئك كانت بدعتهم بدعة واحدة وهؤلاء بدعتهم بدعتان. والله المستعان.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري في الشريعة: إِنَّ قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يُزِغْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَوُفِّقُوا لِلرَّشَادِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَعِلْمُ اللهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ، وَالْجَهْمِيُّ فَعِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَافِرٌ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]:

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥] قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ: لَمْ يَزَلِ اللهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ.

❁ **الخلاصة:**

١- إن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى على الحقيقة، وهو غير مخلوق تكلم الله تعالى به، وسمعه جبريل من الله تعالى، ونزل به جبريل على النبي ﷺ، وهو مكتوب بالمصاحف، متلو بالألسنة، محفوظ بالصدور.

٢- كل ما سبق بيانه فهو مذهب أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

٣- خالفت في هذا الباب طوائف من أهل الضلال كالجهمية والمعتزلة، والكلابية والأشعرية والماتريدية.

❁ خامسا: أسماء العلماء الذين تعرضوا للمعتزلة والسلطة وتم سجنهم:

١/ الإمام أحمد بن حنبل:

قال الذهبي في السير١١/ ١٧٧: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ هُوَ: الإِمَامُ حَقّاً، وَشَيْخُ الإِسْلاَمِ صِدْقاً، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلاَلِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ الذُّهْلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ.

هَكَذَا سَاقَ نَسَبَه: وَلَدُهُ عَبْدُ اللهِ، وَاعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ فِي (تَارِيْخِهِ)، وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ وَالِدُ أَبِي عَبْدِ اللهِ مِنْ أَجْنَادِ مَرْوَ، مَاتَ شَابّـًا، لَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً.

وَرُبِّيَ أَحْمَدُ يَتِيمـًا، وَقِيْلَ: إِنَّ أُمَّهُ تَحَوَّلَتْ مِنْ مَرْوَ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ.

فَقَالَ صَالِحٌ، قَالَ لِي أَبِي: وُلِدْتُ فِي رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَمائَةٍ.

قَالَ صَالِحٌ بن الإمام أحمد: جِيْءَ بِأَبِي حَمَلٌ مِنْ مَرْوَ، فَمَاتَ أَبُوْهُ شَابّـًا، فَوَلِيَتْهُ أُمُّهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: وُلِدَ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: طَلَبتُ الحَدِيْثَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ، فَسَمِعْتُ بِمَوتِ حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ وَأَنَا فِي مَجْلِسِ هُشَيْمٍ.

قَالَ صَالِحٌ بن الإمام أحمد: قَالَ أَبِي: ثَقَبَتْ أُمِّي أُذُنَيَّ، فَكَانَتْ تُصَيِّرُ فِيْهِمَا لُؤْلُؤَتَيْنِ، فَلَمَّا تَرَعْرَعْتُ، نَزَعتُهُمَا، فَكَانَتْ عِنْدَهَا، ثُمَّ دَفَعَتْهُمَا إِلَيَّ، فَبِعتُهُمَا بِنَحْوٍ مِنْ ثَلاَثِيْنَ دِرْهَمـًا.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ يَعْقُوْبَ الدَّوْرَقِيَّ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُوْلُ:

وُلِدْتُ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ وَمائَةٍ.

رِحْلَتُهُ وَحِفْظُهُ:

طَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فِي العَامِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ مَالِكٌ، وَحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ: أَنَّ أَحْمَدَ أَصْلُه بَصْرِيٌّ، وَخِطَّتُه بِمَرْوَ.

قَالَ صَالِحٌ بن الإمام أحمد: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: خَرَجتُ إِلَى الكُوْفَةِ، فَكُنْتُ فِي بَيْتٍ تَحْتَ رَأْسِي لَبِنَةٌ، فَحَجَجتُ، فَرَجعتُ إِلَى أُمِّي، وَلَمْ أَكُنِ اسْتَأْذَنتُهَا.

وَقال صَالِحٌ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: مَاتَ هُشَيْمٌ، فَخَرَجتُ إِلَى الكُوْفَةِ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ، وَأَوَّلُ رَحلاَتِي إِلَى البَصْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ، وَخَرَجتُ إِلَى سُفْيَانَ سنَةَ سَبْعٍ، فَقَدِمنَا، وَقَدْ مَاتَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ. وَحَجَجتُ خَمْسَ حِجَجٍ، مِنْهَا ثَلاَثٌ رَاجِلاً، أَنْفَقْتُ فِي إِحْدَاهَا ثَلاَثِيْنَ دِرْهَماً. وَقَدِمَ ابْنُ المُبَارَكِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ، وَفِيْهَا أَوَّلُ سَمَاعِي مِنْ هُشَيْمٍ، فَذَهَبْتُ إِلَى مَجْلِسِ ابْنِ المُبَارَكِ، فَقَالُوا: قَدْ خَرَجَ إِلَى طَرَسُوْسَ، وَكَتَبْتُ عَنْ هُشَيْمٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ آلاَفٍ.

وَلَوْ كَانَ عِنْدِي خَمْسُوْنَ دِرْهَماً، لَخَرَجتُ إِلَى جَرِيْرٍ إِلَى الرَّيِّ - قُلْتُ: قَدْ سَمِعَ مِنْهُ أَحَادِيْثَ -.

قَالَ: وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: كَتَبْتُ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ بنِ سَعْدٍ فِي أَلْوَاحٍ، وَصَلَّيْتُ خَلْفَه غَيْرَ مَرَّةٍ، فَكَانَ يُسَلِّمُ وَاحِدَةً.

وَقَدْ رَوَى عَنْ أَحْمَدَ مِنْ شُيُوْخِهِ: ابْنُ مَهْدِيٍّ.

قال الذهبي فَقَرَأْتُ عَلَى إِسْمَاعِيْلَ بنِ الفَرَّاءِ، أَخْبَرْنَا ابْنُ قُدَامَةَ، أَخْبَرَنَا المُبَارَكُ بنُ خُضَيْرٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ اليُوْسُفِيُّ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ سِنَانٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ مَهْدِيٍّ يَقُوْلُ: كَانَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عِنْدِي، فَقَالَ: نَظَرنَا فِيْمَا كَانَ يُخَالِفُكم فِيْهِ وَكِيْعٌ، أَوْ فِيْمَا يُخَالِفُ وَكِيْعٌ النَّاسَ، فَإِذَا هِيَ نَيِّفٌ وَسِتُّوْنَ حَدِيْثاً.

وروَى: صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ، عَنِ أَبِيْهِ، قَالَ: مَاتَ هُشَيْمٌ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِيْنَ سَنَةً، وَأَنَا أَحْفَظُ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ.

قَالَ أَحْمَدُ: سَمِعْتُ مِنْ عَلِيِّ بنِ هَاشِمٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ، فَأَتَيْتُه المَجْلِسَ الآخَرَ، وَقَدْ مَاتَ.

وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي مَاتَ فِيْهَا مَالِكٌ، وَأَقَمتُ بِمَكَّةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِيْنَ، وَأَقَمْتُ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِيْنَ. وَرَأَيْتُ ابْنَ وَهْبٍ بِمَكَّةَ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ حَاتِمٍ: وَلِيَ حَنْبَلٌ - جَدُّ الإِمَام - سَرْخَسَ، وَكَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الدَّعوَةِ، فَحُدِّثْتُ أَنَّه ضَرَبَه المُسَيَّبُ بنُ زُهَيْرٍ بِبُخَارَى لِكَوْنِهِ شَغَّبَ الجُنْدَ.

قَالَ المَرُّوْذِيُّ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ: اخْتَلَفْتُ إِلَى الكُتَّابِ، ثُمَّ اختَلَفتُ إِلَى الدِّيْوَانِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

عقل أحمد وحياته.

قال الخَلاَّلُ: حَدَّثَنَا المَرُّوْذِيُّ: قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: مَاتَ هُشَيْمٌ وَلِي عِشْرُوْنَ سَنَةً، فَخَرَجتُ أَنَا وَالأَعْرَابِيُّ - رَفِيْقٌ كَانَ لأَبِي عَبْدِ اللهِ - قَالَ: فَخَرَجْنَا مُشَاةً، فَوَصَلْنَا الكُوْفَةَ -يَعْنِي: فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ- فَأَتَينَا أَبَا مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ الخَلْقُ، فَأَعطَى الأَعْرَابِيَّ حَجَّةً بِسِتِّيْنَ دِرْهَماً، فَخَرَجَ وَتَرَكَنِي فِي بَيْتٍ وَحدِي، فَاسْتَوحَشتُ، وَلَيْسَ مَعِي إِلاَّ جِرَابٌ فِيْهِ كُتُبِي، كُنْتُ أَضَعُهُ فَوْقَ لَبِنَةٍ، وَأَضَعُ رَأْسِي عَلَيْهِ.

وَكُنْت أُذَاكِرُ وَكِيْعاً بِحَدِيْثِ الثَّوْرِيِّ، وَذَكَرَ مَرَّةً شَيْئاً، فَقَالَ: هَذَا عِنْدَ هُشَيْمٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ.

وَكَانَ رُبَّمَا ذَكَرَ العَشْرَ أَحَادِيْثَ، فَأَحْفَظُهَا، فَإِذَا قَامَ، قَالُوا لِي، فَأُمْلِيهَا عَلَيْهِم.

وعن عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ، قَالَ لِي أَبِي: خُذْ أَيَّ كِتَابٍ شِئْتَ مِنْ كُتُبِ وَكِيْعٍ مِنَ المُصَنَّفِ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنِ الكَلاَمِ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِالإِسْنَادِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالإِسْنَادِ حَتَّى أُخْبِرَكَ أَنَا بِالكَلاَمِ.

وعن عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بنَ وَكِيْعٍ يَقُوْلُ: أَحْفَظُ عَنْ أَبِيْكَ مَسْأَلَةً مِنْ نَحْوِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً. سُئِلَ عَنِ الطَّلاَقِ قَبْلَ النِّكَاحِ، فَقَالَ: يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاس، وَنَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ مِنَ التَّابِعِيْنَ، لَمْ يَرَوْا بِهِ بَأْساً.

فَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: صَدَقَ، كَذَا قُلْتُ.

قَالَ: وَحَفِظتُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بنَ حَمَّادٍ يَقُوْلُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بنَ أَبِي شَيْبَةَ يَقُوْلُ: لاَ يُقَالُ لأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ؟ وَسَمِعْتُ أَبَا إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيَّ، يَذْكُرُ عَنِ ابْنِ نُمَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ وَكِيْعٍ، فَجَاءهُ رَجُلٌ -أَوْ قَالَ: جَمَاعَةٌ- مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيْفَةَ، فَقَالُوا لَهُ: هَا هُنَا رَجُلٌ بَغْدَادِيٌّ يَتَكَلَّمُ فِي بَعْضِ الكُوْفِيِّيْنَ، فَلَمْ يَعْرِفْه وَكِيْعٌ. فَبَيْنَا نَحْنُ إِذْ طَلَعَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، فَقَالُوا: هَذَا هُوَ.

فَقَالَ وَكِيْعٌ: هَا هُنَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ.

فَأَفرَجُوا لَهُ، فَجَعَلُوا يَذْكُرُوْنَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الَّذِي يُنْكِرُوْنَ.

وَجَعَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يَحْتَجُّ بِالأَحَادِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالُوا لِوَكِيْعٍ: هَذَا بِحَضْرَتِكَ تَرَى مَا يَقُوْلُ؟

فَقَالَ: رَجُلٌ يَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ، أَيْشٍ أَقُوْلُ لَهُ؟

ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ القَوْلُ إِلاَّ كَمَا قُلْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ.

فَقَالَ القَوْمُ لِوَكِيْعٍ: خَدعَكَ -وَاللهِ- البَغْدَادِيُّ.

قَالَ عَارِمٌ: وَضَعَ أَحْمَدُ عِنْدِي نَفَقَتَهُ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، بَلَغَنِي أَنَّكَ مِنَ العَرَبِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا النُّعْمَانِ، نَحْنُ قَوْمٌ مَسَاكِيْنُ.

فَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُنِي حَتَّى خَرَجَ، وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئاً.

✍وَعَنْ أَحْمَدَ الدَّوْرَقِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ، قَالَ: نَحْنُ كَتَبْنَا الحَدِيْثَ مِنْ سِتَّةِ وُجُوْهٍ وَسَبْعَةٍ لَمْ نَضبِطْهُ، فَكَيْفَ يَضبِطُه مَنْ كتبه مِن وَجْهٍ وَاحِدٍ؟!

✍قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيْثٍ.

فَقِيْلَ لَهُ: وَمَا يُدرِيكَ؟

قَالَ: ذَاكَرْتُهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الأَبْوَاب.

فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيْحَةٌ فِي سَعَةِ عِلمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَكَانُوا يَعُدُّوْنَ فِي ذَلِكَ المُكَرَّرَ، وَالأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَإِلاَّ فَالمُتُوْنَ المَرفُوعَةُ القَوِيَّةُ لاَ تبلُغُ عُشْرَ مِعشَارِ ذَلِكَ.

قَالَ المَرُّوْذِيُّ: قَالَ أَحْمَدُ: عُنِيتُ بِحَدِيْثِ سُفْيَانَ، حَتَّى كَتَبْتُه عَنْ رَجُلَيْنِ، حَتَّى كَلَّمنَا يَحْيَى بنَ آدَمَ، فَكَلَّمَ لَنَا الأَشْجَعِيَّ، فَكَانَ يُخرِجُ إِلَيْنَا الكُتُبَ، فَنكتُبُ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَسْمَعَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: خَالَفَ وَكِيْعٌ ابْنَ مَهْدِيٍّ فِي نَحْوٍ مِنْ سِتِّيْنَ حَدِيْثاً مِنْ حَدِيْثِ سُفْيَانَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لاِبْنِ مَهْدِيٍّ، وَكَانَ يَحكِيْهِ عَنِّي.

❁ثناء العلماء عليه:

✍عن عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُوْلُ لِرَجُلٍ بَغْدَادِيٍّ: مَنْ تَعُدُّوْنَ عِنْدَكُمُ اليَوْمَ مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ؟

قَالَ: عِنْدَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَالمُعَيْطِيُّ، وَالسُّوَيْدِيُّ، حَتَّى عَدَّ لَهُ جَمَاعَةً بِالْكُوْفَةِ أَيْضاً وَبِالبَصْرَةِ.

فَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ: قَدْ رَأَيْتُ جَمِيْعَ مَنْ ذَكَرْتَ، وَجَاؤُوا إِلَيَّ، لَمْ أَرَ مِثْلَ ذَاكَ الفَتَى - يَعنِي: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ -.

✍قَالَ شُجَاعُ بنُ مَخْلَدٍ: سَمِعْتُ أَبَا الوَلِيْدِ الطَّيَالِسِيَّ يَقُوْلُ:

مَا بِالمِصْرَيْنِ رَجُلٌ أَكرَمُ عَلَيَّ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

✍وَعَنْ سُلَيْمَانَ بنِ حَرْبٍ، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: سَلْ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، وَمَا يَقُوْلُ فِي مَسْأَلَةِ كَذَا؟ فَإِنَّهُ عِنْدَنَا إِمَامٌ.

✍وَعَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: مَا نَظَرتُ إِلَى أَحْمَدَ، إِلاَّ ذَكَرْتُ بِهِ سُفْيَانَ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ سِنَانٍ القَطَّانُ: مَا رَأَيْتُ يَزِيْدَ بنَ هَارُوْنَ لأَحَدٍ أَشَدَّ تعظِيْماً، مِنْهُ لأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَلاَ أَكرَمَ أَحَداً مِثْلَهُ، كَانَ يُقْعِدُهُ إِلَى جَنْبِهِ، وَيُوَقِّرُهُ، وَلاَ يُمَازِحُهُ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: قَالَ سَعِيْدُ بنُ عَمْرٍو: يَا أَبَا زُرْعَةَ، أَأَنتَ أَحْفَظُ، أَمْ أَحْمَدُ؟

قَالَ: بَلْ أَحْمَدُ.

قُلْتُ: كَيْفَ عَلِمتَ؟

قَالَ: وَجَدتُ كُتُبَه، لَيْسَ فِي أَوَائِلِ الأَجزَاءِ أَسْمَاءُ الَّذِيْنَ حَدَّثُوهُ، فَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ جُزءٍ مِمَّنْ سَمِعَهُ، وَأَنَا لاَ أَقدِرُ عَلَى هَذَا.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ الحَرْبِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، كَأَنَّ اللهَ جَمَعَ لَهُ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ.

وَعَنْ أَحْمَدُ بنُ سَلَمَةَ: سَمِعْتُ ابْنَ رَاهْوَيْه يَقُوْلُ: كُنْتُ أُجَالِسُ أَحْمَدَ وَابْنَ مَعِيْنٍ، وَنَتَذَاكَرُ، فَأَقُوْلُ: مَا فِقْهُهُ؟ مَا تَفْسِيْرُهُ؟ فَيسكُتُوْنَ إِلاَّ أَحْمَدَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَفقَهَ وَلاَ أَوْرَعَ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

قُلْتُ: قَالَ هَذَا، وَقَدْ رَأَى مِثْلَ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ.

وَقَالَ حَفْصُ بنُ غِيَاثٍ: مَا قَدِمَ الكُوْفَةَ مِثْلُ أَحْمَدَ.

وَقَالَ أَبُو اليَمَانِ: كُنْت أُشَبِّه أَحْمَدَ بِأَرْطَاةَ بنِ المُنْذِرِ.

وَقَالَ الهَيْثَمُ بنُ جَمِيْلٍ الحَافِظُ: إِنْ عَاشَ أَحْمَدُ، سَيَكُوْنُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: خَيْرُ أَهْلِ زَمَانِنَا ابْنُ المُبَارَكِ، ثُمَّ هَذَا الشَّابُّ -يَعْنِي: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ- وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَلَوْ أَدْرَكَ عَصْرَ الثَّوْرِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ، لَكَانَ هُوَ المُقَدَّمَ عَلَيْهِم.

فَقِيْلَ لِقُتَيْبَةَ: يُضَمُّ أَحْمَدُ إِلَى التَّابِعِيْنَ؟

قَالَ: إِلَى كِبَارِ التَّابِعِيْنَ.

وَقَالَ قُتَيْبَةُ: لَوْلاَ الثَّوْرِيُّ، لَمَاتَ الوَرَعُ، وَلَوْلاَ أَحْمَدُ، لأَحْدَثُوا فِي الدِّيْنِ، أَحْمَدُ إِمَامُ الدُّنْيَا.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١/ ٧٣) قال إبراهيم بن شماس: "سمعت وكيع بن الجراح وحفص بن غياث يقولان ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى -يعنيان أحمد-"،

وقال القطان: "ما قدم علي مثل أحمد"، وقال فيه مرة: "حبر من أحبار هذه الأمة"، وقال أحمد بن سنان: "ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل"، وقال عبد الرزاق: "ما رأيت أفقه منه ولا أورع".

وقال أبو عاصم: "ما جاءنا من ثمة أحد غيره يحسن الفقه"، وقال يحيى بن آدم: "أحمد إمامنا"ز

وقال الشافعي: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل".

وقال عبد الله الخريبي: "كان أفضل زمانه".

وقال أبو الوليد: "ما بالمصرين أحب إلي من أحمد ولا أرفع قدرا في نفسي منه"

وقال العباس العنبري: "حجة"

وقال ابن المديني: "ليس في أصحابنا أحفظ منه".

وقال قتيبة: "أحمد إمام الدنيا".

✍وقال أبو عبيد: "لست أعلم في الإسلام مثله"ز

✍وقال يحيى بن معين: "لو جلسنا مجلسا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكمالها".

✍وقال العجلي: "ثقة ثبت في الحديث نزه النفس فقيه في الحديث متبع الآثار صاحب سنة وخير"ز

✍وقال أبو ثور: "أحمد شيخنا وإمامنا".وقال العباس بن الوليد بن مزيد: "قلت لأبي مسهر هل تعرف أحدا يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟! قال: لا إلا شاب في ناحية المشرق -يعني أحمد-"،

✍وقال بشر بن الحارث: "أدخل الكير فخرج ذهب أحمر".

✍وقال حجاج بن الشاعر: "ما رأت عيناي روحا في جسد أفضل من أحمد بن حنبل".

✍وقال أحمد الدورقي: "من سمعتموه يذكر أحمد بسوء فاتهموه على الإسلام".

✍وقال أبو زرعة الرازي: "كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له وما يدريك؟! قال: أخذت عليه الأبواب"، وقال نوح بن حبيب: "رأيت أحمد في مسجد الخيف مستندا إلى المنارة فجاءه أصحاب الحديث فجعل يعلمهم الفقه والحديث ويفتي الناس".

✍قَالَ المُزَنِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: رَأَيْتَ بِبَغْدَادَ شَابّاً، إِذَا قَالَ: حَدَّثَنَا، قَالَ النَّاسُ كُلُّهُم: صَدَقَ.

قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟قَالَ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ.

✍وَقَالَ حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: خَرَجتُ مِنْ بَغْدَادَ، فَمَا خَلَّفتُ بِهَا رَجُلاً أَفْضَلَ، وَلاَ أَعْلَمَ، وَلاَ أَفْقَهَ، وَلاَ أَتْقَى مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ الزَّعْفَرَانِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنْ أَحْمَدَ، وَسُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ الهَاشِمِيِّ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: تَعَالَ حَتَّى أُرِيَكَ مَنْ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، فَذَهَبَ بِي إِلَى الشَّافِعِيِّ.

قَالَ أَبِي: وَمَا رَأَى الشَّافِعِيُّ مِثْلَ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

وَلَوْلاَ أَحْمَدُ وَبَذْلُ نَفْسِهِ، لَذَهَبَ الإِسْلاَمُ - يُرِيْدُ المِحْنَةَ -.

وَرُوِيَ عَنْ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه، قَالَ: أَحْمَدُ حُجَّةٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدُوَيْه: سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ المَدِيْنِيِّ يَقُوْلُ: أَحْمَدُ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ فِي زَمَانِهِ؛ لأَنَّ سَعِيْداً كَانَ لَهُ نُظَرَاءُ.

وَعَنِ ابْنِ المَدِيْنِيِّ، قَالَ: أَعَزَّ اللهُ الدِّيْنَ بِالصِّدِّيْقِ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ يَوْمِ المِحْنَةِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: انْتَهَى العِلْمُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ - وَهُوَ أَفْقَهُهُم، وَذَكَرَ الحِكَايَةَ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنِّي لأَتَدَيَّنُ بِذِكْرِ أَحْمَدَ، مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنْهُ.

وَقَالَ الحَسَنُ بنُ الرَّبِيْعِ: مَا شَبَّهتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ إِلاَّ بِابْنِ المُبَارَكِ فِي سَمْتِه وَهَيئَتِه.

الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ الأَنْمَاطِيُّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فِيْهِ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ وَأَبُو خَيْثَمَةَ، فَجَعَلُوا يُثْنُوْنَ عَلَى أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: فَبَعْض هَذَا.

فَقَالَ يَحْيَى: وَكَثْرَةُ الثَّنَاءِ عَلَى أَحْمَدَ تُسْتَنكَرُ! لَوْ جَلَسْنَا مَجَالِسَنَا بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، مَا ذَكَرنَا فَضَائِلَه بِكَمَالِهَا.

وَرَوَى عَبَّاسٌ، عَنِ ابْنِ مَعِيْنٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ.

وَقَالَ النُّفَيْلِيُّ: كَانَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ مِنْ أَعْلاَمِ الدِّينِ.

وَقَالَ المَرُّوْذِيُّ: حَضرتُ أَبَا ثَوْرٍ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ شَيْخُنَا وَإِمَامُنَا فِيْهَا كَذَا كَذَا.

وَقَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: مَا رَأَيْتُ مَنْ يُحَدِّثُ للهِ إِلاَّ ثَلاَثَةً: يَعَلَى بنَ عُبَيْدٍ، وَالقَعْنَبِيَّ، وَأَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: أَرَادُوا أَنْ أَكُوْنَ مِثْلَ أَحْمَدَ، وَاللهِ لاَ أَكُوْنُ مِثْلَهُ أَبداً.

وَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ، وَلاَ أَشَدَّ مِنْهُ قَلْبـاً.

وَقَالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَمٍ: سَمِعْتُ بِشْرَ بنَ الحَارِثِ يَقُوْلُ:

أَنَا أُسأَلُ عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ؟! إِنَّ أَحْمَدَ أُدْخِلَ الكِيرَ، فَخَرَجَ ذَهَبـاً أَحْمَرَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَصْحَابُ بِشْرٍ الحَافِي لَهُ حِيْنَ ضُرِبَ أَبِي:

لَوْ أَنَّكَ خَرَجتَ فَقُلْتَ: إِنِّي عَلَى قَوْلِ أَحْمَدَ.

فَقَالَ: أَتُرِيدُوْنَ أَن أَقُومَ مَقَامَ الأَنْبِيَاءِ؟!

القَاسِمُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِغُ: سَمِعْتُ المَرُّوْذِيَّ يَقُوْلُ: دَخَلْتُ عَلَى ذِي النُّوْنِ السِّجنَ، وَنَحْنُ بِالعَسْكَرِ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ حَالُ سَيِّدِنَا؟ يَعْنِي: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا ثَوْرٍ الفَقِيْهَ يَقُوْلُ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ أَعْلَمُ - أَوْ أَفْقَهُ - مِنَ الثَّوْرِيِّ.

وَقَالَ نَصْرُ بنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ: أَحْمَدُ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ.

وقَالَ صَالِحُ بنُ عَلِيٍّ الحَلَبِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا هَمَّامٍ السَّكُوْنِيَّ يَقُوْلُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَلاَ رَأَى هُوَ مِثْلَهُ.

وَعَنْ حَجَّاجِ بنِ الشَّاعِرِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ أَحْمَدَ، وَمَا كُنْتُ أُحِبُّ أَن أُقتَلَ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَلَمْ أُصَلِّ عَلَى أَحْمَدَ، بلَغَ -وَاللهِ- فِي الإِمَامَةِ أَكْبَرَ مِنْ مَبْلَغِ سُفْيَانَ وَمَالِكٍ.

وَقَالَ عَمْرٌو النَّاقِدُ: إِذَا وَافَقَنِي أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَلَى حَدِيْثٍ، لاَ أُبَالِي مَنْ خَالَفَنِي.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ عَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ وَأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، أَيُّهُمَا أَحْفَظُ؟

فَقَالَ: كَانَا فِي الحِفْظِ مُتَقَارِبَيْنِ، وَكَانَ أَحْمَدُ أَفْقَهَ، إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّ أَحْمَدَ، فَاعْلَمْ أَنهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ وَأَفْقَهُ، مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكمَلَ مِنْ أَحْمَدَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ: جَعَلتُ أَحْمَدَ إِمَاماً فِيْمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ مِهْرَانَ الجَمَّالُ: مَا بَقِيَ غَيْرُ أَحْمَدَ.

قَالَ إِمَامُ الأَئِمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ سَحْتُوَيْه، سَمِعْتُ أَبَا عُمَيْرٍ بنَ النَّحَاسِ الرَّمْلِيَّ، وَذَكَرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: ﵀، عَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ! وَبِالمَاضِيْنَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ!، وَبَالصَّالِحِيْنَ مَا كَانَ أَلْحَقَه! عُرِضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالبِدَعُ فَنَفَاهَا.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ أَبُو عُمَيْرٍ مِنْ عُبَّادِ المُسْلِمِيْنَ.

قَالَ لِي: أَمِلَّ عَلَيَّ شَيْئاً عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَلاَّلُ: كَانَ أَحْمَدُ قَدْ كَتَبَ كُتُبَ الرَّأْيِ وَحَفِظَهَا، ثُمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

✍قَالَ العَبَّاسُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَلاَّلُ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ شَمَّاسٍ، سَمِعْتُ وَكِيْعاً وَحَفْصَ بنَ غِيَاثٍ يَقُوْلاَنِ: مَا قَدِمَ الكُوْفَةَ مِثْلُ ذَاكَ الفَتَى - يَعنِيَانِ: أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ -.

✍وَقِيْلَ: إِنَّ أَحْمَدَ أَتَى حُسَيْناً الجُعْفِيَّ بِكِتَابٍ كَبِيْرٍ يَشفَعُ فِي أَحْمَدَ، فَقَالَ حُسَيْنٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، لاَ تَجعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُنعِماً، فَلَيْسَ تَحَمَّلُ عَلَيَّ بِأَحَدٍ، إِلاَّ وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنْهُ.

✍قال الخَلاَّلُ: حَدَّثَنَا المَرُّوْذِيُّ، أَخْبَرَنَا خُضْرٌ المَرُّوْذِيُّ بِطَرَسُوْسَ، سَمِعْتُ ابْنَ رَاهْوَيْه، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ آدَمَ يَقُوْلُ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ إِمَامُنَا.

✍وقال الخَلاَّلُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا الأَثْرَمُ، حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ: أَنَّهُم كَانُوا يَجْتَمِعُوْنَ عِنْدَ يَحْيَى بنِ آدَمَ، فَيَتَشَاغَلُوْنَ عَنِ الحَدِيْثِ بِمُنَاظَرَةِ أَحْمَدَ يَحْيَى بنَ آدَمَ، وَيرتَفِعُ الصَّوتُ بَينَهُمَا، وَكَانَ يَحْيَى بنُ آدَمَ وَاحِدَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الفِقْهِ.

✍وَقَالَ القَوَارِيْرِيُّ: قَالَ يَحْيَى القَطَّانُ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا مِثْلُ هَذَيْنِ؛ أَحْمَدَ، وَيَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، وَمَا قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ بَغْدَادَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ.

✍وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: شَقَّ عَلَى يَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ يَوْمَ خَرَجتُ مِنَ البَصْرَةِ.

✍وَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ البُوْشَنْجِيِّ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَجْمَعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَلاَ أَعْقَلَ مِنْهُ.

✍وَقَالَ ابْنُ وَارَةَ: كَانَ أَحْمَدُ صَاحِبَ فِقْهٍ، صَاحِبَ حِفظٍ، صَاحِبَ مَعْرِفَةٍ.

✍وَقَالَ النَّسَائِيُّ: جَمَعَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ المَعْرِفَةَ بِالحَدِيْثِ وَالفِقْهِ وَالوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَالصَّبرِ.

وَعَنْ عَبْدِ الوَهَّابِ الوَرَّاقِ، قَالَ: لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (فَرُدُّوْهُ إِلَى عَالِمِهِ، رَدَدنَاهُ إِلَى أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَتْ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسَ الآخِرَةِ، لاَ يُذكَرُ فِيْهَا شَيْءٌ مِنْ أَمرِ الدُّنْيَا، مَا رَأَيْتُهُ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ.

قَالَ صَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ: أَفْقَهُ مَنْ أَدْرَكتُ فِي الحَدِيْثِ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ.

وعن إِسْحَاقُ المِنْجَنِيْقِيُّ: حَدَّثَنَا القَاسِمُ بنُ مُحَمَّدٍ المُؤَدِّبُ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بِشْرٍ، قَالَ: أَتَيتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ فِي مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: ائتِ أَبَا عُبَيْدٍ، فَإِنَّ لَهُ بَيَاناً لاَ تَسمَعُه مِنْ غَيْرِه. فَأَتَيْتُه، فشفَانِي جَوَابُه، فَأَخبَرتُه بِقَولِ أَحْمَدَ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ مِن عُمَّالِ اللهِ، نَشرَ اللهُ رِدَاءَ عَمَلِه، وَذَخَرَ لَهُ عِنْدَهُ الزُّلْفَى، أَمَا تَرَاهُ مُحبَّباً مَأْلُوْفاً، مَا رَأَتْ عَيْنِي بِالعِرَاقِ رَجُلاً اجْتَمَعتْ فِيْهِ خِصَالٌ هِيَ فِيْهِ، فَبَارَكَ اللهُ لَهُ فِيْمَا أَعطَاهُ مِنَ الحِلْمِ وَالعِلْمِ وَالفَهمِ، فَإِنَّهُ لَكَمَا قِيْلَ:

يَزِينُكَ إِمَّا غَابَ عَنْكَ، فَإِنْ دَنَا … رَأَيْتَ لَهُ وَجْهاً يَسُرُّكَ مُقْبِلا
يُعَلِّمُ هَذَا الخَلْقَ مَا شَذَّ عَنْهُمُ … مِنَ الأَدَبِ المَجْهُولِ كَهْفاً وَمَعْقِلا
وَيَحْسُنُ فِي ذَاتِ الإِلَهِ إِذَا رَأَى … مَضِيماً لأَهْلِ الحَقِّ لاَ يَسْأَمُ البَلاَ
وَإِخْوَانُهُ الأَدْنَوْنَ كُلُّ مُوَفَّقٍ بَصِيرٍ … بِأَمْرِ اللهِ يَسْمُو عَلَى العُلاَ

قال الذهبي: قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّهَاوَنْدِيُّ: سَمِعْتُ يَعْقُوْبَ الفَسَوِيَّ يَقُوْلُ: كَتَبْتُ عَنْ أَلفِ شَيْخٍ، حُجَّتِي فِيْمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ رَجُلاَنِ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَأَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ.

قال الذهبي: وَبالإِسْنَادِ إِلَى الأَنْصَارِيِّ شَيْخِ الإِسْلاَمِ: أَخبَرَنَا أَبُو يَعْقُوْبَ، أَخْبَرَنَا مَنْصُوْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ الذُّهْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ البُخَارِيُّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِبْرَاهِيْمَ البُوْشَنْجِيَّ - وَذكرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ - فَقَالَ:

هُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ وَأَفْقَهُ مِنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ سُفْيَانَ لَمْ يُمْتَحَنْ بِمِثلِ مَا امتُحِنَ بِهِ أَحْمَدُ، وَلاَ عِلْمُ سُفْيَانَ وَمَنْ يُقدَّمُ مِنْ فُقَهَاءِ الأَمصَارِ كَعِلمِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ؛ لأَنَّه كَانَ أَجْمَعَ لَهَا، وَأَبصَرَ بِأَغَاليطِهم وَصَدُوقِهم وَكَذُوْبِهم.

قَالَ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ بِشْرِ بنِ الحَارِثِ أَنَّهُ قَالَ: قَامَ أَحْمَدُ مَقَامَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَحْمَدُ عِنْدَنَا امْتُحِنَ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَكَانَ فِيهِمَا مُعْتَصِماً بِاللهِ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ القَاسِمِ المُقْرِئُ: سَمِعْتُ الحُسَيْنَ الكَرَابِيْسِيَّ يَقُوْلُ: مَثَلُ الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، مَثَلُ قَوْمٍ يَجِيْئُونَ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَهْدِمُوهُ بِنِعَالِهِم.

روى الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا إِدْرِيْسُ بنُ عَبْدِ الكَرِيْمِ المُقْرِئُ، قَالَ: رَأَيْتُ عُلَمَاءَنَا مِثْلَ الهَيْثَمِ بنِ خَارِجَةَ، وَمُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيِّ، وَيَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، وَأَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَخِيْهِ، وَعَبْدِ الأَعْلَى بنِ حَمَّادٍ، وَابْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَعَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ، وَالقَوَارِيْرِيِّ، وَأَبِي خَيْثَمَةَ، وَأَبِي مَعْمَرٍ، وَالوَرْكَانِيِّ، وَأَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَيُّوْبَ، وَمُحَمَّدِ بنِ بَكَّارٍ، وَعَمْرٍو النَّاقِدِ، وَيَحْيَى بنِ أَيُّوْبَ المَقَابِرِيِّ، وَسُرَيْجِ بنِ يُوْنُسَ، وَخَلَفِ بنِ هِشَامٍ، وَأَبِي الرَّبِيْعِ الزَّهْرَانِيِّ - فِيْمَنْ لاَ أُحصِيهِم - يُعَظِّمُوْنَ أَحْمَدَ وَيُجِلُّونَه وَيُوَقِّرُونَه وَيُبَجِّلُونَه وَيَقْصِدُوْنَهُ لِلسَّلاَمِ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ بنُ شَاذَانَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا مَاتَ سَعِيْدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، جَاءَ إِبْرَاهِيْمُ الحَرْبِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: تَقُوْمُ إِلَيَّ؟

قَالَ: وَاللهِ لَوْ رَآكَ أَبِي، لَقَامَ إِلَيْكَ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ: وَاللهِ لَوْ رَأَى ابْنُ عُيَيْنَةَ أَبَاكَ، لَقَامَ إِلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: حُزِرَتْ كُتُبُ أَحْمَدَ يَوْمَ مَاتَ، فَبَلَغَتْ اثْنَي عَشَرَ حِملاً وَعِدلاً، مَا كَانَ عَلَى ظَهرِ كِتَابٍ مِنْهَا: حَدِيْثُ فُلاَنٍ، وَلاَ فِي بَطنِهِ: حَدَّثَنَا فُلاَنٌ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَحْفَظُهُ

صفة الإمام أحمد:

قَالَ ابْنُ ذَرِيْحٍ العُكْبَرِيُّ: طَلَبْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَسَلَّمتُ عَلَيْهِ، وَكَانَ شَيْخاً مَخضُوباً، طُوَالاً، أَسْمَرَ، شَدِيدَ السُّمرَةِ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبَّاسٍ النَّحْوِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ حَسَنَ الوَجْهِ، رَبْعَةً، يَخْضِبُ بِالحِنَّاءِ خِضَاباً لَيْسَ بِالقَانِي، فِي لِحْيَتِه شَعَرَاتٌ سُودٌ، وَرَأَيْتُ ثِيَابَهُ غِلاَظاً بِيضاً، وَرَأَيْتُهُ مُعْتَمّاً، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ.

وَقَالَ المَرُّوْذِيُّ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ إِذَا كَانَ فِي البَيْتِ عَامَّةُ جُلُوسِه مُتَرَبِّعاً خَاشِعاً.

فَإِذَا كَانَ بَرّاً، لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ شِدَّةُ خُشُوعٍ، وَكُنْتُ أَدْخُلُ وَالجُزْءُ فِي يَدِهِ يَقْرَأُ.

ذريته وأهله:

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: تَزَوَّجتُ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، فَرَزَقَ اللهُ خَيْراً كَثِيْراً.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَلاَّلُ فِي كِتَابِ (أَخْلاَقِ أَحْمَدَ): أَمْلَى عَلَيَّ زُهَيْرُ بنُ صَالِحِ بنِ أَحْمَدَ، قَالَ: تَزَوَّجَ جَدِّي عَبَّاسَةَ بِنْتَ الفَضْلِ؛ مِنَ العَرَبِ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ أَبِي، وَتُوُفِّيَتْ، فَتَزَوَّجَ بَعْدهَا رَيْحَانَةَ، فَوَلَدَتْ عَبْدَ اللهِ؛ عَمِّي، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ، فَاشْتَرَى حُسْنَ، فَوَلَدَتْ أُمَّ عَلِيٍّ زَيْنَبَ، وَوَلَدَتْ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ تَوْأَماً، وَمَاتَا بِقُرْبِ وِلاَدَتِهِمَا، ثُمَّ وَلَدَتِ الحَسَنَ وَمُحَمَّداً، فَعَاشَا حَتَّى صَارَا مِنَ السِّنِّ إِلَى نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ وَلَدَتْ سَعِيْداً.

قِيْلَ: كَانَتْ وَالِدَةُ عَبْدِ اللهِ عَورَاءَ، وَأَقَامَتْ مَعَهُ سِنِيْنَ.

رفض الرضوخ لأوامر المأمون والإقرار بهذه البدعة، فسجن وعذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم بعد وفاة المأمون وبقي في السجن لمدة عامين ونصف ثم أعيد إلى منزله وبقي فيه طيلة خلافة المعتصم ثم ابنه الواثق.

٢/أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي:

بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة، هذه النسبة إلى بويط، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر.

كان صاحب الشافعي وواسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابةً، اختص به في حياته، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي - - ومن الإمام الشافعي، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم.، امتحن مع من امتحن في فتنة خلق القرآن الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك، فحبس ببغداد، ولم يزل في السجن والقيد حتى مات، وكان صالحـًا متنسكـًا عابداً زاهداً.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل، في عنقه غل وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق الله سبحانه الخلق بِكُنْ، فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقـًا خلق مخلوقـًا، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت عليه لأصدقنه يعني الواثق.

وقال أبو عمر ابن عبد البر الحافظ في كتاب " الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء ": إن ابن أبي الليث الحنيفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد، ولم يُخرج من أصحاب الشافعي غيره، وحمل إلى بغداد وحبس، فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن، وقال: هو كلام الله غير مخلوق، وحبس ومات في السجن.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب " طبقات الفقهاء ": كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي

الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني.

✍وقال أبو الوليد ابن أبي الجارود: كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي.

✍وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي.

✍وقال الربيع أيضـاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضـاً: ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

✍وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال ابن عبد الحكم: أنا أحق بمجلسه منك، فجاء أبو بكر الحميدي، وكان في تلك الأيام بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه، فقال له ابن عبد الحكم: كذبت، فقال الحميدي: كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك، وغضب ابن عبد الحكم، فترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق، وترك طاقـاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه.

✍وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: رأيت أبي في المنام فقال لي: يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه.

✍وقال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي، فنظر إلينا فقال لي: أنت تموت في الحديث، وقال للمزني: هذا لو ناظره

الشيطان قطعه أو جدّله، وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد، قال الربيع: فدخلت على البويطي أيم المحنة فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقيه مغلولة يداه إلى عنقه.

✍وقال الربيع أيضـاً: كتب إليّ أبو يعقوب من السجن: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي، فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهمولن تكرم النفس التي لا تهينها وأخباره كثيرة؛ وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين، في القيد والسجن ببغداد، وقيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين، والأول أصح، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى؛ وقال ابن القرّاب في تاريخه: توفي يوم الثلاثاء في رجب، والله أعلم.

✍وتوفي سنة (٢٣١هـ) في القيد. تاريخ بغداد (١٤/ ٢٩٩)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٧)

٣/ نُعَيْم بن حَمَّاد بن معاوية:

"ابْنِ الحَارِثِ بنِ هَمَّام بنِ سَلَمَةَ بنِ مَالِكٍ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الخُزَاعِيُّ، المَرْوَزِيُّ، الفَرَضِيُّ، الأَعوَرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.

✍رَأَى الحُسَيْنَ بنَ وَاقِدٍ المَرْوَزِيَّ.

✍وَحَدَّث عَنْ: أَبِي حَمْزَةَ السُّكَّرِيِّ -وَهُوَ أكبر شيخ له- وَهُشَيْمٍ، وَأَبِي بَكْرِ بنِ عَيَّاشٍ، وَإِبْرَاهِيْمَ بنِ طَهْمَانَ -لَهُ عَنْهُ حَدِيْثٌ وَاحِدٌ- وَخَارِجَةَ بنِ مصعب، وعبد الله بن المبارك، وعيسى بنِ عُبَيْدٍ الكِنْدِيِّ -وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مَشْيَخَتِهِ- وَعَبْدِ المُؤْمِنِ بنِ خَالِدٍ الحَنَفِيِّ، وَنُوْحِ بنِ أَبِي مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بن حَمْزَةَ القَاضِي، وَعَبْدِ السَّلاَمِ بنِ حَرْبٍ وَعَبْدِ العَزِيْزِ الدَّرَاوَرْدِيِّ، وَفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ، وَسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ،

وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ سَعْدٍ، وَجَرِيْرُ بنُ عَبْدِ الحَمِيْدِ، وَبَقِيَّةَ بنِ الوَلِيْدِ، وَمُعْتَمِرِ بنِ سُلَيْمَانَ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَرِشْدِيْنَ بنِ سَعْدٍ، وَحَفْصِ بنِ غِيَاثٍ، وَابْنِ وَهْبٍ، وَيَحْيَى القَطَّانُ، وَالوَلِيْدُ بنُ مُسْلِمٍ، وَوَكِيْعٌ، وَابْنُ إِدْرِيْسَ، وَنُوْحِ بنِ قَيْسٍ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَأَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ بِخُرَاسَانَ وَالحَرَمَيْنِ وَالعِرَاقِ وَالشَّامِ وَاليَمَنِ وَمِصْرَ. وَفِي قُوَّةِ رِوَايَتِهِ نِزَاعٌ.

رَوَى عَنْهُ: البُخَارِيُّ -مَقْرُوْنًا بِآخَرَ- وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ بِوَاسِطَةٍ، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَالحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الحُلْوَانِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ يُوْسُفَ السُّلَمِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَوْفٍ، وَالرَّمَادِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ، وَسَمُّوْيَه، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ مُنِيْبٍ، وَعُبَيْدُ بنُ شَرِيْكٍ البَزَّارُ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيُّ، وَيَعْقُوْبُ الفَسَوِيُّ، وَأَبُو الأَحْوَصِ العُكْبَرِيُّ، وَبَكْرُ بنُ سَهْلٍ الدِّمْيَاطِيُّ، وَخَلْقٌ آخِرُهُم مَوْتًا: شَابٌّ كَاتِبٌ كَانَ مَعَهُ فِي السِّجنِ اتِّفَاقًا، وَهُوَ حَمْزَةُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عِيْسَى البَغْدَادِيُّ.

قَالَ المَرُّوْذِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: جَاءنَا نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ وَنَحْنُ عَلَى بَابِ هُشَيْمٍ نَتَذَاكَرُ المُقَطَّعَاتِ قَالَ: جَمَعتُم حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللهِ - ﷺ ؟ قَالَ: فَعُنِينَا بِهَا من يومئذ.

وَرَوَى: المَيْمُوْنِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ عَرَفْنَاهُ يَكْتُبُ المُسْنَدَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: يُقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ المُسْنَدَ وَصَنَّفَهُ: نُعَيْمٌ.

وَقَالَ أَحْمَدُ: كَانَ نُعَيْمٌ كَاتِبًا لأَبِي عِصْمَةَ -يَعْنِي: نُوْحًا- وَكَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَمِنْهُ تَعَلَّمَ نُعَيْمٌ.

قَالَ صَالِحُ بنُ مِسْمَارٍ: سَمِعْتُ نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ يَقُوْلُ: أَنَا كُنْتُ جَهْمِيًّا، فَلِذَلِكَ عَرَفْتُ كَلامَهُم، فَلَمَّا طَلَبْتُ الحَدِيْثَ، عَرَفتُ أَنَّ أَمرَهُم يَرْجِعُ إِلَى التَّعطِيلِ.

قال يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخُوَارِزْمِيُّ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ عَنْ نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مِنَ الثِّقَاتِ.

وقال ابْنُ عَدِيٍّ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ سَلاَمٍ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ ثَابِتٍ أَبُو يَحْيَى، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلاَنِ: نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ مَعْرُوْفٌ بِالطَّلَبِ. ثُمَّ ذَمَّهُ يَحْيَى، وَقَالَ: يَرْوِي عَنْ غَيْرِ الثِّقَاتِ.

قال إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنُ الجُنَيْدِ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ -وَسُئِلَ عَنْ نُعَيْمٍ- فَقَالَ: ثِقَةٌ. فَقُلْتُ: إِنَّ قَوْماً يَزْعُمُوْنَ أنه صحح كتبه من علي الخُرَاسَانِيِّ العَسْقَلاَنِيِّ. فَقَالَ يَحْيَى: أَنَا سَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ: أَخَذْتَ كُتُبَ عَلِيٍّ الصَّيْدَلاَنِيِّ، فَصَحَّحْتَ مِنْهَا؟ فَأَنْكَرَ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ قَدْ رَثَّ. فَنَظَرْتُ، فَمَا عَرَفْتُ وَوَافَقَ كُتُبِي، غَيَّرْتُ.

وقال عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بن حبان: وجدت في كتاب أبي بخط يَدِهِ، قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا: نُعَيْمٌ: ثِقَةٌ، صَدُوْقٌ، رَجُلُ صِدقٍ، أَنَا أَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ، كَانَ رَفِيْقِي بِالبَصْرَةِ، كَتَبَ عَنْ رَوْحٍ خَمْسِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، فَقُلْتُ لَهُ قَبْلَ خُرُوْجِي مِنْ مِصْرَ: هَذِهِ الأَحَادِيْثُ الَّتِي أَخَذْتَهَا مِنَ العَسْقَلاَنِيِّ أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، مِثْلُكَ يَسْتَقبِلُنِي بِهَذَا؟! فَقُلْتُ: إِنَّمَا قُلْتُ شَفَقَةً عَلَيْكَ. قَالَ: إِنَّمَا كَانَتْ مَعِي نُسَخٌ أَصَابَهَا المَاءُ، فَدَرَسَ بَعْضُ الكِتَابِ، فَكُنْتُ أَنْظُرُ فِي كِتَابِ هَذَا فِي الكَلِمَةِ الَّتِي تُشْكِلُ عَلَيَّ، فَإِذَا كَانَ مِثْلَ كِتَابِي عَرَفْتُهُ، فَأَمَّا أَنْ أَكُوْنَ كَتَبْتُ مِنْهُ شَيْئاً قَطُّ فَلاَ وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ. قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا: ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ أَخِيْهِ، وَجَاءهُ بِأُصُولِ كُتُبِهِ مِنْ خُرَاسَانَ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَهَّمُ الشَّيْءَ كَذَا يُخْطِئُ فِيْهِ، فَأَمَّا هُوَ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ.

وَعَنْ عَبَّاسِ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَعِيْنٍ، قَالَ: حَضَرْنَا نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ بِمِصْرَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ كِتَاباً مِنْ تَصْنِيْفِهِ، فَقَرَأَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ بِأَحَادِيْثَ. فَقُلْتُ: لَيْسَ ذَا عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ. فَغَضِبَ وَقَالَ تَرُدُّ عليَّ؟! قُلْتُ: إِيْ وَاللهِ، أَرُدُّ عَلَيْكَ، أُرِيْدُ زَيْنَكَ. فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ فَقُلْتُ: لاَ وَاللهِ مَا سَمِعْتَ أَنْتَ هَذَا مِنَ

ابْنِ المُبَارَكِ قَطُّ، وَلاَ هُوَ مِنِ ابْنِ عَوْنٍ فَغَضِبَ وَغَضِبَ من كان عنده من أصحاب الحَدِيْثِ، وَقَامَ، فَأَخْرَجَ صَحَائِفَ، فَجعَلَ يَقُوْلُ: أَيْنَ الَّذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ لَيْسَ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فِي الحَدِيْثِ؟ نَعَمْ يَا أَبَا زَكَرِيَّا غَلِطْتُ، وَكَانَتْ صَحَائِفَ، فَغَلِطْتُ، فَجَعَلْتُ أَكْتُبُ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ المُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، وَإِنَّمَا رَوَاهَا عَنِ ابْنِ عَوْنٍ غَيْرُ ابْنِ المُبَارَكِ.

✍قال الذهبي في السير٩/ ١٩ ط دار الحديث: هَذِهِ الحِكَايَةُ أَوْرَدَهَا شَيْخُنَا أَبُو الحَجَّاجِ مُنْقَطِعَةً، فَقَالَ: رَوَى الحَافِظُ أَبُو نَصْرٍ اليُوْنَارْتِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبَّاسٍ.

✍وقَالَ أَحْمَدُ العِجْلِيُّ: نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ: ثِقَةٌ، مَرْوَزِيٌّ.

✍وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: يَصِلُ أَحَادِيْثَ يُوْقِفُهَا النَّاسُ.

✍وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مَحَلُّهُ الصِّدْقُ.

✍وقَالَ العَبَّاسُ بنُ مُصْعَبٍ،: وَضَعَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ الفَارِضِيُّ كُتُبًا فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيْفَةَ وَنَاقَضَ مُحَمَّدَ بنَ الحَسَنِ وَوَضَعَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ كِتَاباً فِي الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالفَرَائِضِ.

فَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: نُعَيْمٌ هَذَا قَدْ جَاءَ بِأَمرٍ كَبِيْرٍ، يُرِيْدُ أَنْ يُبطِلَ نِكَاحاً قَدْ عُقِدَ، وَيُبطِلَ بُيُوْعاً قَدْ تَقَدَّمَتْ، وَقَوْمٌ تَوَالَدُوا عَلَى هَذَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَكَتَبُوا عَنْهُ بِهَا، وَحُمِلَ إِلَى العِرَاقِ فِي امْتِحَانِ: "القُرْآنِ مَخْلُوْقٍ" مَعَ البُوَيْطِيِّ مُقَيَّدَيْنِ، فمات نعيم بالعسكر، سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ.

✍قال الذهبي: نُعَيْمٌ مِنْ كِبَارِ أَوْعِيَةِ العِلْمِ، لَكِنَّهُ لاَ تَرْكَنُ النَّفسُ إِلَى رِوَايَاتِهِ.

✍وقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: قُلْتُ لِدُحَيْمٍ: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ، عَنْ عِيْسَى بنِ يُوْنُسَ، عَنْ حَرِيزُ بنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيْهِ عَنْ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ: عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ قَالَ: (**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِيْنَ فِرْقَةً أَعْظَمُهَا فِتْنَةً عَلَى أُمَّتِي قَوْمٌ يَقِيْسُوْنَ الأُمُوْرَ بِرَأْيِهِم فَيُحِلُّوْنَ الحَرَامَ وَيُحَرِّمُوْنَ الحَلاَلَ**) موضوع:

أخرجه الخطيب في "تاريخه" "١٣/ ٣٠٧ -٣٠٨"، وابن عدي في "الكامل" "٧/ ١٧". وقال ابن عدي في إثره: هذا وضعه نعيم بن حماد.).

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: وَقُلْتُ لابْنِ مَعِيْنٍ فِي حَدِيْثِ نُعَيْمٍ هَذَا، فَأَنْكَرَهُ، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ يُؤْتى، قَالَ: شُبِّهَ لَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ حَمْزَةَ: سَأَلْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، وَنُعَيْمٌ ثِقَةٌ، قُلْتُ: كَيْفَ يُحَدِّثُ ثِقَةٌ بِبَاطِلٍ؟ قَالَ: شُبِّهَ لَهُ.

قَالَ الخَطِيْبُ: وَافَقَ نُعَيْماً عَلَيْهِ: عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ، وَسُوَيْدُ بنُ سَعِيْدٍ، وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بنِ عِيْسَى بنِ يونس، كلهم عن عيسى.

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ فِي حَدِيْثِ سُوَيْدٍ: إِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا بِنُعَيْمٍ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِيْهِ مِنْ أجله، ثم رَوَاهُ رَجُلٌ خُرَاسَانِيٌّ، يُقَالُ لَهُ: الحَكَمُ بنُ المُبَارَكِ أَبُو صَالِحٍ الخُوَاسْتِيُّ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ، ثُمَّ سَرَقَهُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ يُعرَفُوْنَ بِسَرِقَةِ الحَدِيْثِ، مِنْهُم عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ الضَّحَّاكِ، وَالنَّضْرُ بنُ طَاهِرٍ، وَثَالِثُهُم: سُوَيْدٌ.

قَالَ الخَطِيْبُ: وَرُوِيَ عَنِ: ابنِ وَهْبٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ سَلاَّمٍ المَنْبِجِيِّ، جَمِيْعاً عَنِ ابْنِ يُوْنُسَ، ثُمَّ سَاقَهُ مِنْ طَرِيْقِ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمِّهِ، وَمِنْ حَدِيْثِ المَنْبِجِيِّ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: حَدَّثَنِي الصُّوْرِيُّ، قَالَ: قال لي عبد الغني الحافظ: كان مَنْ حَدَّثَ بِهِ عَنْ عِيْسَى -غَيْرَ نُعَيْمٍ- فَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ نُعَيْمٍ، وَبِهَذَا الحَدِيْثِ سَقَطَ نُعَيْمٌ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ الحُفَّاظِ، إِلاَّ أَنَّ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ لَمْ يَكُنْ يَنْسُبُهُ إِلَى الكَذِبِ، فَأَمَّا حَدِيْثُ ابْنِ وَهْبٍ، فَبَلِيَّتُهُ مِنِ ابْنِ أَخِيْهِ؛ لأَنَّ اللهَ رَفَعَهُ عَنْ ادِّعَاءِ مِثْلِ هَذَا؛ وَلأَنَّ حَمْزَةَ بنَ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ عَلِيَّكَ الرَّازِيِّ: أَنَّهُ رَأَى هَذَا الحَدِيْثَ مُلْحَقاً بِخَطٍّ طَرِيٍّ فِي قُنْداق ابْنِ وَهْبٍ لَمَّا أَخْرَجَهُ إِلَيْهِ بَحْشَلُ ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، وَأَمَّا المَنْبِجِيُّ، فَلَيْسَ بِحُجَّةٍ.

قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: قَالَ لَنَا جَعْفَرٌ الفِرْيَابِيُّ: لَمَّا أَرَدْتُ الخُرُوجَ إِلَى سُوَيْدِ بنِ سَعِيْدٍ، قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ الأَعْيَنُ: سَلْ سُوَيْداً عَنْ هَذَا الحديث قال: فأملاه عَلَيَّ عَنْ عِيْسَى بنِ عِيْسَى، وَوَقَّفْتُهُ، فَأَبَى. قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: وَرَوَاهُ ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ عِيْسَى، لَكِنْ قَالَ: عَنْ صَفْوَانَ بنِ عَمْرٍو، بَدَلَ حَرِيْزِ بنِ عُثْمَانَ. وَرَوَاهُ: هِلاَلُ بنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عِيْسَى، حَدَّثَنا حَرِيْزٌ. وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ غَرِيْبٍ عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيْهِ؛ عِيْسَى بنِ يُوْنُسَ، وَزَعَمَ ابْنُ عَدِيٍّ، وَغَيْرُهُ: أَنَّ هَؤُلاَءِ سَرَقُوهُ مِنْ نُعَيْمٍ.

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بنُ مَنْصُوْرٍ: رَأَيْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ كَأَنَّهُ يُهَجِّنُ نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ فِي خَبَرِ أُمِّ الطُّفَيْلِ فِي الرُّؤْيَةِ، وَيَقُوْلُ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِمِثْلِ هَذَا.

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ النَّصْرِيُّ: عَرَضْتُ عَلَى دُحَيْمٍ مَا حَدَّثَنَاهُ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ، عَنِ الوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ، عَنِ ابْنِ جَابِرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ رَجَاءَ بنِ حَيْوَةَ، عَنِ النَّوَّاسِ: "إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ... "، الحَدِيْثَ، فَقَالَ: لاَ أَصْلَ لَهُ.

فَأَمَّا خَبَرُ أُمِّ الطُّفَيْلِ، فَرَوَاهُ: مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، حَدَّثَنَا نُعَيْمٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بنُ الحَارِثِ، عَنْ سَعِيْدِ بنِ أَبِي هِلاَلٍ: أَنَّ مَرْوَانَ بنَ عُثْمَانَ حَدَّثَهُ، عَنْ عُمَارَةَ بنِ عَامِرٍ، عَنْ أُمِّ الطُّفَيْلِ؛ امْرَأَةِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ فِي صُوْرَةِ كَذَا. فَهَذَا خَبَرٌ مُنْكَرٌ جِدّاً، أَحْسَنَ النَّسَائِيُّ حَيْثُ يَقُوْلُ: وَمَنْ مَرْوَانُ بنُ عُثْمَانَ حَتَّى يُصَدَّقَ عَلَى اللهِ؟!

وَهَذَا لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ نُعَيْمٌ، فَقَدْ رَوَاهُ: أحمد بن صالح المصري الحافظ، وَأَحْمَدُ بنُ عِيْسَى التُّسْتَرِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ وَهْبٍ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ. قَالَ أَبُو زُرْعَةَ النَّصْرِيُّ: رِجَالُهُ مَعْرُوْفُوْنَ.

قُلْتُ: بِلاَ رَيْبٍ قَدْ حَدَّثَ بِهِ: ابْنُ وَهْبٍ، وَشَيْخُهُ، وَابْنُ أَبِي هِلاَلٍ، وَهُمْ مَعْرُوْفُوْنَ عُدُوْلٌ، فَأَمَّا مَرْوَانُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا مَرْوَانُ؟ فَهُوَ حَفِيْدُ أَبِي سَعِيْدٍ بنِ المُعَلَّى الأَنْصَارِيِّ، وَشَيْخُهُ هُوَ عُمَارَةُ بنُ عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ.

وَلَئِنْ جوَّزْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ، فَهُوَ أَدْرَى بِمَا قَالَ، وَلِرُؤْيَاهُ فِي المَنَامِ تَعْبِيرٌ لَمْ يَذْكُرْهُ -عَلَيْهِ الصلاة السلام- وَلاَ نَحْنُ نُحْسِنُ أَنْ نَعْبُرَهُ، فَأَمَّا أَنْ نَحْمِلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ الحِسِّيِّ فَمَعَاذَ اللهِ أَنْ نَعْتَقِدَ الخَوْضَ فِي ذَلِكَ بِحَيْثُ إِنَّ بَعْضَ الفُضَلاَءِ قَالَ: تَصَحَّفَ الحَدِيْثُ. وَإِنَّمَا هُوَ رَأَى رئيَّه بِيَاءٍ مُشَدَّدَةٍ. وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُوْنَ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُوْنَ. وَفِي صحيح البخاري "١٢٠".: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَتَمَ حَدِيْثاً كَثِيْراً مِمَّا لاَ يَحْتَاجُهُ المُسْلِمُ فِي دِيْنِهِ وَكَانَ يَقُوْلُ: لَوْ بَثَثْتُهُ فِيكُم لَقُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ). وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ كتمان العلم فِي شَيْءٍ، فَإِنَّ العِلْمَ الوَاجِبَ يَجِبُ بَثُّهُ، وَنَشْرُهُ، وَيَجِبُ عَلَى الأُمَّةِ حِفْظُهُ، وَالعِلْمُ الَّذِي فِي فَضَائِلِ الأَعْمَالِ مِمَّا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ يَتَعَيَّنُ نَقْلُهُ، وَيتَأَكَّدُ نَشْرُهُ، وَيَنْبَغِي لِلأُمَّةِ نَقْلُهُ، وَالعِلْمُ المُبَاحُ لاَ يَجِبُ بَثُّهُ، وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ فِيْهِ إِلاَّ خَوَاصُّ العُلَمَاءِ.

✍وَالعِلْمُ الَّذِي يَحْرُمُ تَعَلُّمُهُ وَنَشْرُهُ: عِلْمُ الأَوَائِلِ، وَإِلَهِيَّاتُ الفَلاَسِفَةِ، وَبَعْضُ رِيَاضَتِهِم بَلْ أَكْثَرُهُ وَعِلْمُ السِّحْرِ، وَالسِّيْمِيَاءُ، وَالكِيْمِيَاءُ، وَالشَّعْبَذَةُ، وَالحِيَلُ، وَنَشْرُ الأَحَادِيْثِ المَوْضُوْعَةِ، وَكَثِيْرٌ مِنَ القَصَصِ البَاطِلَةِ أَوِ المُنْكَرَةِ، وَسِيْرَةُ البَطَّالِ المُخْتَلَقَةُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَرَسَائِلُ إِخْوَانِ الصَّفَا، وَشِعْرٌ يُعَرَّضُ فِيْهِ إِلَى الجَنَابِ النَّبَوِيِّ، فَالعُلُوْمُ البَاطِلَةُ كَثِيْرَةٌ جِدّاً، فَلْتُحْذَرْ وَمَنِ ابْتُلِيَ بِالنَّظَرِ فِيْهَا للفرحة وَالمَعْرِفَةِ مِنَ الأَذْكِيَاءِ، فَلْيُقَلِّلْ مِنْ ذَلِكَ وَلْيُطَالِعْهُ وَحْدَهُ وَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ تَعَالَى وَلْيَلْتَجِئْ إِلَى التَّوْحِيْدِ وَالدُّعَاءِ بِالعَافِيَةِ فِي الدِّيْنِ، وَكَذَلِكَ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ مَكْذُوْبَةٌ وَرَدَتْ فِي الصِّفَاتِ لاَ يَحِلُّ بَثُّهَا إِلاَّ التَحْذِيْرُ مِنِ اعْتِقَادِهَا، وَإِنْ أَمْكَنَ إِعْدَامُهَا، فَحَسَنٌ اللَّهُمَّ، فَاحْفَظْ عَلَيْنَا إِيْمَانَنَا، وَلاَ قُوَّةَ إلا بالله.

✍حَدِيْثٌ آخَرُ أُنْكِرَ عَلَى نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرٍ، سَمِعَ عَمْرَو بنَ العَاصِ يَقُوْلُ: "لاَ تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَهَا رَجُلٌ مِن قَحْطَانَ"والحديث أخرجه البخاريفي صحيحه"٧١١٧".

. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا هَذَا؟ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: **"لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لاَ يُنَاوِئُهُم فِيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ"** والحديث أخرجه البخاري "٧١٣٩".

وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، فقال: كان محمد بن جُبَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاوِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأُمَرَاءِ، فَقَالَ صَالِحُ جَزَرَةُ، وَالزُّهْرِيُّ: إِذَا قَالَ: كَانَ فُلاَنٌ يُحَدِّثُ، فَلَيْسَ هُوَ بِسَمَاعٍ. ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ رَوَاهُ نُعَيْمٌ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: وَلَيْسَ لِهَذَا الحَدِيْثِ أَصْلٌ، وَلاَ يُعْرَفُ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ المُبَارَكِ. قَالَ: وَلاَ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهِ نُعَيْمٌ؟ وَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْ حِفْظِهِ، وَعِنْدَهُ مَنَاكِيْرُ كَثِيْرَةٌ لاَ يُتَابَعُ عَلَيْهَا، سَمِعْتُ ابْنَ مَعِيْنٍ سُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: لَيْسَ فِي الحَدِيْثِ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

قُلْتُ: خَبَرُ الأُمَرَاءِ غَرِيْبٌ، مُنْكَرٌ، وَالأَمْرُ اليَوْمَ لَيْسَ فِي قُرَيْشٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لاَ يَقُوْلُ إِلاَّ حَقّاً، فَإِنْ كَانَ المرَادُ بِالحَدِيْثِ الأَمْرُ لاَ الخَبَرُ، فَلَعَلَّ، وَالحَدِيْثُ فَلَهُ أَصْلٌ مِنْ حَدِيْثِ الزُّهْرِيِّ، وَلَعَلَّ نُعَيماً حَفِظَهُ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ.

✍وَحَدَّثَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ، عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ أَيْضاً، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: **"قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرٌ مُطَهِّرٌ"** و، الحَدِيْثَ. قَالَ الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ نُعَيْمٍ -وَجَوَّدَهَا كَعَادَتِهِ- هَذَا رَوَاهُ أَصْحَابُ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي أَنَسٍ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

✍قال الذهبي: فَهَذَا غَلِطَ نُعَيْمٌ فِي إِسْنَادِهِ.

✍وَتَفَرَّدَ نُعَيْمٌ بِذَاكَ الخَبَرِ المُنْكَرِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَرْفُوْعاً: "إِنَّكُم فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ فِيْهِ عُشْرُ مَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ هَلَكَ وَسَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ نَجَا"والحديث

ضعيف: أخرجه الترمذي "٢٢٦٧"، وابن عدي في "الكامل" "٧/ ١٨"، ومن طريق نعيم بن حماد، حدثنا سفيان بن عيينة، به.

قَالَ الحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُوْرِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ النَّسَائِيَّ يَذْكُرُ فَضْلَ نُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ وَتَقَدُّمَهُ فِي العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَالسُّنَنِ، ثُمَّ قِيْلَ لَهُ: فِي قَبُولِ حَدِيْثِهِ، فَقَالَ: قَدْ كَثُرَ تَفَرُّدُهُ عَنِ الأَئِمَّةِ المَعْرُوْفِيْنَ بِأَحَادِيْثَ كَثِيْرَةٍ فَصَارَ فِي حَدِّ مَنْ لاَ يُحْتَجُّ بِهِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي "الثِّقَاتِ" وَقَالَ: رُبَّمَا أَخْطَأَ، وَوَهِمَ.

قال الذهبي في السير٩/ ٢٧ ط الحديث: لاَ يَجُوْزُ لأَحَدٍ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابَ الفِتَنِ فَأَتَى فِيْهِ بِعَجَائِبَ وَمَنَاكِيْرَ. وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ عَقِيْبَ مَا سَاقَ لَهُ مِنَ المَنَاكِيْرِ: وقد كان أحد من يَتَصَلَّبُ فِي السُّنَّةِ، وَمَاتَ فِي مِحْنَةِ القُرْآنِ فِي الحَبْسِ، وَعَامَّةُ مَا أُنْكِرَ عَلَيْهِ هُوَ مَا ذَكَرْتُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ بَاقِي حَدِيْثِهِ مُسْتَقِيْماً.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَهْلٍ الخَالِدِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الطَّرَسُوْسِيَّ يَقُوْلُ: أُخِذَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ فِي أَيَّامِ المِحْنَةِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ، أَوْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ وَأَلْقَوْهُ فِي السِّجْنِ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ... وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي قُيُودِهِ، وَقَالَ: إِنِّيْ مُخَاصِمٌ.

قال مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ التِّرْمِذِيُّ سَمِعْتُ نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ يَقُوْلُ: مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نفسه فقد كفر وليس في وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلاَ رَسُوْلُهُ تَشْبِيْهٌ.

وهَذَا الكَلاَمُ حَقٌّ، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ التَّشْبِيْهِ، وَمِنْ إِنْكَارِ أَحَادِيْثِ الصِّفَاتِ، فَمَا يُنْكِرُ الثَّابِتَ مِنْهَا ذو فهم.

ومن المَذْمُوْم: تَأْوِيْل الصفات وَصَرْفُهَا عَنْ مَوْضُوْعِ الخِطَابِ، فَمَا أَوَّلَهَا السَّلَفُ وَلاَ حَرَّفُوا أَلْفَاظَهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا بَلْ آمَنُوا بِهَا وَأَمَرُّوْهَا كَمَا جَاءتْ.

ومن الجَهْلُ وَالضَلاَلُ: المُبَالغَةُ فِي إِثْبَاتِهَا، وتصورها من جنس صفات البَشَرِ، وَتَشَكُّلُهَا فِي الذِّهْنِ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَإِذَا كَانَ المَوْصُوفُ -

ﷻ- لَمْ نَرَهُ، وَلاَ أَخْبَرَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ عَايَنَهُ مَعَ قَولِهِ لَنَا فِي تَنَزِيْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّوْرَى: ١١]، فَكَيْفَ بَقِيَ لأَذْهَانِنَا مَجَالٌ فِي إِثْبَاتِ كَيْفِيَّةِ البَارِئ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، فكَذَلِكَ صِفَاتُهُ المُقَدَّسَةُ نُقِرُّ بِهَا، وَنَعْتَقِدُ أَنَّهَا حَقٌّ وَلاَ نُمَثِّلُهَا أَصْلاً وَلاَ نَتَشَكَّلُهَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مَخْلَدٍ العَطَّارُ: حَدَّثَنَا الرَّمَادِيُّ، سَأَلْتُ نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحَدِيْدُ: ٤].

قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ بِعِلْمِهِ، أَلاَ تَرَى قَوْلَهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ، الآية.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ: طَلَبَ نُعَيْمٌ الحَدِيْثَ كَثِيْراً بِالعِرَاقِ وَالحِجَازِ، ثُمَّ نَزَلَ مِصْرَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى أُشْخِصَ مِنْهَا فِي خِلاَفَةِ أَبِي إِسْحَاقَ -يَعْنِي: المُعْتَصِمَ- فَسُئِلَ عَنِ القُرْآنِ فَأَبَى أَنْ يُجِيْبَ فِيْهِ بِشَيْءٍ مِمَّا أَرَادُوهُ عَلَيْهِ، فَحُبِسَ بِسَامَرَّاءَ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوساً بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي السِّجْنِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

وَكَذَاكَ أَرَّخَ: مُطَيَّنٌ وَأَبُو سَعِيْدِ بنُ يُوْنُسَ وَابْنُ حِبَّانَ، وَقَالَ العَبَّاسُ بنُ مُصْعَبٍ: سنةَ تِسْعٍ.

قَالَ ابْنُ يُوْنُسَ: حُمِلَ فَامْتَنَعَ أَنْ يُجِيْبَهُم فَسُجِنَ فَمَاتَ بِبَغْدَادَ غَدَاةَ يَوْمِ الأَحَدِ لِثَلاَثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الأُوْلَى، وكان يفهم الحديث، وروى مناكيرعن الثقات.

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ عَرَفَةَ نِفْطَوَيْه، وَابْنُ عَدِيٍّ: مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ. زَادَ نِفْطَوَيْه: وَكَانَ مُقَيَّداً، مَحْبُوساً؛ لامْتِنَاعِهِ مِنَ القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ، فَجُرَّ بِأَقْيَادِهِ، فَأُلْقِيَ فِي حُفْرَةٍ، وَلَمْ يُكَفَّنْ، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ. فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ صَاحِبُ ابْنِ أَبِي دُوَادَ.

٤/الحارث بن مسكين (٢٥٠ هـ):

الحافظ الفقيه، عالم الديار المصرية وقاضيها، أبو عمر الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي، مولى زبان بن عبد العزيز بن مروان الأموي. ولد سنة أربع وخمسين ومائة. رأى الليث بن سعد وسأله، وتفقه بابن وهب وابن القاسم وروى عنهما، وعن ابن عيينة وأشهب وبشر الزهراني وعدة. وروى عنه أبو داود والنسائي وابنه أحمد بن الحارث وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي داود وأبو يعلى الموصلي. كان ثقة ثبتا في الحديث، فقيها على مذهب الإمام مالك. امتحن في فتنة خلق القرآن فلم يجب، فسجنه المأمون في بغداد، فما أطلق سراحه حتى ولي المتوكل، فكتب إليه بعهده على قضاء مصر من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن استعفي.

قال ابن نصر: عرفت الحارث أيام ابن وهب على طريقة زهادة وورع وصدق حتى مات. وسئل عنه الإمام أحمد، فقال فيه قولا جميلا، وقال: ما بلغني عنه إلا خير. قال الذهبي رحمه الله: كان مع تبحره في العلم، قوالا بالحق، عديم النظير. توفي رحمه الله ليلة الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين.

٥/ أحمد الدورقي:

جاء في تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٤/ ٢٢٤)

أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم بْن كثير بْن زَيْد بْن أفلح بْن مَنْصُور بْن مزاحم، أَبُو عَبْد الله العبدي الْمَعْرُوف بالدورقي، أخو يَعْقُوب:

كَانَ أبوه ناسكا فِي زمانه، ومن كان تنسك فِي ذلك الزمان سمى دورقيا. وقيل بل كَانَ الناس ينسبون الدورقيين إلي لبسهما القلانس الطوال التي تسمى الدورقية وَكَانَ أَحْمَد أصغر من أخيه يَعْقُوب.

✍سمع إسماعيلَ بن علية، ويزيد بْن زريع، وهشيما، وعبد الرَّحْمَن بْن مَهْدِيّ، وبهز بْن أسد، وَأَبَا دَاوُد الطيالسي، ووهب بْن جرير، وعبد الصمد بْن عَبْد الوارث. رَوَى عَنْهُ أَحْمَد بْن مَنْصُور الرمادي، ومسلم ابن الحجاج النَّيْسَابُورِيّ، وَمحمد بْن أَحْمَدَ بْن البراء، وأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدنيا، وعَبْد اللهِ بْن أَحْمَدَ بْن حنبل، وأحمد بْن مُحَمَّد بْن مَسْرُوق الطوسي، والهيثم بْن خلف الدوري، وغيرهم.

✍وَقَالَ ابن أَبِي حاتم سئل أَبِي عَنْهُ فَقَالَ: صدوق.

✍ولد سنة ثمان وستين ومائة، وَكَانَ لا يخضب.

✍نحن موالي عبد القيس.

✍قال الخطيب البغدادي: قرأت فِي كتاب أَبِي الْحَسَن بْن الفرات بخطه: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن العباس الضبي الهروي حدّثنا يعقوب بن إسحاق بن محمود الفقيع قَالَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ صالح بْن مُحَمَّد: كَانَ أَحْمَد الدورقي يلقب «بيا حداد أوثق» لخفته، فذهب يوما فِي حاجة فاعترض لَهُ قوم من أصحاب الحديث فِي طريقه فاختفوا، فلما مر بهم صاحوا: يا حداد أوثق، وتواروا، فالتفت ووقف فلم ير أحدا فمضى، فصاحوا يا حداد أوثق، فوقف فنظر فلم ير أحدا، قَالَ فجعلوا يتعجبون من خفته تلك.

✍وقال الخطيب البغدادي أَنْبَأَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الله الكاتب أَخْبَرَنَا الْحُسَيْن بْن أَحْمَدَ الْهَرَوِيّ حَدَّثَنَا يَعْقُوب بْن إِسْحَاق بْن محمود قَالَ سألت صالحا عَنْ يَعْقُوب وأحمد الدورقيين فَقَالَ: كان أحمد أكثرهما حديثا وأعلمهما بالحديث، وَكَانَ يَعْقُوب أسندهما، وكانا جميعا ثقتين.

✍وقال الخطيب البغدادي أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ بْن رزق أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْر أَحْمَد بْن إِسْحَاق بْن وهب البندار حَدَّثَنَا أَبُو غالب عَلِيّ بْن أَحْمَدَ بْن النَّضْر.

وقال الخطيب البغدادي وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن بْن الْفَضْل القطان أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي. قَالا: ومات أَحْمَد بْن الدورقي فِي سنة ست وأربعين ومائتين.

وقال الخطيب البغدادي قرأت على البرقاني عن الزركشي قَالَ أَخْبَرَنَا السراج. قَالَ: مات أَحْمَد بْن إِبْرَاهِيم بْن كثير بْن زَيْد الدورقي بالعسكر، يوم السبت لسبع بقين من شعبان سنة ست وأربعين ومائتين.

٦/ سَعْدُوَيْه: سَعِيْدُ بنُ سُلَيْمَانَ الضَّبِّيُّ:

الحَافِظُ، الثَّبْتُ، الإِمَامُ، أَبُو عُثْمَانَ الضَّبِّيُّ، الوَاسِطِيُّ، البَزَّازُ، المُلَقَّبُ: بِسَعْدُوَيْه.

سَكَنَ بَغْدَادَ، وَنَشَرَ بِهَا العِلْمَ.

وُلِدَ: سَنَةَ بِضْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَةٍ.

وَحَجَّ بَعْد الخَمْسِيْنَ، وَرَأَى بِمَكَّةَ مُعَاوِيَةَ بنَ صَالِحٍ؛ قَاضِي الأَنْدَلُسِ.

وَسَمِعَ: مُبَارَكَ بنَ فَضَالَةَ، وَحَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وَأَزْهَرَ بنَ سِنَانٍ، وَسُلَيْمَانَ بنَ كَثِيْرٍ العَبْدِيَّ، وَمَنْصُوْرَ بنَ أَبِي الأَسْوَدِ، وَعَبْدَ العَزِيْزِ بنَ أَبِي سَلَمَةَ، وَاللَّيْثَ بنَ سَعْدٍ، وَهُشَيْماً، وَعَبَّادَ بنَ العَوَّامِ، وَخَلْقاً كَثِيْراً.

وَعَنْهُ روى: البُخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَمُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ، وَهِلاَلُ بنُ العَلاَءِ، وَإِبْرَاهِيْمُ الحَرْبِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَصَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ، وَعُثْمَانُ بنُ خُرَّزَاذَ، وَخَلَفُ بنُ عُمَرَ العُكْبَرِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ يَحْيَى الحُلْوَانِيُّ، وَآخَرُوْنَ كَثِيْرُوْنَ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: ثِقَةٌ، مَأْمُوْنٌ، لَعَلَّهُ أَوْثَقُ مِنْ عَفَّانَ.

وَأَمَّا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: فَكَانَ يَغُضُّ مِنْهُ، وَلاَ يَرَى الكِتَابَةَ عَنْهُ؛ لِكَوْنِهِ أَجَابَ فِي المِحْنَةِ تَقِيَّةً، وَيَقُوْلُ: صَاحِبُ تَصْحِيْفٍ مَا شِئْتَ.

قَالَ صَالِحٌ جَزَرَةُ: سَمِعْتُ سَعِيْدَ بنَ سُلَيْمَانَ، وَقِيْلَ لَهُ: لِمَ لاَ تَقُوْلُ: حَدَّثَنَا؟ فَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ حَدَّثْتُكُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُهُ، مَا دَلَّسْتُ حَدِيْثاً قَطُّ، لَيْتَنِي أُحَدِّثُ بِمَا قَدْ سَمِعْتُ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: حَجَجْتُ سِتِّيْنَ حَجَّةً.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: كَانَ سَعْدُوَيْه مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَجَابَ فِي المِحْنَةِ.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ العِجْلِيُّ: قِيْلَ لِسَعْدُوَيْه بَعْدَ مَا انْصَرَفَ مِنَ المِحْنَةِ: مَا فَعَلْتُم؟ قَالَ: كَفَرْنَا، وَرَجَعْنَا.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ: كَانَ سَعْدُوَيْه كَثِيْرَ الحَدِيْثِ، ثِقَةً، نَزَلَ بَغْدَادَ، وَتَجِرَ بِهَا، وَتُوُفِّيَ بِهَا، فِي رَابِعِ ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

وَقِيْلَ: إِنَّ سَعْدُوَيْه عَاشَ مائَةَ سَنَةٍ.

٧/أبو خيثمة: زهير بن حرب بن شداد الحرشى:

أبو خيثمة النسائى، نزيل بغداد، مولى بنى الحريش بن كعب بن عامر بن صعصعة، وكان اسم جده أشتال فعرب شدادا..

قال المزى: قال معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين: ثقة.

وقال على بن الحسين بن الجنيد الرازى، عن يحيى: يكفى قبيلة.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال يعقوب بن شيبة: زهير أثبت من عبد الله بن محمد بن أبى شيبة، وكان فى عبد الله تهاون بالحديث، لم يكن يفصل هذه الألفاظ ..

وقال جعفر بن محمد الفريابى: سألت محمد بن عبد الله بن نمير، قلت له: أيما أحب إليك أبو خيثمة أو أبو بكر بن أبى شيبة؟ فقال: أبو خيثمة، وجعل يطرى أبا خيثمة، ويضع من أبى بكر.

وقال أبو عبيد الآجرى: قلت لأبى داود: أبو خيثمة حجة فى الرجال؟ قال: ما كان أحسن علمه.

وقال النسائى: ثقة مأمون.

وقال الحسين بن فهم: ثقة ثبت.

وقال أبو بكر الخطيب: كان ثقة ثبتا حافظا متقنا.

قال محمد بن عبد الله الحضرمى، وعبيد بن محمد بن خلف البزار، والحسين بن فهم: مات سنة أربع وثلاثين ومئتين.

زاد ابن فهم: ببغداد، وحضره خلق كثير.

وقال ابنه أبو بكر بن أبى خيثمة: ولد أبى سنة ستين ومئة، ومات ليلة الخميس لسبع خلون من شعبان سنة أربع وثلاثين ومئتين فى خلافة جعفر المتوكل، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وروى له النسائى.

قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٣ / ٣٤٣: وحكى الخطيب، عن أبى غالب على بن أحمد بن النصر أنه توفى سنة اثنتين وثلاثين.

قال الخطيب: هذا وهم، والصواب سنة أربع.

وقال أبو القاسم البغوى: كتبت عنه.

وقال ابن قانع: كان ثقة ثبتا.

وقال صاحب " الزهرة ": روى عنه مسلم ألف حديث ومئتى حديث وإحدى وثمانين حديثا.

✍وقال ابن أبى حاتم فى " الجرح والتعديل ": سئل أبى عنه، فقال: ثقة صدوق.

✍وقال ابن وضاح: ثقة من الثقات، لقيته ببغداد.

✍وقال ابن حبان فى " الثقات ": كان متقنا ضابطا من أقران أحمد ويحيى بن معين.

❀◇❀

٨/القواريري: عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمى، مولاهم،القواريرى، أبو سعيد البصرى، نزيل بغداد:

✍قال المزى: وكتب عنه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

✍قال عثمان بن سعيد الدارمى وأبو بكر بن أبى خيثمة، عن يحيى بن معين: ثقة.

✍وكذلك قال أحمد بن عبد الله العجلى، والنسائى، وصالح بن محمد الأسدى، وزاد: صدوق.

✍وقال محمد بن هارون الفلاس: سألت يحيى بن معين عن مسدد والقواريرى، فقال: ما منهم إلا صدوق. ✍وقال محمد بن سعد: كان ثقة، كثير الحديث.

✍وقال أبو حاتم: صدوق.

✍وقال أحمد بن سيار المروزى: لم أر فى جميع من رأيت مثل مسدد بالبصرة، والقواريرى ببغداد، وصدقة بمرو.

✍وقال عبد المؤمن بن خلف النسفى: سمعت أبا على صالح بن محمد يقول: القواريرى أثبت من الزهرانى وأشهر وأعلم بحديث البصرة، ما رأيت أحد

أعلم بحديث البصرة منه ومن على ومن إبراهيم بن عرعرة، وقد سمعت القواريرى يقول: ما رأيت أبا الربيع عند حماد بن زيد قط.

وقال أبو بكر ابن الأنبارى: سمعت أحمد بن يحيى ثعلبا يقول: سمعت من عبيد الله القواريرى مئة ألف حديث.

قال المزي: أخبرنا يوسف بن يعقوب الشيبانى، قال: أخبرنا زيد بن الحسن الكندى، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن على الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: سمعت أبا القاسم على بن الحسن بن زكريا القطيعى الشاعر، قال: سمعت أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، يقول: سمعت عبيد الله بن عمر القواريرى يقول: لم يكن يكاد تفوتنى صلاة العتمة فى جماعة فنزل بى ضيف فشغلت به، فخرجت أطلب الصلاة فى قبائل البصرة فإذا الناس قد صلوا، فقلت فى نفسى: روى عن النبى ﷺ أنه قال: " **صلاة الجميع تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة** "، وروى: " **خمسا وعشرين** ".

وروى: " سبعا وعشرين "، فانقلبت إلى منزلى فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة ثم رقدت فرأيتى مع قوم راكبى أفراس، وأنا راكب فرس كأفراسهم ونحن نتجارى، وأفراسهم تسبق فرسى، فجعلت أضربه لألحقهم فالتفت إلى آخرهم، فقال: لا تجهد فرسك فلست بلاحقنا. قال: فقلت: ولم؟ قال: لأنا صلينا العتمة فى جماعة.

و به، قال: أخبرنا أحمد بن على، قال: أخبرنا أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد ابن الفراء البصرى ببيت المقدس، قال: حدثنا أحمد بن الحسين بن جعفر العطار بمصر، قال: حدثنا أبو إسحاق عبد الحميد بن أحمد الوراق، قال: أخبرنا عبد الله بن الورد، قال: حدثنا أبو عبد الله إسماعيل بن أبى اليمان الحارثى، قال: سمعت حفص بن عمرو الربالى، يقول: رأيت عبيد الله بن عمر القواريرى فى المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: فقال لى: غفر لى وعاتبنى، وقال: يا عبيد الله

أخذت من هؤلاء القوم؟ قال: قلت: يا رب أنت أحوجتنى إليهم ولو لم تحوجنى لم آخذ. قال: فقال لى: إذا قدموا علينا كافئناهم عنك. قال: فقال لى: أما ترضى أن كتبتك فى أم الكتاب سعيدا !.

✍قال أبو غالب محمد بن أحمد بن النضر الأزدى، وأبو القاسم البغوى: مات سنة خمس وثلاثين ومئتين.

✍زاد البغوى: يوم الخميس لاثنى عشر يوما مضى من ذى الحجة.

✍وقال الحسين بن فهم صاحب محمد بن سعد: توفى ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومئتين، وحضره خلق كثير ودفن بعسكر المهدى خارج الثلاثة الأبواب، وهو يوم توفى ابن أربع وثمانين سنة.

✍وروى له النسائى.

✍قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٧ / ٤١: (قال أبو القاسم البغوى، والحسين بن فهم: مات فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومئتين. وفيها أرخه غير واحد.) منهم مطين، وابن قانع، وقال: ثقة ثبت. والفرات، وابن أبى خيثمة، وذكر أنه قال: توفى سنة أربع وثلاثين فى إحدى وثمانين سنة.

✍وقال ابن عساكر: ولد سنة خمسين ومئة.

✍وذكره ابن حبان فى " الثقات "، وقال: حدثنا عنه الحسن بن سفيان وغيره، مات سنة ثلاث وثلاثين.كذا قال.

✍وقال مسلمة بن قاسم: ثقة.

✍وفى " الزهرة ": روى عنه البخارى خمسة، ومسلم أربعين.

٩/ يَحْيَى بنُ مَعِينٍ أَبو زَكَرِيَّا المُرِّيُّ مَوْلاَهُم :

هُوَ: الإِمَامُ، الحَافِظُ، الجِهْبَذُ، شَيْخُ المُحَدِّثِيْنَ، أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ مَعِيْنِ بنِ عَوْنِ بنِ زِيَادِ بنِ بِسْطَامَ.

وَقِيْلَ: اسْمُ جَدِّهِ: غِيَاثُ بنُ زِيَادِ بنِ عَوْنِ بنِ بِسْطَامَ الغَطَفَانِيُّ، ثُمَّ المُرِّيُّ مَوْلاَهُمُ، البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ.

وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ.

وَسَمِعَ مِنَ: ابْنِ المُبَارَكِ، وَهُشَيْمٍ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ عَيَّاشٍ، وَعَبَّادِ بنِ عَبَّادٍ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ مُجَالدِ بنِ سَعِيْدٍ، وَيَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا بنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَمُعْتَمِرِ بنِ سُلَيْمَانَ، وَسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَغُنْدَرٍ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ، وَحَاتِمِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ، وَحَفْصِ بنِ غِيَاثٍ، وَجَرِيْرِ بنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَمَرْوَانَ بنِ مُعَاوِيَةَ، وَهِشَام بنِ يُوْسُفَ، وَعِيْسَى بنِ يُوْنُسَ، وَوَكِيْعٍ، وَمَعْنٍ، وَأَبِي حَفْصٍ الأَبَّارِ، وَعُمَرَ بنِ عُبَيْدٍ، وَعَلِيِّ بنِ هَاشِمٍ، وَيَحْيَى القَطَّانِ، وَابْنِ مَهْدِيٍّ، وَعَفَّانَ، وَخَلْقٍ كَثِيْرٍ بِالعِرَاقِ وَالحِجَازِ وَالجَزِيْرَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ.

رَوَى عَنْهُ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَهَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَقْرَانِهِ، وَالبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَعَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الصَّاغَانِيُّ، وَعَبْدُ الخَالِقِ بنُ مَنْصُوْرٍ، وَعُثْمَانُ بنُ سَعِيْدٍ الدَّارِمِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَإِسْحَاقُ الكَوْسَجُ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الجُنَيْدِ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ صَالِحٍ الأَشْعَرِيُّ، وَحَنْبَلُ بنُ إِسْحَاقَ، وَصَالِحُ بنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ، وَأَحْمَدُ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ المَرْوَزِيُّ، وَأَبُو مَعِيْنٍ الحُسَيْنُ بنُ الحَسَنِ الرَّازِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُطَيَّنٌ، وَمُضَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الأَسَدِيُّ، وَالمُفَضَّلُ بنُ غَسَّانَ الغَلاَبِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ النَّصْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّمَّارُ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ، وَمُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ كَيْلَجَةُ، وَعَلِيُّ بنُ الحَسَنِ مَاغَمَّةُ، وَعُبَيْدٌ العِجْلُ، وَحُسَيْنُ

بنُ مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ وَضَّاحٍ، وَجَعْفَرٌ الفِرْيَابِيُّ، وَمُوْسَى بنُ هَارُوْنَ، وَأَبُو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ بنُ عَبْدِ الجَبَّارِ الصُّوْفِيُّ، وَخَلائِقُ.

أَخْبَرَنَا أَبُو المَعَالِي أَحْمَدُ بنُ إِسْحَاقَ الزَّاهِدُ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ يُوْسُفَ الدَّقَّاقُ، وَالفَتْحُ بنُ عَبْدِ السَّلاَمِ بِبَغْدَادَ.

✍روى البخاري في صحيحه في المناقب: باب إسلام أبي بكر الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضا ٧ / ١٦، ١٧ من طريق أحمد بن أبي الطيب. قال الحافظ: وأما الاعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فإنه أسلم قديما مع أبي بكر.برقم(٣٨٥٧)-قال حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمَّادٍ الآمُلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَالِدٍ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ وَبَرَةَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ، وَأَبُو بَكْرٍ»

✍قَالَ أَحْمَدُ بنُ زُهَيْرٍ: وُلِدَ يَحْيَى فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. قُلْتُ: وَكَتَبَ العِلْمَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِيْنَ سَنَةً.

✍قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ: سُئِلَ أَبِي عَنْ يَحْيَى، فَقَالَ: إِمَامٌ.

✍وَقَالَ النَّسَائِيُّ: أَبُو زَكَرِيَّا أَحَدُ الأَئِمَّةِ فِي الحَدِيْثِ، ثِقَةٌ، مَأْمُوْنٌ.

✍قَالَ الكَلاَبَاذِيُّ: رَوَى عَنْهُ البُخَارِيُّ، ثُمَّ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَحْيَى فِي تَفْسِيْرِ بَرَاءةَ، وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ غَيْرَ مَنْسُوْبٍ عَنْهُ فِي ذِكْرِ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ.

✍قَالَ ابْنُ المَرْزُبَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ المَرْوَزِيُّ، سَمِعْتُ دَاوُدَ بنَ رُشَيْدٍ يَذْكُرُ:

أَنَّ وَالِدَ ابْنِ مَعِيْنٍ كَانَ مُشَعْبِذاً مِنْ قَرْيَةٍ نَحْوَ الأَنْبَارِ، يُقَالُ لَهَا: نِقْيَا، وَيُقَالُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ مِنْ أَهْلِ نِقْيَا.

✍قَالَ العِجْلِيُّ: كَانَ أَبُوْهُ مَعِيْنٌ كَاتِباً لِعَبْدِ اللهِ بنِ مَالِكٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ كَاتِبٌ ذَكَرَ أَنَّهُ قَرَابَةُ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، قَالَ: كَانَ مَعِيْنٌ عَلَى خَرَاجِ الرَّيِّ، فَمَاتَ، فَخَلَّفَ لِيَحْيَى ابْنِهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَأَنفَقَهُ كُلَّهُ عَلَى الحَدِيْثِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ نَعلٌ يَلبَسُهُ.

قال الذهبي: أَخبرَنَا أَبُو الغَنَائِمِ القَيْسِيُّ إِجَازَةً، أَخْبَرَنَا أَبُو اليُمْنِ الكِنْدِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُوْرٍ القَزَّازُ، أَخبرَنَا أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ، أَخبرَنَا أَبُو بَكْرٍ الحَرَشِيُّ، وَأَبُو سَعِيْدٍ الصَّيْرَفِيُّ، قَالاَ: أَخبرَنَا أَبُو العَبَّاسِ الأَصَمُّ، سَمِعْتُ العَبَّاسَ بنَ مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ، وَسَأَلَهُ عَبَّاسٌ العَنْبَرِيُّ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، مِنْ أَيِّ العَرَبِ أَنْتَ؟

قَالَ: أَنَا مَوْلَىً لِلْعَرَبِ.

قِيْلَ: أَصْلُ ابْنِ مَعِيْنٍ مِنَ الأَنْبَارِ، وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ، وَهُوَ أَسَنُّ الجَمَاعَةِ الكِبَارِ الَّذِيْنَ هُمْ: عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بنُ رَاهْوَيْه، وَأَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، فَكَانُوا يَتَأَدَّبُوْنَ مَعَهُ، وَيَعْتَرِفُوْنَ لَهُ، وَكَانَ لَهُ هَيْبَةٌ وَجَلاَلَةٌ، يَركَبُ البَغْلَةَ، وَيَتَجَمَّلُ فِي لِبَاسِهِ رحمه الله.

وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ زُهَيْرٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُوْلُ: أَنَا مَوْلَىً لِلْجُنَيْدِ.

ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المُرِّيُّ: قَالَ أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى الجَارُوْدُ:

قَالَ ابْنُ المَدِيْنِيِّ: انْتَهَى العِلْمُ بِالبَصْرَةِ إِلَى: يَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيْرٍ، وَقَتَادَةَ، وعِلْمُ الكُوْفَةِ إِلَى: أَبِي إِسْحَاقَ، وَالأَعْمَشِ، وَعِلْمُ الحِجَازِ إِلَى: ابْنِ شِهَابٍ، وَعَمْرِو بنِ دِيْنَارٍ، وَصَارَ عِلْمُ هَؤُلاَءِ السِّتَّةِ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً: ابْنِ أَبِي عَرُوْبَةَ، وَمَعْمَرٍ، وَشُعْبَةَ، وَحَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، وَالسُّفْيَانَيْنِ، وَمَالِكٍ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَابْنِ إِسْحَاقَ، وَهُشَيْمٍ، وَأَبِي عَوَانَةَ، وَيَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ، وَيَحْيَى بنِ أَبِي زَائِدَةَ، إِلَى أَنْ ذَكَرَ ابْنَ المُبَارَكِ، وَابْنَ مَهْدِيٍّ، وَيَحْيَى بنَ آدَمَ، فَصَارَ عِلْمُ هَؤُلاَءِ جَمِيْعِهِم إِلَى يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ.

قال الذهبي: نَعَمْ، وَإِلَى: أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، وَأَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعِدَّةٍ.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِ هَؤُلاَءِ إِلَى: أَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ، وَأَبِي زُرْعَةَ، وَأَبِي حَاتِمٍ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَطَائِفَةٍ.

ثُمَّ إِلَى: أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ المَرْوَزِيِّ، وَابْنِ خُزَيْمَةَ، وَابْنِ جَرِيْرٍ.

ثُمَّ شَرَعَ العِلْمُ يَنقُصُ قَلِيْلاً قَلِيْلاً - فَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ -.

قال الذهبي: وبِإِسْنَادِي إِلَى الخَطِيْبِ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ المُقْرِئُ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمِ بنُ مِهْرَانَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ المُؤْمِنِ بنُ خَلَفٍ، سَمِعْتُ صَالِحَ بنَ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيٌّ يَقُوْلُ:

سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ المَدِيْنِيِّ يَقُوْلُ: انْتَهَى عِلْمُ الحِجَازِ إِلَى الزُّهْرِيِّ، وَعَمْرٍو...، إِلَى أَنْ قَالَ: فَانْتَهَى عِلْمُ هَؤُلاَءِ إِلَى ابْنِ مَعِيْنٍ.

عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ النَّضْرِ: قَالَ ابْنُ المَدِيْنِيِّ: انْتَهَى العِلْمُ إِلَى يَحْيَى بنِ آدَمَ، وَبَعْدَهُ إِلَى يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ -رَحِمَهُ اللهُ-.

قال عَبْدُ الخَالِقِ بنُ مَنْصُوْرٍ: قُلْتُ لاِبْنِ الرُّوْمِيِّ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الحَدَّادَ يَقُوْلُ: لَوْلاَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، مَا كَتَبْتُ الحَدِيْثَ.

قَالَ: وَمَا تَعْجَبُ!! فَوَاللهِ لَقَدْ نَفَعَنَا اللهُ بِهِ، لَقَدْ كَانَ المُحَدِّثُ يُحَدِّثُنَا لِكَرَامَتِهِ مَا لَمْ نَكُنْ نُحَدِّثُ بِهِ أَنْفُسَنَا، وَلَقَدْ كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، انْظُرْ فِي هَذِهِ الأَحَادِيْثِ، فَإِنَّ فِيْهَا خَطَأً.

قَالَ: عَلَيْكَ بِأَبِي زَكَرِيَّا، فَإِنهُ يَعْرِفُ الخَطَأَ.

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ: فَقُلْتُ لاِبْنِ الرُّوْمِيِّ: حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: السَّمَاعُ مَعَ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُوْرِ.

عَلِيُّ بنُ سَهْلٍ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ فِي دِهْلِيْزِ عَفَّانَ يَقُوْلُ لِعَبْدِ اللهِ بنِ الرُّوْمِيِّ: لَيْتَ أَنَّ أَبَا زَكَرِيَّا قَدِمَ.

فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهِ؟

قَالَ أَحْمَدُ: اسكُتْ، هُوَ يَعْرِفُ خَطَأَ الحَدِيْثِ.

وَبِهِ، إِلَى الخَطِيْبِ: أَخبَرَنَا الصَّيْرَفِيُّ، حَدَّثَنَا الأَصَمُّ، سَمِعْتُ الدُّوْرِيَّ يَقُوْلُ:

رَأَيْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ فِي مَجْلِسِ رَوْحٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَتَيْنِ، فَيَسْأَلُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ عَنْ أَشْيَاءَ، يَقُوْلُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، مَا تَقُوْلُ فِي حَدِيْثِ كَذَا؟ وَكَيْفَ حَدِيْثُ كَذَا؟ فَيَسْتَثْبِتُهُ فِي أَحَادِيْثَ قَدْ سَمِعُوْهَا.

فَمَا قَالَ يَحْيَى: كَتَبَهُ أَحْمَدُ.

وَقَلَّمَا سَمِعْتُه يُسَمِّي يَحْيَى بِاسْمِهِ، بَلْ يَكْنِيْهِ.

✍قال الذهبي وبنفس الإسناد: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ المَالِيْنِيُّ كِتَابَةً، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ الإِدْرِيْسِيُّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُوْسَى البُخَارِيُّ، سَمِعْتُ الحُسَيْنَ بنَ إِسْمَاعِيْلَ الفَارِسِيَّ، سَمِعْتُ أَبَا مُقَاتِلٍ سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ اللهِ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ:

هَا هُنَا رَجُلٌ خَلَقَهُ اللهُ لِهَذَا الشَّأْنِ، يُظهِرُ كَذِبَ الكَذَّابِيْنَ -يَعْنِي: ابْنَ مَعِيْنٍ-.

وَبِهِ: حَدَّثَنَا التَّنُوْخِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ النِّعَالِيُّ، قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ البُخَارِيُّ، أَخبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حُرَيْثٍ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ سَلَمَةَ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ رَافِعٍ، سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: كُلُّ حَدِيْثٍ لاَ يَعْرِفُهُ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، فَلَيْسَ هُوَ بِحَدِيْثٍ.

✍قال ابْنُ عَدِيٍّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا بنِ حَيَّوَيْه، حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بنُ إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ هَارُوْنَ بنَ مَعْرُوْفٍ يَقُوْلُ: قَدِمَ عَلَيْنَا شَيْخٌ، فَبَكَّرْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُمْلِيَ عَلَيْنَا، فَأَخَذَ الكِتَابَ، وَإِذَا البَابُ يُدَقُّ، فَقَالَ الشَّيْخُ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ.

فَأَذِنَ لَهُ، وَالشَّيْخُ عَلَى حَالَتِهِ لَمْ يَتَحَرَّكْ، فَإِذَا آخَرُ يَدُقُّ البَابَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟

قَالَ: أَحْمَدُ الدَّوْرَقِيُّ.

فَأَذِنَ لَهُ، وَلَمْ يَتحَرَّكْ، ثُمَّ ابْنُ الرُّوْمِيِّ فَكَذَلِكَ، ثُمَّ أَبُو خَيْثَمَةَ فَكَذَلِكَ، ثُمَّ دُقَّ البَابُ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟

قَالَ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ.

فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ ارْتَعَدَتْ يَدُهُ، وَسَقَطَ مِنْهُ الكِتَابُ.

قال جَعْفَرٌ الطَّيَالِسِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ عَطَاءٍ، أَتيتُهُ، فَكَتَبْتُ عَنْهُ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ، إِذْ أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَرَأَهُ، وَأَجَابَهُمْ، فَرَأَيْتُهُ وَقَدْ كَتَبَ عَلَى ظَهْرِهِ: قَدِمتُ بَغْدَادَ، وَقَبِلَنِي يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الآجُرِّيُّ: قُلْتُ لأَبِي دَاوُدَ: أَيُّمَا أَعْلمُ بِالرِّجَالِ: يَحْيَى، أَوْ عَلِيٌّ؟

قَال: يَحْيَى، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنْ خَبَرِ أَهْلِ الشَّامِ شَيْءٌ.

قَالَ عَبْدُ المُؤْمِنِ النَّسَفِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا عَلِيٍّ صَالِحَ بنَ مُحَمَّدٍ: مَنْ أَعْلَمُ بِالحَدِيْثِ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، أَوْ أَحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ؟

فَقَالَ: أَحْمَدُ أَعْلَمُ بِالفِقْهِ وَالاخْتِلاَفِ، وَأَمَّا يَحْيَى، فَأَعْلَمُ بِالرِّجَالِ وَالكُنَى.

قال مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ أَبِي شَيْبَةَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ المَدِيْنِيِّ يَقُوْلُ: كُنْتُ إِذَا قَدِمتُ إِلَى بَغْدَادَ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، كَانَ الَّذِي يُذَاكِرُنِي أَحْمَدُ، فَرُبَّمَا اخْتَلَفْنَا فِي الشَّيْءِ، فَنَسْأَلُ أَبَا زَكَرِيَّا، فَيَقُوْمُ فَيُخْرِجهُ، مَا كَانَ أَعْرَفَهُ بِمَوْضِعِ حَدِيْثِهِ!

وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ بنُ البَرَاءِ: سَمِعْتُ ابْنَ المَدِيْنِيِّ يَقُوْلُ: مَا رَأَيْتُ يَحْيَى اسْتَفهَمَ حَدِيْثاً قَطُّ، وَلاَ رَدَّهُ.

وقال بَكْرُ بنُ سَهْلٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الخَالِقِ بنُ مَنْصُوْرٍ، قُلْتُ لاِبْنِ الرُّوْمِيِّ:

سَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ الحَدِيْثِ يُحَدِّثُ بِأَحَادِيْثِ يَحْيَى، وَيَقُوْلُ: حَدَّثَنِي مَنْ لَمْ تَطْلعُ الشَّمْسُ عَلَى أَكْبَرَ مِنْهُ، فَقَالَ: وَمَا تَعْجَبُ؟ سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ المَدِيْنِيِّ يَقُوْلُ: مَا رَأَيْتُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ.

وَعَنِ ابْنِ المَدِيْنِيِّ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ أَحداً كَتَبَ مَا كَتَبَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ.

وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ بنُ البَرَاءِ: سَمِعْتُ عَلِيّاً يَقُوْلُ: لاَ نَعْلَمُ أَحداً مِنْ لَدُنْ آدَمَ كَتَبَ مِنَ الحَدِيْثِ مَا كَتَبَ يَحْيَى.

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عُقْبَةَ: سَأَلْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ: كَمْ كَتَبتَ مِنَ الحَدِيْثِ؟

قَالَ: كَتَبْتُ بِيَدِي هَذِهِ سِتَّ مائَةِ أَلْفِ حَدِيْثٍ.

قُلْتُ: يَعْنِي بِالمُكَرَّرِ.

قَالَ صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ الحَافِظُ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ:

خَلَّفَ يَحْيَى مِنَ الكُتُبِ مائَةَ قِمَطْرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ قِمَطْراً، وَأَرْبَعَةَ حِبَابٍ شَرَابِيَّةٍ مَملُوءةٍ كُتُباً.

وَقَالَ عَبْدُ المُؤْمِنِ: سَمِعْتُ صَالِحاً جَزَرَةَ يَقُوْلُ: ذُكِرَ لِي أَنَّ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ خَلَّفَ مِنَ الكُتُبِ ثَلاَثِيْنَ قِمَطْراً وَعِشْرِيْنَ حُبّاً، فَطَلَبَ يَحْيَى بنُ أَكْثَمَ كُتُبَهُ بِمائَتَي دِيْنَارٍ، فَلَمْ يَدَعْ أَبُو خَيْثَمَةَ أَنْ تُبَاعَ.

قال الذهبي: وَبِإِسْنَادِيَ إِلَى الخَطِيْبِ: أَخْبَرَنَا المَالِيْنِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُوْسَى بنُ القَاسِمِ بنِ الأَشْيَبِ، عَنْ بَعْضِ شُيُوْخِهِ، قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ وَيَحْيَى وَعَلِيٌّ عِنْدَ عَفَّانَ - أَوْ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بنِ حَرْبٍ - فَأَتَى بِصَكٍّ، فَشَهِدُوا فِيْهِ، وَكَتَبَ يَحْيَى فِيْهِ.

فَقَالَ عَفَّانُ: أَمَّا أَنْتَ يَا أَحْمَدُ، فَضَعِيفٌ فِي إِبْرَاهِيْمَ بنِ سَعْدٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ، فَضَعِيفٌ فِي حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا يَحْيَى فَضَعِيفٌ فِي ابْنِ المُبَارَكِ.

فَقَالَ يَحْيَى: وَأَنْتَ يَا عَفَّانُ، فَضَعِيفٌ فِي شُعْبَةَ.

ثُمَّ قَالَ الخَطِيْبُ: لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهُم ضَعِيْفًا، وَإِنَّمَا هَذَا مُزَاحٌ.

قُلْتُ: كُلٌّ مِنْهُم صَغِيْرٌ فِي شَيْخِهِ ذَلِكَ، وَمُقِلٌّ عَنهُ.

قال عَبْدُ الخَالِقِ بنُ مَنْصُورٍ: سَمِعْتُ ابْنَ الرُّوْمِيِّ يَقُوْلُ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً قَطُّ يَقُوْلُ الحَقَّ فِي المَشَايِخِ غَيْرَ يَحْيَى، وَغَيْرُهُ كَانَ يَتَحَامَلُ بِالقَوْلِ.

قُلْتُ: هَذَا القَوْلُ مِنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الرُّوْمِيِّ غَيْرُ مَقْبُوْلٍ، وَإِنَّمَا قَالَهُ بِاجْتِهَادِهِ، وَنَحْنُ لاَ نَدَّعِي العِصْمَةَ فِي أَئِمَّةِ الجَرحِ وَالتَّعدِيل، لَكِنْ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ صَوَابـًا، وَأَنْدَرُهُمْ خَطَأً، وَأَشَدُّهُم إِنصَافـًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّحَامُلِ.

وَإِذَا اتَّفَقُوا عَلَى تَعدِيلٍ أَوْ جَرْحٍ، فَتَمَسَّكْ بِهِ، وَاعضُضْ عَلَيْهِ بِنَاجِذَيْكَ، وَلاَ تَتَجَاوزْهُ، فَتَنْدَمَ، وَمَنْ شَذَّ مِنْهُم، فَلاَ عِبْرَةَ بِهِ.

فَخَلِّ عَنْكَ العَنَاءَ، وَأَعطِ القَوسَ بَارِيَهَا، فَوَاللهِ لَوْلاَ الحُفَّاظُ الأَكَابِرُ، لَخَطَبَتِ الزَّنَادِقَةُ عَلَى المَنَابِرِ، وَلَئِنْ خَطَبَ خَاطِبٌ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ، فَإِنَّمَا هُوَ بِسَيفِ الإِسْلاَمِ، وَبِلِسَانِ الشَّرِيعَةِ، وَبِجَاهِ السُّنَّةِ، وَبِإِظهَارِ مُتَابَعَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ ﷺ فَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

وَمِنْ نَادِرِ مَا شَذَّ بِهِ ابْنُ مَعِيْنٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: كَلاَمُهُ فِي أَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ؛ حَافِظِ مِصْرَ، فَإِنَّهُ تَكَلَّمَ فِيْهِ بِاجْتِهَادِهِ، وَشَاهَدَ مِنْهُ مَا يُلَيِّنُهُ بِاعتِبَارِ عَدَالَتِهِ، لاَ بِاعتِبَارِ إِتْقَانِه، فَإِنَّهُ مُتْقِنٌ، ثَبْتٌ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ مَآخِذُ فِي تِيْهٍ وَبَأْوٍ كَانَ يَتَعَاطَاهُ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَلَعَلَّهُ اطَّلَعَ مِنْهُ عَلَى حَالٍ فِي أَيَّامِ شَبِيبَةِ ابْنِ صَالِحٍ، فَتَابَ مِنْهُ، أَوْ مِنْ بَعْضِهِ، ثُمَّ شَاخَ، وَلَزِمَ الخَيْرَ، فَلَقِيَهُ البُخَارِيُّ وَالكِبَارُ، وَاحتَجُّوا بِهِ.

وَأَمَّا كَلاَمُ النَّسَائِيِّ فِيْهِ، فَكَلاَمُ مَوْتُورٍ؛ لأَنَّهُ آذَى النَّسَائِيَّ، وَطَرَدَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ فِيْهِ: لَيْسَ بِثِقَةٍ.

قَالَ الحَسَنُ بنُ عَلِيْل: حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، قَالَ: أَخطَأَ عَفَّانُ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ حَدِيْثاً، مَا أَعْلَمتُ بِهَا أَحَداً؛ وَأَعْلَمتُه سِرّاً، وَلَقَدْ طَلَبَ إِلَيَّ خَلَفُ بنُ سَالِمٍ أَنْ أُخبِرَهُ بِهَا، فَمَا عَرَّفتُهُ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ عَلَيْهِ.

قَالَ يَحْيَى: مَا رَأَيْتُ عَلَى رَجُلٍ خَطَأً، إِلاَّ سَتَرتُهُ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُزَيِّنَ أَمرَهُ، وَمَا اسْتَقبَلتُ رَجُلاً فِي وَجْهِهِ بِأَمرٍ يَكرَهُهُ، وَلَكِنْ أُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ فِيْمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَإِنْ قَبِلَ ذَلِكَ، وَإِلاَّ تَرَكتُهُ.

وَقَالَ ابْنُ الغَلاَبِيِّ: قَالَ يَحْيَى: إِنِّي لأُحَدِّثُ بِالحَدِيْثِ، فَأَسهَرُ لَهُ؛ مَخَافَةَ أَنْ أَكُوْنَ قَدْ أَخطَأْتُ فِيْهِ.

قال الذهبي وبِإِسْنَادِي إِلَى الخَطِيْبِ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ طَلْحَةَ، أَخْبَرَنَا صَالِحُ بنُ أَحْمَدَ الهَمَذَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَمْدَانَ بنِ المَرْزُبَانِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: إِذَا رَأَيْتَ البَغْدَادِيَّ يُحِبُّ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، فَاعلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُبغِضُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ، فَاعلَمْ أَنَّهُ كَذَّابٌ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ هَارُوْنَ الفَلاَّسُ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَقَعُ فِي يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، فَاعلَمْ أَنَّهُ كَذَّابٌ، يَضَعُ الحَدِيْثَ، وَإِنَّمَا يُبغِضُهُ لِمَا يُبَيِّنُ مِنْ أَمرِ الكَذَّابِينَ.

قَالَ الأَبَّارُ فِي (تَارِيْخِهِ): قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: كَتَبنَا عَنِ الكَذَّابِينَ، وَسَجَرنَا بِهِ التَّنُّورُ، وَأَخرَجنَا بِهِ خُبْزاً نَضِيجاً.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُوْلُ: أَكَلتُ عَجِينَةَ خُبْزٍ، وَأَنَا نَاقِهٌ مِنْ عِلَّةٍ.

قَالَ الدُّوْرِيُّ: سُئِلَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ عَنِ الرُّؤُوْسِ، فَقَالَ: ثَلاَثَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَالِحٌ.

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ حِبَّانَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى الأَحْوَلُ، قَالَ:

تَلَقَّيْنَا يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ مَقْدَمَهُ مِنْ مَكَّةَ، فَسَأَلْنَاهُ عَنِ الحُسَيْنِ بنِ حِبَّانَ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بآخِرِ رَمَقٍ، قَالَ لِي: يَا أَبَا زَكَرِيَّا: أَتَرَى مَا مَكْتُوْبٌ عَلَى الخَيمَةِ؟

قُلْتُ: مَا أَرَى شَيْئًا. قَالَ: بَلَى أَرَى مَكْتُوْبًا: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ يَقضِي أَوْ يَفصِلُ بَيْنَ الظَّالِمِيْنَ. قَالَ: ثُمَّ خَرَجَتْ نَفْسُهُ.

قال الخَطِيْبُ: أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الشَّيْخِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بنُ بُنَانٍ، سَمِعْتُ حُبَيْشَ بنَ مُبَشِّرٍ يَقُوْلُ: كَانَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ يَحُجُّ، فَيَذْهَبُ إِلَى مَكَّةَ عَلَى المَدِيْنَةِ، وَيَرجِعُ عَلَيْهَا.

فَلَمَّا كَانَ آخِرُ حَجَّةٍ حَجَّهَا، رَجَعَ عَلَى المَدِيْنَةِ، فَأَقَامَ بِهَا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى نَزَلَ المَنْزِلَ مَعَ رُفَقَائِه، فَبَاتُوا، فَرَأَى فِي النَّوْمِ هَاتِفًا يَهتِفُ بِهِ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، أَترغَبُ عَنْ جِوَارِي؟

فَلَمَّا أَصبَحَ، قَالَ لِرُفَقَائِه: امضُوا، فَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَى المَدِيْنَةِ.

فَمَضَوْا، وَرَجَعَ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا، ثُمَّ مَاتَ.

قَالَ: فَحُمِلَ عَلَى أَعوَادِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّاسُ، وَجَعَلُوا يَقُوْلُوْنَ: هَذَا الذَّابُّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الكَذِبَ.

قَالَ الخَطِيْبُ: الصَّحِيْحُ مَوْتُهُ فِي ذَهَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ.

قَالَ عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى يَقُوْلُ: لَوْ لَمْ نكتُبِ الحَدِيْثَ خَمْسِيْنَ مَرَّةً، مَا عَرَفْنَاهُ.

وَفِي (تَارِيْخ دِمَشْقَ): مِنْ طَرِيْقِ مُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ، سَمِعَ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كَتَبْتُ بِيَدِي أَلْفَ أَلْفِ حَدِيْثٍ.

قُلْتُ: يَعْنِي بِالمُكَرَّرِ، أَلاَ تَرَاهُ يَقُوْلُ: لَوْ لَمْ نكتُبِ الحَدِيْثَ خَمْسِيْنَ مَرَّةً مَا عَرَفْنَاهُ.

أُنْبِئْتُ عَنْ أَبِي المَكَارِمِ اللَّبَّانِ، وَغَيْرِهِ، عَنْ عَبْدِ الغَفَّارِ بنِ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الكَرْمَانِيُّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ أَحْمَدَ غُنْجَارَ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ مُوْسَى السَّلاَمِيَّ، سَمِعْتُ الفَضْلَ بنَ شَاكِرٍ بِبَلَدِ الدَّيْلَم، سَمِعْتُ يَزِيْدَ بنَ مُجَالِدٍ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: إِذَا كَتَبتَ فَقَمِّشْ، وَإِذَا حَدَّثْتَ فَفَتِّشْ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: سَيَندَمُ المُنتَخِبُ فِي الحَدِيْثِ حَيْثُ لاَ تَنفَعُهُ النَّدَامَةُ. (أي الذي ينتقي الأحاديث، ولا يكتبها كلها.)

قال الأَصَمُّ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كُنَّا بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَنَا شَيْءٌ، وَلاَ ثَمَّ شَيْءٌ نَشتَرِيهِ، فَلَمَّا أَصبَحْنَا، إِذَا نَحْنُ بِزِنْبيلٍ مُلِئَ بِسَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ، فَسَأَلُونِي، فَقُلْتُ: اقتَسِمُوهُ، وَكُلُوْهُ، فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ رِزْقٌ رَزَقَكُمُ اللهُ -تَعَالَى-.وَسَمِعْتُ يَحْيَى مِرَاراً يَقُوْلُ: القُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوْقٍ، وَالإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيْدُ وَيَنقُصُ.

وَرَوَى: عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي زِيَادٍ القَطَوَانِيُّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: انْتَهَى الحَدِيْثُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ؛ وَهُوَ أَفْقَهُهُمْ فِيْهِ، وَإِلَى يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ؛ وَهُوَ أَكْتَبُهُمْ لَهُ، وَإِلَى عَلِيِّ بنِ المَدِيْنِيِّ؛ وَهُوَ أَعلَمُهُم بِهِ، وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ بنِ أَبِي شَيْبَةَ؛ وَهُوَ أَحْفَظُهُمْ لَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ: وَإِلَى ابْنِ مَعِيْنٍ؛ وَهُوَ أَعْلَمُهُمْ بِصَحِيْحِهِ وَسَقِيمِهِ.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ القَوَارِيْرِيُّ: قَالَ لِي يَحْيَى القَطَّانُ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا البَصْرَةَ مِثْلُ أَحْمَدَ، وَيَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ.

قَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: كَانَ أَعْلَمَنَا بِالرِّجَالِ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَأَحْفَظَنَا لِلأَبْوَابِ: سُلَيْمَانُ الشَّاذَكُوْنِيُّ، وَأَحْفَظَنَا لِلطِّوَالِ: عَلِيٌّ.

تنويه وتنبيه: إلى قصة يتداولها طلاب العلم وهي عن أبي عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ قال: سَمِعْتُ الزُّبَيْرَ بنَ عَبْدِ الوَاحِدِ الحَافِظَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ البَكْرِيُّ، سَمِعْتُ جَعْفَراً الطَّيَالِسِيَّ يَقُوْلُ: صَلَّى أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ

فِي مَسْجِدِ الرُّصَافَةِ، فَقَامَ قَاصٌّ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا طَيْراً، مِنْقَارُهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَرِيْشُهُ مِنْ مَرْجَانَ).وَأَخَذَ فِي قِصَّةٍ نَحْوَ عِشْرِيْنَ وَرَقَةً.

فَجَعَلَ أَحْمَدُ يَنْظُرُ إِلَى يَحْيَى، وَيَحْيَى يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَهُمَا يَقُوْلاَنِ: مَا سَمِعنَا بِهَذَا إِلاَّ السَّاعَةَ. فَسَكَتَا حَتَّى فَرَغَ مِنْ قَصَصِهِ، وَأَخَذَ قِطَاعَهُ، ثُمَّ قَعَدَ يَنْتَظِرُ بقُبَّتِهَا، فَأَشَارَ إِلَيْهِ يَحْيَى، فَجَاءَ مُتَوَهِّماً لِنَوَالٍ يُجِيزُهُ، فَقَالَ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا الحَدِيْثِ؟

فَقَالَ: أَحْمَدُ، وَابْنُ مَعِيْنٍ.

فَقَالَ: أَنَا يَحْيَى، وَهَذَا أَحْمَدُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا قَطُّ، فَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ مِنَ الكَذِبِ، فَعَلَى غَيْرِنَا. فَقَالَ: أَنْتَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ أَنَّ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ أَحْمَقُ، وَمَا عَلِمتُ إِلاَّ السَّاعَةَ، كَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ غَيْرُكُمَا!! كَتَبْتُ عَنْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ.

قَالَ: فَوَضَعَ أَحْمَدُ كُمَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ: دَعْهُ يَقُوْمُ. فَقَامَ كَالمُسْتَهْزِئِ بِهِمَا.

✍قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ٣٠١) هَذِهِ الحكَايَةُ اشتهرَتْ عَلَى أَلسنَةِ الجَمَاعَةِ، وَهِيَ باطلَةٌ، أظنُّ البلدِيَّ وضعهَا، وَيُعْرَفُ بِالمعصوبِ.

✍وعَنْ أَحْمَدَ بنِ عُقْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ سَمْحاً فِي الحَدِيْثِ، كَانَ كَذَّاباً.

قِيْلَ: كَيْفَ يَكُوْنُ سَمْحاً؟ قَالَ: إِذَا شَكَّ فِي حَدِيْثِهِ، تَرَكَهُ.

✍وَقَالَ جعْفَرُ بنُ أَبِي عُثْمَانَ: كُنَّا عِنْدَ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مُستَعجِلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، حَدِّثْنِي بِشَيْءٍ أَذْكُرْكَ بِهِ.

فَقَالَ يَحْيَى: اذْكُرْنِي أَنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أُحَدِّثَك، فَلَمْ أَفْعَلْ.

الحُسَيْنُ بنُ فَهْمٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كُنْتُ بِمِصْرَ، فَرَأَيْتُ جَارِيَةً بِيْعَتْ بِأَلْفِ دِيْنَارٍ، مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا!

فَقُلْتُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا! مِثْلُكَ يَقُوْلُ هَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا وَعَلَى كُلِّ مَلِيْحٍ.

هَذِهِ الحِكَايَةُ مَحْمُوْلَةٌ عَلَى الدُّعَابَةِ مِنْ أَبِي زَكَرِيَّا.

وَتُرْوَى عَنْهُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ.

قَالَ سَعِيْدُ بنُ عَمْرٍو البَرْذَعِيُّ: سَمِعْتُ الحَافِظَ أَبَا زُرْعَةَ الرَّازِيَّ يَقُوْلُ: كَانَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ لاَ يَرَى الكِتَابَةَ عَنْ أَبِي نَصْرٍ التَّمَّارِ، وَلاَ عَنْ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، وَلاَ عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ امْتُحِنَ فَأَجَابَ.

قُلْتُ: هَذَا أَمرٌ ضَيِّقٌ، وَلاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ أَجَابَ فِي المِحْنَةِ، بَلْ وَلاَ عَلَى مَنْ أُكرِهَ عَلَى صَرِيحِ الكُفْرِ عَمَلاً بِالآيَةِ - وَهَذَا هُوَ الحَقُّ -.

وَكَانَ يَحيَى رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، فَخَافَ مِنْ سَطْوَةِ الدَّوْلَةِ، وَأَجَابَ تَقِيَّةً.

عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ مَنْزِلِي بِاللَّيْلِ، قَرَأْتُ آيَةَ الكُرْسِيِّ عَلَى دَارِي وَعِيَالِي خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَبَيْنَا أَنَا أَقْرَأُ، إِذَا شَيْءٌ يُكَلِّمُنِي: كَمْ تَقرَأُ هَذَا؟ كَأَنْ لَيْسَ إِنْسَانٌ يُحسِنُ يَقْرَأُ غَيْرَكَ؟

فَقُلْتُ: أَرَى هَذَا يَسُوءكَ؟ وَاللهِ لأَزِيدَنَّكَ.

فَصِرْتُ أَقرَؤُهَا فِي اللَّيْلَةِ خَمْسِيْنَ، سِتِّيْنَ مَرَّةً.

وَقَالَ عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: قُلْتُ لِيَحْيَى: مَا تَقُوْلُ فِي الرَّجُلِ يُقَوِّمُ لِلرَّجُلِ حَدِيْثَهُ؟

يَعْنِي: يَنزِعُ مِنْهُ اللَّحْنَ. فَقَالَ: لاَ بَأْسَ بِهِ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: لَوْ لَمْ نكتُبِ الحَدِيْثَ مِنْ ثَلاثِيْنَ وَجْهـاً، مَا عَقَلْنَاهُ.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الجُنَيْدِ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: مَا الدُّنْيَا إِلاَّ كَحُلُمٍ، وَاللهِ مَا ضَرَّ رَجُلاً اتَّقَى اللهَ عَلَى مَا أَصْبَحَ وَأَمسَى، لَقَدْ حَجَجتُ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، خَرَجتُ رَاجِلاً مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مَكَّةَ، هَذَا مِنْ خَمْسِيْنَ سَنَةً، كَأَنَّمَا كَانَ أَمْسِ.

فَقُلْتُ لِيَحْيَى: تَرَى أَنْ يَنظُرَ الرَّجُلُ فِي رَأْيِ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيْفَةَ؟

قَالَ: مَا أَرَى لأَحَدٍ أَنْ يَنْظُرَ فِي رَأْيِ الشَّافِعِيِّ، يَنْظُرُ فِي رَأْيِ أَبِي حَنِيْفَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قُلْتُ: قَدْ كَانَ أَبُو زَكَرِيَّا -رَحِمَهُ اللهُ- حَنَفِيّاً فِي الفُرُوْعِ، فَلِهَذَا قَالَ هَذَا، وَفِيْهِ انحِرَافٌ يَسِيْرٌ عَنِ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ ابْنُ الجُنَيْدِ: وَسَمِعْتُ يَحْيَى يَقُوْلُ: تَحْرِيْمُ النَّبِيذِ صَحِيْحٌ، وَلَكِنْ أَقِفُ، وَلاَ أُحَرِّمُهُ، قَدْ شَرِبَهُ قَوْمٌ صَالِحُونَ بِأَحَادِيْثَ صِحَاحٍ، وَحَرَّمَهُ قَوْمٌ صَالِحُونَ بِأَحَادِيْثَ صِحَاحٍ.

قَالَ عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، قَالَ: حَضَرتُ نُعَيْمَ بنَ حَمَّادٍ بِمِصْرَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ كِتَاباً صَنَّفَهُ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، وَذَكَرَ أَحَادِيْثَ. فَقُلْتُ: لَيْسَ ذَا عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ.

فَغَضِبَ، وَقَالَ: تَرُدُّ عَلَيَّ؟ قُلْتُ: إِيْ وَاللهِ، أُرِيْدُ زَيْنَكَ.

فَأَبَى أَنْ يَرجِعَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ لاَ يَرجِعُ، قُلْتُ: لاَ وَاللهِ، مَا سَمِعْتَ هَذِهِ مِنِ ابْنِ المُبَارَكِ، وَلاَ سَمِعَهَا هُوَ مِن ابْنِ عَوْنٍ قَطُّ.

فَغَضِبَ، وَغَضِبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَقَامَ، فَدَخَلَ، فَأَخْرَجَ صَحَائِفَ، فَجَعَلَ يَقُوْلُ - وَهِيَ بِيَدِهِ -: أَيْنَ الَّذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ لَيْسَ بِأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ فِي

الحَدِيْثِ؟ نَعَمْ، يَا أَبَا زَكَرِيَّا غَلِطْتُ، وَإِنَّمَا رَوَى هَذِهِ الأَحَادِيْثَ غَيْرُ ابْنِ المُبَارَكِ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ.

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ حِبَّانَ: قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ:

دَفَعَ إِلَيَّ ابْنُ وَهْبٍ كِتَابًا عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ صَالِحٍ فِيْهِ خَمْسُ مائَةِ حَدِيْثٍ، أَو أَكْثَرُ، فَانتَقَيتُ مِنْهَا شِرَارَهَا، لَمْ يَكُنْ لِي يَوْمَئِذٍ مَعْرِفَةٌ، قُلْتُ: أَسْمِعْتَهَا مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ ابْنِ وَهْبٍ؟ قَالَ: لاَ.

قُلْتُ: كَذَا كُلُّ مَنْ يَكُوْنُ مُبْتَدِئًا، لاَ يُحْسِنُ الانتِخَابَ، فَعَلْنَا نَحْوَ هَذَا، وَنَدِمنَا بَعْدُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ: خَرَجَ ابْنُ مَعِيْنٍ حَاجًّا، وَكَانَ أَكُولاً، فَحَدَّثَنِي أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ شَاهٍ: أَنَّهُ كَانَ فِي رُفْقَتِهِ، فَلَمَّا قَدِمُوا فَيْدَ، أُهدِيَ إِلَى يَحْيَى فَالُوْذَجٌ لَمْ يَنْضِجْ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا زَكَرِيَّا، لاَ تَأْكُلْهُ، فَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ.

فَلَمْ يَعبَأْ بِكَلاَمِنَا، وَأَكَلَهُ، فَمَا اسْتَقَرَّ فِي مَعِدَتِهِ حَتَّى شَكَا وَجَعَ بَطنِهِ، وَانْسَهَلَ، إِلَى أَنْ وَصَلنَا إِلَى المَدِيْنَةِ، وَلاَ نُهُوضَ بِهِ، فَتَفَاوَضْنَا فِي أَمرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا سَبِيْلٌ إِلَى المُقَامِ عَلَيْهِ لأَجلِ الحَجِّ، وَلَمْ نَدرِ مَا نَعمَلُ فِي أَمرِهِ.

فَعَزَمَ بَعْضُنَا عَلَى القِيَامِ عَلَيْهِ وَتَرْكِ الحَجِّ، وَبِتْنَا فَلَمْ يُصْبِحْ حَتَّى وَصَّى وَمَاتَ، فَغَسَلنَاهُ، وَدَفَنَّاهُ.

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: لَمْ يُنْتَفَعْ بِيَحْيَى؛ لأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي النَّاسِ.

قَالَ مَهِيبُ بنُ سُلَيْمٍ البُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ البُخَارِيُّ الحَافِظُ، قَالَ:

كُنَّا فِي الحَجِّ مَعَ يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، فَدَخَلْنَا المَدِيْنَةَ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ، وَمَاتَ مِنْ لَيلَتِهِ، فَلَمَّا أَصبَحْنَا، تَسَامَعَ النَّاسُ بِقُدُوْمِهِ وَبِمَوْتِهِ، فَاجْتَمَعَ العَامَّةُ، وَجَاءَتْ بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالُوا: نُخْرِجُ لَهُ الأَعوَادَ التِي غُسِّلَ عَلَيْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

فكَرِهَ العَامَّةُ ذَلِكَ، وَكَثُرَ الكَلاَمُ، فَقَالَتْ بَنُو هَاشِمٍ: نَحْنُ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَهْلٌ أنْ يُغسَلَ عَلَيْهَا.

فَغُسِلَ عَلَيْهَا، وَدُفِنَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِي ذِي القَعْدَةِ.

قَالَ مَهِيبٌ: فِيْهَا وُلِدْتُ -يَعْنِي: سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَتَيْنِ-.

✍قَالَ عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ عَامَئِذٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَالِي المَدِيْنَةِ، وَكَلَّمَ الحِزَامِيُّ الوَالِيَ، فَأَخرَجُوا لَهُ سَرِيرَ النَّبِيِّ ﷺ فَحُمِلَ عَلَيْهِ.

✍قال أَحْمَدُ بنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: مَاتَ يَحْيَى لِسَبْعٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ، وَقَدِ اسْتَوْفَى خَمْساً وَسَبْعِيْنَ سَنَةً، وَدَخَلَ فِي السِتِّ، وَدُفِنَ بِالبَقِيْعِ.

✍قَالَ حُبَيْشُ بنُ مُبَشِّرٍ الفَقِيْهُ - وَهُوَ ثِقَةٌ -: رَأَيْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟

قَالَ: أَعطَانِي، وَحَبَانِي، وَزَوَّجَنِي ثَلاَثَ مائَةِ حَوْرَاءَ، وَمَهَّدَ لِي بَيْنَ البَابَيْنِ -أَوْ قَالَ: بَيْنَ النَّاسِ-.سَمِعَهَا: جَعْفَرُ بنُ أَبِي عُثْمَانَ، مِنْ حُبَيْشٍ. وَرَوَاهَا: الحُسَيْنُ بنُ الخَصِيْبِ، عَنْ حُبَيْشٍ، قَالَ: رَأَيْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟

قَالَ: أَدْخَلَنِي عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، وَزَوَّجَنِي ثَلاَثَ مائَةِ حَوْرَاءَ.

ثُمَّ قَالَ لِلْمَلاَئِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي كَيْفَ تَطَرَّى وَحَسُنَ!

قَالَ أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى بنِ الجَارُوْدِ: قَالَ ابْنُ المَدِيْنِيِّ:

مَا أَعْلَمُ أَحداً كَتَبَ مَا كَتَبَ يَحيَى بنُ مَعِيْنٍ.

✍وَقَالَ ابْنُ البَرَاءِ: سَمِعْتُ عَلِيّاً يَقُوْلُ: لاَ نَعْلَمُ أَحداً مِنْ لَدُنْ آدَمَ كَتَبَ مِنَ الحَدِيْثِ، مَا كَتَبَ ابْنُ مَعِيْنٍ.

✍مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ رَاشِدٍ الطَّبَرِيُّ: عَنْ مُحَمَّدِ بنِ نَصْرٍ الطَّبَرِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ كَذَا وَكَذَا سِفْطًا دفَاتِرَ، وَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: كَتَبْتُ بِيَدِي أَلْفَ أَلْفِ حَدِيْثٍ، وَكُلُّ حَدِيْثٍ لاَ يُوجَدُ هَا هُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الأَسفَاطِ - فَهُوَ كَذِبٌ.

✍وَعَنْ مُجَاهِدِ بنِ مُوْسَى، قَالَ: كَانَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ يَكْتُبُ الحَدِيْثَ نَيِّفًا وَخَمْسِيْنَ مَرَّةً.

✍وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ دَاوُدَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: أَشْتَهِي أَنْ أَقَعَ عَلَى شَيْخٍ ثِقَةٍ، عِنْدَهُ بَيْتٌ مُلِئَ بِكُتُبٍ، أَكْتُبُ عَنْهُ وَحْدِي.

✍قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ أَكْثَرَ مِنْ كِتَابَةِ الحَدِيْثِ، وَعُرِفَ بِهِ، وَكَانَ لاَ يَكَادُ يُحَدِّثُ.

✍قال مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي مَهْزُوْلٍ: عَنْ مُحَمَّدِ بنِ حَفْصٍ، سَمِعَ عَمْراً النَّاقِدَ يَقُوْلُ: مَا كَانَ فِي أَصْحَابِنَا أَحْفَظُ لِلأَبْوَابِ مِنْ أَحْمَدَ، وَلاَ أَسَرَدُ لِلْحَدِيْثِ مِنِ ابْنِ الشَّاذَكُوْنِيِّ، وَلاَ أَعْلَمُ بالإِسْنَادِ مِنْ يَحْيَى، مَا قَدِرَ أَحَدٌ يَقلِبَ عَلَيْهِ إِسْنَاداً قَطٌّ.

✍قال القَوَارِيْرِيُّ: قَالَ لِي يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ: مَا قَدِمَ عَلَيْنَا مِثْلُ هَذَيْنِ: أَحْمَدُ، وَابْنُ مَعِيْنٍ.

✍قال الحَسَنُ بنُ عُلَيْلٍ العَنَزِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، قَالَ: أَخطَأَ عَفَّانُ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ حَدِيْثًا، مَا أَعْلَمتُ بِهَا أَحداً، أَعْلَمتُهُ سِرّاً، وَطَلَبَ إِلَيَّ خَلَفُ بنُ سَالِمٍ، فَقَالَ: قُلْ لِي: أَيُّ شَيْءٍ هِيَ؟

فَمَا قُلْتُ لَهُ، كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ عَلَيْهِ.

۞من أقواله :

✍قَالَ بِشْرُ بنُ مُوْسَى: سَمِعْتُ ابْنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: وَيْلٌ لِلْمُحَدِّثِ إِذَا اسْتَضعَفَهُ أَصْحَابُ الحَدِيْثِ.

قُلْتُ: يَعْمَلُوْنَ بِهِ مَاذَا؟

قَالَ: إِنْ كَانَ كَوْدَنًا (أي غبيا)، سَرَقُوا كُتُبَهُ، وَأَفسَدُوا حَدِيْثَهُ، وَحَبَسُوهُ وَهُوَ حَاقِنٌ حَتَّى يَأْخُذَهُ الحَصْرُ، فَقَتَلُوهُ شَرَّ قِتْلَةٍ، وَإِنْ كَانَ فَحلاً، اسْتَضعَفَهُمْ، وَكَانُوا بَيْنَ أَمرِهِ وَنَهْيِهِ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ يَكُوْنُ ذَكَراً؟ قَالَ: يَعرِفُ مَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ.

✍قال عباس الدوري: وسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ لِحُبَّى المَدَنِيَّةِ: أَيُّ الرِّجَالِ أَعجَبُ إِلَى النِّسَاءِ؟

قَالَتْ: الَّذِي يُشْبِهُ خَدُّه خَدَّهَا.

✍وَقَالَ يَحْيَى فِي زَكَاةِ الفِطْرِ: لاَ بَأْسَ أَنْ تُعْطَى فِضَّةً.

✍وَقَالَ يَحيَى فِيْمَنْ صَلَّى خَلْفَ الصَّفِّ وَحدَهُ، قَالَ: يُعِيدُ.

✍وَقَالَ فِي مَنْ صَلَّى بِقَومٍ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ، قَالَ: لاَ يُعِيدُوْنَ، وَيُعِيدُ.

✍وَقَالَ لِي: أَنَا أُوتِرُ بِثَلاَثٍ، وَلاَ أَقْنُتُ إِلاَّ فِي النِّصْفِ الأَخِيْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَرفَعُ يَدَيَّ إِذَا قَنَتُّ، وَلاَ أَرَى المَسْحَ عَلَى العِمَامَةِ، وَلاَ أَرَى الصَّلاَةَ عَلَى رَجُل يَمُوْتُ بِغَيْرِ البَلَدِ - كَانَ يَحْيَى يُوْهِنُ هَذَا الحَدِيْثَ - وَلاَ أَرَى أَنْ يَهَبَ الرَّجُلُ بِنْتَهُ بِلاَ مَهرٍ، وَلاَ أَنْ يُزَوِّجَهَا عَلَى سُوْرَةٍ - رَأَيْتُ يَحْيَى يُوَهِّنُ هَذِهِ الأَحَادِيْثَ.

✍قال الذهبي: أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ: أَخبَرَنَا عُمَرُ بنَ طَبَرْزَدَ، أَخْبَرَنَا هِبَةُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ الشُّرُوْطِيُّ، وَأَبُو الحَسَنِ بنُ الزَّاغُوْنِيِّ، قَالاَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ المَأْمُوْنِ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بنُ عُمَرَ الحَرْبِيُّ، حَدَّثَنَا عِيْسَى بنُ سُلَيْمَانَ القُرَشِيُّ، أَنْشَدَنِي دَاوُدُ بنُ رَشِيْدٍ، أَنْشَدَنِي يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ:

المَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهُ ... يَوْماً وَتَبْقَى فِي غَدٍ آثَامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لإِلَهِهِ ... حَتَّى يَطِيْبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ
وَيَطِيْبَ مَا يَحوِي وَتَكْسِبُ كَفُّه ... وَيَكُوْنَ فِي حُسْنِ الحَدِيْثِ كَلاَمُهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ ... فَعَلَى النَّبِيِّ صَلاَتُهُ وَسَلاَمُهُ

قَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ المُقْرِئِ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَقِيْلِ البَغْدَادِيَّ يَقُوْلُ: قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ هَانِئٍ: رَأَيْتُ أَبَا دَاوُدَ يَقَعُ فِي يَحْيَى بنِ مَعِيْنٍ، فَقُلْتُ لَهُ: تَقَعُ فِي مِثْلِ يَحْيَى؟

فَقَالَ: مَنْ جَرَّ ذُيُوْلَ النَّاسِ، جَرُّوا ذَيلَهُ.

قَالَ أَبُو الرَّبِيْعِ مُحَمَّدُ بنُ الفَضْلِ البَلْخِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بنَ مَهْرَوَيْه، سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ بنِ الجُنَيْدِ، سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: إِنَّا لَنَطْعَنُ عَلَى أَقوَامٍ لَعَلَّهُمْ قَدْ حَطُّوا رِحَالَهُمْ فِي الجَنَّةِ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ مائَتَيْ سَنَةٍ.

قَالَ ابْنُ مَهْرَوَيْه: فَدَخَلْتُ عَلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ كِتَابَ (الجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ)، فَحَدَّثْتُهُ بِهَذِهِ الحِكَايَةِ، فَبَكَى، وَارتَعَدَتْ يَدَاهُ حَتَّى سَقَطَ الكِتَابُ مِنْ يَدِهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي، وَيَسْتَعِيدُنِي الحِكَايَةَ - أَوْ كَمَا قَالَ -.

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ فَهْمٍ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَقُوْلُ: وُلِدَتُ فِي خِلاَفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ، فِي آخِرِهَا.

قُلْتُ: وَقَدِ ارْتَحَلَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ سَنَةً إِلَى مِصْرَ وَالشَّامِ، وَلَقِيَ: أَبَا مُسْهِرٍ، وَسَعِيْدَ بنَ أَبِي مَرْيَمَ، وَكَاتِبَ اللَّيْثِ، وَسَمِعُوا إِذْ ذَاكَ بِهَذِهِ البِلاَدِ.

قَالَ عَبَّاسٌ الدُّوْرِيُّ: مَاتَ، فَحُمِلَ عَلَى أَعوَادِ النَّبِيِّ ﷺ وَنُودِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ: هَذَا الَّذِي كَانَ يَنفِي الكَذِبَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ كُزَالٍ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ مَعِيْنٍ بِالمَدِيْنَةِ، فَمَرِضَ، وَتُوُفِّيَ بِهَا، فَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَرَجُلٌ يُنَادِي بَيْنَ يَدَيْهِ: هَذَا الَّذِي كَانَ يَنْفِي الكَذِبَ عَنْ حَدِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

قَالَ الخَطِيْبُ: حَدَّثَ عَنِ ابْنِ مَعِيْنٍ: مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّمَّارُ، وَبَيْنَ وَفَاتَيْهِمَا خَمْسٌ وَتِسْعُوْنَ سَنَةً، أَوْ أَكْثَرُ.

قُلْتُ: هَذَا التَّمَّارُ هُوَ آخِرُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَقِيَ يَحْيَى، وَعَاشَ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ.

سادسا: المناظرة وإقامة الحجة:

روى محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة بسنده قال: - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ جَعْفَرُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُمْتَنِعِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ قَالَ: أنا أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَهْلِ الْجَلاَلَةِ، وَالشَّأْنِ مِنْهُمْ قَالَ: حَضَرْتُ الْمُهْتَدِيَ بِاللهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ جَلَسَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ، فَنَظَرْتُ إِلَى قِصَصِ النَّاسِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَيَأْمُرُ بِالتَّوْقِيعِ فِيهَا وَإِنْشَاءِ الْكُتُبِ لِأَصْحَابِهَا، وَيَخْتِمُ وَيَدْفَعُ إِلَى صَاحِبِهِ، بَيْنَ يَدَيْهِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَفَطِنَ وَنَظَرَ إِلَيَّ، فَغَضَضْتُ عَنْهُ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْهُ مِرَارًا ثَلاَثًا، وَإِذَا نَظَرَ غَضَضْتُ، وَإِذَا اشْتَغَلَ نَظَرْتُ، فَقَالَ لِي: يَا صَالِحُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُمْتُ قَائِمًا، فَقَالَ: فِي نَفْسِكَ مِنَّا شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ تَقُولَهُ؟ أَوْ قَالَ: تُرِيدُ أَنْ تَقُولَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِي: عُدْ إِلَى مَوْضِعِكَ، فَعُدْتُ، وَعَادَ فِي النَّظَرِ، حَتَّى إِذَا قَامَ قَالَ لِلْحَاجِبِ: لَا يَبْرَحُ صَالِحٌ،

فَانْصَرَفَ النَّاسُ ثُمَّ أَذِنَ لِي، وَقَدْ أَهَمَّتْنِي نَفْسِي فَدَخَلْتُ فَدَعَوْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ، تَقُولُ لِي، مَا دَارَ فِي نَفْسِكَ، أَوْ أَقُولُ أَنَا: مَا دَارَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ دَارَ فِي نَفْسِكَ؟ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَعْزِمُ عَلَيْهِ، وَمَا تَأْمُرُ بِهِ فَقَالَ: وَأَقُولُ: كَأَنِّي بِكَ وَقَدِ اسْتَحْسَنْتَ مَا رَأَيْتَ مِنَّا، فَقُلْتُ: أَيُّ خَلِيفَةٍ خَلِيفَتُنَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَوَرَدَ عَلَى قَلْبِي أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَأَهَمَّتْنِي نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ: يَا نَفْسُ، هَلْ تَمُوتِينَ إِلَّا مَرَّةً؟ وَهَلْ تَمُوتِينَ قَبْلَ أَجَلِكَ؟ وَهَلْ يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جِدٍّ أَوْ هَزْلٍ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا دَارَ فِي نَفْسِي إِلَّا مَا قُلْتُ، ثُمَّ أَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: وَيْحَكَ، اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ، فَوَاللهِ لَتَسْمَعَنَّ مِنِّي الْحَقَّ،

فَسُرِّيَ عَنِّي فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَوْلَى بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَابْنُ عَمِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

فَقَالَ لِي: مَا زِلْتُ أَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ صَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ الْوَاثِقِ، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ أَذَنَةَ فَأُدْخِلَ الشَّيْخُ عَلَى الْوَاثِقِ مُقَيَّدًا، وَهُوَ جَمِيلُ الْوَجْهِ تَامُّ الْقَامَةِ، حَسَنُ الشَّيْبَةِ، فَرَأَيْتُ الْوَاثِقَ قَدِ اسْتَحْيَى مِنْهُ، وَرَقَّ لَهُ، فَمَا زَالَ يُدْنِيهُ وَيُقَرِّبُهُ، حَتَّى قَرُبَ مِنْهُ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ فَأَحْسَنَ السَّلَامَ، وَدَعَا فَأَبْلَغَ الدُّعَاءَ، وَأَوْجَزَ،

فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ اجْلِسْ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ، نَاظِرِ ابْنَ أَبِي دُؤَادٍ عَلَى مَا يُنَاظِرُكَ عَلَيْهِ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَقِلُّ وَيَضِيقُ، وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ فَغَضِبَ الْوَاثِقُ، وَعَادَ مَكَانَ الرَّأْفَةِ لَهُ غَضَبًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ يَصْبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنْ مُنَاظَرَتِكَ أَنْتَ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِكَ وَائْذَنْ لِي فِي مُنَاظَرَتِهِ، فَقَالَ الْوَاثِقُ: مَا دَعَوْتُكَ إِلَّا لِلْمُنَاظَرَةِ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ، إِلَى مَا دَعَوْتَ النَّاسَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَقُولَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَ اللهِ مَخْلُوقٌ

فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْفَظَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ مَا نَقُولُ، قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ الشَّيْخُ: أَخْبِرْنِي يَا أَحْمَدُ عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَوَاجِبَةٌ دَاخِلَةٌ فِي عَقْدِ الدِّينِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، هَلْ سَتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي دِينِهِ؟ قَالَ: لَا قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأُمَّةَ إِلَى مَقَالَتِكَ هَذِهِ؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: تَكَلَّمْ فَسَكَتَ، فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ إِلَى الْوَاثِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحِدَةٌ فَقَالَ الْوَاثِقُ: وَاحِدَةٌ،

فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللهِ تَعَالَى، حِينَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أَكَانَ اللهُ تَعالَى الصَّادِقُ فِي إِكْمَالِ دِينِهِ، أَمْ أَنْتَ الصَّادِقُ فِي نُقْصَانِهِ، فَلَا يَكُونُ الدِّينُ كَامِلًا حَتَّى يُقَالَ فِيهِ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ؟

فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِبْ يَا أَحْمَدُ، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اثْنَتَانِ فَقَالَ الْوَاثِقُ: اثْنَتَانِ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ أَخْبِرْنِي عَنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ، أَعَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْ جَهِلَهَا؟ قَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: عَلِمَهَا قَالَ الشَّيْخُ: فَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا؟ فَسَكَتَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثَلَاثٌ فَقَالَ الْوَاثِقُ: ثَلَاثٌ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَحْمَدُ، فَاتَّسَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَلِمَهَا كَمَا زَعِمْتَ، وَلَمْ يُطَالِبْ أُمَّتَهُ بِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ قَالَ الشَّيْخُ: وَاتَّسَعَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ؟ فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: نَعَمْ فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْوَاثِقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَدَّمْتُ لَكَ الْقَوْلَ أَنَّ أَحْمَدَ يَصْبُو وَيَقِلُّ وَيَضْعُفُ عَنِ الْمُنَاظَرَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَكَ الْإِمْسَاكُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ، فَلَا وَسَّعَ اللهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ الْوَاثِقُ: نَعَمْ إِنْ لَمْ يَتَّسِعْ لَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَا اتَّسَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ، فَلَا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْنَا، اقْطَعُوا قَيْدَ الشَّيْخِ.

فَلَمَّا قُطِعَ ضَرَبَ الشَّيْخُ بِيَدِهِ إِلَى الْقَيْدِ لِيَأْخُذَهُ فَجَاذَبَهُ الْحَدَّادُ عَلَيْهِ، فَقَالَ الْوَاثِقُ: دَعِ الشَّيْخَ لِيَأْخُذَهُ، فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ فَوَضَعَهُ فِي كُمِّهِ، فَقَالَ الْوَاثِقُ: لِمَ جَاذَبْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنِّي نَوَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ أُوصِي إِلَيْهِ إِذَا مِتُّ أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كَفَنِي، حَتَّى أُخَاصِمَ بِهِ هَذَا الظَّالِمَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَقُولَ: يَا رَبِّ، سَلْ عَبْدَكَ هَذَا لِمَ قَيَّدَنِي وَرَوَّعَ أَهْلِي وَوَلَدِي وَإِخْوَانِي بِلَا حَقٍّ وَأَوْجَبَ ذَلِكَ عَلَيَّ؟

وَبَكَى الشَّيْخُ فَبَكَى الْوَاثِقُ وَبَكَيْنَا، ثُمَّ سَأَلَهُ الْوَاثِقُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِمَّا نَالَهُ فَقَالَ الشَّيْخُ: وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ كُنْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ الْوَاثِقُ: لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ

الشَّيْخُ: إِنْ كَانَتْ مُمْكِنَةً فَعَلْتُ فَقَالَ الْوَاثِقُ: تُقِيمُ فِينَا فَيَنْتَفِعَ بِكَ فِتْيَانُنَا، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَدَّكَ إِيَّايَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْهُ هَذَا الظَّالِمُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ مَقَامِي عَلَيْكَ، وَلَأُخْبِرُكَ بِمَا فِي ذَلِكَ: أَصِيرُ إِلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَكُفُّ دُعَاءَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَدْ خَلَّفْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ: فَتَقَبَّلْ مِنَّا صِلَةً مَا تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى دَهْرِكَ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَحِلُّ لِي، أَنَا عَنْهَا غَنِيٌّ، وَذُو مِرَّةٍ سَوِيٍّ قَالَ: فَسَلْ حَاجَتَكَ قَالَ: أَوَ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَخَلِّ سَبِيلِي إِلَى الثَّغْرِ السَّاعَةَ، وَتَأْذَنْ لِي قَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ، وَخَرَجَ قَالَ صَالِحٌ: قَالَ الْمُهْتَدِي بِاللهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: فَرَجَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَظُنُّ الْوَاثِقَ بِاللهِ كَانَ رَجَعَ عَنْهَا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

۞ سابعا: حكم من قال بخلق القرآن:

قال أبو يوسف رحمه الله: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر ".

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ عز وجل لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَقَدْ رَدَّ نَصَّ الْقُرْآنِ وَكَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ فَإِنْ قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ كَلَامًا فِي الشَّجَرَةِ ، فَكَلَّمَ بِهِ مُوسَى قِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْكُفْرُ ، لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْكَلَامَ مَخْلُوقٌ ، تَعَالَى اللهُ عز وجل عَنْ ذَلِكَ وَيَزْعُمُ أَنَّ مَخْلُوقًا يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَوْلِ وَأَسْمَجِهِ وَقِيلَ لَهُ: يَا مُلْحِدُ ، هَلْ يَجُوزُ لِغَيْرِ اللهِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّنِي أَنَا اللهُ؟ نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلُ هَذَا مُسْلِمًا ، هَكَذَا كَافِرٌ يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ وَرَجَعَ عَنْ مُذْهَبِهِ السُّوءِ وَإِلَّا قَتَلَهُ الْإِمَامُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ الْإِمَامُ وَلَمْ يَسْتَتِبْهُ وَعُلِمَ مِنْهُ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُهُ هُجِرَ وَلَمْ يُكَلَّمْ ، وَلَمْ يُسَلَّمْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُصَلَّ خَلْفَهُ ، وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ ، وَلَمْ يُزَوِّجْهُ الْمُسْلِمُ كَرِيمَتَهُ

وعلى الرغم من اتفاق بل إجماع أهل السنة على كفر القول بخلق القرآن فإنهم لم يقولوا بكفر معين ممن شارك في فتنة خلق القرآن، يقول شيخ الإسلام: " كان الإمام أحمد يكفِّر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته، لأن مناقضة

أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة... لكن ما كان يكفر أعيانهم... ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية، ويدعون الناس إلى ذلك ويعاقبونهم، ويكفرون من لم يجبهم، ومع هذا فالإمام أحمد ترحم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لمن يبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال لهم ذلك".

✍وهذا التفريق بين الكفر ومرتكبه طبّقه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في واقعهم مع أشد مخالفيهم قسوة وظلماً، فالقول بخلق القرآن وغيره مما قاله المعتزلة كفر لا يلزم منه كفر قائله.

✍يقول شارح الطحاوية: " قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

✍وفي مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٤٩ أن الشافعي قال لحفص الفرد - حين قال: (القرآن مخلوق) -: كفرتَ بالله العظيم، بيّن له أن هذا القول كفر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك، لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد، لسعى في قتله، وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم".

✍وطبق ابن تيمية رحمه الله هذا المسلك الأصيل، فكان في محنته يقول للجهمية الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش: " أنا لو وافقتكم كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم".

يقول الناظم:

٦(وقال يتجلى الله للخلق جهرةً كما البدر لا يخفى وربك أوضحُ)

الشرح:

رؤية الله تعالى لأهل الجنة والرد على المخالفين:

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ وَأَجَلِّهَا، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمِّرُونَ، وَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَحُرِمَهَا الَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ، وَعَنْ بَابِهِ مَرْدُودُونَ.

الدليل من القرآن:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢، ٢٣]

الرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا. وَكَذَلِكَ يَرَوْنَهُ فِي الْمَحْشَرِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٤٤].

وَاخْتُلِفَ فِي رُؤْيَةِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ. الثَّانِي: يَرَاهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ الْكُفَّارِ وَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ. الثَّالِثُ: يَرَاهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنَافِقُونَ دُونَ بَقِيَّةِ الْكُفَّارِ. وَكَذَلِكَ الْخِلَافُ فِي تَكْلِيمِهِ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ.

وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ، وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ إِلَّا فِي نَبِيِّنَا ﷺ خَاصَّةً: مِنْهُمْ مَنْ نَفَى رُؤْيَتَهُ بِالْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا لَهُ ﷺ،

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي كِتَابِهِ الشِّفَا اخْتِلَافَ الصحابة وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي رُؤْيَتِهِ ﷺ، وَإِنْكَارَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ يَكُونَ ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ، وَأَنَّهَا قَالَتْ لِمَسْرُوقٍ حِينَ سَأَلَهَا: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شِعْرِي مِمَّا قُلْتَ، ثُمَّ

قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ). ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هُرَيْرَةَ وَاخْتُلِفَ عَنْهُ.

وَقَالَ بِإِنْكَارِ هَذَا وَامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ والمتكلمين.

✍وَإِضَافَةُ النَّظَرِ إِلَى الْوَجْهِ، الَّذِي هُوَ مَحِلُّهُ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَعْدِيَتُهُ بِأَدَاةِ إِلَى الصَّرِيحَةِ فِي نَظَرِ الْعَيْنِ، وَإِخْلَاءُ الكلام من قرينة تدل على خلافه حَقِيقَةٌ مَوْضُوعَةٌ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ اللهَ أَرَادَ بِذَلِكَ نَظَرَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ إِلَى الرب جل جلاله.

✍وَقَدْ قَالَ بِثُبُوتِ الرُّؤْيَةِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَام الْمَعْرُوفُونَ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَسَائِرُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَنْسُوبُونَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

✍واعلم أنه مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِه".

۞ الأدلة من السنة:

١/ روى البخاري في صحيحه باب قوله تعالى: وجوه يمئذ ناضرة: برقم (٧٤٣٤)- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، وَهُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا**».

٢/ وروى البخاري في صحيحه باب قوله تعالى: وجوه يمئذ ناضرة: برقم (٧٤٣٥)- حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ اليَرْبُوعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».

٣/ وروى البخاري في صحيحه باب قوله تعالى: وجوه يمئذ ناضرة: برقم ٧٤٣٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟**»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»، **يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَّ إِبْرَاهِيمُ -، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**).

٤/ وروى البخاري في صحيحه باب قوله تعالى: وجوه يمئذ ناضرة: برقم ٧٤٣٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**» ثُمَّ قَالَ: " **يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ**

يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا).

٥/ وروى النسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٦٤) برقم (٧٧١٣)- أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حُسَيْنٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

٦/ روى أحمد في " مسند " ٥/ ٣٢٤.وأخرجه أيضـًا من طريق بقية بن الوليد: أبو داود (٤٣٢٠)، وابن أبي عاصم (٤٢٨)، والآجري ص ٣٧٥، والدارمي في " الرد على بشر المريسي " ص ٣٠١، واللالكائي (٨٤٨).من حديث بقية: حدثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جُنادة بن أبي أمية، عن عُبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: "**قد حدثتكم عن الدَّجَّال حتى خشيتُ ألا تَعقِلوا، إن مسيحَ الدجال رجلٌ قصير، أفحجُ، جعدٌ، أعورٌ، مطموس العين، ليس بناتئةٍ ولا حَجْراء، فإن التبس عليكم [قال يزيد: ربكم] فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا**". قال الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات، وبقية قد صرح بالتحديث، وفيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح.

٧/ أخرج الآجري في " الشريعة " ص ٢٦٤، وعبد الله في " السنة " (٢٧٨)، واللالكلائي (٨٦٢). عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي، عن التيمي، عن أسلم العِجلي عن أبي مُرَاية، عن أبي موسى الأشعري، أنه كان يحدث الناس فشَخَصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال. قال: فكيف بكم إذا رأيتم الله جهرة).

٨/ أخرج الطبري (١٧٦١٠)، واللالكائي (٧٨٤)، وابن أبي عاصم (٤٧٣) والآجري في " الشريعة " ص ٢٥٧، وعبد الله بن أحمد في " السنة " (٢٨٣) و(٢٨٤) عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعدٍ،قال: قرأ أبو بكر الصديق: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى).قال الأرناؤوط: هذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن رواية عامر بن سعد عن أبي بكر مرسلة، وقد تبينت الواسطة -وهو سعيد بن نُمران- في رواية الطبري (١٧٦١١). قال الذهبي في " الميزان " ٢/ ١٦١: مجهول. وذكره ابن أبي حاتم، ولم يورد فيه جرحاً ولا تعديلاً.

٩/ وأخرج ابن أبي عاصم في " السنة " (٤٢٧)، والطبراني في " الكبير " ١٨/ (٨٢٥)، و" الأوسط "، واللالكائي في " أصول الاعتقاد " (٨٤٧) من طريق عمرو بن عثمان (هو الحمصي)، حدثنا أبي عن محمد بن المهاجر، عن ابن حلبس (وهو يونس بن ميسرة بن حلبس) عن أم الدرداء، عن فضالة بن عبيد أنه كان يقول: (**اللهم أني أسألك الرضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرةٍ ولا فتنةٍ مضلَّةٍ**) وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي - ﷺ. وأورده الهيثمي في " المجمع " ١٠/ ١٧٧، ونسبه للطبراني في " الكبير " و" الأوسط "، وقال: رجاله ثقات.

١٠/ جاء في كتاب الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى

الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ): ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء، فلما كان الله تعالى عالما بالأشياء كان عالما بنفسه، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، ولما كان الله ﷻ رائيا للأشياء كان رائيا لنفسه، وإذا كان رائيا لها فجائز أن يرينا نفسه، كما أنه لما كان عالما بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾﴾ من الآية (٤٦ / ٢٠)، فأخبر أنه يسمع كلا منهما ويراهما، ومن زعم أن الله ﷻ لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله ﷻ رائيا ولا عالما ولا قادرا؛ لأن العالم والقادر الرائي جائز أن يُرى.

البيان: قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»:

لَا شك أن ترى تَارَةً تَكُونُ بَصَرِيَّةً، وَتَارَةً تَكُونُ قَلْبِيَّةً، وَتَارَةً تَكُونُ مِنْ رُؤْيَا الْحُلْمِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَا يَخْلُو الْكَلَامُ مِنْ قَرِينَةٍ تُخَلِّصُ أَحَدَ مَعَانِيهِ مِنَ الْبَاقِي، وَإِلَّا لَوْ أَخْلَى الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ مِنَ الْقَرِينَةِ الْمُخَلِّصَةِ لِأَحَدِ الْمَعَانِي لَكَانَ مُجْمَلًا مُلْغِزًا، لَا مُبَيِّنًا مُوَضِّحًا. وَأَيُّ بَيَانٍ وَقَرِينَةٍ فَوْقَ قَوْلِهِ: "**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**؟ " ، فَهَلْ مِثْلُ هَذَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِرُؤْيَةِ الْبَصَرِ، أَوْ بِرُؤْيَةِ الْقَلْبِ؟ وَهَلْ يَخْفَى مِثْلُ هَذَا إِلَّا عَلَى مَنْ أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ؟

الْمُخَالِفُ فِي الرُّؤْيَةِ: هم الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْإِمَامِيَّةِ، وذلك لأنهم تَوَهَّمُوها تَشْبِيهًا، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا التَّوَهُّم -إِنْ أَثْبَتَ مَا تَوَهَّمَهُ مِنَ الْوَصْفِ- فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَإِنْ نَفَى الرُّؤْيَةَ مِنْ أَصْلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التوهم، فهو جاحد معطل، وَقَوْلُهُمْ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ، وَأَمَّا مَنْ أَبَى إِلَّا تَحْرِيفَهَا بِمَا يُسَمِّيهِ تَأْوِيلًا؛.نقول له اعرف معنى التأويل عند أهل السنة حتى لا تفعل فعل اليهود وَالنَّصَارَى فِي نُصُوصِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَحَذَّرَنَا اللهُ أَنْ نَفْعَلَ مِثْلَهُمْ، وَأَبَى الْمُبْطِلُونَ إِلَّا سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ، وَكَمْ جَنَى التَّأْوِيلُ الْفَاسِدُ عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ مِنْ جِنَايَةٍ، فَهَلْ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ؟ وَكَذَا مَا جَرَى فِي

يَوْمِ الْجَمَلِ، وصفين، ومقتل الحسين، وَالْحَرَّةِ؟ وَهَلْ خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ، وَاعْتَزَلَتِ الْمُعْتَزِلَةُ، وَرَفَضَتِ الرَّوَافِضُ، وَافْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ الْفَاسِدِ؟!

فَالتَّأْوِيلُ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ: هُوَ الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عن الْمُخْبَرِ بِهِ، وَتَأْوِيلُ الْأَمْرِ: نَفْسُ الْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ. كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: "**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**" يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٣]. وَمِنْهُ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَا، وَتَأْوِيلُ الْعَمَلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٠]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يُوسُفَ: ٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّسَاءِ: ٥٩]. وَقَوْلِهِ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الْكَهْفِ: ٨٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الْكَهْفِ: ٨٢]، فَمَنْ يُنْكِرُ وُقُوعَ مِثْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَالْعِلْمَ بِمَا تَعَلَّقَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْهُ؟ وَأَمَّا مَا كَانَ خَبَرًا، كَالْإِخْبَارِ عَنِ اللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهَذَا قَدْ لَا يُعْلَمُ تَأْوِيلُهُ، الَّذِي هُوَ حَقِيقَتُهُ، إِذْ كَانَتْ لَا تُعْلَمُ بِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ، فَإِنَّ الْمُخْبَرَ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَصَوَّرَ الْمُخْبَرَ بِهِ، أَوْ مَا يَعْرِفُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ، الَّتِي هِيَ تَأْوِيلُهُ، بِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ نَفْيُ الْعِلْمِ بِالْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطِبُ إِفْهَامَ الْمُخَاطَبِ إِيَّاهُ، فَمَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِتَدَبُّرِهَا، وَمَا أَنْزَلَ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُعْلَمَ مَا عَنَى بِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَهَذَا مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ السَّلَفِ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا التَّأْوِيلُ مُوَافِقًا لِلظَّاهِرِ أَوْ مُخَالِفًا لَهُ.

وَالتَّأْوِيلُ فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، كَابْنِ جَرِيرٍ وَنَحْوِهِ، يُرِيدُونَ بِهِ تَفْسِيرَ الْكَلَامِ وَبَيَانَ مَعْنَاهُ، سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ خَالَفَ، وَهَذَا اصْطِلَاحٌ مَعْرُوفٌ،

وَهَذَا التَّأْوِيلُ كَالتَّفْسِيرِ، يُحْمَدُ حَقُّهُ، وَيُرَدُّ بَاطِلُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]، الْآيَةَ فيها قراءتان. قراءة من يقف عَلَى قَوْلِهِ "إِلَّا اللهُ"، وَقِرَاءَةُ مَنْ لَا يَقِفُ عِنْدَهَا، وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ حَقٌّ، وَيُرَادُ بِالْأُولَى الْمُتَشَابِهُ فِي نَفْسِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ، وَيُرَادُ بِالثَّانِيَةِ الْمُتَشَابِهُ الْإِضَافِيُّ الَّذِي يَعْرِفُ الرَّاسِخُونَ تَفْسِيرَهُ، وَهُوَ تَأْوِيلُهُ، وَلَا يُرِيدُ مَنْ وَقَفَ عَلَى قَوْلِهِ "إِلَّا اللهُ" أَنْ يَكُونَ التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ لِلْمَعْنَى، فَإِنَّ لَازِمَ هَذَا أَنْ يَكُونَ اللهُ أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ كَلَامًا لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ وَلَا الرَّسُولُ، وَيَكُونُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا سِوَى قَوْلِهِمْ: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]. وَهَذَا الْقَدْرُ يَقُولُهُ غَيْرُ الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَجِبُ امْتِيَازُهُمْ عَنْ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَلَقَدْ صَدَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لَهُ كما في المسند والصحيحين.وَقَالَ: "**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**".. وَدُعَاؤُهُ ﷺ لَا يُرَدُّ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آية وأسأله عَنْهَا، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّقُولُ عَنْهُ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ آيَةٍ إِنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ.

وَقَوْلُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الأصول: الْمُتَشَابِهُ: الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، وَيُرْوَى هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ قَدْ تَكَلَّمَ فِي مَعْنَاهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، فَإِنْ كَانَ مَعْنَاهَا مَعْرُوفًا، فَقَدْ عُرِفَ مَعْنَى الْمُتَشَابِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا، وَهِيَ الْمُتَشَابِهُ، كَانَ مَا سِوَاهَا مَعْلُومُ الْمَعْنَى، وَهَذَا الْمَطْلُوبُ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]. وَهَذِهِ الْحُرُوفُ لَيْسَتْ آيَاتٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعَادِّينَ.

أما التَّأْوِيلُ فِي كَلَام الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ: فَهُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الْاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الْاحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِدَلَالَةٍ تُوجِبُ ذَلِكَ، وَهَذَا

هُوَ التأويل الذي تنازع النَّاسُ فِيهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْخَبَرِيَّةِ وَالطَّلَبِيَّةِ، فَالتَّأْوِيلُ الصَّحِيحُ مِنْهُ: الَّذِي يُوَافِقُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ فَهُوَ التَّأْوِيلُ الْفَاسِدُ.

وَذُكِرَ فِي التَّبْصِرَةِ أَنَّ نُصَيْرَ بْنَ يحيى البلخي روى عن عمرو بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ أَبِي يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُمُ اللهُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى مَا يُؤَدِّي ظَاهِرُهُ إِلَى التَّشْبِيهِ؟ فَقَالَ: نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ، وَنُؤْمِنُ بِهَا، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ وَكَيْفَ. وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْمَعْنَى الْفَاسِدَ الْكُفْرِيَّ لَيْسَ هُوَ ظَاهِرَ النَّصِّ وَلَا مُقْتَضَاهُ، وَأَنَّ مَنْ فَهِمَ ذَلِكَ مِنْهُ فَهُوَ لِقُصُورِ فَهْمِهِ وَنَقْصِ عِلْمِهِ، وَإِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فِي قَوْلِ بَعْضِ النَّاسِ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وَقِيلَ:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ معادنها ... وما علي إذا لم تفهم البقر

كيف يُقَالُ فِي قَوْلِ اللهِ، الَّذِي هُوَ أَصْدَقُ الْكَلَامِ وَأَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُودٍ: ١]. إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ إِنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ والحديث هو الضلال، وإنه ليس فيه بيان ما يَصْلُحُ مِنَ الِاعْتِقَادِ، وَلَا فِيهِ بَيَانُ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ؟! هَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْمُتَأَوِّلِينَ.

وَالْحَقُّ أَنَّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا كَانَ بَاطِلًا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ. وَالْمُنَازِعُونَ يَدَّعُونَ دَلَالَتَهُ عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي يَتَعَيَّنُ صَرْفُهُ!

فَيُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الْبَابُ الَّذِي فَتَحْتُمُوهُ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مواضع قليلة خفية، فَقَدْ فَتَحْتُمْ عَلَيْكُمْ بَابًا لِأَنْوَاعِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى سَدِّهِ، فَإِنَّكُمْ إِذَا سَوَّغْتُمْ صَرْفَ الْقُرْآنِ عَنْ دَلَالَتِهِ الْمَفْهُومَةِ بِغَيْرِ دَلِيل شَرْعِيٍّ، فَمَا الضَّابِطُ فِيمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهُ وَمَا لا يسوغ؟ فإن قُلْتُمْ: مَا دَلَّ الْقَاطِعُ الْعَقْلِيُّ عَلَى اسْتِحَالَتِهِ تَأَوَّلْنَاهُ، وَإِلَّا أَقْرَرْنَاهُ! قِيلَ لَكُمْ: وَبِأَيِّ عَقْلٍ نَزِنُ الْقَاطِعَ الْعَقْلِيَّ؟ فَإِنَّ الْقِرْمِطِيَّ الْبَاطِنِيَّ يَزْعُمُ قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى بُطْلَانِ

ظَوَاهِرِ الشَّرْعِ! وَيَزْعُمُ الْفَيْلَسُوفُ قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى بُطْلَانِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ! وَيَزْعُمُ الْمُعْتَزِلِيُّ قِيَامَ الْقَوَاطِعِ عَلَى امْتِنَاعِ رُؤْيَةِ الله تعالى، وعلى امتناع قيام عالم أَوْ كَلَامٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِهِ تَعَالَى!! وَبَابُ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي يَدَّعِي أَصْحَابُهَا وُجُوبَهَا بِالْمَعْقُولَاتِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَنْحَصِرَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، **وَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ مَحْذُورَانِ عَظِيمَانِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا نُقِرَّ بِشَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى نَبْحَثَ قَبْلَ ذَلِكَ بُحُوثًا طَوِيلَةً عَرِيضَةً فِي إِمْكَانِ ذَلِكَ بِالْعَقْلِ! وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْكِتَابِ يَدَّعُونَ أَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَى مَا ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة المحذورة.

الثاني: أن القلوب تتخلى عَنِ الْجَزْمِ بِشَيْءٍ تَعْتَقِدُهُ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ. إِذْ لَا يُوثَقُ بِأَنَّ الظَّاهِرَ هُوَ الْمُرَادُ، وَالتَّأْوِيلَاتُ مُضْطَرِبَةٌ، فَيَلْزَمُ عَزْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَا أَنْبَأَ اللهُ بِهِ الْعِبَادَ، وَخَاصَّةُ النَّبِيِّ هِيَ الْإِنْبَاءُ، وَالْقُرْآنُ هُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ. وَلِهَذَا نَجِدُ أَهْلَ التَّأْوِيلِ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِلِاعْتِضَادِ لَا لِلِاعْتِمَادِ، إِنْ وَافَقَتْ مَا ادَّعَوْا أَنَّ الْعَقْلَ دل عليه قبلوه، وَإِنْ خَالَفَتْهُ أَوَّلُوهُ! وَهَذَا فَتْحُ بَابِ الزَّنْدَقَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

النَّفْيُ وَالتَّشْبِيهُ مَرَضَانِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ أَمْرَاضَ الْقُلُوبِ نَوْعَانِ: مَرَضُ شُبْهَةٍ، وَمَرَضُ شَهْوَةٍ، وَكِلَاهُمَا مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الْأَحْزَاب: ٣٢]. فَهَذَا مَرَضُ الشَّهْوَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [الْبَقَرَة: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٥]. فَهَذَا مَرَضُ الشُّبْهَةِ، وَهُوَ أَرْدَأُ مِنْ مَرَضِ الشَّهْوَةِ، إِذْ مَرَضُ الشَّهْوَةِ يُرْجَى لَهُ الشِّفَاءُ بِقَضَاءِ الشَّهْوَةِ، وَمَرَضُ الشُّبْهَةِ لَا شِفَاءَ لَهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ. وَالشُّبْهَةُ الَّتِي فِي مَسْأَلَةِ الصِّفَاتِ نفيها وتشبيهها، وشبه النفي أردأ من شبه التشبيه، فإن شبه النَّفْيِ رَدٌّ وَتَكْذِيبٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وشبه التشبيه غلو مجاوزة لِلْحَدِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ. وَتَشْبِيهُ اللهِ بِخَلْقِهِ كُفْرٌ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]، وَنَفْيُ الصِّفَاتِ كُفْرٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورَى: ١١]. وَهَذَا أصل نَوْعَيِ التَّشْبِيهِ، فَإِنَّ التَّشْبِيهَ نَوْعَانِ:

١/ **تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ**، وَهَذَا الَّذِي يَتْعَبُ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي رَدِّهِ وَإِبْطَالِهِ، وَأَهْلُهُ فِي النَّاسِ أَقَلُّ مِنَ النَّوْعِ الثَّانِي.

٢/ **تَشْبِيهِ الْمَخْلُوقِ بالخالق**، كعباد المشايخ، وَعُزَيْرٍ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْأَصْنَام، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّارِ، وَالْمَاءِ، وَالْعِجْلِ، وَالْقُبُورِ، وَالْجِنِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أُرْسِلَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ يَدْعُونَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالْوَاجِبُ دَفْعُ ذَلِكَ الْوَهْمِ، ورَدُّ الْبَاطِلِ وَإِثْبَاتُ الْحَقِّ. فمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُنَزِّهُونَ اللهَ بِهَذَا النَّفْيِ! وَهَلْ يَكُونُ التَّنْزِيهُ بِنَفْيِ صِفَةِ الْكَمَالِ؟ فَإِنَّ نَفْيَ الرُّؤْيَةِ لَيْسَ بِصِفَةِ كَمَالٍ، إِذِ الْمَعْدُومُ لَا يُرَى، وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِي إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ وَنَفْيِ إِدْرَاكِ الرَّائِي لَهُ إِدْرَاكَ إِحَاطَةٍ، كَمَا فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّ نَفْيَ الْعِلْمِ بِهِ لَيْسَ بِكَمَالٍ، وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِي إِثْبَاتِ الْعِلْمِ وَنَفْيِ الْإِحَاطَةِ بِهِ عِلْمًا. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُحَاطُ بِهِ رُؤْيَةً، كَمَا لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا.

سئل الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ. هل يُكفر من ينفي رؤية الله تعالى يوم القيامة؟ وهل يكفر القائل بأن كلام الله مخلوق؟

فأجاب الشيخ قائلا: لا شك أن الإباضية وكل من دان برأيهم وبعقيدتهم في أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مخلوق، ومن ذلك هذا القرآن المعجز مخلوق، وكذلك من نفى إنكار رؤية المؤمنين لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، لا شك أن هؤلاء المنكرين لكون القرآن كلام الله حقيقة وليس مخلوقـًا، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يمتن على عباده المؤمنين فيتجلى لهم يوم القيامة، ويوم يدخل المسلمون الجنة، هذا الإنكار فيه ضلال واضح جداً، وأما أن هذا الضلال كفر ردة عن الدين أو لا، نقول: من تبينت له الحجة ثم أنكرها فهو كافر مرتد عن دينه، لكن من أنكر ذلك فهو في ضلال، ونحن لا يهمنا أن نقول فلان من الناس أو

الطائفة الفلانية من الناس هم كفار، حسبنا أن نقول هم ضلّال؛ لأن المقصود هدايتهم وأن يعرفوا أنهم على خطأ وعلى ضلال حتى يعودوا إلى الصواب..

✍وسئل الشيخ الألباني هل رؤية الله تعالى في المنام خاصة بالنبيﷺ أم لا؟

✍فأجاب الشيخ: ليس هناك ما يدل على الخصوصية.

السائل: وما معنى قوله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة»؟..

الشيخ: طبعًا في المنام..

✍وسئل الشيخ الألباني هل تمكن رؤية الله تعالى في المنام كما حصل ذلك لرسول الله ﷺ، وهل يُسْتَأْنَسُ بما أودعه ابن القيم في مدارج السالكين في هذا الباب؟

فأجاب الشيخ قائلا: قضية الإمكان أخي ما دام الرؤيا هي ليست حقيقية إنما هي مثالية، فمن رأى الله في منامه ما رآه كما سيراه المؤمنون يوم القيامة وإن شاء الله نحن منهم، من رآه في المنام فلن يرى ذات الله على حقيقتها، ولذلك فالعقل واسع جداً، ممكن إنسان أن يرى الله لا سيما وقد نُقِلَ هذا عن الإمام أحمد وغيره، لكن هل رآه حقيقةً، نحن نستطيع أن نقول: إن النبي ﷺ حينما رأى ربه في المنام في القصة المعروفة عنه ما رآه على حقيقته، وهو يقول: «**إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت**»، ولذلك فالمسألة فيها سعة، ولا يترتب من ورائها شيء.

۞ مسألة والجواب عنها:

فإن قال قائل: قد استكبر الله تعالى سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار، فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾. فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله ﷻ على طريق الإنكار لنبوة موسى ﷺ، وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية

مستحيلة عليهم، كما استعظم سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا. (الإبانة عن أصول الديانة ص: ٤٨)

يقول الناظم:

٧(وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبهٌ تعالى المسبحُ)

٨(وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرحُ)

٩(رواه جريرٌ عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجحُ)

الشرح:

ينبغي لمن استجاب للنبي ﷺ أن يعتقد أن الله واحد أحد، فرد صمد، لا يغيره الأبد، ليس له والد ولا ولد، وأنه ليس له شبهٌ ولا نظير، ولا عونٌ ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ند ولا مشير، سبق الأشياء فهو قديم بقدمها، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها، لم تملكه الخواطر فتكيفه، ولم تدركه الأبصار فتصفه، ولم يخل من علمه مكان، ولم يعدمه زمان، ولم يتقدمه دهر ولا حين، ولا كان قبله كون ولا تكوين، ولا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، ولا يدخل في الأمثال والأشكال، صفاته كذاته، ليس بجسم في صفاته، جل أن يشبه بمبتدعاته، أو يضاف إلى مصنوعاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا سمي له في أرضه وسماواته، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وعلمه محيط بالأشياء.

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه المقدسة في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل فيؤمنون بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى. وصفاته العليا، ولا

ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، ولا يعطلونها، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه لأنه... ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ورسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولذلك قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ - وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] فسبح نفسه عما وصف به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب والخلل والزلل. وقد جمع الله سبحانه وتعالى فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال أبو عمرو الداني:

ومن عقود السنة الايمان ... بكل ما جاء به القرآن
وبالحديث المسند المروي ... عن الأئمة عن النبي
وأن ربنا قديم لم يزل ... وهو دائم إلى غير أجل
ليس له شبه ولا نظير ... ولا شريك لا ولا وزير
ولا له ند ولا عديل ... ولا انتقال لا ولا تحويل
ولا له صاحبة ولا ولد ... بل هو فرد صمد وتر أحد
كان وما كان شيء قبله ... أجل ولا شيء يكون مثله
جل عن الوصف وكيف كانا ... سبحانه من بارئ سبحانا

۞ الآيات الدالة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۝٤﴾.

سورة الإخلاص سورة مكية النزول.

اشتملت هذا السُّورَةُ عَلَى عُلُومِ التَّوْحِيدِ كُلِّهَا، وتضمَّنت الْأُصُولَ الَّتِي هِيَ مَجَامِعُ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الِاعْتِقَادِيِّ؟ فَنَقُولُ:

إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلَّت عَلَى نَفْيِ الشَّرِيكِ مِنْ كُلِّ وجهٍ: فِي الذَّاتِ، وَفِي الصِّفَاتِ، وَفِي الْأَفْعَالِ؛ كَمَا دلَّت عَلَى تفرُّده سُبْحَانَهُ بِالْعَظَمَةِ وَالْكَمَالِ وَالْمَجْدِ وَالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَلِهَذَا لَا يُطلَق لَفْظُ ﴿أَحَدٌ﴾ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَد﴾ قَدْ فسَّرها ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِقَوْلِهِ:

«السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدَدِه، وَالشَّرِيفُ الَّذِي كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كمُل فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، والجبَّار الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كمُل فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كفءٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».

وَقَدْ فُسِّر الصَّمَدُ أَيْضًا بِأَنَّهُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَبِأَنَّهُ الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا وَتَقْصِدُهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهَا ومهمَّاتها فَإِثْبَاتُ الْأَحَدِيَّةِ لِلَّهِ تضمَّن نَفْيَ الْمُشَارَكَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ.

وَإِثْبَاتُ الصمديَّة بِكُلِّ مَعَانِيهَا الْمُتَقَدِّمَةِ تَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ جَمِيعِ تَفَاصِيلِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى. وَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْإِثْبَاتِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي ـ وَهُوَ تَوْحِيدُ التَّنْزِيهِ ـ؛ فَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ كَمَا يُؤْخَذُ إِجْمَالًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أَيْ: لَمْ يتفرَّع عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يتفرَّع هُوَ عَنْ شَيْءٍ، وَلَيْسَ لَهُ مُكَافِئٌ وَلَا مُمَاثِلٌ وَلَا نَظِيرٌ.

فَانْظُرْ كَيْفَ تضمَّنت هَذِهِ السُّورَةُ تَوْحِيدَ الِاعْتِقَادِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الأَحَدِيَّة الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الْمُشَارَكَةِ، والصمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَة لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ نقصٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَنَفْيَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ غِنَاهُ وصمَدِيَّتِه وأَحدِيَّتِه، ثُمَّ نَفْيَ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنَ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالنَّظِيرِ)؟

فحُقَّ لِسُورَةٍ تضمَّنت هَذِهِ الْمَعَارِفَ كُلَّهَا أَنْ تَعْدِلَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

سبب نزولها:

روى الإمام أحمد في مسنده « ٥/ ١٣٣، ١٣٤»: حدثنا أبو سعيد مُحَمَّدُ بْنُ مُيَسَّرٍ الصَّاغَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا محمد «انسب لنا ربك، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۝٤﴾ وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ في سننه « كتاب التفسير، تفسير سورة ١١٢، باب ١.»

فضل سورة الإخلاص:

روى البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد:: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ الذُّهْلِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرٌو عَنِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ أَنَّ أَبَا الرِّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ فِي

حِجْرِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صلاتهم فيختم بقل هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ**» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ**» هَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (كتاب صلاة المسافرين حديث ٩٨).

روى الإمام أحمد في مسنده (ط الرسالة (١٩/ ٤٢١ برقم ١٢٤٣٢)- حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ** "صححه الأرناؤوط.

روى الإمام البخاري في صحيحه في فضائل القرآن باب فضل (قل هو الله أحد) حديث برقم (٥٠١٣)- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**».

وذكر بن كثير في التفسير: قَالَ عِكْرِمَةُ. لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ نَحْنُ نَعْبُدُ عُزَيْرًا ابْنَ اللهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يَعْنِي هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللهِ ﷻ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وأفعاله.

وقوله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يعني الّذي يصمد إليه الخلائق فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ،

وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ. وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي وَائِلِ الصَّمَدُ السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَرَوَاهُ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ.

وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ الصَّمَدُ السَّيِّدُ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا الصَّمَدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُطْعَمُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: (هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ.

يقول شارح الطحاوية: وَلَيْسَ تَشْبِيهُ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى بِرُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ تَشْبِيهًا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا تَشْبِيهُ الْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ، وَلَكِنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عُلُوِّ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِلَّا فَهَلْ تُعْقَلُ رُؤْيَةٌ بِلَا مُقَابَلَةٍ؟ وَمَنْ قَالَ: يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيُرَاجِعْ عَقْلَهُ!! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ وَفِي عَقْلِهِ شَيْءٌ، وَإِلَّا فَإِذَا قَالَ يُرَى لَا أَمَامَ الرَّائِي وَلَا خَلْفَهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَا عَنْ يَسَارِهِ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، رَدَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ.

وَلِهَذَا أَلْزَمَ الْمُعْتَزِلَةَ مِنْ نَفَى الْعُلُوَّ بِالذَّاتِ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وقالوا: كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بِغَيْرِ جِهَةٍ، وَإِنَّمَا لَمْ نَرَهُ فِي الدُّنْيَا لِعَجْزِ أَبْصَارِنَا، لَا لِامْتِنَاعِ الرُّؤْيَةِ، فَهَذِهِ الشَّمْسُ إِذَا حَدَّقَ الرَّائِي الْبَصَرَ فِي شُعَاعِهَا ضَعُفَ عَنْ رُؤْيَتِهَا، لَا لِامْتِنَاعٍ فِي ذَاتِ الْمَرْئِيِّ، بَلْ لِعَجْزِ الرَّائِي، فَإِذَا كَانَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَكْمَلَ اللهُ قُوَى الْآدَمِيِّينَ حَتَّى أَطَاقُوا رُؤْيَتَهُ، وَلِهَذَا لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِلْجَبَلِ: ﴿خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٤٣]، بِأَنَّهُ لَا يَرَاكَ حَيٌّ إِلَّا مَاتَ، وَلَا يَابِسٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ، وَلِهَذَا كَانَ الْبَشَرُ يَعْجِزُونَ عَنْ رُؤْيَةِ الْمَلَكِ فِي صُورَتِهِ،

إِلَّا مَنْ أَيَّدَهُ اللهُ كَمَا أَيَّدَ نَبِيَّنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الْأَنْعَام: ٨]. قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَا يُطِيقُونَ أَنْ يَرَوُا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ، فَلَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ بَشَرٍ، وَحِينَئِذٍ يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ: هَلْ هُوَ بَشَرٌ أَوْ مَلَكٌ؟ وَمِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْنَا أَنْ بَعَثَ فِينَا رَسُولًا مِنَّا.

وَمَا أَلْزَمَهُمُ الْمُعْتَزِلَةُ هَذَا الإِلْزَامَ إِلَّا لَمَّا وَافَقُوهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ. لَكِنَّ قَوْلَ مَنْ أَثْبَتَ مَوْجُودًا يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، أَقْرَبُ إِلَى الْعَقْلِ مِنْ قَوْلِ مَنْ أَثْبَتَ مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَا يُرَى وَلَا فِي جِهَةٍ.

✍وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ بِنَفْيِ الرُّؤْيَةِ لِانْتِفَاءِ لَازِمِهَا وَهُوَ الْجِهَةُ: أَتُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَمْرًا وُجُودِيًّا؟ أَوْ أَمْرًا عَدَمِيًّا؟ فَإِنْ أَرَادَ بِهَا أمرا وجوديا كان التقرير: كُلُّ مَا لَيْسَ فِي شَيْءٍ مَوْجُودٌ لَا يُرَى، وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ مَمْنُوعَةٌ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى إِثْبَاتِهَا، بَلْ هِيَ بَاطِلَةٌ، فَإِنَّ سَطْحَ الْعَالَمِ يُمْكِنُ أَنْ يُرَى، وَلَيْسَ الْعَالَمُ فِي عَالَمٍ آخَرَ. وَإِنْ أَرَدْتَ بِالْجِهَةِ أَمْرًا عَدَمِيًّا، فَالْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ مَمْنُوعَةٌ، فَلَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةٍ بِهَذَا الْاعْتِبَارِ.

✍وَكَيْفَ يَتَكَلَّمُ فِي أُصُولِ الدِّينِ مَنْ لَا يَتَلَقَّاهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا يَتَلَقَّاهُ مِنْ قَوْلِ فُلَانٍ؟! وَإِذَا زَعَمَ أَنَّهُ يَأْخُذُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَا يَتَلَقَّى تَفْسِيرَ كِتَابِ اللهِ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ، وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا، وَلَا فِيمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الْمَنْقُولِ إِلَيْنَا عَنِ الثِّقَاتِ النَّقَلَةِ، الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمُ النُّقَّادُ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْقُلُوا نَظْمَ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، بَلْ نَقَلُوا نَظْمَهُ وَمَعْنَاهُ، وَلَا كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ كَمَا يَتَعَلَّمُ الصِّبْيَانُ، بَلْ يَتَعَلَّمُونَهُ بِمَعَانِيهِ. وَمَنْ لَا يَسْلُكُ سَبِيلَهُمْ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِرَأْيِهِ، وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِرَأْيِهِ وَمَا يَظُنُّهُ دِينَ اللهِ وَلَمْ يتلق ذلك من الكتاب فَهُوَ مَأْثُومٌ وَإِنْ أَصَابَ، وَمَنْ أَخَذَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ مَأْجُورٌ وَإِنْ أَخْطَأَ، لَكِنْ إِنْ أَصَابَ يُضَاعَفُ أَجْرُهُ.

٭٭٭

❁ **قول الناظم:**

(وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبه تعالى المسبح)

❁ **الشرح:-**

هذا البيت ذكره الناظم بعد إثبات الرؤية لله؛ ليبين به أن إثباتها حقيقة لا يستلزم تشبيه الله بالمولود أو بالوالد، ولا يستلزم التشبيه؛ لأن أهل السنة يثبتون الصفات على وجهٍ يليق بالله تعالى، والإضافة تقتضي التخصيص في الصفة التي تضاف إلى الله ليست كالصفة التي تضاف إلى المخلوق، فعندما تضاف الصفة إلى الله فإنها تليق بكمال الله، وإذا أضيفت إلى المخلوق فإنها تليق بضعفه ونقصه.

ومن هنا يعلم أن مقالة التعطيل أساسها التمثيل، فالمعطل بلغ درجة التعطيل لما مثل، فلم يفهم من الصفة التي أضيفت إلى الله إلا عين الصفة التي يعلمها من المخلوق، فكل معطل سائر تحت هذا الوهم الفاسد كما قال أحد هؤلاء يصف المتكلمين: "أناس مضوا تحت التوهم يظنون أن الحق معهم ولكن الحق ورائهم"، هذا ذكره الذهبي عن أبي حيان التوحيدي، ثم قال: "وأنت حامل لوائهم".

يقولون: لو أثبتنا الرؤية لله حقيقة، لأثبتنا له الجسمية ولشبهناه بالمخلوق الحادث؛ لأن الرؤية لا تقع إلا على ذي جسم، وهذا قياس فاسد، حيث قاسوا الله بالمخلوق، ولهذا قال السلف: "ولا يقاس بخلقه"، فالناظم جاء بهذا البيت؛ ليزيل التوهم الذي قد يأتي، وهذا التوهم جاء بعد مقالة الجهمية، وأما قبلها فلا وهم، فإن الصحابة لم يخطر ببالهم شيء من ذلك.

أي مع أنه يُرى يوم القيامة حقيقة بالأبصار (ليس بمولودٍ وليس بوالدٍ) أي لم يتفرع عن غيره ولم يتفرع عنه غيره وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۝٤﴾ (الإخلاص: ٣،٤).

(وليس له شبه) أي: الله سبحانه وتعالى، والشبه هو المثيل والنظير، والله لا شبيه له ولا مثيل له ولا نظير افي أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى: من الآية١١).

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴿٦٥﴾﴾ (مريم: من الآية٦٥)

ويؤخذ من هذا أن إثبات الصفات لا يقتضي التمثيل فإن التمثيل أمر آخر غير إثبات الصفات.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: "المشبه الذي يقول يد كيدي وسمع كسمعي والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ "، فالذي يثبت الصفات لله على الوجه الذي يليق به ليس بمشبه، وإنما المشبه الذي يشبه صفات الله بصفات خلقه، وأهل السنة مطبقون على ذم هؤلاء المشبهة، وأن مقالتهم مقالة كفر وضلال.

والمعطلة يرمون أهل السنة بالتشبيه، إما لأنهم لم يفهموا مقالتهم، أو أنهم أصحاب أغراض سيئة وقصد فاسد.

(تعالى) أي عن الشبيه والنظير أي ارتفع قدره وجل شأنه وتعاظم أن يكون له شبيه أو نظير فهو ينزه الله عن ذلك.

والتعالي من العلو وهو الرفعة، وهو ثابت لله ذاتـاً وقدراً وقهراً.

(المسبح) أي المنزه؛ لأن التسبيح في اللغة التنزيه، وهذا التسبيح عبادة مقربة لله ورد الأمر بها في مواطن كثيرة، بل جاء الترغيب والحث على الإكثار من التسبيح في الأوقات المختلفة، ورتب على القيام به الأجور العظيمة والثواب الجزيل وفي الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.: "من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر" وهو كلام حبيب إلى الرحمن كما في الحديث أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه."كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان

حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله بحمده، سبحان الله العظيم" وكما في الحديث الذي أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.: "**أحب الكلام إلى الله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** ".

✍وتسبيح الله يكون عما لا يليق به.

✍وأما المعطلة فيفهمون من التسبيح تنزيه الله عن الصفات، ولذا يقولون: سبحان المنزه عن الصفات.

"**فانظر أيها الموفق**: إلى تسبيح الجهمية كيف أدى بهم إلى التعطيل"، فهذا التسبيح أدى بهم إلى الزيغ والضلال.

✍ولا يجوز لمسلم أن يسبح الله عما جاءت به المرسلون،لأن المرسلين وصفوا الله بما وصف به نفسه من صفات الجمال والكمال والجلال.

✍وإنما يجب تسبيح الله عما جاء به أعداء الرسل المخالفون لهم،وذلك لأنهم عطلوا صفات الله ووقعوا في التشبيه.ولذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ تقديساً له، وتنزيهاً عماوصفه به: أعداء الرسل، نزه نفسه عما يصفه به أعداء الرسل؛ لأن وصف أعداء الرسل لله يتضمن التشبيه والتعطيل.

وسلام على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه في حق الله من النقص والعيب.

✍ومن أسماء الله (القدوس والسلام) وهما من أسماء التنزيه، فيُنَزَّهُ الله عن أن يوصف بصفات نقص أو أن يوصف بالنقص، وينزه سبحانه عن أن يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحدٌ من خلقه، وينزه سبحانه عن أن يوصف بما لا يليق به، أما أوصافه سبحانه اللائقة بجلاله وكماله فليس من التسبيح في شيء نفيها وتعطيلها.

✍قوله: "وقد ينكر الجهمي... " (قد) عندما تدخل على المضارع فإن لها أحولاً بحسب السياق، أحياناً تكون للتقليل، وأحياناً تكون للتكثير، وأحياناً

تكون للتحقيق والتأكيد، والمراد بها هنا التحقيق والتأكيد، والمعنى: حقيقة مقالة الجهمية إنكار رؤية الله.

ولذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: "من ينكر الرؤية فهو جهمي".

(والجهمي) أي المتأثر بالجهم بن صفوان شيخ الطريقة وأستاذ القوم.وقد سبقت ترجمة له.

وَلَا شَكَّ فِي رُؤْيَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِرَبِّهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَكَذَلِكَ يَرَوْنَهُ فِي الْمَحْشَرِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: "**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**". وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٤٤].

هل أهل المحشر يرون الله تعالى؟

اخْتُلِفَ فِي رُؤْيَةِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ.

الثَّانِي: يَرَاهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ الْكُفَّارِ وَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: يَرَاهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنَافِقُونَ دُونَ بَقِيَّةِ الْكُفَّارِ. وَكَذَلِكَ الْخِلَافُ فِي تَكْلِيمِهِ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ.

هل يرى أهل الدنيا الله تعالى؟

اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ، وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي ذَلِكَ إِلَّا فِي نَبِيِّنَا محمد ﷺ خَاصَّةً:

فَمِنْهُمْ مَنْ نَفَى رُؤْيَتَهُ بِالْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهَا لَهُ ﷺ.

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي كِتَابِهِ الشِّفَا اخْتِلَافَ الصحابة وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِي رُؤْيَتِهِ ﷺ.

ولك الأحاديث:

١/ في مسند أحمد ط الرسالة (٣٥/ ٣٩٣) برقم ٢١٤٩٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ. قَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: أَسْأَلُهُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **"نُورًا أَنَّى أَرَاهُ"**.

٢/ روى البخاري في صحيحه باب: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس برقم (٤٨٥٥)- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ وَلَكِنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»

قف شعري معناه: قام شعري من الفزع لكوني سمعت مالا ينبغي أن يقال قال ابن الأعرابي تقول العرب عند إنكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقال النضر بن شميل القفة كهيئة القشعريرة وأصله التقبض والاجتماع لأن الجلد ينقبض عند الفزع والاستهوال فيقوم الشعر لذلك وبذلك سميت القفة التي هي الزنبيل لاجتماعها ولما يجتمع فيها].

٣/ روى مسلم في صحيحه باب ـ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ برقم (٢٨٧)- (١٧٧) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝١٣﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [الشورى: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥].

قَالَ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هُرَيْرَةَ وَاخْتُلِفَ عَنْهُ.

وَقَالَ بِامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ والمتكلمين..

واستدلوا بالآتي:

١/ روى مسلم في صحيحه ٨١ – باب فِى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « **إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ** ». وَفِى قَوْلِهِ « **حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ».

(٧٨) ٤٦٣ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ « **إِنَّ اللهَ ﷻ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِى رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ». - وَفِى رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ عَنِ الأَعْمَشِ وَلَمْ يَقُلْ حَدَّثَنَا.

٢/ روى بن ماجه في سننه ١٩٦ - حدثنا علي بن محمد. حدثنا وكيع. حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: - قال رسول الله ﷺ (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه. حجابه النور. لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**) ثم قرأ أبو عبيدة ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨﴾. (٢٧ / سورة النمل / الآية ٨)

❁ بيان الرواية:

✍قوله: (قام فينا) أي قام خطيبا فينا مذكرا بخمس كلمات. والمعنى قام فيما بيننا بتبليغ خمس كلمات.

✍قوله: (بخمس كلمات) أي بخمس فصول. والكلمة لغة تطلق على الجملة المركبة المفيدة. (يخفض القسط ويرفعه) قيل أريد بالقسط الميزان. وسمي الميزان قسطا لأنه يقع به المعدلة في القسمة. والمعنى أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن.

✍وقيل: أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوقٍ يخفضه مرة فيقتره، ويرفعه مرة فيبسطه، يريد أنه مقدر الرزق وقاسمه كما قال تعالى: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

قوله: (يرفع إليه) أي للعرض عليه.

قوله: (قبل عمل الليل) أي قبل أن يشرع العبد في عمل الليل.

قوله: (حجابه) الحجاب هو الحائل بين الرائي والمرئي والراد هنها هو المانع للخلق عن إبصاره في دار الفناء.

قوله: (لو كشفها) لعل تأنيث الضمير بتأويل النور بالأنوار.

قوله: (سبحات وجهه) السبحات جمع سبحة كغرفة وغرفات. وفسر سبحان وجهه بجلالته.

وقيل: سبحات وجهه، أي: نور وجهه.

وقيل سبحات الوجه محاسنه لأنه يقال سبحان الله عند رؤيتها.

قال الخطابي: ومعنى الكلام أنَّه لم يطلع الخلق من جلال عظمته إلا على مقدار ما تطقه قلوبهم وتحتمله قواهم، ولو أطلعهم على كنه عظمته لانخلعت أفئدتهم وزهقت أنفسهم، ولو سلَّط نوره على الأرض والجبال لاحترقت وذابت كما قال في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وفي الحديث: أن الرسول ﷺ أثبت لله تعالى صفة الوجه، وفي القرآن الكريم، أثبت الله لذاته المقدسة صفة الوجه في أربع عشرة آية من تلك الآيات، قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٩].

وفي صحيح البخاري برقم(٤٣٥٢)- حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾. قال رسول الله ﷺ (**أعوذ بوجهك**).

قال ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾. قال (**أعوذ بوجهك**). ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾. قال رسول الله ﷺ (هذا أهون أو هذا أيسر).

✍وروى أبو داود في سننه - باب فِى الرَّجُلِ يَسْتَعِيذُ مِنَ الرَّجُلِ. (١١٧)برقم(٥١١٠)- حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْجُشَمِيُّ قَالاَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ - قَالَ نَصْرٌ ابْنُ أَبِى عَرُوبَةَ - عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِى نَهِيكٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « **مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ** ». **قَالَ عُبَيْدُ اللهِ** « **مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ** ».قال الألباني صحيح.

✍**واعلم أيها الموفق: أن للوجه في كلام العرب عدة معان منها:**

١/ الجاه والقدر. يقال: لفلان عند الناس وجه حسن، أي: جاه وقدر. وهذا المعنى لا يجوز في هذا الموضع لأنه لا يجوز أن يقال: لله تعالى جاه وقدر عند غيره، فلا يقال: ويبقى جاه ربك، وقدر ربك.

٢/ وقد يجيء وجه الشيء بمعنى أوله. قال الله تعالى: (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار) أي: أول النهار، وهذا أيضــًا لا يجوز ها هنا.

٣/ ومنها الوجه بمعنى الجهة يقال: أقصد هذا الوجه، أي هذه الجهة. وهذا أيضــًا لا يجوز في هذا الموضع.

٤/ ومنه الوجه المعروف، فإذا لم يجز حمل الوجه على الأوجه التي ذكرناها بقي أن يقال: هو الوجه الذي تعرفه العرب، وكونه معلومــًا بقوله تعالى، وكيفيته مجهولة.

فكان الإيمان بصفة الوجه واجبا والسؤال عنها وتأويلها أو تعطيلها بدعة فاحذر أيها الموفق.

۞

يقول الناظم:

١٠ (وقد ينكر الجهمي أيضًا وكلتا يديه بالفواضل تنفحُ)

الشرح:

اعلم أيها الموفق: أن الجهمي ينكر صفات الله ومنها صفة اليد:

الحمد لله، قد دل القرآن، والسنة المتواترة عن النبي ﷺ، وأجمع أهل السنة أن لله تعالى يدين يفعل بهما ما شاء، كما خلق آدم بيديه، وكما يأخذ سبحانه السماوات والأرض يوم القيامة بيديه، وأن إحدى يديه يمين كما قال سبحانه تعالى ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [(٦٧) سورة الزمر]، وكما روى البخاري في صحيحه: برقم (٤٥٣٤)- حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عبد الرحمن ابن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (**يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض**) وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم ٢٧٨٧]

وكما روى البخاري في صحيحه برقم ٤٥٣٣ - حدثنا آدم حدثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾/ الزمر ٦٧ /].وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم ٢٧٨٦).

وكما روى مسلم في صحيحه برقم(٢٣٨٩)- وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ - إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِى كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ ».

۞ بيان الرواية:

✍ قوله: (حبر) عالم من علماء اليهود.

✍ قوله: (نجد) في التوراة.

✍ قوله: «إصبع) إثبات صفة الإصبع وعلم اليهود بها من توراتهم.

✍ قوله: (الثرى) التراب المندى.

✍ قوله: (أنا الملِك، أنا الله" فيه: بيان عظمته، وربوبيّته ومُلكه سبحانه وتعالى، وعظيم قدْرته جل وعلا وتقرير انفراده بالملك.

✍ قوله: (نواجذه) الأسنان التي تظهر عند الضحك وهي الأنياب.

✍ قوله: (تصديقا) موافقة.

✍ قوله: (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته وما عظموه التعظيم اللائق به من التزام أمره واجتناب نهيه وعبادته وحده دون أن يشركوا به.

✍ قوله: (قبضته) مقبوضة له وتحت تصرفه لا ينازعه فيها أحد.

✍ قوله: (مطويات) مجموعات.

✍ قوله: (بيمينه) إثبات صفة اليد.

✍ قوله: (سبحانه) تنزيها له وتقديسا.

✍ قوله: (تعالى) ترفع وتعاظم.

✍ قوله: (الفصيل): ولد الناقة إذا فصل عن أمه

✍ قوله: (الفلو): المُهْر الصغير إذا فطم

ذكر أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (٤٥٧هـ/ ٥٣٥هـ) في بيان المحجة - (ج ٢ / ص ٢٧٦) أن الإيمان بصفة اليدين واجب، وأن البحث عن كيفية ذلك باطل.

وهذا لأن اليد في كلام العرب تأتي بمعنى القوة يقال لفلان يد في هذا الأمر أي: قوة وهذا المعنى لا يجوز في قوله: (لما خلقت بيدي).

وقوله (بل يداه مبسوطتان) لأنه لا يقال: لله قوتان.

ومنها اليد بمعنى النعمة والصنيعة يقال: لفلان عند فلان يد أي: نعمة وصنيعة، وأيديت عن فلان يداً أي: أسديت إليه نعمة، ويديت عليه، أي: أنعمت عليه قال:

(يديت على ابن حسحاس بن ... بأسفل ذي الجذاة يد الكريم)

وهذا المعنى أيضـاً لا يجوز في الآية، لأن تثنية اليد تبطله، ولا يقال الله نعمتان.

وقد تأتي اليد بمعنى النصرة والتعاون.

وروى أبو داود في سننه - برقم (٢٧٥٣)- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى عَدِيٍّ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ - هُوَ مُحَمَّدٌ - بِبَعْضِ هَذَا ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنِى هُشَيْمٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ جَمِيعًا عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِهِ** ». **وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ إِسْحَاقَ الْقَوَدَ وَالتَّكَافُؤَ**).

قوله: (**وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**) أي: يعاون بعضهم بعضـاً على من سواهم من الكفار، وهذا أيضـاً لا يجوز في حق الله تعالى. لأنه لا يجوز أن يقال: لما خلقت بنصرتي.

وقد تكون اليد بمعنى: الملك والتصرف. يقال: هذه الدار في يد فلان، أي في تصرفه وملكه، وهذا أيضا لا يجوز لتثنية اليد، وليس لله تعالى ملكان وتصرفان.

ومنها اليد التي هي معروفة فإذا لم تحتمل الأوجه التي ذكرنا لم يبق إلا اليد المعلوم كونها، والمجهولة كيفيتها، ونحن نعلم يد المخلوق وكيفيتها لأنا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، ولا نعلم كيفية يد الله تعالى، لأنها لا تشبه يد المخلوق، وعلم كيفيتها علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، بل نعلم كونها معلومة لقوله تعالى، وذكره لها فقط، ولا نعلم كيفية ذلك وتأويلها.

يقول الناظم:

١١ (وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدحُ)
١٢ (إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتحُ)
١٣ (يقول ألا مستغفرٌ يلقى غافراً ... ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنحُ)
١٤ (روى ذاك قومٌ لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا)

الشرح:

هذه الأبيات فيها إثبات صفة النزول لله تعالى.

الآيات الدالة على النزول:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]

الأحاديث الدالة على النزول:

صِفَةُ النُّزُولِ لِلرَّبِّ ﷻ كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، وَرِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي الْخَطَّابِ، وَعُمَرَ بْنِ عَامِرٍ السُّلَمِيِّ، وَغَيْرِهِمْ ﵃.

١/ روى ابن أبي عاصم في السنة "ح٥٠٩" وابن خزيمة في التوحيد "ص١٣٦" والدارمي في الرد على الجهمية "١٣٦" وابن عدي في الكامل "٥/ ١٩٤٦" والعقيلي في الضعفاء "٣/ ٢٩" وأبو نعيم في تاريخ أصبهان "٢/ ٢" والبزار "كشف الأستار ٢/ ٤٣٥"..عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: "**يَنْزِلُ اللهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ نفس إلا إنسان فِي قَلْبِهِ شَحْنَاءُ أَوْ شِرْكٌ**".(وسنده ضعيف ففيه عبد الملك بن عبد الملك، قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان: لا يتابع على حديثه.عن مصعب بن أبي ذئب: وهو مجهول. وللحديث شواهد عدة بها يرتفع إلى درجة الحسن "انظر تعليق العلامة الألباني عليه في تخريج السنة لابن أبي عاصم".)

٢/ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي السُّنَّةِ. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ: "**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَخَّرْتُ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ هَبَطَ اللهُ ﷻ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَيَقُولُ: أَلَا سَائِلٌ يُعْطَى، أَلَا دَاعٍ فَيُجَابُ، أَلَا مُذْنِبٌ يَسْتَغْفِرُ فَيُغْفَرُ لَهُ، أَلَا سَقِيمٌ يَسْتَشْفِي فَيُشْفَى**" ورواه الدارمي في الرد على الجهمية "١٣٣" واللالكائي "ح٧٤٩" وسنده حسن.

٣/ روى البخاري في صحيحه كتاب التهجد (٣ / ٢٩) (رقم: ١١٤٥)، وكتاب الدعوات (١١ / ١٢٨) (رقم: ٦٣٢١)، وكتاب التوحيد (١٣ / ٤٦٤) (رقم: ٧٤٩٤)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين (١ / ٥٢١) (رقم: ٧٥٨).عن أبي هريرةﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزِل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إِلى سماءِ الدنيا حين يبقى ثلث الليلِ الآخِر يقول: من يدعوني فأستجِيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفِرني فأغفر له**».

٤/ روى مسلم بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " **ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يستغفرني**

فأغفر له، حتى يضيء الفجر "ورواه أيضاً الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة ح (٤٤٦) ٢/ ٣٠٧.ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

٥/ وَفِي رِوَايَةٍ لمسلم ح٧٥٧" في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **"إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ هَبَطَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَنَادَى هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ يَتُوبُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ"**.

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النُّزُولِ قَدْ تَعَدَّدَتْ طُرُقُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسَائِرِ الْأُمَّهَاتِ، وَقَدْ سَاقَهُ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ طَرِيقًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ.

٦/ روى أحمد في مسنده ٤ / ١٦، وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، ح «١٣٦٧» عن رفاعة بن عرابة الجهني رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " **إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل، ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحداً غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يسألني أعطيه. حتى ينفجر الصبح** "

٧/ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ،في مسنده ط الرسالة (٤٣/ ١٤٦)عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ، رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لِي: «**أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ**»، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ**»".قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، ولانقطاعه قال البخاري فيما فيما نقله عنه

الترمذي عقب الرواية (٧٣٩): يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين.

وأخرجه عبد بن حميد في "المنتخب" (١٥٠٩)، والترمذي (٧٣٩) وابن ماجه (١٣٨٩)، والدارقطني في "النزول" (٨٩)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٧٦٤)، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٢٦) والبغوي في "شرح السنة" (٩٩٢) من طرق عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وقال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمداً - أي البخاري - يضعَف هذا الحديث.

وأخرجه - مطولاً ومختصراً - ابن أبي شيبة ١/ ٤٣٧-٤٣٨، وابن راهويه (٨٥٠) و(١٧٠٠) و(١٧٠١)، والدارقطني في "النزول" (٩٠) و(٩١)، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٢٤) من طرق عن حجاج، به. وقال البيهقي: إنما المحفوظ هذا الحديث، من حديث الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً.

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٣٨٢٥) من طريق محمد بن رمح، عن يزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير قال: خرج رسول الله ﷺ... فذكره هكذا مرسلاً.

وأخرجه الدارقطني في "النزول" (٩٢) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة بنحوه ومطولاً. وسليمان ابن أبي كريمة ضعَّفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: وعامة أحاديثه مناكير.

٨/ النسائي في عمل اليوم والليلة "ح٤٨٧" وأحمد في المسند "٤/ ٨١".وأبو يعلى في مسنده "١/ ٣٤٩" والطبراني في الكبير "٢/ ١٣٤/ ح١٥٦٦". والبزار "كشف الأستار ٤/ ٤٣" والبيهقي في الأسماء والصفات "ص٤٥١".َعَنْ جُبَيْرِ بْنِ

مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ**" حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٩/ النزول للدار قطني "ح٧" عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لِثُلُثِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا مُقَتَّرٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَلَا مَظْلُومٌ يَسْتَنْصِرُنِي فَأَنْصُرَهُ، أَلَا عَانٍ يَدْعُونِي فَأَفُكَّ عَنْهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكَانَهُ حَتَّى يَفِيءَ الْفَجْرُ ثُمَّ يَعْلُو رَبُّنَا ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الْعُلْيَا عَلَى كُرْسِيِّهِ**".

١٠/ روى أحمد في مسنده "١/ ٣٨٨ و٤٠٣" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَقَالَ: مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**".

١١/ أحمد في مسنده ط الرسالة (٢٩/ ٤٣٧)برقم ١٧٩١٢- عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ، اسْتَعْمَلَ كِلَابَ بْنَ أُمَيَّةَ عَلَى الْأَبْلَةِ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فِي أَرْضِهِ، فَأَتَاهُ عُثْمَانُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ فِي حَدِيثِهِ: - يَقُولُ: "**إِنَّ بِاللَّيْلِ سَاعَةً تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ يُنَادِي مُنَادٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟** " - قَالَا جَمِيعًا - وَإِنَّ دَاوُدَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: **لَا يَسْأَلُ اللهَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَاحِرًا، أَوْ عَشَّارًا** " فَدَعَا كِلَابٌ بِقُرْقُورٍ، فَرَكِبَ فِيهِ، وَانْحَدَرَ إِلَى ابْنِ عَامِرٍ، فَقَالَ: دُونَكَ عَمَلَكَ، قَالَ: لِمَ قَالَ؟ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بِكَذَا وَكَذَا.

١٢/ الدارمي في الرد على الجهمية "ح١٢٨" وابن جرير في تفسيره "١٣/ ١٧٠ و١٥/ ١٣٩".

وابن خزيمة في التوحيد "ص١٣٥-١٣٦" واللالكائي "ح٧٥٦" والدارقطني في النزول "ح٧٣" عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ: "**يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِينَ مِنَ اللَّيْلِ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ**

فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ، لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَ أَحَدٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا سَائِلٌ فَأُعْطِيَهُ، أَلَا دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ". وإسناده ضعيف فيه زيادة بن محمد وهو منكر الحديث. قال الذهبي بعد أن أورد هذا الحديث: فهذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة "الميزان ٢/ ٩٨".

١٣/ وَرَوَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ: **"يَنْزِلُ اللهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَقْبَلَهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ إِلَى مَطْلِعِ الصُّبْحِ وَيَعْلُو عَلَى كُرْسِيِّهِ"** سنده ضعيف فإسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت: مجهول الحال وهو يرسل عن عبادة "التقريب ت٣٩٢".

١٤/ ابن سعد في الطبقات "٦/ ٥٧" وأخرجه الطبراني "٢٢/ ٣٧٠/ ح٩٢٧" وابن السكن وابن أبي خيثمة والبغوي وعبد الله في السنن "الإصابة ٤/ ٥٣" عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوِتْرِ: أُحِبُّ أُوتِرُ نِصْفَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللهَ يَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ارْتَفَعَ. (سنده ضعيف فيه ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف.

١٥/ وروى الدارقطني في كتاب السنة له من طريق عثمان البتي "في مختصر الصواعق التيمي وهو خطأ" عن عبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن عمرو بن عامر السلمي. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، ﷺ: **"إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ -أَوْ قَالَ نِصْفُ اللَّيْلِ- يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ عَانٍ فَأَفُكَّهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ**

لَهُ".(وقال الدارقطني عبد الحميد وأبوه لا يعرفان. انظر تهذيب التهذيب "٦/ ١٠٥". فسنده ضعيف.

١٦/ المراسيل لأبي داود "ح٧٤" رجاله ثقات وهو مرسل فعبيد بن السباق تابعي ثقة ولم أجد الحديث عند أبي داود في سننه "انظر مختصر الصواعق ٢/ ٢٣٣" ورواه ابن أبي عاصم في السنة "ح٥٠٦" عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**يَنْزِلُ رَبُّنَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ الْعُلْيَا: أَلَا نَزَلَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ فَيَخْرُجُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُنَادِي فِيهِمْ مُنَادٍ بِذَلِكَ فَلَا يَمُرُّ بِأَهْلِ السَّمَاءِ إِلَّا وَهُمْ سُجُودٌ**" قال الألباني: إسناده ضعيف لإرسالهوالحديث بهذا السياق منكر..

١٧/ الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٢١٩) برقم ١٧٢ - حَدَّثَنَا الْقَافْلَائِيُّ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، قَالَ: ثنا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ الرَّحَبِيُّ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْكَلَاعِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي عُكَاظٍ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَقَالَ: «**انْطَلِقْ حَتَّى يُمَكِّنَ اللهُ لِرَسُولِهِ**» ثُمَّ إِنَّهُ أَتَاهُ بَعْدُ فَقَالَ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ تَعْلَمُهُ وَأَجْهَلُهُ، يَنْفَعُنِي وَلَا يَضُرُّكَ: مَا سَاعَةٌ أَقْرَبُ مِنْ سَاعَةٍ؟، وَمَا سَاعَةٌ يُتَّقَى فِيهَا؟ فَقَالَ: «**يَا عَمْرُو بْنَ عَبَسَةَ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، إِنَّ الرَّبَّ ﷻ يَتَدَلَّى مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَيَغْفِرُ إِلَّا مَا كَانَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْبَغْيِ، وَالصَّلَاةُ مَشْهُودَةٌ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**».

١٨/ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لِلْخَلَّالِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**يَنْزِلُ اللهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُلُثَ اللَّيْلِ الْأَوْسَطَ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَيَتْرُكُ أَهْلَ الْحِقْدِ لِحِقْدِهِمْ**"

١٩/ رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدَ ص١٣٥-١٣٦". وابن جرير الطبري "١٥/ ١٣٩" والدارقطني في النزول.عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللهَ ﷻ يَنْزِلُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِينَ مِنَ اللَّيْلِ يَفْتَحُ الذِّكْرَ مِنَ السَّاعَةِ الْأُولَى لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ مَا شَاءَ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَلَا يَسْكُنُهَا مِنْ بَنِي آدَمَ**

غَيْرُ ثَلَاثَةٍ: النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ. ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِرَوْحِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فَيَنْتَفِضُ فَيَقُولُ: قَيُّومِيٌّ بِعِزَّتِي. ثُمَّ يَطَّلِعُ إِلَى عِبَادِهِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ أَغْفِرُ لَهُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ أُجِيبُهُ، حَتَّى تَكُونَ صَلَاةُ الْفَجْرِ. وَكَذَلِكُمْ يَقُولُ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ فَيَشْهَدُهُ اللهُ وَمَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" (والحديث ضعيف).

٢٠/ وفي ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ١٣٩) برقم ١٨٨٠- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ هَبَطَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ فَيَطَّلِعُ اطِّلَاعَهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعًا إِلَّا لِكَافِرٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»

٢١/ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِكَافِرٍ أَوْ مُشَاحِنٍ"

٢٢/ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ، ﷺ: "إِذَا كَانَ عَرَفَةُ فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ" ورواه الدارقطني في السنة "الفتح ٣/ ٣٠" واللالكائي "ح٧٥١" من طريق ابن أبي حاتم وسنده حسن.

٢٣/ وَرَوَى خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْصَارِيٌّ وَالْآخَرُ ثَقَفِيٌّ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: "إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: هَؤُلَاءِ عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ" رَوَاهُ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ.

❁ **بيان الآية والأحاديث:**

اتفق السلف على إثبات صفة النزول لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، فنزوله سبحانه لا يشبه نزول المخلوق، فهو مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه في سبعة مواضع من كتابه، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل يوم القيامة لفصل القضاء، ولا مناقاة بين نزوله سبحانه واستوائه على عرشه، لأنه سبحانه ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا نعلم كيفيته ولا ندرك كنهه.

✍وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ أَحَادِيثِ تَخْصِيصِ النُّزُولِ بِلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الْقَاضِيَةِ أنه في كُلِّ لَيْلَةٍ فَإِنَّ النُّزُولَ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ مُطْلَقٌ وَالنُّزُولُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مُقَيَّدٌ بِالنِّصْفِ فِي لَفْظٍ وَبِالثُّلُثِ فِي آخَرَ، عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَخْصِيصِ النُّزُولِ بِنِصْفِ شَعْبَانَ نَفْيٌ لَهُ فِيمَا عَدَاهَا، وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا النُّزُولُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ وَأَصَحُّ بِلَا شَكٍّ وَلَا مِرْيَةٍ. وَقَدْ ثَبَتَ النُّزُولُ أَيْضًا فِي عَشِيَّةِ عَرَفَةَ.

✍ويقول إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن يصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيان ما بالمسلمين إليه حاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول. وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق السماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليها، إذ محال في لغة العرب أن يقول: ينزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم الخطاب أن النزول من أعلى إلى (انظر كتاب التوحيد ص١٢٥).

وقال ابن أبي زمنين: "ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يروا فيه حداً". (انظر أصول السنة ورقة ٤/ ب، وانظر السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢١٦، والشريعة للآجري ص٣٠٦، واعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٤١٨، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص١١٢، ومختصر العلو للذهبي ص١٢٨).

كما نص على إجماع السلف على ذلك كما قال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية. (انظر الحموية الكبرى ص٤٦).

وقد ألف الدارقطني كتاباً سماه "أحاديث النزول" تضمن ستة وتسعين حديثاً وأثراً في إثبات هذه الصفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله في شرح حديث النزول ص٥ ـ مبيناً ما يجب اعتقاده من حديث النزول: " اتفق سلف الأمة وأئمتها، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك، وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني، كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغاً عاماً، لم يخص به أحداً دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكان الصحابة والتابعون تذكره، وتأثره، وتبلغه، وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة، كصحيحي البخاري ومسلم، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المسلمين، ولكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه، فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر ذلك منع منه، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضاً في ذلك، فإن وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات ...".

وقال الإمام محمد بن الحسين الآجري - رحمه الله - في كتاب -(الشريعة ص٣٠٦.): " الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة. وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والحج والجهاد، وكما قبل العلماء منهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يَحْذَرونه ويُحَذِّرن منه.

وقال الذهبي: "وأحاديث نزول الباري متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة" (انظر مختصر العلو ص١١٠).

وقد ذكر ابن القيم تسعة وعشرين صحابياً رووا أحاديث النزول عن رسول الله ﷺ. (انظر الصواعق ٢/ ٢٣٠، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٢٤٢).

وقال ابن حجر آل بوطامي: " ...والحاصل أن حديث النزول حديث صحيح فقد رواه نحو من ثمانية وعشرين صحابياً عن النبي ﷺ واشتملت عليه كتب الإسلام كالبخاري ومسلم ومسند أحمد وموطأ مالك، ورواه علماء الحجاز والعراق، وأطبق على اعتقاد نزوله بلا كيف جميع علماء الأمصار، كالإمام أبي حنيفة ومالك والسفيانين والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وسائر المحدثين والفقهاء، ولم يخالف في ذلك إلا أهل التعطيل والتأويل هدانا الله وإياهم سواء السبيل". (انظر كتابه العقائد السلفية ص٧٦).

وقد ذهب الخلف إلى تأويل هذه الصفة قائلين: إن المراد من النزول نزول أمره ورحمته، وقد رد عليهم أعلام السلف في ذلك.

وَقَالَ الْإِمَامُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدِّرَامِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ (بِنَقْضِ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الْمِرِّيسِيِّ الْجَهْمِيِّ الْعَنِيدِ، فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللهِ فِي التَّوْحِيدِ ص ٢٠) مَا لَفْظُهُ:

وَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَمْضِي مِنَ اللَّيْلِ الثُّلُثُ؟ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ**».

قَالَ فَادَّعَى أَنَّ اللهَ لَا يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَكُلَّ مَكَانٍ مِنْ غَيْرِ زَوَالٍ، لِأَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَالْقَيُّومُ بِزَعْمِهِ مَنْ لَا يَزُولُ.

قَالَ فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُجَجِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ بَيَانٌ، وَلَا لِمَذْهَبِهِ بُرْهَانٌ، لِأَنَّ أَمْرَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ تَنْزِلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ وَأَوَانٍ، فَمَا بَالُ النَّبِيِّ ﷺ يَحِدُّ لِنُزُولِهِ اللَّيْلَ دُونَ النَّهَارِ، وَيُوَقِّتُ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرَهُ أَوِ الْأَسْحَارَ، أَفَأَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ يَدْعُوَانِ الْعِبَادَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ، أَوْ يَقْدِرُ الْأَمْرُ وَالرَّحْمَةُ أَنْ يَتَكَلَّمَا دُونَهُ فَيَقُولَا: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟

فَإِنْ قَرَّرْتَ مَذْهَبَكَ لَزِمَكَ أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْأَمْرَ هُمَا اللَّذَانِ يَدْعُوَانِ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِكَلَامِهِمَا دُونَ اللهِ، وَهَذَا مُحَالٌ عِنْدَ السُّفَهَاءِ فَكَيْفَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، قَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَلَكِنْ تُكَابِرُونَ، وَمَا بَالُ أَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ يَنْزِلَانِ مِنْ عِنْدِهِ اللَّيْلَ ثُمَّ يَمْكُثَانِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ثُمَّ يُرْفَعَانِ، لِأَنَّ رِفَاعَةَ يَرْوِيهِ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ أَبْطَلُ بَاطِلٍ، وَلَا يَقْبَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ - إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ أَجْمَلَ الْمَعَارِضُ جَمِيعَ مَا أَنْكَرَهُ الْجَهْمِيَّةُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الْمُسَمَّاةِ فِي كِتَابِهِ وَآثَارِ رَسُولِهِ ﷺ - فَعَدَّ مِنْهَا بِضْعَةً وَعِشْرِينَ صِفَةً نَفَسًا وَاحِدًا، يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا وَيُفَسِّرُهَا بِمَا حَكَى بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ الْمِرِّيسِيُّ، وَفَسَّرَهَا وَتَأَوَّلَهَا حَرْفًا حَرْفًا، خِلَافَ مَا عَنَى اللهُ وَرَسُولُهُ (وَخِلَافَ مَا تَأَوَّلَهَا الْفُقَهَاءُ وَالصَّالِحُونَ لَا يَعْتَمِدُ فِي أَكْثَرِهَا إِلَّا عَلَى الْمِرِّيسِيِّ) فَبَدَأَ مِنْهَا بِالْوَجْهِ، ثُمَّ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ، وَالْفَرَحِ وَالْكُرْهِ، وَالضَّحِكِ وَالْعَجَبِ وَالسُّخْطِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ، وَالْأَصَابِعِ وَالْكَفِّ وَالْقَدَمِ وَالْيَدِ وَالْيَمِينِ وَالْعَيْنِ، وَالْإِتْيَانِ، وَالْمَجِيءِ، وَالنَّفْسِ وَالتَّكْلِيمِ.

قَالَ: عَمَدَ الْمُخَالِفُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ فَنَسَّقَهَا، وَنَظَّمَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَرَّرَهَا أَبْوَابًا فِي كِتَابِهِ، وَتَلَطَّفَ بِرَدِّهَا بِالتَّأْوِيلِ كَتَلَطُّفِ الْجَهْمِيَّةِ، مُعْتَمِدًا فِيهَا عَلَى الْمِرِّيسِيِّ، وَيُدَلِّسُ عِنْدَ الْجُهَّالِ بِالتَّشْنِيعِ بِهَا عَلَى قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَيُصَدِّقُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيهَا بِغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، فَزَعَمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا يُكَيِّفُونَهَا وَيُشْبِهُونَهَا بِذَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا بِزَعْمِهِ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا اجْتِهَادَ رَأْيٍ، لِيُدْرَكَ كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ أَوْ يُشَبَّهَ شَيْءٌ مِنْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِي الْخَلْقِ، قَالَ: وَهَذَا خَطَأٌ كَمَا أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فَكَذَلِكَ لَيْسَ كَصِفَاتِهِ شَيْءٌ.".

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ: فَقُلْنَا لِلْمُعَارِضِ الْمُدَلِّسِ بِالتَّشْنِيعِ أَنَّ قَوْلَهُ كَيْفِيَّةُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَتَشْبِيهُهَا بِمَا هُوَ فِي الْخَلْقِ خَطَأٌ، فَإِنَّا لَا نَقُولُ كَمَا قُلْتَ، فَنَحْنُ لَا نُكَيِّفُهَا، وَلَا نُشَبِّهُهَا وَلَا نَكْفُرُ بِهَا، وَلَا نُكَذِّبُهَا، وَلَا نُبْطِلُهَا بِتَأْوِيلِ الضَّلَالِ كَمَا أَبْطَلَهَا الْمِرِّيسِيُّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنَ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ فِي تَكْيِيفِ صِفَاتِ اللهِ، فَإِنَّا لَا نُجِيزُ اجْتِهَادَ الرَّأْيِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا، وَنَسْمَعُهَا بِآذَانِنَا، فَكَيْفَ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي لَمْ تَرَهَا الْعُيُونُ، وَقَصُرَتْ عَنْهَا الظُّنُونُ، غَيْرَ أَنَّا لَا نَقُولُ فِيهَا كَمَا قَالَ الْمِرِّيسِيُّ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتَ كُلَّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَلَيْسَ السَّمْعُ مِنْهُ غَيْرَ الْبَصَرِ وَأَنَّ الرَّحْمَنَ، بِزَعْمِكُمْ لَيْسَ يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ سَمْعًا مِنْ بَصَرٍ، وَلَا بَصَرًا مِنْ سَمْعٍ، وَلَا وَجْهًا مِنْ يَدَيْنِ، وَلَا يَدَيْنِ مِنْ وَجْهٍ، وَهُوَ كُلُّهُ - بِزَعْمِكُمْ - سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَوَجْهٌ وَيَدٌ وَنَفْسٌ وَعِلْمٌ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وَقَالَ ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] وَلَمْ يَقُلْ يَسْمَعُ اللهُ فَلَمْ يَذْكُرِ الرُّؤْيَةَ فِيمَا يَسْمَعُ، وَلَا السَّمْعَ فِيمَا يَرَى - إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ الَّذِي رَدَّ بِهِ عَلَى الْمِرِّيسِيَّةِ..

وقد حاول المعطلة الاعتراض على أحاديث النزول من وجه آخر قائلين: إن ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين، ورد عليهم ابن رجب الحنبلي بعد حكاية قولهم قائلاً: "ومعلوم قبح هذا

الاعتراض، وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل بادروا بعقوبته وإلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين". (انظر فضل علم السلف على الخلف ص٦).

✍ورد عليهم ابن تيمية في شرح حديث النزول ص٦٨- ١٠٦، والهراس في تعليقه على كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٢٨.

✍قال الإمام عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠هـ): " وتواترت الأخبار، وصحت الآثار، بأن الله ﷻ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له وترك الإعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول ... ولا يصح حمله على نزول القدرة، ولا الرحمة، ولا نزول الملك. (الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ٥٣)

✍قَالَ الْعَلَامَةَ الطَّوْفِيُّ فِي (قَوَاعِدِ الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ): الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ لَا يَتَأَوَّلُونَ الصِّفَاتَ الَّتِي مِنْ جِنْسِ الْحَرَكَةِ، كَالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ وَالنُّزُولِ وَالْهُبُوطِ وَالدُّنُوِّ وَالتَّدَلِّي، كَمَا لَا يَتَأَوَّلُونَ غَيْرَهَا مُتَابَعَةً لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَقَالَ: وَكَلَامُ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَعْنَى الْمُتَنَازَعِ فِيهِ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النُّزُولِ: يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ. وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: يَدْنُو مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ. وَهُوَ الَّذِي حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ...

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِذَا قَالَ لَكَ الْجَهْمِيُّ أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ، فَقُلْ أَنَا أُؤْمِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

✍وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: حَضَرْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيِّ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ عَنْ حَدِيثِ " «**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى**

سَمَاءِ الدُّنْيَا» " وَقَالَ لَهُ: فَالنُّزُولُ كَيْفَ يَكُونُ؟ يَبْقَى فَوْقَهُ عُلُوٌّ؟ ! فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ: النُّزُولُ مَعْقُولٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. فَقَدْ قَالَ فِي النُّزُولِ كَمَا قَالَ مَالِكٌ فِي الِاسْتِوَاءِ، وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الرِّبَاطِيُّ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ وَحَضَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ فَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النُّزُولِ أَصَحِيحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ قُوَّادِ الْأَمِيرِ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ، أَتَزْعُمُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: وَكَيْفَ يَنْزِلُ؟ قَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: أَثْبِتِ الْحَدِيثَ حَتَّى أَصِفَ لَكَ النُّزُولَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَثْبَتُّهُ. فَقَالَ إِسْحَاقُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فَقَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ، هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ إِسْحَاقُ: أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ، وَمَنْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَمْنَعُهُ الْيَوْمَ؟ ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَاكِمُ.

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ قَالَ: قَالَ لِيَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تَرْوُونَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " «يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» " كَيْفَ يَنزِلُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ، لَا يُقَالُ لِأَمْرِ الرَّبِّ كَيْفَ يَنزِلُ؟ إِنَّمَا يَنْزِلُ بِلَا كَيْفٍ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ: لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِي أَمْرِ اللهِ كَمَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِي أَمْرِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَى اللهِ بِصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ يَفْهَمُ مَا يَجُوزُ التَّفَكُّرُ وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِالنُّزُولِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا مَضَى ثُلُثُهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا شَاءَ، وَلَا يُسْأَلُ كَيْفَ نُزُولُهُ لِأَنَّ الْخَالِقَ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ كَمَا شَاءَ.

وَذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَام (فِي شَرْحِ الْأَصْفَهَانِيَّةِ) عَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنِ النُّزُولِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ: يَا ضَعِيفُ،

لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَحْدَهَا؟ يَنْزِلُ اللهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ أَلَيْسَ يَخْلُو ذَلِكَ الْمَكَانُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ: لَمَّا صَحَّ خَبَرُ النُّزُولِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَقَرَّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَقَبِلُوا الْحَدِيثَ، وَأَثْبَتُوا النُّزُولَ عَلَى مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا تَشْبِيهًا بِنُزُولِ خَلْقِهِ، وَعَلِمُوا، وَعَرَفُوا وَاعْتَقَدُوا، وَتَحَقَّقُوا أَنَّ صِفَاتَ الرَّبِّ لَا تُشْبِهُ صِفَاتَ الْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تُشْبِهُ ذَوَاتَ الْخَلْقِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ وَالْمُعَطِّلَةُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، قَالَ: جَمَعَنِي وَهَذَا الْمُبْتَدَعَ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ صَالِحٍ - مَجْلِسُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، فَسَأَلَنِي الْأَمِيرُ عَنْ أَخْبَارِ النُّزُولِ فَثَبَّتُّهَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ: كَفَرْتُ بِرَبٍّ يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ. فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. فَرَضِيَ عَبْدُ اللهِ كَلَامِي وَأَنْكَرَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. (لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٤٣)

قوله: (قل) الخطاب لصاحب السنة والعقيدة السلفية أي قل ذلك غير متردد ولا مرتاب، بل قله مؤمناً موقناً؛ لأن هذه الكلمة قالها النبي ﷺ في غير مجلس، فإذا قلت ذلك لم تزد على أن قلت مثل ما قال النبي ﷺ، ولم تزد على أن آمنت بما آمن به النبي ﷺ.

وهذا البيت اشتمل على الأصلين، ففي قوله: "**ينزل الجبار في كل ليلة**" احتراز من التعطيل.

وفي قوله: "بلا كيف جل الواحد..." احتراز من التكييف وفي نفيه للتكييف نفي للتمثيل؛ لأن الممثل مكيف، ولذا (كل ممثل مكيف وليس كل مكيف ممثلاً)؛ لأن الممثل يقول ينزل الله كنزول المخلوق، وهو في الوقت نفسه كيفّ صفات الله بكيفية صفة المخلوق، وليس كل مكيف ممثلاً؛ لأن التكيف يكون بتمثيل، وقد يكون بلا تمثيل وإنما بتخيل في الذهن.

قوله: (بلا كيف) مراد الناظم بهذا القول، أي: بلا كيف معلوم لنا، فهو نفي لعلمنا بالكيفية وليس نفياً للكيفية؛ لأن ما لا كيفية له لا وجود له، فإن صفات الله لها كيفية الله أعلم بها، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله: "والكيف مجهول" ولم يقل: الكيف معدوم.

والعلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الذات، فإذا قال الجهمي كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قل كيف هو في ذاته؟ فإذا قال أنا لا أعلم كيفيته قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له.

قوله: (جل) أي عظم قدره عن التكييف سواء كان مبناه الأوهام، أو القياس بصفات المخلوق، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾ (الرحمن: ٧٨).

قوله: (الواحد) المتفرد بصفات كماله ونعوت جلاله.

قوله: (المتمدح) المتمدح صفة للواحد، أي الذي يمدحه المؤمنون ويثنون عليه فهو الذي أسبغ على العباد من النعم وأولاهم من العطاء ما يوجب مدحهم له، وحسن الثناء عليه وحمده، وهو جل وعلا لا يحصي أحد الثناء عليه، وهو سبحانه يثني عليه ويمدح على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وعلى نعمه وعطاياه التي لا تعد ولا تحصى.

(إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح)

هذه الجملة في هذا البيت مكملة للبيت السابق، فهذا كقوله: ﷺ "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" فالجار والمجرور في قوله "إلى طبق الدنيا" متعلق بقوله"ينزل الجبار".

قوله: (طبق) هو الغطاء، والسماء غطاء للأرض، وكل سماء غطاء للسماء التي دونها، وسماء الدنيا سميت بذلك؛ لقربها من الأرض.

(يمن بفضله) المن هو البذل والعطاء فينزل سبحانه ليعطي ويتفضل على العباد بالخيرات وأنواع الهبات.

قوله: (فتفرج أبواب السماء وتفتح)، قوله: (تفرج) أي تنشق وتنفتح والسماء لها أبواب دل على ذلك نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (لأعراف: من الآية٤٠).

وقد سبق سرد روايات حديث النزول أن أبواب السماء تفتح وقت النزول الإلهي.

قوله: (يقول) أي الله سبحانه عندما ينزل، فالقائل هو الله؛ لأنه لا يصح أن يقول الملك "**من يستغفرني من يسألني من يدعوني**" وهذا يبين بطلان قول الجهمية: إن الذي ينزل هو الملك؛ لأنه لو كان الذي ينزل هو الملك لقال: إن الله يغفر الذنوب فمن يستغفره، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٠)، ومسلم برقم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال رسول الله ﷺ: "**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني أحب فلانـًا فأحبه فيحبه جبريل وينادي أهل السماء إن الله يحب فلانـًا فأحبوه...** " الحديث.

يقول الناظم:

١٥ (وقل: إن خير الناس بعد ... وزيراه قدماً ثم عثمان الأرجحُ)
١٦ (ورابعهم خير البرية بعدهم ... عليٌ حليف الخير بالخير منجحُ)
١٧ (وإنهم للرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور
١٨ (سعيدٌ وسعدُ وابن عوف ... وعامر فهر والزبير الممدحُ)
١٩ (وقل خير قول في الصحابة ... ولا تك طعاناً تعيب وتجرحُ)
٢٠ (فقد نطق الوحي المبين ... وفي الفتح آيٌ للصحابة تمدحُ)

الشرح:

وقل أيها السني بكل فخر وأنت مرفوع الرأس: لأهل البدعة إعتقادي في صحابة النبي ﷺ: أنهم جميعا عدول حكم الله لهم بالفلاح والرضا في قرآنه حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

❁ تعريف الصحابي:

كل من لقي النبي ﷺ مسلما ومات على الإسلام ولو تخلل ذلك ردة (تدريب الراوي ٢/ ٢٠٨)

❁ دلائل الصحبة:

١/ التواتر كصحبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم.

٢/ الشهرة كصحبة ضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن.

٣/ إخبار صحابي مثل قول حدثني فلان وقد رأى النبي ﷺ وهذا كشهادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لحممة بن أبي حممة رضي الله عنه وقد مات بأصبهان مبطونا (قال أبوموسى أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ حكم له بالشهادة.ولك ما رواه أحمد في مسنده (ج ٤ / ص ٤٠٨) برقم (١٩٦٧٦)- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا أبو عوانة ثنا داود بن عبد الله الأودي عن حميد بن عبد الرحمن الحميري: ان رجلا يقال له حممة كان من أصحاب محمد ﷺ خرج إلى أصبهان غازيا في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه فقال اللهم ان حممة يزعم انه يحب لقاءك فان كان حممة صادقا فاعزم له صدقه وان كان كاذبا فاعزم عليه وان كره اللهم لا ترد حممة من سفره هذا قال فأخذه الموت وقال عفان مرة البطن فمات بأصبهان قال فقام أبو موسى فقال يا أيها الناس انا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ وما بلغ علمنا الا ان حممة شهيد). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح إن ثبت سماع حميد بن عبد الرحمن الحميري لهذه القصة من أبي موسى.

٤/ إخبار ثقة من التابعين.

٥/ إخبار المرء عن نفسه شريطة أن يكون عدلا ثقة قبل مائة سنة من وفاة النبي ﷺ.

۞ عدالة الصحابة:

أجمعت الأمة على عدالة كل الصحابة سواء من لابس الفتن ومن اعتزلها وعدالتهم تعني إجتنابهم عمد الكذب والإنخراط فيه فم لابس الفتن تأول واحتهد فهو بين أجر وأجرين والصحابة جميعا هم خير الناس لأن الله إختارهم لصحبة نبيهﷺ ولحمل رسالته ونشرها ومن ثم ورد فيالصحيحن من قول البشير النذير ﷺ «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»ومع ذلك ظهرت فرق تطعن في ضحى الشمس ونور القمر في ليلة إضحيان كالمعتزلة والروافض والعلمانيين والليبراليين والحداثيين والذين درسوا الأدب الحديث دون تمحيص ونقد القيم المخالفة لمعين الدين الصحيح.

ولذا المتنبي يقول:

أرى المتشاعرين غروا بذمي   ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مراً به الماء الزلالا

وقال:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر   ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل   وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم غير أنني   بغيض إلي الجاهل المتعاقل
وقال: وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني فاضل

وفي الحكم: على قدر الهمم تكون الهموم.
وفي الحكم: الحس قبل المحسوس والعقل قبل المعقول.
وقال المتنبي:

فقر الجهول بلا عقل إلى أدب   فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

وفي الحكم: ليس ظاهر جمال الإنسان بنافع إذا كان ميت الحس العقل.

فالطعن في الصحابة ليس المقصود به الطعن في الصحابة ذاتهم ، وإنما المقصود الحيلولة بين الناس وبين الدين ، فعندما يروج الروافض أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كذاب أو غيرُه من الصحابة فإن مَنْ انطلت عليه هذه الدعاية ينصرف عن الدين ولا يثق به ولا يطمئن لعدم ثقته بمن نقله ، وأي ثقة تبقى في دين يُرمى حملته بالكذب ويُتهمون بالكفر ، وبهذا يُعرف مراد بعض الإعلاميين المعاصرين.

ورحم الله أبا زرعة الرازي حيث يقول كما في كتاب (الكفاية للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).): (إذا رأيتم الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلموا أنه زنديق ، لأن الدين حق ، والقرآن حق ، وإنما نَقل لنا ذلك الصحابة فهؤلاء أرادوا الجرح في شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة وهم بالجرح أولى وهم زنادقة).. فما عرف الناسُ الكتابَ والسنة والهدى والضلال إلاَّ عن طريق أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم وأرضاهم، والقدح في الناقل قدحٌ في المنقول،

وأوّل من أظهر الطّعن في أبي بكر عمر وعثمان والصّحابة، وتبرأ منهم، وادّعى أنّ عليًّا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أمره بذلك.هو ابن سبأ " [القمي/ المقالات والفِرَق: ص٢٠، النّوبختي/ فِرَق الشّيعة: ص١٩-٢٠].

فقد روى بن ماجه بإسناد حسنه الألباني: عن نسير بن ذعلوق قال: سمعت ابن عمر يقول:: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام احدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره).

وروى ابن بطة في الإبانة بالإسناد الصحيح، عن عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا معاوية، حدثنا رجاء، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله تعالى قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون).

❁ كم عدد الصحابة:

في الحقيقة لا يوجد إحصاء عددي دقيق ولكن هناك أقوال علماء يستأنس بها:

منها: قول أبي زرعة الرازي: قبض رسول الله ﷺ عن مائة وأربعة عشر ألفا ممن سمع منه وروى عنه.

وقيل بل العدد أكثر لرواية أنه ﷺ حج حجته وقد شهدها مائة وعشرون ألف حاج.

❁ طبقات الصحابة:

١/ أقدمهم إسلاما.

٢/ من أسلم قبل تشاور أهل مكة بدار الندوة فيمن أسلم.

٣/ مهاجرة الحبشة.

٤/ أصحاب العقبة الأولى.

٥/ أصحاب العقبة الثانية.

٦/ أول المهاجرين الذين وافوا النبي ﷺ بقباءقبل دخوله ﷺ المدينة.

٧/ البدريون.

٨/ من هاجر بين بدر والحديبية.

٩/ أصحاب الشجرة.

١٠/ من هاجر بين الحديبية والفتح

١١/ من أسلم يوم الفتح.

١٢/ صغار رأوا النبي ﷺ يوم الفتح وحجة الوداع.

من أفضل الصحابة:

يتقدم الصحابة في الفضل الخلفاء الأربعة بترتيبهم ثم بقة العشرة المبشرين بالجنة وهو قول الجمهور كمالك والشافعي وأحمد والثوري وكافة أهل الحديث والفقه.

أولهم إسلاما:

من الرجال الأحرار أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

من النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه.

من العبيد بلال بن رباح رضي الله عنه.

من أكثر الصحابة في الفتيا:

عبد الله بن عباس ثم علي ثم أبي وزيد بن ثابت وعمر وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

أكثر الصحابة رواية:

أبوهريرة ٥٣٧٤ حديثا ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب٢٦٣٠ حديثا ثم أنس بن مالك٢٢٨٦ حديثا ثم أم المؤمنين عائشة٢٢١٠ حديثا ثم عبد الله بن عباس ١٦٦٠ حديثا ثم جابر بن عبد الله١٥٤٠ حديثا ثم أبوسعيد الخدري ١١٧٠ حديثا.

ما المقصود بالعبادلة وكم صحابي اسمه عبد الله؟

بلغ من كان اسمه عبد الله من الصحابة ثلاثمائة كما في كتاب التدريب شرح التقريب ٢/ ٢٢٠ لكن المراد بالعبادلة من تأخرت وفاتهم من الثلاثمائة واحتاج الناس إلى علمهم فكانوا إذا اجتمعوا على قول قال الناس هذا قول العبادلة وهم:

١/ عبد الله بن عباس حبر الأمة وبحرها ولد بالشعب أثناء حبس قريش للنبي ﷺ وبني هاشم وفي وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ٦٤) مات ابن عباس سنة ثمان وسبعين بالطائف وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقد كف بصره، فصلى عليه ابن الحنفية وكبّر أربعـًا

٢/ وعبد الله بن عمر بن الخطاب: أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه وما كان قد احتلم بعد واستصغر يوم أحد وأول مشاهده الخندق وبايع تحت الشجرة قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازيا وكان إمام الناس وظل يفتي قرابة ستين سنة وفي وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ٣١) أنه توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

٣/ وعبد الله بن الزبير: أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من ولي الخلافة منهم قتل بمكة كما في وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ٧٤)وكان قتله يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقيل جمادى الآخرة، وكان سنه اثنتين وسبعين سنة،

٤/ وعبد الله بن عمر بن العاص: أسلم قبل أبيه وقرأ القرآن والكتب المتقدمة وشهد مع أبيه فتح الشام وكانت معه الراية يوم اليرموك وشهد صفين وتوفي بمصرأو بمكة سنة ٦٧هـ

۞آخر الصحابة موتا:

أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ﷺ مات سنة١٠٢هـ وقيل ١٠٧ هـ ومكان الوفاة مكة المكرمة.

❁ **والصحابة مع الفلاح والرضا يتفاوتون في الفضل فأفضلهم:**

١/ أَبُو بَكْر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

✍كان اسمه فِي الجاهلية عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عَبْد اللهِ. هذا قول أهل النسب: الزُّبَيْرِيّ وغيره، واسم أَبِيهِ أَبِي قحافة: عُثْمَان بْن عامر بن عمرو ابْن كعب بْن سعد بْن تيم بْن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بْن فهر القرشي التيمي. وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سَعْد بْن تيم بْن مُرَّةَ واسمها: سلمى. قال مُحَمَّد بْن سلام: قلت لابن دأب: من أم أَبِي بَكْر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟ فَقَالَ: أم الخير، هَذَا اسمها.

✍ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م بعد الفيل بثلاث سنين تقريبا، وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صديقا لرسول الله قبل البعث وهو أصغر منه سنا بثلاث سنوات وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته.

✍قال ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ: لا يختلفون أن أَبَا بَكْر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شهد بدرا بعد مهاجرته مع رَسُول اللهِ ﷺ من مكة إِلَى المدينة، وأنه لم يكن رفيقه من أصحابه فِي هجرته غيره، وَهُوَ كَانَ مؤنسه فِي الغار إِلَى أن خرج معه مهاجرين. وهو أول من أسلم من الرجال فِي قول طائفة من أهل العلم بالسير والخبر، وأول من صَلَّى مع رسول الله ﷺ فيما ذكر أولئك.

✍وكان يقال لَهُ عتيق واختلف العلماء فِي المعنى الَّذِي قيل لَهُ به عتيق. فقال الليث ابن سَعْد وجماعة معه: إنما قيل لَهُ عتيق لجماله وعتاقة وجهه. وقال مصعب الزُّبَيْرِيّ وطائفة من أهل النسب: إنما سمى أَبُو بَكْر عتيقا لأنه لم يكن فِي نسبه شيء يعاب بِهِ.

✍وقال آخرون: كَانَ لَهُ أخوان، أحدهما يسمى عتيقا.

مات عتيق قبله، فسمي باسمه.

وقال آخرون: إنما سمي عتيقا لأن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هذا، فسمى عتيقا بذلك.

عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: إِنِّي لَفِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصحابه بِالْفِنَاءِ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمُ السِّتْرُ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى هَذَا**. قَالَتْ: وَإِنَّ اسْمَهُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ لَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بن عمرو.

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَوْ سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ كَانَ أَوَّلُ إِسْلامًا؟ فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قول حسان:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلُهَا ... بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلا
وَالثَّانِيَ التَّالِيَ الْمُحْمُودُ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلُ النَّاسِ مِمَّنْ صَدَّقَ الرُّسُلا

ويروى أن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ لحسان: هل قلت فِي أَبِي بكرٍ شيئا؟ قَالَ: نعم، وأنشده هذه الأبيات، وفيها بيت رابع وهي:

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعّدوا الجبلا

فسر النَّبِيّ ﷺ بذلك، فَقَالَ: أحسنت يَا حَسَّان. وقد رَوَى فيها بيت خامس:

وَكَانَ حب رَسُول اللهِ قد علموا ... خير البرية لم يعدل به رجلا

وروى شُعْبَة عَنْ عَمْرو بْن مُرَّةَ، عَنْ إِبْرَاهِيم النخعي. قال: أَبُو بَكْر أول من أسلم. واختلف فِي مكث رَسُول اللهِ ﷺ مع أَبِي بَكْر فِي الغار، فقيل: مكثا فِيهِ ثلاثا، يروي ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِد.

وروى الجريري عَنْ أَبِي نَضْرَة، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنا أسلمت قبلك.. في حديث ذكره، فلم ينكر عَلَيْهِ.

وكُنّي بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة. فلما أسلم آزر النبي ﷺ في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله. وكان له لما أسلم أربعون ألف درهم أنفقها في سبيل الله مع ما كسب من التجارة.

ومما قيل فِي أَبِي بَكْر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قول أبى الهيثم ابن التيهان فيما ذكروا:

وإني لأرجو أن يقوم بأمرنا ... ويحفظه الصديق والمرء من عدي
أولاك خيار الحي فهر بن مالك ... وأنصار هَذَا الدين من كل معتدي

وقال فيه أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقا، وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليسا بالعريش المشهر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحبا ... وكنت رفيقا للنّبيّ المطهّر

وسمي الصديق لبداره إِلَى تصديق رَسُول اللهِ ﷺ فِي كل مَا جاء بِهِ ﷺ. وقيل: بل قيل لَهُ الصديق لتصديقه لَهُ فِي خبر الإسراء.

وكان فِي الجاهلية وجيها رئيسا من رؤساء قريش، وإليه كانت الأشناق فِي الجاهلية، والأشناق: الديات، كَانَ إذا حمل شيئا قالت فِيهِ قريش: صدقوه وأمضوا حمالته، وحمالة من قام معه أَبُو بَكْر، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه.

وأسلم على يد أَبِي بَكْر: الزُّبَيْر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بْن عوف.

وَرَوَى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا أَنْفَقَهَا كُلَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ.

أحاديث تصرح لفضل أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

١/ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما - عن عمرو بن العاص: أن النبي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ فقال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. فقلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. فعد رجالا.

٢/ وروى البخاري.عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**) فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله ﷺ (**إنك لست تصنع ذلك خيلاء**).

٣/ وروى مسلم.عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: (**من أصبح منكم اليوم صائما**؟ قال أبو بكر: أنا. قال: **فمن تبع منكم اليوم جنازة**؟ قال أبو بكر: أنا. قال: **فمن أطعم منكم اليوم مسكينا**؟ قال أبو بكر: أنا. قال: **فمن عاد منكم اليوم مريضا**؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: **ما اجتمعن في امرئ إلا ودخل الجنة**).

٤/ وروى مسلم. عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير. فتحركت الصخرة فقال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد**).

٥/ وروى الترمذي.عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ (اقتدوا باللذَين من بعدي أبي بكر وعمر).

وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر (**أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار**) رواه الترمذي

٦/ مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٣٩٤) برقم (٨٧٩٠)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **مَنْ أَنْفَقَ زَوْجًا - أَوْ قَالَ زَوْجَيْنِ - مِنْ مَالِهِ - أُرَاهُ قَالَ: فِي سَبِيلِ اللهِ - دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا خَيْرٌ هَلُمَّ إِلَيْهِ** "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا رَجُلٌ لَا تُوَى عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ إِلَّا مَالُ أَبِي بَكْرٍ** "، **قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: وَهَلْ نَفَعَنِي اللهُ إِلَّا بِكَ؟ وَهَلْ نَفَعَنِي اللهُ إِلَّا بِكَ؟ وَهَلْ نَفَعَنِي اللهُ إِلَّا بِكَ؟**) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

✍ وأعتق أَبُو بَكْر سبعة كانوا يعذبون فِي الله، منهم: بلال، وعامر بْن فهيرة.

٧/ أخرج البخارى (٢/ ٦٨ و٣٧٦ و٤٢٠) ومسلم (٧/ ١١٠ ـ ١١١) والترمذى (٢/ ٢٩٢ و٢٩٤) وصححه ، وأحمد (٢/ ٢٤٥ و٢٤٦ و٣٨٢ و٥٠٢)

من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: «**بينما رجل يسوق بقرة ، إذ ركب ، فضربها ، فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث** ، فقال الناس: سبحان الله**!** بقرة تكلم**! قال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، وما هما ثم. وبينما رجل فى غنمه إذ عدا الذئب ، فذهب منها بشاة ، فطلب حتى كأنه استنقذها منه ، فقال له الذئب: هذا استنقذها منى ، فمن لها يوم السبع ، يوم لا راعى لها غيرى!** فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟ **! قال: فإنى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر** ، وما هما ثم».

٨/ وفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦/ ٥٠٢) برقم

٤٥٢٣ - عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا فَمَنَعَهُمْ فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا يُوقِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَارًا إِلَّا قَذَفْتُهُ فِيهَا قَالَ: فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزَمُوهُمْ فَأَرَادُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَمَنَعَهُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَشَكَوْهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُمْ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا فَيَرَى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُم وَكَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيُعْطِفُوا عَلَيْهِمْ فَحَمِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَمْرَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: (لِمَ؟) قَالَ: لأُحبَّ مَنْ تُحِبُّ قَالَ: (عَائِشَةُ) قَالَ: مِنَ الرجال؟ قال: (أبو بكر). الشيخ الألباني: صحيح.

٩/ وَفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٠) برقم

٦٨٢٢ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عَبْدًا خيَّره اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زهرة الدنيا ماشاء وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إن أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحِبْتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خليلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ لَا يَبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ» قال الشيخ الألباني: صحيح - «تخريج فقه السيرة» (٤٦٥).

١٠/ وفي مسند الحميدي (١/ ٣٢٤) برقم ٣٢٦- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: ثنا سُفْيَانُ قَالَ: ثنا الْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ ابْنِ تَدْرُسَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهَا: مَا أَشَدَّ مَا رَأَيْتِ الْمُشْرِكِينَ بَلَغُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَعَدُوا فِي الْمَسْجِدِ يَتَذَاكَرُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يَقُولُ فِي آلِهَتِهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامُوا إِلَيْهِ، وَكَانُوا إِذَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ صَدَقَهُمْ، فَقَالُوا: أَلَسْتَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: «**بَلَى**» فَتَشَبَّثُوا بِهِ بِأَجْمَعِهِمْ فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ صَاحِبَكَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا، وَإِنَّ لَهُ غَدَايِرَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ، قَالَ: فَلَهَوْا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنْ غَدَايِرِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

١١/ روى مسلم في صحيحه (١/ ٥٦٩)٢٩٤- (٨٣٢) - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ، وَعَبْدٌ**»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ

يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى.

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**»

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدِّثْنِي عَنْهُ، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: «**يَا عَمْرَو بْنَ عَبَسَةَ، انْظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ**»، فَقَالَ عَمْرٌو: «يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

١٢/ روى البخاري في صحيحه (٥/ ٤) برقم ٣٦٥٣- عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم ٢٣٨١.

١٢/ وروى مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٦) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ - قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»

✍قال الشافعي: فِي هَذَا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أَبُو بَكْر.

١٣/ روى أبو داود في سننه بإسناد صححه الألباني، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الأَسْوَدِ، قَالَ. كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلِيلٌ، فَدَعَاهُ بِلالٌ إِلَى الصَّلاةِ، فَقَالَ لَنَا: مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَقُلْتُ: قُمْ يَا عُمَرُ، فَصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَامَ عُمَرُ، فَلَمَّا كَبَّرَ سمع رسول الله ﷺ صوته، وَكَانَ مُجْهِرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ. فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَجَاءَهُ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلاةَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ طُولَ عِلَّتِهِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ
١٤/ روى الترمذي في سننه وصححه الألباني عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اقْتَدُوا باللذين مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ.**

١٥/ أخرج بن الأعرابي في معجمه برقم (٢٣٧٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رُجُوعُ الأَنْصَارِ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ بِكَلامٍ قَالَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

أَنْشَدْتُكُمُ اللهَ. هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بالناس؟ قالوا: اللَّهمّ نعم.

قَالَ: فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يُزِيلَهُ عَنْ مَقَامٍ أَقَامَهُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

فَقَالُوا: كُلُّنَا لا تَطِيبُ نَفْسُهُ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ.

١٦/ وفي كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ١٣١)وَرَوَى إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ إبراهيم النخعي عن عبد الرحمان ابن يَزِيدَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ اجْعَلُوا إِمَامَكُمْ خَيْرَكُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَعَلَ إِمَامَنَا خَيْرَنَا بَعْدَهُ.

١٧/ وفي كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ١٢٩) وَرَوَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرِضَ لَيَالِيَ وَأَيَّامًا يُنَادِي بِالصَّلاةِ فَيَقُولُ: **مُرُوا أَبَا بَكرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ**، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرْتُ فَإِذَا الصَّلاةُ عَلَمُ الإِسْلامِ، وَقِوَامُ الدِّينِ، فَرَضِيْنَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدِينِنَا، فَبَايَعْنَا أَبَا بَكْرٍ. وقد ذكرنا هَذَا الخبر وكثيرا مثله فِي معناه عِنْدَ قول رَسُول اللهِ ﷺ: مروا أَبَا بكرٍ فليصل بالناس.

١٨/ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

١٩/ وكان علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُول: سبق رَسُول اللهِ ﷺ، وثنى أَبُو بَكْر، وثلث عُمَر، ثُمَّ حفتنا فتنة يعفو الله فيها عمن يشاء.

٢٠/ وقال عبد خير: سمعت عليا يَقُول: رحم الله أَبَا بَكْر، كَانَ أول من جمع بين اللوحين. وروينا عَنْ عَبْد اللهِ بْن جَعْفَر بْن أَبِي طالب من وجوه أَنَّهُ قَالَ: ولينا أَبُو بَكْر فخير خليفة، أرحمه بنا وأحناه علينا.

٢١/ وقال مسروق: حب أَبِي بَكْر وَعُمَر ومعرفة فضلهما من السنة.

٢٢/ وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَبْطَأَ عَلِيٌّ عَنْ بَيْعَتِهِ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنِّي! أَكَرِهْتَ إِمَارَتِي؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا كَرِهْتُ إِمَارَتَكَ، وَلَكِنِّي آلَيْتُ أَلا أَرْتَدِي رِدَائِي إِلا إِلَى صَلاةٍ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ.

قال ابن سِيرِين: فبلغني أَنَّهُ كتب على تنزيله، ولو أصيب ذَلِكَ الكتاب لوجد فِيهِ علم كَثِير.

٢٣/ وذكر عَبْد الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَر، عَنْ أَيُّوب، عَنْ عكرمة، قَالَ: لما بويع لأبي بَكْر تخلّف على عَنْ بيعته، وجلس فِي بيته، فلقيه عُمَر، فَقَالَ: تخلفت عَنْ بيعة أَبِي بَكْر؟ فَقَالَ: إِنِّي آليت بيمين حين قبض رَسُول اللهِ ﷺ ألا أرتدي بردائي إلا إِلَى الصلاة المكتوبة حَتَّى أجمع القرآن، فإني خشيت أن ينفلت. ثُمَّ خرج فبايعه. وقد ذكرنا جمع عليّ القرآن في بابه أيضا من عير هذا الوجه، الحمد لله.

وَذَكَرَ عبد الرزاق، عن ابن المبارك، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ لأَبِي بَكْرٍ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: غَلَبَكُمْ عَلَى هَذَا الأَمْرَ أَرْذَلُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ، أَمَا وَاللهِ لأَمْلأَنَّهَا خَيْلا وَرِجَالا. قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا زِلْتَ عَدُوًّا لِلإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، فَمَا ضَرَّ ذَلِكَ الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ شَيْئًا، وَإِنَّا رَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أهلا.

وعَنْ زَيْدِ ابن أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ- أَنَّ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ كانا حين بويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر، فقال: يا بنت رَسُولِ الله، مَا كَانَ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا بَعْدَهُ مِنْكِ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلاءِ النَّفَرِ يَدْخُلُونَ عَلَيْكِ، وَلَئِنْ بَلَغَنِي لأَفْعَلَنَّ وَلأَفْعَلَنَّ. ثُمَّ خَرَجَ وَجَاءُوهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَحَلَفَ لَئِنْ عُدْتُمْ لَيَفْعَلَنَّ، وَايْمُ اللهِ لَيَفِيَنَّ بِهَا، فَانْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ، وَلا تَرْجِعُوا إِلَيَّ. فَانْصَرَفُوا فَلَمْ يَرْجِعُوا حَتَّى بَايَعُوا لأَبِي بَكْرٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَرَبَّصَ بِبَيْعَتِهِ لأَبِي بَكْرٍ شَهْرَيْنِ، وَلَقِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَقَدْ طِبْتُمْ نَفْسًا عَنْ أَمْرِكُمْ يَلِيَهُ غَيْرُكُمْ، فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا، وَأَمَّا عُمَرُ فَاضْطَغَنَهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ أَمِيرًا عَلَى رَبْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ الشَّامِ، وَكَانَ أَوَّلُ من استعمل عليها، فجعل عمر يقول: أَتُؤَمِّرُهُ. وَقَدْ قَالَ مَا قَالَ، فَلَمْ يَزَلْ بِأَبِي بَكْرٍ حَتَّى عَزَلَهُ، وَوَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ.

وَقَالَ ابْن أَبِي عزة القرشي الجمحيّ:

شكرا لمن هُوَ بالثناء خليق	ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعد ما ركضت بسعد بغله	ورجا رجاءً دونه العيوق
جاءت به الأنصار عاصب رأسه	فأتاهم الصديق والفاروق
وأبو عُبَيْدَة والذين إليهم	نفس المؤمل للبقاء تتوق
كنا نقول لَهَا علي والرضا	عمر، وأولاهم بتلك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها	إن المنوه باسمه الموثوق

واستخلفه رَسُول اللهِ ﷺ على أمته من بعده، بما أظهر من الدلائل البينة على محبته فِي ذَلِكَ، وبالتعريض الَّذِي يقوم مقام التصريح، ولم يصرح بذلك لأنه لم يؤمر فِيهِ بشيء، وَكَانَ لا يصنع شيئا فِي دين الله إلا بوحي، والخلافة ركن من أركان الدين.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو قُحَافَةَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا:

قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ! قَالَ: أَمْرٌ جَلَلٌ! قَالَ: فَمَنْ وَلِيَ بَعْدَهُ؟

قَالُوا: ابْنُكَ قَالَ: فَهَلْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَبَنُو الْمُغِيرَةِ؟

قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللهُ، وَلا مُعْطِي لِمَا مَنَعَهُ اللهُ.

أول خلافة الصديق رضي الله عنه:

١/ خطبة أبي بكر بعد البيعة

قال ابن الأثير في الكامل: بعد أن تمت بيعة أبي بكر بيعة عامة، صعد المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله).

٢/ عمل أبي بكر ومنزله مدة خلافته.

كان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجرا وكان منزله بالسنح عند زوجته حبيبة (والسنح من ضواحي المدينة) ثم تحول إلى المدينة بعدما بويع له بستة أشهر وكان يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس وعليه إزار ورداء ممشق فيوافي المدينة، فيصلي الصلوات بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح، فكان إذا حضر صلى بالناس وإذا لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب، فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر يوم الجمعة فيجمع الناس وكان رجلا تاجرا، فكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي (الآن لا تحلب لنا منائح دارنا) فسمعها أبو بكر فقال: (بلى لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق كنت عليه) فكان يحلب لهم.

ثم نظر أبو بكر في أمره فقال: (لا والله ما تصلح أمور الناس التجارة وما يصلحهم إلا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ولا بد لعيالي مما يصلحهم) فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوما بيوم ويحج ويعتمر؛ وكان الذي فرضوا له في كل سنة ٦٠٠٠ درهم فلما حضرته الوفاة؛ قال: (ردوا ما عندنا من مال المسلمين فإني لا أصيب من هذا المال شيئا، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم) فدفع ذلك إلى عمر ودفع إليه بعيرا وعبدا وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم. فقال عمر: (لقد أتعب من بعده).

وحسبوا ما أنفقه على أهله من بيت المال فوجدوه ٨٠٠٠ درهم في ولايته وكان يوزع الصدقات على الفقراء وعلى تجهيز الجيوش. كذلك كان يوزع غنائم الحرب على الناس حال وصولها أو في صباح اليوم التالي ولم يكن له حرس يحرسونه وكان يستشير عمر بن الخطاب.

٣/ إرسال جيش أسامة بن زيد. وذلك في - يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١هـ (١١ حزيران - يونيه ٦م)

وكان رسول الله قد استعمل أسامة بن زيد، وأمره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قُتل في غزوة مؤتة، وقد كان رسول الله قد ضرب البعث على أهل المدينة ومَن حولها، وفيهم عمر بن الخطاب وعسكر جيش أسامة بالجُرْف فاشتكى رسول الله ثم وجد من نفسه راحة فخرج رسول الله عاصبا رأسه فقال: (أيها الناس أنفذوا جيش أسامة) ثلاث مرات. وقال: (إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إنه كان خليقا للإمارة، وايم الله إنه لمن أحب الناس إلي من بعده).

وذلك لأن الناس طعنوا في إمارة أسامة، لأنه كان شابا لم يتم العشرين من عمره.

فتوفي رسول الله ولم يسر الجيش، وارتد كثير من العرب ونجم النفاق، واشرأبت أعناق اليهود والنصارى وبقي المسلمون لا يدرون ماذا يصنعون لوفاة نبيهم، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم. فقال الناس لأبي بكر: إن جيش أسامة جند المسلمين، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

فماذا يصنع أبو بكر؟ إنهم يعترضون على إمارة أسامة لصغر سنه، ويعترضون على إرسال جيش المسلمين لارتداد العرب، وقلة عدد المسلمين، وخوفهم على مركزهم بالمدينة. غير أن رسول الله كان يشدد في إرسال جيش أسامة، وقد أخذ أبو بكر عهدا على نفسه بأن لا يعصي الله ورسوله. فهل يخالف أمر رسول الله؟ كلا، فإن ذلك ليس من طبيعته ولا من خلقه، وإنما خلقه الثبات إلى آخر لحظة وتنفيذ أوامر رسول الله بكل دقة في كل كبيرة وصغيرة مهما كلفه ذلك لقوة إيمانه، وثبات يقينه وعملا بواجب الصداقة. لهذا كانت إجابته للمعترضين في غاية القوة حيث قال: (والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته).

وقال لعمر لما أرسله أسامة يستأذنه في الرجوع وطلب إليه الأنصار إن أَبَى أن يولي عليه من هو أقدم سنا من أسامة: (لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ).

فقال عمر: إن الأنصار أمروني أن أبلغك وأنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالسا يأخذ بلحية عمر فقال له: (ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزِعَه).

فخرج عمر إلى الناس بعد أم سمع ورأى من أبي بكر ما رأى. فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله.

خرج أبو بكر حتى أتى الجيش وأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة: يا خليفة رسول

الله، والله لتركبن أو لأنزلن. فقال (والله لا تنزل ووالله لا أركب وما عليّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة. فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة) حتى إذا انتهى قال إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، ومعنى ذلك أنه يستأذن أسامة قائد الجيش أن يترك له عمر لأنه كان في الجيش فأذن له.

٤/ وصية أبي بكر الجيش: - أوصى أبو بكر جيش أسامة فقال:

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نحلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله).

✍وقال لأسامة (إصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ. ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبِلَ (بالأردن من مشارف الشام) ولا تقصرن من شئ من أمر رسول الله ﷺ ولا تعجلن لما خلفت عن عهده).

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما سوى مقامه ومنقلبه راجعا من غير أن يفقد أحدا من رجاله.

✍وكان إنفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين؛ فإن العرب قالوا لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه.

٥/ إرسال البعوث إلى المرتدين شعبان سنة ١١هـ (تشرين الأول أكتوبر سنة ٦٣٢ م).

✍لما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءتهم صدقات كثيرة تفضل عنهم نظم أبو بكر البعوث، وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء. وفيما يلي أسماء القواد ووجهتهم:

- ١ - خالد بن الوليد: سار إلى طليحة بن خويلد الأسدي فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له.

- ٢ - عكرمة بن أبي جهل: إلى مسيلمة.

- ٣ - المهاجر بن أبي أمية: إلى جنود العنسي ومعون الأبناء على قيس بن المكشوح ثم يمضي إلى كِندة بحضر موت.

- ٤ - خالد بن سعيد إلى مشارف الشام.

- ٥ - عمرو بن العاص: إلى قضاعة ووديعة.

- ٦ - حذيفة بن محصن الغلفاني: إلى أهل دبا.

- ٧ - عرفجة بن هيثنة: إلى مهرة.

- ٨ - شرحبيل بن حسنة: في أثر عكرمة بن أبي جهل فإذا فرغ من اليمامة لحق بخيله إلى قضاعة.

- ٩ - معن بن حاجز: إلى بني سليم ومن معهم من هوازن.

- ١٠ - سويد بن مقرن: إلى تهامة باليمن.

- ١١ - العلاء بن الحضرمي: إلى البحرين.

هؤلاء هم القواد الذي اختارهم أبو بكر لقتال أهل الردة وعقد لكل واحد منهم لواء ومن هذا يتبين أنهم أرسلوا إلى جميع العرب الذين كانوا قد ارتدوا، فما

أصعب مهمة أبي بكر ومهمة قواده الذين كلفوا بإخضاع المرتدين وإعادتهم إلى لواء الإسلام، ولم يبق بالمدينة غير قوة صغيرة. وبقي أبو بكر في المدينة ولم يبعث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والزبير مع كفايتهم الحربية، بل أبقاهم معه لاستشارتهم.

فصلت الأمراء من ذي القصة ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده وقد عهد إليهم عهده وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدين.

وهذا نص الكتاب الذي أرسله أبو بكر إلى المرتدين من العرب وأعطى كل أمير نسخة منه: بسم الله الرحمن الرحيم:

(من أبي بكر حليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. نقر بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده).

(أما بعد فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ أمر الله ونصح لأمته وقضى الذي عليه. وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝٣٠﴾ الزمر ٣٠، وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤﴾ الأنبياء ٣٤، وقال للمؤمنين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾ آل عمران ١١٤، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم. حافظ لأمره،

منتقم من عدوه يجزيه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله فإن كل من لم يهده الله ضال وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا. قال الله تعالى ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ الكهف ١٧، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل. وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان. قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ الكهف ٥١. وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ فاطر ٦، وإني بعثت إليكم (فلانا) في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه. ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذان. فإذا أذن المسلمون فأذنوا فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا اقبلوا منهم واحملوهم على ما ينبغي لهم).

هذا إعلان عام للمرتدين وقد أمرهم بالخضوع والعودة إلى الإسلام حالا بمجرد الدعوة وإلا كان كل أمير في حل من قتل من أبى وحرقه واستعمال الشدة معه وسبي الذراري والنساء.

✍وأعطى لكل قائد عهدا بوصية بما يجب عليه أن يتبعه ويسلكه للقيام بالمهمة التي عهد إليه بها. وهذا نص العهد: بسم الله الرحمن الرحيم: (هذا عهد

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ "لفلان" حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله. سره وعلانيته. وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله ﷻ قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف. إنما يقاتل بالمعروف وإنما يقتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فما استيسر به. ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مرغمه لا يقبل من أحد شيئا أعطاه إلا الإسلام. فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله. فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران. ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول).

وكان أَبُو بَكْر يَقُول: أنا خليفة رَسُول اللهِ ﷺ، وكذلك كَانَ يدعى: يَا خليفة رَسُول اللهِ. وكان عُمَر يدعى خليفة أَبِي بَكْر صدرا من خلافته حَتَّى تسمى بأمير المؤمنين عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لأَبِي بَكْرٍ: يَا خَلِيفَةَ اللهِ، قَالَ: لَسْتُ بِخَلِيفَةِ اللهِ. قَالَ: وَلَكِنِّي أَنَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ، وَأَنَا رَاضٍ بِذَلِكَ.

٦/ حج أبي بكر.- استعمل أبو بكر على الحج سنة ١١هـ عمر بن الخطاب، ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة ١٢هـ، ثم رجع إلى المدينة. فلما كان وقت الحج سنة ١٢هـ حج أبو بكر بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

٧/ جمع القرآن.- كان أبو بكر الصديق أعلم الصحابة بالقرآن، لأن رسول الله قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) وقال: (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره).

ولما رأى كثرة من قتل من كبارالصحابة باليمامة أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال، وجريد النخل والجلود، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة رسول الله ﷺ.

جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال: (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر. فقال: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن. قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى آخرها. فكانت الصحف التي فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).

خلافته:

مكث أَبُو بَكْر فِي خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ. وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال.

وقال ابن إسحاق: توفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال.

وفاته رضي الله عنه:

قال ابن إسحاق: توفي أبو بكر على رأس سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة من متوفى رَسُول اللهِ ﷺ. وقال غيره: وعشرة أيام.

وَقَالَ غيره أيضا: وعشرين يوما، فقام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه فِي ذَلِكَ وشدته مع لينه مَا لم يحتسب، فأظهر الله بِهِ دينه، وقتل على يديه وببركته كل من ارتد عَنْ دين الله، حَتَّى ظهر أمر الله وهم كارهون.

سبب وفاته رضي الله عنه وتاريخها وكم كانت حياته؟:

١/ اختلف فِي السبب الَّذِي مات منه، فذكر الْوَاقِدِيّ أَنَّهُ اغتسل فِي يَوْم بارد فحم، ومرض خمسة عشر يوما. قال الزُّبَيْر بْن بكار: كَانَ بِهِ طرف من السل. وروى عن سلام بْن أَبِي مطيع أَنَّهُ سم، والله أعلم.

٢/ واختلف أيضا فِي حين وفاته، فَقَالَ ابْن إِسْحَاق: توفي يَوْم الجمعة، لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة.

وقال غيره من أهل السير: مات عشي يَوْم الاثنين. وقيل ليلة الثلاثاء. وقيل عشي يَوْم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة. هذا قول أكثرهم.

وأوصى أن تغسله أَسْمَاء بِنْت عميس زوجته، فغسلته، وصلى عَلَيْهِ عُمَر بْن الخطاب، ونزل فِي قبره عُمَر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن ابن أَبِي بَكْر ودفن ليلا فِي بيت عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا مع النَّبِيّ ﷺ.

ولا يختلفون أن سنه انتهت إِلَى حين وفاته ثلاثا وستين سنة إلا مَا لا يصح، وأنه استوفى بخلافته بعد رَسُول اللهِ ﷺ سن رسول الله ﷺ.

وكان نقش خاتمه: نعم القادر الله، فيما ذكر الزُّبَيْر بْن بكار، وَقَالَ غيره: كَانَ نقش خاتمه: عبد ذليل لرب جليل.

وعَنْ عَائِشَةَ- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَقُلْ بَيْتَ شِعْرٍ فِي الإِسْلامِ حَتَّى مَاتَ، وَأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَرَّمَ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، هُوَ وَعُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢/ **عمر بن الخطاب:**

نسبه: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي.

أمّه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية.

مولده:

قيل إنه ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر عاماً.وعام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

صفاته الخَلقية:

لقد كانت صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخَلقية صفاتٍ دالة على قوته وشدته وحزمه وصرامته وهيبته ووقاره رضي الله عنه.

فمن صفاته رضي الله عنه **أنه:**

١/ كان آدم اللون أصلع الرأس طويل القامة. ضخم الجسم، بعيد ما بين المنكبينكما روى الطبراني قال: حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا يحيى ابن أيوب بن بادي الخولاني عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب أصلع شديد الصلع. ورجال السند ما بين ثقة وصدوق، وأما سعيد بن المسيب فروايته عن عمر بن الخطاب أثبتها أحمد حيث أثبت سماعه منه، وقال ابن حجر في التهذيب ٤/ ٨٧: وقد وقع لي بإسناد صحيح لا مطعن فيه تصريح سعيد بسماعه من عمر.

ومارواه الطبراني/ المعجم الكبير ١/ ٢٨٢ فقال: حدثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا أسد بن موسى ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأسود بن سريع قال: كنت أنشده يعني النبي ﷺ ولا أعرف أصحابه حتى جاء رجل بعيد ما بين المناكب أصلع، فقيل لي: أسكت.إنه عمر بن الخطاب. الحديث.

٢/ وكان جهوري الصوت.

٣/ وكان إذا غضب فتل شاربه ونفخ.

٤/ وكان أعسر يسراً.(يعمل بكلتا يديه أضبط).

٥/ وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوي الجسم والبنية.لما رواه البخاري/ الصحيح ١/ ٧١، مسلم/ الصحيح/ شرح النووي ٥/ ١٩٢، كتاب التيمم والبيهقي/ السنن الكبرى ١/ ٢١٩،٢١٨، ولفظ البخاري وكان جليداً والجليد هو القوي في نفسه وجسمه. ابن الأثير/ النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٨٤ ولفظ مسلم وكان أجوف جليداً.

قال النووي: الأجوف هو الذي يخرج صوته من جوفه، وقال ابن الأثير: الأجوف: كبير الجوف عظيمه. النهاية في غريب الحديث ١/ ٣١٦.

٦/ كان: يسرع في مشيته، وكان في رجليه روح (إتساع ما بين الفخذين، أو سعة في الرجلين، وهو دون الفحج والأروح الذي تتدانى عَقِباه، وتتباعد صدور قدميه، ابن منظور/ لسان العرب ٥/ ٣٦٤).

٧/ كان رجلاً أهلب (أي غليظ الشعر، وكثير شعر الرأس والجسد، ابن منظور/ لسان العرب ١٥/ ١١١)، فكان يحلق عنه الشعر.

جاهليته:

نشأ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة وتربى في ربوع بطاحها بين أهله وأبناء عشيرته بني عدي بن كعب وشب كغيره من فتيان قريش وساداتها يدين بدين الوثنية بل إنه كان شديد التمسك بالوثنية وشديد المقاومة لدعوة التوحيد.التي جاء بها محمد ﷺ

واضطهد من آمن بها، من بني عدي بن كعب، فكان ممن نالهم إيذاء عمر على الإسلام أقرب الناس إليه أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأم سعيد فاطمة بنت بعجة. كما رواه ابن سعد/ الطبقات ٣/ ٧٩ وفيه أن التعذيب وقع على سعيد وزوجته أخت عمر بإسناد متصل ورجاله ثقات، ورواه البخاري/ الصحيح ٢/ ٣٢٣،٣٢٤ وفيه اقتصار التعذيب على سعيد بن زيد. ورواه الحاكم/ المستدرك ٣/ ٤٤٠ وفيه أن التعذيب كان على سعيد وأمه، وإسناد الحاكم صحيح.

✍وكان قد أدمن تعذيب المستضعفين كما رواه ابن هشام/ السيرة النبوية ١/ ٤٢٣عن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه - قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا. قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله. قالت: فقلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا، وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أرها، ثم انصرف، وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفاً، ورقته وحزنه علينا قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت: يأساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام.

✍ومن المفارقات أن عُمر علَى الرغم من تمسكه في الجاهلية بالوثنية ومقاومة دعوة التوحيد وأتباعها وتعاطيه الخمر وغيرها من عادات الجاهلية السيئة إلا أنه كان ممن يعظم شعائر الله ويعرف لها فضلها.

كما رواه البخاري/ الصحيح ١/ ٣٤٥، مسلم/ الصحيح/ شرح النووي ١١/ ١٢٥، ١٢٦، أحمد/ المسند ٢/ ٢٠ وغيرهم.

أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد إسلامه سأل النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية وهو أنه نذر أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام في الجاهلية، فأمره النبي ﷺ أن يوفي بنذره.

۞ إسلامه:

ذكر ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة والتي كانت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة.

وروي أن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في السنة السادسة من البعثة.

وثبت في صحيح البخاري أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شهد ما تعرض له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ضرب قريش له لما أسلم وعقل ذلك، وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولد بعد البعثة بسنتين لأن عمره كان يوم غزوة أحد أربعة عشر عاماً، وكانت أحد بعد البعثة بستة عشر عاماً، فإذا كان إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة الخامسة من البعثة يكون عمرُ ابن عمر ثلاث سنوات وهو سن لا يعقل فيه الطفل غالباً

۞ كيفية إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

جاءت فيها نصوص عديدة مختلفة من طرق ضعيفة وهي بمجموعها تفيد أن إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بسبب سماعه القرآن وتأثره به، وأما الروايات فهي:

الرواية الأولى: روى أحمد/ المسند ١/ ١٧، قال: ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي ثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، فقلت: كاهن، فقال: ﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ إلى آخر السورة، فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.

الرواية الثانية: روى أبو بكر بن أبي شيبة/ قال ابن أبي شيبة حدثنا: يحيى بن يعلى الأسلمي ثنا عبد الله بن المؤمل بن وهب عن أبي الزبير عن جابر قال: كان أول إسلام عمر..

قال عمر: وكنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأسر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عمر بن عبد الله بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت: لو أني جئت فلانـاً الخمار وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمراً فأشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجده فقلت: لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعـاً أو سبعين، فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني، فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويداً، ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة، فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام، فلم أزل قائمـاً في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن حسين، وكانت طريقه حتى يجزع المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري، ثم على دار الأخنس بن شريق٤ حتى يدخل بيته، وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان، قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار أزهر أدركته، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني، فظن رسول الله ﷺ أني إنما تتبعته لأوذيه، فنهمني، ثم قال: "ما جاء بك

يابن الخطاب هذه الساعة"؟ قلت: جئت لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: "هداك الله يا عمر"، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ بيته.(وفي السند يحيى ابن يعلى شيعي ضعيف. تق ٥٩٨، وعبد الله بن المؤمل ضعيف الحديث. تق ٣٢٥، وأبو الزبير مسلم بن تدرس مدلس من الثالثة ولم يصرح بالسماع من جابر بن عبد الله، فالأثر ضعيف،).

الرواية الثالثة: رواية ابن إسحاق، وكان نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم... حتى قال فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر.. فقال: أريد أن أقتل محمّداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة٢ وقد قتلت محمداً؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب، فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهينمة(خفي الكلام) التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرأون (طه) فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنة: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟

فوثب عمر على ختنة، فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة، فدمي وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟!

أتشهد أن لا إله إلا الله وتشهد أن محمداً رسول الله؟ فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه قال: وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، قم فاغتسل أو توضأ، فقام عمر ثم أخذ الكتاب، فقرأ (طه) حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلوة لِذِكْرِى﴾ فقال: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج

من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ ليلة الخميس: **"اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام"**، قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة، وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة وَجل القوم من عمر، قال: نعم فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم، ويتبع النبي ﷺ، وإن غير ذلك يكن قتله علينا هينـًا، والنبي ﷺ داخل يومىء إليه، فخرج رسول الله ﷺ حين أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه، وحمائل السيف فقال: **"أما أنت منتهيـًا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، اللهم هذا عمر ابن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب"**، فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم وقال: أخرج يا رسول الله.(والحديث ضعيف لقول ابن اسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: كان إسلام عمر فيما بلغني، والبلاغ منقطع فالسند ضعيف.).

❁ إيذاء قريش لعمر بعد إسلامه :

وبعد دخول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإسلام جهر بدينه على ملأ قريش قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أسلم أبي قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت، ودخلت دين محمّد؟

قال: فوالله ما رجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر، واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر قد صبا وعمر خلفه يقول: كذب، ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وبعد إعلان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إسلامه وعلم قريش بذلك قامت قريش إلى عمر فضربوه وضربهم وقاتلوه وقاتلهم حتى قامت الشمس على رؤسهم وتعب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكف عنهم وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا.

ولقد كان في شيوخ قريش ورجالاتها من يتصف بصفات حميدة كإغاثة الملهوف وحماية المظلوم ورفع الظلم والوفاء بالعهود والمواثيق مع تمسكهم بوثنيتهم وشركهم، ولم يكن ذلك ديناً فيهم، وإنما كان في كثيرٍ من الأحيان حمية وعصبية، فقد مر بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يضرب شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟! خلوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنهز

✍روى ابن إسحاق/ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٢٨-٤٣٠، البلاذري/ أنساب الأشراف ص٤٢،٤٣، البزار/ المسند ١/ ٢٦٠،٢٦١، الطبراني/ المعجم الكبير ١/ ٧٢.

✍ما الذي دعا العاص بن وائل السهمي أن يتولى الدغاع عن عمر لما أسلم؟

✍قال ابن هشام/ السيرة النبويّة ١/ ١٨٠.(ملخصه: أنه لما مات عبد مناف وعبد الدار،اختلفت الذرية فيمن يلي أمور السقاية والرفادة والحجابة واللواء والندوة، بعد وفاة فانقسمت قريش قسمين:

✍قسم: بنو عبد مناف وبنو أسد وزهرة وتميم والحارث فكانوا حلفاً.

✍وقسم بنو مخزوم وسهم وجمع وعدي مع بني عبد الدار حلفاً آخر.

✍قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأبيه بعد هجرتهما: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟

فقال: أي بني، العاص بن وائل السهمي.

✍ومع تذكير الشيخ لقريش بمنزلة عمر وقبيلته وحثه قريشاً على ترك عمر وشأنه لم تمتنع قريش من ملاحقة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما بعد، وخوف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على نفسه منهم، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدار خائفاً، إذ جاءه

العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك

أنهم سيقتلوني إن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، وبعد أن قالها أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟.

فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال: لا سبيل إليه، فكرّ الناس.

❁ عزة الإسلام وإسلام عمر:

✍روى أحمد/ فضائل الصحابة ١/ ٢٦٢،أنه ﷺ دعا أن يعز الدين بعمر بن الخطاب خاصة.

✍وكان إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عز ورفعة ومنعة للإسلام والمسلمين وذلك لمنزلته العالية وشخصيته المهيبة في أوساط المجتمع الجاهلي.

كما روى البخاري/ الصحيح ٢/ ٢٩٤، ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٣٥٤، ابن شبه/ تاريخ المدنية ٢/ ٢٢٦. قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

❁ هجرته:

لما أذن الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المهاجرين الأولين على الرغم من منزلته ومكانته بمكة التي تنكر لها القرشيون بعد إسلامه.

✍روى ابن سعد/ الطبقات ٢/ ٣،٣٥٢/ ٨٧،٨٨، ابن أبي شيبة/ المصنف ١/ ٣٠٢، ٣٠٣، ابن شبه/ تاريخ المدينة ١/ ٤٨،٤٩،والأثر صحيح، ورواه البخاري في الصحيح ١/ ١٢٨ من غير ذكر لعمر بن الخطاب.أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما قدم المهاجرون الأولون من مكة إلى المدينة نزلوا بالعصبة إلى

جنب قباء، فأمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآنـًا، فيهم عمر بن الخطاب، وأبو سلمة بن عبد الأسد.

وهاجرعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مستخفيـًا كالمهاجرين قبله والمهاجرين بعده ومنهم رسول الله ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روى ابن إسحاق. قال: فحدّثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.قال: وهو يحكي قصة هجرته: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار، فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، ففتن فافتتن.

تنبيه:

جاء في رواية أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هاجر علانية وهي رواية مشهورة لكنها لم تأت من طرق ثابته.حيث رواها ابن عساكر/ تاريخ دمشق ص٤٥، ابن الأثير/ أسد الغابة ٤/ ٥٨، وفي إسناده عندهما الزبير بن محمد بن خالد العثماني وعبد الله بن القاسم الأيلي وأبيه القاسم لم أجد لهم تراجم. وقال الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص٤٣،٤٢.: وهؤلاء الثلاثة في عداد المجهولين فإن أحداً من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقـًا.

كنيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فقد اشتهر بـ (أبي حفص)، وقد وردت عدة أخبار تفيد أن الذي كناه بهذا النبي ﷺ والدليل على ذلك ما ذكره ابن سعد/ الطبقات ٤/ ١١، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٣٤، البيهقي/ دلائل النبوة ٣/ ١٤٠، ١٤١. من أنه ﷺ قال يوم بدر: "إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهـًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد

المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهـًا " فقال أبو حذيفة: أنقتُل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس! والله لئن لقيته لألحمنه السيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال: لعمر بن الخطاب: "يا أبا حفص - قال عمر: إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص - أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف.

۞ لقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو (الفاروق):

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جدير بهذا اللقب فإنه ممن فرق الله به بين الإسلام والكفر بعد إسلامه وبعد توليه الخلافة وظهر به الإسلام وخفقت راياته في أرجاء المعمورة..

عمر رضي الله عنه يظهر براءته من الشرك بالله وعبادة الأحجار والأوثان والتبرك بها، ويظهر طاعته وانقياده لأوامر الله ورسوله والتسليم لها.الدالة على صدق إيمانه واتباعه وتحقيقه التوحيد:

١/ روى البخاري في صحيحه ١/ ٢٧٨،٢٧٩، مسلم في صحيحه / شرح النووي ٩/ ١٥-١٧ أن عمر قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال وهو يستلم الحجر الأسود ويقبله: "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك".

٢/ روى البخاري في صحيحه ٤/ ١٥١، مسلم في صحيحه / شرح النووي ١١/ ١٠٤، ١٠٥): أن النبي ﷺ أدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ركب وعمر يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالله ما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً.

۞ زهده وكرمه:

ومن صفات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدالة على عزمه وقوة إرادته إضافة إلى قوة دينه وإيمانه الزهد في الدنيا وزينتها، والرغبة فيما عند الله.

روى البخاري في صحيحه ١/ ٢٥٧، ٤/ ٢٣٨، مسلم في صحيحه / شرح النووي ٧/ ١٣٤ - ١٣٧،عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالاً، فقلت: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال النبي ﷺ: **"خذه فتموله، وتصدق به، فما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك"**.

وروى ابن شبه في تاريخ المدينة ٣/ ٤٢، وفي إسناده عتاب بن بشر، صدوق يخطئ. أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما قدم الشام لقيه العجم من أهل الشام، فقالوا: أين أمير المؤمنين، فقالوا: قدامكم حتى جاوزوه، فسألوا: فقيل هذا أمير المؤمنين، فرجعوا فنظروا إليه في رجل أو اثنين، أو ما شاء الله، فقالوا: هذه والله الرهبانية لا رهبانيتكم.

روى البخاري في صحيحه ٢/ ٢٩٥.عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجد ولا أجود من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شجاعته وهيبته:

القارئ لسيرته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحياته في الجاهلية والإسلام، ومواقفه مع النبي ﷺ وعدم تخلفه عنه في سلم أو حرب وجرأته على أعداء الله وانتقامه منهم، وما فتح الله على يديه من فتوحات في خلافته ما كانت تحقق لولا عون الله عَزَّ وَجَلَّ وما منحه الله عَزَّ وَجَلَّ لهذا الخليفة الراشد من صفات القوة والحزم والجلادة والصبر والشجاعة والإقدام. ولك ما رواه مسلم في صحيح بشرح النووي ١٠/ ١٨٥.عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له.

وكان مع الشجاعة ذا هيبة عظيمة، يهابه من حوله من صحابة النبي ﷺ فضلاً عن بقية رعيته.

❁تواضعه:

ومن صفات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتي فيها معنى السهولة واللطف ولين الجانب، تواضعه لربه عَزَّ وَجَلَّ وعدم تكبره على رعيته بالرغم مما كان يمتلكه من صفات القوة والهيبة، وما كان تحت ملكه وتصرفه من البلاد التي شملت الجزيرة العربية، وبلاد فارس من أقصاها إلى أدناها، وبلاد الشام ومصر فلم يزده الملك إلا تواضعـًا لربه تبارك وتعالى وخوفـًا وخشية منه.

قدم الهرمزان المدينة وكان من ملوك فارس، فرأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مضطجعـًا على الأرض في مسجد النبي ﷺ وهو أمير المؤمنين، وليس حوله خدم ولا حرس ولا حاجب قد أمن رعيته وأمنته، فرأى منظراً عجيبـًا ملأ قلبه هيبة وإجلالاً، فقال: هذا والله الملك الهني، أي ليس ملوك فارس الذين امتلأت قصورهم بالحرس والخدم وامتلأت قلوبهم خوفـًا وقلقـًا تخافهم رعيتهم ويخافونهم.

ولله در محمود غنيم لما قال في قصيدة وقفة على طلل:

يا من رأى عمرا تكسوه بردته ... والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقا ... من بأسه وملوك الروم تخشاه

ومن تواضعه كانت توقفه المرأة في الطريق وتكلمه بشدة ويسمع لها.كما عند البخاري في تاريخه وابن مَرْدَوَيه عن ثُمامة بن حَزْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسير على حماره لقيته امرأة فقالت: قف يا عمر، فوقف فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم، قال: وما يمنعني أن أسمع لها وهي التي سمع الله لها وأنزل فيها ما أنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (سورة المجادلة، الآية:).

❁ مرحه:

ومن صفات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدالة على السماحة ولين الجانب، مرحه ومداعبة أصحابه.

روى الشافعي في المسند ص ١١٧، وابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ١٤١عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ربما قال لي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعال أباقيك في الماء أينا أطول نفساً ونحن محرمون.) والأثر صحيح.

ومع المرح كانت فيه شدة وصرامة في الحق، وشدة الغيرة على محارم الله عَزَّ وَجَلَّ، ومواقفه الدالة على ذلك في عهد النبي ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي خلافته كثيرة،

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه ١/ ١٧٦، ٢/ ١٥٣،١٥٤، مسلم في صحيح ٦/ ١٨٦، ١٨٧: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى مسجد النبي ﷺ والحبشة يلعبون فيه بحرابهم١، فأهوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحصى، فحصبهم به، فقال النبي ﷺ لعمر: **"دعهم يا عمر"**، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تنظر إليهم والنبي ﷺ يسترها.

ومن ذلك ما رواه أحمد في مسنده ١/ ٣٣٥: كان ﷺ في جنازة ومعه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرأى عمر امرأة فصاح بها، فقال له رسول الله ﷺ: **"دعها يا عمر، فإن العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب"**.

۞ خشيته لله عَزَّ وَجَلَّ:

روى مالك في الموطأ ٢/ ١٧٠، ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٩٢، أحمد في الزهد ص١٤٤، عن أنس بن مالك.كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد الخشية لله دائم الخوف والوجل من لقائه شديد المحاسبة لنفسه، قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجت مع عمر بن الخطاب حتى دخل حائطاً،فسمعته يقول وبيني وبينه الجدار، وهو في جوف الحائط: أعمر أمير المؤمنين بخٍ بخٍ،والله يا بُنَيَّ الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك.

ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٠٠، قال: حدّثنا أبو خالد الأحمر عن داود عن عامر عن ابن عباس، قال: دخلت. على عمرلما طعن، فقال: يا أمير المؤمنين، أبشر بالجنة، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ ولم يختلف في خلافتك اثنان،

وقتلت شهيداً، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعد علي، فأعاد عليه، فقال عمر: والذي لا إله غيره، لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطَّلع.

روى ابن سعد(في الطبقات الكبرى٦/ ١٢٦) قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن محمّد بن سعد بن أبي وقاص سمع عبد الله بن شداد بن الهادي يقول: سمعت نشجَ عمر. وأنا في آخر الصفوف، وهو يقرأ سورة يوسف حين بلغ ﴿قَالَ إنما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

ورعــه:

ومن صفات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورعه وشدة تحرزه في دينه وتركه الشبهات استبراءاً لدينه وعرضه ومن ذلك:

ما رواه ابن شبه / تاريخ المدينة ٢/ ٢٦٨.أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان له ناقة يحلبها ويشرب لبنها، فأتى له غلامه يومـاً بلبن أنكره، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك من أين هذا اللبن لك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها، فشربها، فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك، تسقني ناراً.

قيامه في الرعية والولاة:

روى عمربن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٨٠٦) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يُوَافُوهُ بِالْمَوْسِمِ فَوَافَوْهُ، فَقَامَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ عُمَّالِي هَؤُلَاءِ، وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُمْ لِيُصِيبُوا مِنْ أَبْشَارِكُمْ، وَلَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا مِنْ أَعْرَاضِكُمْ، وَلَكِنِ اسْتَعْمَلْتُهُمْ لِيَحْجِزُوا بَيْنَكُمْ أَوْ يَرُدُّوا عَلَيْكُمْ فَيْئَكُمْ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَلْيَقُمْ، فَمَا قَامَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا فُلَانٌ قَامَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَامِلَكَ فُلَانًا ضَرَبَنِي مِائَةَ سَوْطٍ فَقَالَ: يُضْرَبُ مِائَةً فَاسْتَقِدْ مِنْهُ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ مَتَى تَفْتَحْ هَذَا عَلَى عُمَّالِكَ تُكْثِرْ عَلَيْهِمْ، وَتَكُونُ سُنَّةً يَأْخُذُ بِهَا مَنْ بَعْدَكَ، فَقَالَ: أَنَا لَا

أُقِيدُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقِيدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: دَعْنَا إِذَنْ نُرْضِيهِ، قَالَ: أَرْضُوهُ، قَالَ: فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَتَيْ دِينَارٍ، فَكَانَ كُلُّ سَوْطٍ بِدِينَارَيْنِ.

وروى بن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٨٠٨) قال: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ ذَا سَوْطٍ وَنِكَايَةٍ فِي الْعَدُوِّ، فَغَنِمُوا مَغْنَمًا فَأَعْطَاهُ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ سَهْمِهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ إِلَّا جَمِيعًا، فَضَرَبَهُ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِشْرِينَ سَوْطًا، وَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَجَمَعَ شَعْرَهُ وَرَحَلَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ جَرِيرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنَا أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي خَبِيئَةٍ فَأَخْرَجَ شَعْرَهُ فَضَرَبَ بِهِ صَدْرَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْلَا، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَدَقَ وَاللهِ لَوْلَا النَّارُ»، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْتُ رَجُلًا ذَا سَوْطٍ وَنِكَايَةٍ وَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ فَضَرَبَنِي أَبُو مُوسَى عِشْرِينَ سَوْطًا وَحَلَقَ رَأْسِي، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَا يُقْتَصُّ مِنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى مِثْلِ صَرَامَةِ هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَمِيعِ مَا أَفَاءَ عَلَيْنَا، فَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا قَعَدْتَ لَهُ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَقْتَصَّ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ فِي خَلَاءٍ لَمَا قَعَدْتَ لَهُ فِي خَلَاءٍ حَتَّى يَقْتَصَّ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: اعْفُ عَنْهُ، فَقَالَ: لَا أَعْفُو عَنْهُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا صَعِدَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ لَكَ "

وروى عمر بن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧٠٠) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ مُعَيْقِبٍ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الظَّهِيرَةِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ يُطَالِبُ ابْنَهُ عَاصِمًا، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّكَ تَأْخُذُ أَمْرَكَ بِالْهُوَيْنَى، وَإِذَا بِعَاصِمٍ فِي زَاوِيَةٍ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا صَنَعَ هَذَا؟ إِنَّهُ انْطَلَقَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،

فَانْتَفَقَهُمْ فَأَعْطَوْهُ آنِيَةً وَفِضَّةً وَمَتَاعًا وَسَيْفًا مُحَلًّى فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ، إِنَّمَا قَدِمْتُ عَلَى أُنَاسٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَعْطَوْنِي هَذَا فَقَالَ: خُذْهُ يَا مُعَيْقِبُ، فَاجْعَلْهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَجَعَلْتُهُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ حَدَّثَ الْقَوْمَ شَأْنَهُ، وَانْطَلَقَ عَاصِمٌ فَطَلَبَ إِلَى نَاسٍ فِي السَّيْفِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّيْفُ أَمَا لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سَيْفٌ؟ قَالَ: يَا مُعَيْقِبُ، انْزِعْ حِلْيَتَهُ وَأَعْطِهِ النَّصْلَ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَأَخَذَ النَّصْلَ"

✍وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٠١) قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ مِسْكِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: أَتَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَجَاءَتْ حَفْصَةُ بِنْتُهُ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَقُّ أَقْرِبَتِكَ فِي هَذَا الْمَالِ، وَقَدْ أَوْصَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَقْرَبِينَ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةِ، إِنَّمَا حَقُّ أَقْرِبَائِي فِي مَالِي، فَأَمَّا هَذَا فَفَيْءُ الْمُسْلِمِينَ، غَشَشْتِ أَبَاكِ وَنَصَحْتِ لِأَقْرِبَتِكِ، قُومِي ". قَالَ الْحَسَنُ: فَقَامَتْ وَاللهِ تَجُرُّ ذَيْلَهَا.

إن حياة الفاروق عمر بن الخطاب (صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي الذي بهر كل تاريخ وفاقه والذي لم تحوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشرف والمجد والإخلاص والجهاد والدعوة في سبيل الله ولذلك قمت بتتبع أخباره وحياته وعصره في المصادر والمراجع واستخرجتها من بطون الكتب وقمت بترتيبها وتنسيقها وتوثيقها وتحليلها لكي تصبح في متناول الدعاة والخطباء والعلماء والساسة ورجال الفكر وقادة الجيوش وحكام الأمة وطلاب العلم وعامة الناس لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ويقتدون بها في أعمالهم فيكرمهم الله بالفوز في الدراين.

✍قواعد نظام حكمه: الشورى وإقامة العدل والمساواة بين الناس واحترام الحريات.

✍أهم صفات الفاروق وحياته مع أسرته: مع زوجته وأولاده.

✍احترامه لأهل البيت. كحرصه على الزواج من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.

✍حياته كخليفة المسلمين: اهتمامه ورعايته لنساء المجتمع وحفظه لسوابق الخير لرعيته وحرصه على قضاء حوائج الناس: قصة العجوز وأطفالها.

✍وتربيته لبعض زعماء المجتمع وإنكاره لبعض التصرفات المنحرفة واهتمامه بصحة الرعية ونظام الحسبة. وبالأسواق والتجارة وحرصه على تحقيق مقاصد الشريعة في المجتمع كحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع واهتمامه بأمر العبادات وحماية أعراض المجاهدين.

✍اهتم الفاروق بالعلم وتتبع الرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة وجعل المدينةَ داراً للفتوى والفقه ومدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة:

۞ أثر عمر في مدارس الأمصار:

كالمدرسة المكية والمدنية والبصرية والكوفية والشامية والمصرية:

فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات إلى إقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدعوة والتعليم والتربية ونشر الحضارة الإسلامية فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام طواعية بدون ضغط أو إكراه.

✍وصلت المساجد التي تقام فيها الجمعة في دولة عمر (إلى اثني عشر ألف مسجد وقد كانت المؤسسات العلمية خلف مؤسسة الجيش التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب وقد قاد هذه المؤسسات كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدي رسول الله (في المدينة وقد استفاد الفاروق

من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح.

❁ اهتمام الفاروق بالشعر والشعراء:

فقد كان عمر (أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه كما كان أكثرهم تمثلاً به حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيتاً من الشعر وقد برع الفاروق في النقد الأدبي وكانت له مقاييس يحتكم إليها في تفضيله أو إيثاره نصاً على نص أو تقديمه شاعراً على غيره.

✍ومن هذه المقاييس سلامة العربية وأنس الألفاظ والبعد عن المعاضلة والتعقيد والوضوح والابانة وأن تكون الألفاظ بقدر المعاني وجمال اللفظة في موقعها وحسن التقسيم وكان(يمنع الشعراء من قول الهجاء أو ما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

واستخدم عمرأساليب متعددة في تأديبهم الشعراء:

✍منها أنه أشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع

شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

ومنعتني عرض البخيل فلم يخف

شتمي فأصبح آمناً لا يفزع

❁ التطور العمراني وإدارة الأزمات في عهد عمر:

كاهتمام الفاروق بالطرق ووسائل النقل البري والبحري وإنشاء الثغور والأمصار كقواعد عسكرية ومراكز إشعاع حضاري.

❁ **نشأة المدن الكبرى في عهد عمر:**

كالبصرة والكوفة والفسطاط، وسرت، وعن الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن.

❁ **التدابير التي اتخذها عمر في مواجهة عام الرمادة، وكيف جعل من نفسه للناس قدوة؟**

✍وعن معسكرات اللاجئين في تلك السنة، وعن الاستعانة بأهل الأمصار، والاستعانة بالله وصلاة الاستسقاء، وعن بعض الاجتهادات الفقهية في عام الرمادة، كوقف إقامة حد السرقة، وتأخير دفع الزكاة في ذلك العام.

وأشرت إلى عام الطاعون وموقف الفاروق من هذا الوباء الذي كان سبباً في وفاة كبار قادة الجيش الإسلامي بالشام، وقد مات أكثر من عشرين ألفاً من المسلمين بسبب الطاعون، واختلت الموازين وضاعت المواريث، فذهب الفاروق إلى الشام وقسم الأرزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد ثغور الشام ومسالحها وولى الولاة، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات.

✍ووضحت دور الفاروق في تطوير المؤسسة المالية والقضائية فتحدثت عن المؤسسة المالية، وعن مصادر دخل الدولة في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كالزكاة والجزية، والخراج، والعشور، والفيء والغنائم، وعن بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين، وعن مصارف الدولة في عهد عمر وعن اجتهاد الفاروق في مسألة أرض الخراج وعن إصدار النقود الإسلامية، وبينت دور الفاروق في تطوير المؤسسة القضائية، وتكلمت عن أهم رسائل عمر إلى القضاة، وعن تعيين القضاة، ومرتباتهم وصفاتهم وما يجب عليهم، وعن مصادر الأحكام القضائية، والأدلة التي يعتمد عليها القاضي، وعن اجتهادات الفاروق القضائية كحكم تزوير الخاتم الرسمي للدولة، ورجل سرق من بيت المال بالكوفة، ومن جهل تحريم الزنا،

وغيرها من الأحكام القضائية والفقهية، وعن فقه عمر في التعامل مع الولاة، فبينت أقاليم الدولة في عهد عمر وأسماء من تولى إمارة الأقاليم في عصره، وعن أهم قواعد عمر في تعيين الولاة وشروطه عليهم، وعن صفات ولاة عمر، وعن حقوق الولاة وواجباتهم، وعن متابعة الفاروق للولاة ومحاسبتهم، وعن تعامل الفاروق مع شكاوى الرعية في الولاة، وعن أنواع العقوبات التي أنزلها الفاروق بالولاة، وعن قصة عزل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن عزله في المرتين الأولى والثانية، ومجمل أسباب عزله، وعن موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل، وعن موقف خالد بن الوليد من ذلك القرار وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٠٣) قال: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: " قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ يَقْسِمُ هَذَا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدٍ: هَلُمَّ أَزِنْ لَكَ؛ فَإِنِّي جَيِّدَةُ الْوَزْنِ قَالَ: لَا، إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تُصِيبَ يَدُكِ، فَتَقُولِينَ هَكَذَا عَلَى صَدْرِكِ بِمَا أَصَابَتْ يَدَاكِ فَضْلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ "

وفي تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٤٠) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى، أَخْبَرَهُ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ أَوِ الرَّبَذَةِ بِقَصْعَةٍ فِيهَا خُبْزٌ مَفْتُوتٌ بِسَمْنٍ، فَدَعَا رَجُلًا كَالْبَدَوِيِّ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَجَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ يَتَتَبَّعُ بِاللُّقْمَةِ الْوَدَكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَأَنَّكَ مُقْفِرٌ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: مَا أَكَلْتُ سَمْنًا، وَلَا رَأَيْتُ أَكْلًا لَهُ، مُذْ كَذَا وَكَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ، فَحَلَفَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَأْكُلُ سَمْنًا وَلَا لَحْمًا حَتَّى يَحْيَا النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ مَا أَحْيَوْا ".

حجه رضي الله عنه:

في المعارف/ ١٨٣: أن عمر رضي الله عنه حج بالناس عشر سنين متوالية: وأوردها ابن الجوزي موزعة على السنين عن أبي معشر ابتداء من سنة: ١٤هـ وحتى سنة:

٢٣هـ، فتكون عشر حجات متوالية، والله أعلم. (انظر مناقب عمر لابن الجوزي ٩١ - ٩٢).

۞ ما حدث في خلافته ﵁ من فتوحات وبلاء:

✍أرسل الجيوش إلى فارس مع أبي عبيد، فلما قتل يوم الجسر أرسل ابن أبي وقاص وجريرا والمثنى بن حارثة.

✍فكانت وقعة أجنادين سنة ثلاث عشرة (أجنادين: موضع بالشام من نواحي فلسطين قرب الرملة بينها وبين بيت جبرين، كما في الطبري ٣/ ٤١٧، وكان الروم مائة ألف مقاتل، فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم خلقا كثيرا.).

✍ويوم فحل واليرموك سنة ثلاث عشرة -وقيل: سنة خمس عشرة -

(فحل) بكسر الفاء وسكون الحاء وآخره لام: اسم موضع من الأردن بالشام، كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، قتل فيه ثمانون ألفا من الروم، -)

✍ومرج الصّفّر سنة أربع (مرج الصّفّر: فقبل دمشق، من أعمالها، التقى فيه المسلمون مع الروم لهلال المحرم سنة أربع عشرة، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت الروم. (فتوح البلدان).

✍والقادسية سنة خمس عشرة من الهجرة، كما ذكر الطبري ٣/ ٥٩٠، والمسعودي ٢/ ٣٥١، أن هذا التاريخ لوقعة القادسية هو لابن إسحاق، وبعض أهل الكوفة؛ ونقلا عن الواقدي: أنها كانت في ست عشرة، لكن الطبري أوردها في حوادث السنة الرابعة عشرة وقال: وهو الثبت عندنا. وتبعه أصحاب التاريخ بعده: ابن الجوزي وابن الأثير، أما البلاذري وابن حبان فأخذا بقول الواقدي. والقادسية في العراق بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا، وكانت فاتحة انتشار الإسلام في الشرق والقضاء على الفرس. وكان قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص ﵁، وقائد الفرس: رستم.

وطاعون عمواس سنة ثمانية عشر، مات فيه خمس وعشرون ألفا. (عِمواس: رواه الزمخشري بكسر أوله وسكون ثانيه، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه. وهي قرية بفلسطين بالقرب من بيت المقدس، منها كان ابتداء الطاعون عام ثمانية عشر من الهجرة مات فيه خمسة وعشرون ألفا، فيهم خلق كثير من الصحابة مثل أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل وغيرهما رضي الله عنهم جميعا (ياقوت ٤/ ١٥٧ - ١٥٨)، وانظر في الطواعين وأوقاتها: المعارف/ ٦٠١/ .)

في كتاب الجوهر الثمين ٣٦ - ٣٨: افتتح دمشق على يد أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد في سنة (١٣) هـ. وفتح الجابية، وفتح بيت المقدس في سنة (١٦) هـ.

وفتح القادسية من بلاد العجم على يد سعد بن أبي وقاص. وفتح سروج، والرها، ونصيبين، والرقة، والجزيرة، وعين التمر على يد عياض بن غنم في سنة (١٦) هـ.

وفتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان، وفتح مدائن كسرى في سنة (١٩) هـ.

وفتح مصر، والإسكندرية، ودمياط، وبرقة على يد عمرو بن العاص.

وفتح نهاوند على يد النعمان بن مقرن في سنة (٢١) هـ.

وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر. وفتح طرابلس الغرب-وهي أول مدن الغرب-على يد عمرو بن العاص. وفتح كور الأهواز، وإصطخر على يد أبي موسى الأشعري.

وفتح همدان، وأصبهان على يد عبد الله الخزاعي.

وفي أيامه دخل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أرض الروم حتى بلغ عمّورية.

وفتح خراسان، وأعمالها في سنة (٢٣) هـ.

وفتح فلسطين وعسقلان. وفي أيامه زالت دولة الفرس.

إن حياة الفاروق عمر بن الخطاب (صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي الذي بهر كل تاريخ وفاقه والذي لم تحوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشرف والمجد والإخلاص والجهاد والدعوة في سبيل الله.

وبعد استخلافه وضحت قواعد نظام حكمه كالشورى واقامة العدل والمساواة بين الناس واحترامه للحريات واحترامه لأهل البيت ورعايته لنساء المجتمع وحفظه لسوابق الخير لرعيته وحرصه على قضاء حوائج الناس وتربيته لبعض زعماء المجتمع وإنكاره لبعض التصرفات المنحرفة واهتمامه بصحة الرعية ونظام الحسبة. وبالأسواق والتجارة وحرصه على تحقيق مقاصد الشريعة في المجتمع كحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع واهتمامه بأمر العبادات وحماية أعراض المجاهدين.وتتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة وجعله المدينةَ داراً للفتوى والفقه ومدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة وبينت الأثر العمري في مدارس الأمصار كالمدرسة المكية والمدنية والبصرية والكوفية والشامية والمصرية فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات إلى إقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدعوة والتعليم والتربية ونشر الحضارة الإسلامية فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام طواعية بدون ضغط أو إكراه وقد وصلت المساجد التي تقام فيها الجمعة في دولة عمر (إلى اثني عشر ألف مسجد وقد كانت المؤسسات العلمية خلف مؤسسة الجيش التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد المغرب وقد قاد هذه المؤسسات كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربت على يدي رسول الله (في المدينة وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية والفقهية التي

كانت مواكبة لحركة الفتح وتكلمت عن اهتمام الفاروق بالشعر والشعراء فقد كان عمر (أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه كما كان أكثرهم تمثلاً به حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيتاً من الشعر وقد برع الفاروق في النقد الأدبي وكانت له مقاييس يحتكم إليها في تفضيله أو إيثاره نصاً على نص أو تقديمه شاعراً على غيره ومن هذه المقاييس سلامة العربية وأنس الألفاظ والبعد عن المعاضلة والتعقيد والوضوح والابانة وأن تكون الألفاظ بقدر المعاني وجمال اللفظة في موقعها وحسن التقسيم وكان(يمنع الشعراء من قول الهجاء أو ما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية واستخدم أساليب متعددة في. تأديبهم منها أنه أشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

وأخذت أطراف الكلام فلم ... تدع شتماً يضر ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم ... يخف شتمي فأصبح آمناً لا يفزع

التطور العمراني:

اهتم الفاروق بالطرق ووسائل النقل البري والبحري وإنشاء الثغور والأمصار كقواعد عسكرية ومراكز إشعاع حضاري،

وفي عهد عمر أنشئت المدن الكبرى: كالبصرة والكوفة والفسطاط، وسرت،.

إدارة عمر للأزمات في عهده:

الأساليب التي اتخذها عمر في مواجهة عام الرمادة، وكيف جعل من نفسه للناس قدوة؟ وأنشأ معسكرات اللاجئين في تلك السنة، واستعان بأهل الأمصار، واستعان بالله وصلى الاستسقاء، واجتهد بعض الاجتهادات الفقهية في عام الرمادة، كوقف إقامة حد السرقة، وتأخير دفع الزكاة في ذلك العام.

الطاعون الذي كان سبباً في وفاة كبار قادة الجيش الإسلامي بالشام، وقد مات أكثر من عشرين ألفًا من المسلمين بسبب الطاعون، واختلت الموازين وضاعت المواريث، فذهب الفاروق إلى الشام وقسم الأرزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد ثغور الشام ومسالحها وولى الولاة، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات.

مصادر دخل الدولة في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كالزكاة والجزية، والخراج، والعشور، والفيء والغنائم، وعن بيت مال المسلمين وتدوين الدواوين، وعن مصارف الدولة في عهد عمر وعن اجتهاد الفاروق في مسألة أرض الخراج وعن إصدار النقود الإسلامية، وبينت دور الفاروق في تطوير المؤسسة القضائية، وتكلمت عن أهم رسائل عمر إلى القضاة، وعن تعيين القضاة، ومرتباتهم وصفاتهم وما يجب عليهم، وعن مصادر الأحكام القضائية، والأدلة التي يعتمد عليها القاضي، وعن اجتهادات الفاروق القضائية كحكم تزوير الخاتم الرسمي للدولة، ورجل سرق من بيت المال بالكوفة، ومن جهل تحريم الزنا، وغيرها من الأحكام القضائية والفقهية.

وفاته رضي الله عنه **:**

قتله أبو لؤلؤة فيروز، غلام المغيرة بن شعبة، في صلاة الصبح، يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة-وقال ابن قانع: غرة المحرم- لتمام ثلاث وعشرين. وهو ابن ثلاث وستين.

واختلف في أبي لؤلؤة: منهم من قال: كان نصرانيا كما في الطبري ٤/ ١٩٠، ومنهم من قال كان مجوسيا كما في المحبر/ ١٢/ ، والمسعودي ٢/ ٣٥٢، وجوامع السيرة/ ٣٥٤/ ، وانظر خبره كاملا في الطبقات ٣/ ٣٤٥، والطبري ٤/ ١٩٠ - ١٩١.

ذكر محمد بن الحسين الآجري: في كتاب الشريعة: برقم ١١٨٥ - وحدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني قال: حدثنا يحيى بن إسحاق السالحيني قال: حدثنا سلمة بن الأسود قال: أخبرني أبو عبد الرحمن قال: دخل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سجي بثوبه فقال: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله عَزَّ وَجَلَّ بصحيفته من هذا المسجى بينكم ثم قال: رحمك الله ابن الخطاب إن كنت بذات الله لعليما، وإن كان الله في صدرك لعظيما، وإن كنت لتخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله عَزَّ وَجَلَّ، كنت جوادا بالحق، بخيلا بالباطل، خميصا من الدنيا، بطينا من الآخرة، لم تكن عيابا، ولا مداحا.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: لما طعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتيقن أنه الموت كان من حسن توفيق الله الكريم له، ونصيحته لله عَزَّ وَجَلَّ في رعيته، وحسن النظر لهم حيا وميتا، أنه جعل الأمر بعده شورى بين جماعة من الصحابة الذين قبض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راض، وقد شهد لهم بالجنة، وأخرج ولده من الخلافة ومن المشورة، وقال لهم: « من اخترتم منكم أن يكون خليفة فهو خليفة » وهم ستة عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجزاهم عن الأمة خيرا، فما قصروا في الاجتهاد.

روى البخاري في صحيحه برقم ٣٤٩٧ - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يصاب بأيام المدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل. قال انظر أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قال قالا لا فقال عمر لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا قال فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب قال إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذ مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم

ير فيهم خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني - أو أكلني - الكلب حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع؟ قال نعم.

قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقا - فقال إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا؟ قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم. فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه.

وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة. قال وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا علي الغلام قال ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا

وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فادخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء – كهيئة التعزية له – فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم وأصيه بذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير

قد جعلت أمري إلى علي فقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه إلى الله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا نعم فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه].

✍قال محمد بن الحسين الآجري في الشريعة برقم: ١١٨٩ - فحدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: لما حضر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت أمر الستة النفر بالشورى، وكان طلحة غائبا، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثا حتى يستقيم أمرهم على رجل، قال عمر: « إن استقام أمركم قبل أن يقدم طلحة فأمضوه على ما استقام أمركم عليه، وإن قدم طلحة قبل أن يستقيم أمركم فأدنوه منكم، فإنه رجل من المهاجرين »، فلما اجتمعوا وكانوا خمسة، فإذا أمرهم لا يستقيم، فقال عبد الرحمن بن عوف رَحِمَهُ اللَّهُ: إنكم لا تستقيمون على أمر وأنتم خمسة...

فليعاد كل رجل منكم، وأنا عديد الغائب »، فتعاد علي والزبير، فولى الزبير أمره عليا، وتعاد عثمان وسعد، فولى سعد أمره عثمان، فقال عبد الرحمن للزبير وسعد: وليتما أمركما عليا وعثمان، فاعتزلا، وخلا عبد الرحمن وعلي وعثمان، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أنتما بنو عبد مناف، فاختارا: إما أن تتبرءا من الإمرة، فأوليكما الأمر، فتختارا لأمة محمد ﷺ رجلا، وإما أن توليانى ذلك وأبرأ من الإمرة. فولياه ذلك، فدعا ربه ساعة، ورفع يديه، ثم أخذ بيد علي فقال: الله عليك راع إن أنا بايعتك لتعدلن في أمة محمد ﷺ، ولتتقين الله عَزَّ وَجَلَّ وإن أنا لم أبايعك

لتسمعن ولتطيعن لمن بايعت. فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم ثم أخذ بيد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: الله عليك راع إن أنا بايعت غيرك، لتسمعن ولتطيعن، قال عثمان: نعم، ثم صفق على يد عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

فرضي القوم بعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبايعه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسائر الصحابة، لم يختلف عليه واحد منهم لعلمهم بفضله، وقديم إسلامه، ومحبته لله ولرسوله، وبذله لماله لله ولرسوله، ولفضل علمه ولعظيم قدره عند رسول الله ﷺ، وإكرام النبي ﷺ له، لا يشك في ذلك مؤمن عاقل، وإنما يشك في ذلك جاهل شقي قد خطئ به عن سبيل الرشاد، ولعب به الشيطان، وحرم التوفيق.

٣/ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية:

ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكنيته أبو عمرو، وقد قيل: أبو عبد الله، ويقال: أبو ليلى، وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها البيضاء [أم] حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

قال ابن حبان البستي: أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة ثنا علي بن هاشم [عن] جعفر بن نجيح المديني ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن أحدا ارتج وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اثبت أحد! فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

تنصيب عثمان رضي الله عنه خليفة:

قال أبو حاتم: لما دفن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعمد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن وسعد يتشاورون، فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول في الأمر، فأبى عبد الرحمن وقال: لست

بالذي أنافسكم على هذا الأمر، وإن شئتم اخترت لكم منكم واحدا، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، فلما ولي ذلك مال الناس كلهم إليه وتركوا أولئك الآخرين، فأخذ عبد الرحمن يتشاور في تلك الليالي الثلاث حتى [إذا] كان من الليلة التي بايع عثمان بن عفان من غدها جاء إلى باب المسور بن مخرمة بعد هويّ من الليل فضرب الباب وقال: ألا أراك نائما؟ والله [ما] كحلت منذ الليلة بكثير نوم، ادع لي الزبير وسعدا»

فدعاهما فشاورهما، ثم أرسله إلى عثمان بن عفان فدعاه فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن، فلما صلوا الصبح اجتمعوا، وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، ثم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني نظرت في أحوال الناس وشاورتهم فلم أجدهم يعدلون بعثمان، ثم قال: يا عثمان! نبايعك على سنة رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده! قال: نعم، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون، وذلك لغرة المحرم.

ماحدث في خلافة عثمان رضي الله عنه من فتوحات وأحداث:

وبعد دفن عمر بثلاثة أيام في هذه السنة كان فتح همذان ثانيا. وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستة أشهر من مقتل عمر، وفي هذه السنة سار إليها أبو موسى الأشعري بأهل البصرة حتى فتحها صلحا، معه البراء ابن عازب وقرظة بن كعب، وكان عمر بن الخطاب قد قتل وحذيفة قد افتتحها وجيشه كان عليها، ثم انتقضوا حتى غزاهم أبو موسى، وخرج عثمان بن عفان يوم الفطر إلى المصلى يكبر ويجهر بالتكبير حتى صلى العيد وانصرف، وبعث على الحج عبد الرحمن بن عوف فخطبهم عبد الرحمن قبل التروية بيوم بمكة بعد الظهر، فلما زاغت الشمس خرج إلى منى وحج ونفر النفر الأول، وكان قد ساق معه بدنات فنحرها في منحر رسول الله ﷺ.

فلما دخلت السنة الخامسة والعشرون غزا معاوية أرض الروم وفتح الحصون، وولد له ابن يزيد بن معاوية ؛ ثم نقضت الإسكندرية الصلح الذي صالحهم عمرو بن العاص عليه فغزاهم عمرو، وظفر بهم وسباهم وبعث السبي إلى المدينة، فردهم عثمان إلى ذمتهم وقال: إنهم كانوا صلحا، والذرية لا تنقض الصلح، وإنما تنقض الصلح المقاتلة، ونقض المقاتلة الصلح ليس يوقع السبي على ذراريهم.

ثم عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر، وولاهما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فوجد عمرو من ذلك، وكان بدء الشر بينه وبين عثمان عزله عن مصر والإسكندرية، وكان عمرو قد بعث جيشه إلى المغرب فأصابوا غنائم كثيرة، فلما دخل عبد الله بن سعد مصر واليا بعث جرائد الخيل إلى المغرب واستشار عثمان في إفريقيةز

وعزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفا [إلى] برذعة فافتتحها عنوة وقتل وسبى، وغزا البيلقان فصالحوه قبل أن يجيء إلى برذعة، وبعث خيله إلى جرزان فصالحوه، وفي هذه السنة كانت غزوة سابور الأولى ؛ ثم حج عثمان بالناس.

وفي السنة السادسة والعشرين هجرية: قدم معاوية المدينة وافدا على عثمان، وبعث عثمان بن عفان عثمان بن أبي العاص إلى فارس ففتح سائر الجنود، وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الإفريقية ومعه العبادلة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو؛ فلقي جرجير في مائتي ألف بموضع يقال له سبيطلة على سبعين ميلا من القيروان، فقتل جرجير، وسبوا وغنموا، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهب، وسهم الراجل ألف مثقال، وصالحه أهل تلك المدن إلى قيروان على مائة ألف رطل من ذهب.

✍واعتمر عثمان ودخل مكة ليلا وكان بين الصفا والمروة، وحل قبل أن يصبح، ثم رجع إلى المدينة، وأمر بتوسعة المسجد الحرام وتجديد أنصاب الحرم.

✍وتزوج عثمان ﷺ: بنت خالد بن أسيد، ثم اعتمر عثمان في رجب، وخرج معه عبد الله بن جعفر والحسين بن علي فمرض الحسين بن علي، فأقام عبد الله بن جعفر عليه بالسقيا، وبعث إلى علي يخبره بذلك، فخرج علي في نفر من بني هاشم إلى السقيا، فلما دخلها دعا ببدنة فنحرها وحلق رأسه، وأقام على الحسين يمرضه، فلما فرغ عثمان من عمرته كلموه بأن يحول الساحل إلى جدة، وكانوا قبل ذلك في الجاهلية يرسون بالشعيبة وقالوا: جدة أقرب إلى مكة وأوسع وأقرب من كل ناحية، فخرج عثمان إلى جدة فرآها ورأى موضعها وأمرهم أن يجعلوها بمكان الشعيبة، فحول الساحل إلى جدة ودخل البحر وقال: إنه مبارك، وقال لمن معه: ادخلوا، ولا يدخلها إلا بمئزر، ثم خرج عثمان من جدة على طريق يخرجه إلى عسفان ثم مضى إلى الجار، فأقام بها يوما وليلة، ثم انصرف فمر بعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في منصرفه وهو يمرض الحسين مع جماعة من بني هاشم، فقال عثمان: قد أردت المقام عليه حتى تقدم، ولكن الحسين عزم عليّ وجعل يقول: امض لرهطك، فقال علي: ما كان ذلك بشيء يفوتك، هل كانت إلا عمرة، إنما يخاف الإنسان فوت الحج، فأما العمرة فلا، فقال عثمان: إني أحببت أن أدرك عمرة في رجب، فقال علي بن أبي طالب: ما رأيت رسول الله ﷺ اعتمر في رجب قط، وما اعتمر عمراته الثلاث إلا في ذي القعدة؛ ثم رجع عثمان إلى المدينة، ثم مضى علي مع الحسين إلى مكة...

✍وافتتح عثمان بن أبي العاص سابور الثانية على ثلاثة آلاف [ألف] وثلاثمائة ألف صلحا، ودخل في صلحهم كازرون، وبعث عثمان بن أبي العاص هرم بن حيان العبدي إلى «١» قلعة بجرة «١» على ذلك، وهي يقال لها قلعة الشيوخ، فافتتحها عنوة وسبى أهلها؛ وحج بالناس عثمان بن عفان.

✍وفي السنة السابعة والعشرين: استشار عثمان بن عفان أصحاب رسول الله ﷺ في إفريقية فأشاروا عليه بذلك، وكان عثمان يكره ذلك لأن عمر كان يكرهه ويقول: إنها لا تحمل واليا مقتصدا. فخرج عبد الله بن أبي سرح، وجلب عثمان إبلا كثيرة من الربذة وسرف، وحمل عليها سلاحا كثيرا، وسار المسلمون معها يلحقون بعبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما التقى المسلمون والمشركون ألقى الله في قلوبهم الرعب وفض ذلك الجمع حتى طلبوا الصلح، فصالحهم عبد الله بن أبي سرح على ألفي ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألفا.

فلما كان العيد خطبهم عثمان، وكان صادف العيد يوم الجمعة فقال: من كان من أهل العالية وأحب أن يجتمع معنا فعل، وإلا فليجلس في موضعه. فافتتح عثمان بن أبي العاص أرجان ودار ابجرد، وصالح أهلها على ألفي ألف ومائة.

✍وفي السنة الثامنة والعشرين: تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة» وكانت على دين النصرانية، فلما دخلت عليه قال لها عثمان: إني شيخ كبير كما ترين، قالت: أنا من نساء أحب الأزواج إليهن الكهول، قال: تقومين إليّ أو آتيك؟ قالت: ما جئت من سماوة كلب ليك إلا وأنا أريد القيام إليك.

✍وغزا معاوية البحر ومعه عبادة بن الصامت معه امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية، فأتى قبرس، فتوفيت أم حرام بها وقبرها هناك.

✍ثم كانت فتح فارس الأول على يدي هشام بن عامر.

✍وغزا معاوية قبرس فلحقه عبد الله بن أبي سرح وأهل مصر وغنموا غنائم كثيرة.

✍وغزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم، ثم كانت قبرس الآخرة أميرها هشام بن عامر.

✍واعتمر عثمان في رجب ومعه عمرو بن العاص، فأتى عثمان بلحم صيد فأمرهم بأكله، فقال له عمرو بن العاص: لا تأكل ولا تأمرنا به، فقال عثمان: لست

آكل منه شيئا لأنه صيد من أجلي، فكان بين عثمان وعمرو كلام كان ذلك أول ملاحاة كانت بينهما.

✍وفي هذه السنة بنى عثمان دار بالزوراء، ثم حج عثمان بالناس.

✍وفي السنة التاسعة والعشرين: عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وكان عاملا عليها سبع سنين،وعزل عثمان بن أبي العاص عن فارس، وولى ذلك كله عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فقدم البصرة، ثم خرج عبد الله بن عامر إلى فارس على مقدمته عبيد الله بن معمر التيمي، فقتل عبيد الله، وفتح إصطخر الثانية عنوة فقتل وسبى، فكان ذلك إصطخر الآخرة، وقد قيل: في هذه السنة فتح سارية بن زنيم الدئلي أصبهان صلحا وعنوة بأهل البصرة، بعثه ابن عامر.

✍وضاق مسجد رسول الله ﷺ على الناس فكلموا عثمان في توسعته، فأمر بتوسعته، فكان عثمان يركب على راحلته ويقوم على العمال وهم يعملون حتى يجيء وقت الصلاة فيترك ويصلي بهم، وربما قال في المسجد ونام فيه؛ حتى جعل أعمدته من حجارة وفرش فيها الرضراض ؛ وبناه بالحجارة المنقوشة والساج، وجعل له ستة أبواب.

✍ثم نقضت حلوان الصلح فافتتحها ابن عامر عنوة. ورجم عثمان امرأة من جهينة أدخلت على زوجها فولدت في ستة أشهر من يوم أدخلت عليه، فأمر بها عثمان فرجمت، فدخل عليّ على عثمان فقال له: إن الله يقول: حَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً فأرسل عثمان في طلبها فوجدوها قد رجمت، فاعترف الرجل بالغلام، وكان من أشبه الناس به.

✍وفي السنة الثلاثين زاد عثمان النداء الثاني على الزوراء حيث كثر الناس. وانتقصت آذربيجان فغزاها سعيد بن العاص ففتحها، ثم غزا جرجان ففتحها.

✍وغزا ابن عامر في هذه السنة جور»فافتتحها، وأصاب بها غنائم كثيرة، وافتتح الكاريان والفنسجان من دارابجرد ولم يكونا أدخلا في علم عثمان بن أبي العاص.

✍ثم افتتح ابن عامر أردشير خرة عنوة فقتل وسبى، وهرب يزدجرد فاتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي حتى نزل على السيرجان. وبعث راشد بن عمرو الجديدي ففتح هرمز. ووجه ابن عامر زياد بن الربيع «٥» الحارتي إلى سجستان فافتتح زالق وناشروذ.

✍.ثم بعث زياد بن الربيع إبراهيم بن بسام مولى بني ليث حتى حاصر مدينة زرنج فصالحوه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب.

✍ثم حج عثمان بالناس وصلى بمنى أربعا.

✍وفي السنة الحادية والثلاثين فتحت أرمينية الآخرة وأميرها حبيب بن مسلمة الفهري، وذلك أن عثمان كتب إلى حبيب بن مسلمة أن سر من الشام في جيش إلى أرمينية، فمضى حبيب بن مسلمة من ناحية درب الحدث فافتتح خلاط وسراج ووادي المطامير.

✍ثم خرج ابن عامر إلى خراسان [و] على مقدمته الأحنف بن قيس، فلقي أهل هراة فهزمهم، وافتتح أبرشهر صلحا، وقد قيل: عنوة؛ ثم افتتح طوس وما حولها، ثم صالح أهل سرخس على مائة ألف وخمسين ألفا.

وبعث أبو عامر الأسود بن كلثوم العدوي إلى بيهق فافتتحها، وقتل بها؛ وبعث أهل مرو يطلبون الصلح فصالحهم ابن عامر على ألفي ألف ومائتي ألف، وكان الذي صالحه ماهويه بن أو زمهر مرزبان مرو. ثم بعث ابن عامر الأحنف ابن قيس [إلى] مرو الروذ والفارياب والطالقان وافتتح طخارستان، وقتل منهم ثلاثة عشر نفسا، ثم خرج الأحنف إلى بلخ فصالحوه على أربعمائة ألف درهم؛ ثم أتى خوارزم فلم يطقها فرجع. وبعث ابن عامر خليد بن عبد الله بن زهير إلى باذغيس

وهراة «٤» فافتتحها ثم ارتدوا بعد. وغزا عبد الله ابن سعد بن أبي سرح أرض الروم في ناحية المصيصة وغنم ثم رجع ؛ وحج بالناس عثمان.

✍وفي السنة الثانية والثلاثين غزا معاوية غزوة مضيق القسطنطينية ومعه امرأته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وقد قيل: إن اسمها فاختة. وفيها غزا سعيد بن العاص طبرستان.

✍وفي السنة الثالثة والثلاثين غزا معاوية ملطية وقرطبة من أرض الروم. وجمع قارن جمعا كثيرا بباذغيس وهراة وأقبل في أربعين ألفا، وقام بأمر الناس عبد الله بن خازم السلمي فلقي قارن وهزم أصحابه، وأصابوا سبيا كثيرا. ثم بعث ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب إلى سجستان فصالحه صاحب زرنج فأقام عبد الرحمن بها. وتحرك أهل إفريقية فزحف إليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكانت إفريقية الثانية.

✍غزا معاوية حصن المرأة من بلاد الروم [من] ناحية ملطية. وحج بالناس عثمان.

✍وفي السنة الرابعة والثلاثين غزا عبد الله بن سعد بن أبي [سرح] الصواري من أرض مصر، وقاتل منهم مقتلة عظيمة، وذلك أن المسلمين وعدوهم جميعا كانوا في البحر، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا من غير رمي بالسهم ولا طعن بالرمح، إنما كان الضرب بالسيف أو الطعن بالخنجر حتى قتل من أرض الروم خلق كثير، وهزم الله الروم منكوبين، وانصرف المسلمون غانمين. وحج عثمان بالناس.

۞ إدارة عثمان للدولة:

✍النفقات العامة في عهده:

١/ الاهتمام بالجيش وإعداده إعدادًا يتناسب وعِظَم المسئولية الملقاة على عاتقه لضمان أمن الدولة وسلامتها، والعناية بسد حاجات المقاتلين (التفرغ لحوائجهم وثغورهم).

✍تجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلة في الثغور بعيدا عن عوائلهم، وتلافيا لما قد يسببه ذلك من ملل وقلق وهبوط في المعنويات، فمن الضروري منحهم إجازات معلومة في أوقات معلومة يستريحون فيها ويجددون نشاطهم خلالها من جهة، ويعودون إلى عوائلهم لكي لا ينقطع نسلهم من جهة ثانية (ولا تجمرهم في الثغور فينقطع نسلهم)، (وأوصيك بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء العدو).

✍إعطاء كل مقاتل ما يستحقه من فيء وعطاء؛ وذلك لضمان مورد ثابت له ولعائلته يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التفكير في شئونه المالية (ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم).

٢/ والإنفاق على الحج.

٣/ وتمويل إعادة المسجد النبوي،بعد توسعته في العهد النبوي لما ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال ﷺ: "من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟" فاشتراها عثمان بن عفان من صلب ماله بخمسة وعشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفا، ثم أضيفت للمسجد، ووسع على المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

✍وتمويل توسعة المسجد الحرام.

٤/ تطوير فنون الحرب والسياسة، والاهتمام بحدود الدولة، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو، وجمع المعلومات على الأعداء. إنشاء أول أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة.

٥/ وتمويل حفر الآبار.

٦/ العناية بتوزيع الأموال بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، وتلافي كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقة منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم). وجعل رواتب للمؤذنين.

٧/ الاهتمام بالرعية، والعمل على تفقد أمورهم وسد احتياجاتهم وإعطاء حقوقهم من فيء وعطاء.. (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها).

٨/ اجتناب الأَثَرَة والمحاباة واتباع الهوى؛ لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف الراعي، وتؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله)، (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم).

٩/ احترام الرعية وتوقيرها والتواضع لها، صغيرها وكبيرها، لما في ذلك من سمو في العلاقات الاجتماعية، تؤدي إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له (وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم، ووقرت عالمهم).

١٠/ الانفتاح على الرعية، وذلك بسماع شكاواهم وإنصاف بعضهم من بعض، وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم ويعم الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم).

١١/ اجتناب الظلم بكل صوره وأشكاله، خاصة مع أهل الذمة؛ لأن العدل مطلوب إقامته بين جميع رعايا الدولة مسلمين وذميين؛ لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة). بعدم تكليفهم فوق طاقتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين).

١٢/ الاهتمام بأهل البادية ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام.

۞ الفتوحات في عهد عثمان:

بلاد الشام، وفي الجبهة المصرية، والشمال الأفريقي،

❁ زوجاته:

تزوج عثمان (ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام وهن:

١/ رقية بنت رسول الله وقد أنجبت له عبد الله بن عثمان.

٢/ أم كلثوم بنت رسول الله بعد وفاة رقية.

٣/ فاختة بنت غزوان، وهي أخت الأمير عتبة بن غزوان، وأنجبت لعثمان عبد الله الأصغر.

٤/أم عمرو بنت جندب الأزدية، وقد أنجبت لعثمان عمرا وخالدا وأبان وعمر ومريم.

٥/ فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية، وأنجبت لعثمان: الوليد وسعيدا وأم سعد.

٦/ أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، وأنجبت لعثمان: عبد الله.

٧/ رملة بنت شيبة بن ربيعة الأموية، وأنجبت لعثمان: عائشة وأم أبان وأم عمرو.

٨/ نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وكانت على النصرانية وقد أسلمت قبل أن يدخل بها وحسن إسلامها.

❁ سياسته في إنماء المال العام:

لما تولى عثمان (الخلافة توسع في الإقطاع وخاصة في المناطق المفتوحة؛ حيث ترك عدد من الملاكين أراضيهم فارين، فصارت صوافي تقوم الدولة باستثمارها، فأقطع عثمان (منها خوفا من بوارها(٥٠٠)، ولكن الإمام أحمد يرى أنه أقطع من السواد أيضا، ومما لا شك فيه أن الصوافي قد يقع كثير منها في أرض السواد، وعلى أية حال فإن الإقطاع من الصوافي رفع غلتها من تسعة ملايين درهم (٩٠٠٠٠٠٠ درهم) سنويا في خلافة عمر (إلى خمسين مليون درهم

(٥٠.٠٠٠.٠٠٠ درهم) في خلافة عثمان (، مما يدل على نجاح سياسته في إدارة الصوافي. وتذكر المصادر قائمة بأسماء الذين أقطعهم عثمان (ومعظمهم ليسوا من قريش، ومعظم الروايات في إقطاع عثمان (ضعيفة، وهي بالجملة تثبت توسعه في الإقطاع، مما ساهم في زيادة موارد بيت مال المسلمين بما يؤديه الجميع من زكاة على أموالهم إذا توافرت شروطها، وقد نجح مشروع عثمان في إقطاع الأرض بدليل زيادة إيراد الدولة من أملاكها الخاصة في العراق؛ إذ بلغت خمسين ألف ألف درهم بعد أن كانت ٩٠٠٠.٠٠٠ درهم في عهد الفاروق.

۞ الخروج على عثمان وقتله رضي الله عنه:

في السنة الخامسة والثلاثين خرج جماعة من أهل مصر إلى عثمان يشكون ابن أبي سرح ويتكلمون منه، فكتب إليه عثمان كتابا وهدده فيه، فأبى ابن أبي السرح أن يقبل من عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان متظلما وقتل رجلا من المتظلمة، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فيهم أربعة من الرؤساء: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي، وسودان بن حمران المرادي؛ فساروا حتى قدموا المدينة ونزلوا مسجد رسول الله ﷺ وشكوا إلى أصحاب محمد ﷺ في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح؛ فقام طلحة بن عبيد الله إلى عثمان بن عفان وكلمه الكلام الشديد، وأرسلت إليه عائشة: قدم عليك أصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت ذلك بواحدة، و[هذا قد] قتل منهم رجلا، فأنصفهم من عاملك؛ وكان عثمان يحب قومه. ثم دخل عليه عليّ بن أبي طالب فقال: سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما، فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم [منه]، فقال لهم عثمان: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه، فأشارعليه بمحمد بن أبي بكر، فقالوا لعثمان: استعمل علينا محمد بن أبي بكر، فكتب عهده وولاه مصر، فخرج محمد بن أبي بكر واليا على مصر بعهده ومعه عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح، فلما بلغوا

مسيرة ثلاثة ليال من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير له، يخبط البعير خبطا، كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقالوا له: ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين، وجهني إلى عامل مصر، قالوا: هذا عامله معنا، قال: ليس هذا أريد- ومضى؛ فأخبر محمد بن أبي بكر بأمره، فبعث في طلبه أقواما فردوه، فلما جاءوا به قال له محمد: غلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول: أنا غلام أمير المؤمنين، ومرة يقول: أنا غلام مروان، فعرفه رجل منهم أنه لعثمان، فقال له محمد بن أبي بكر: لمن أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال: برسالة، [قال]: أمعك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا، وكان معه إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج، فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فك الكتاب بحضرتهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان [وفلان] فاحتل لقتلهم، وأبطل كتابه، وقر على عملك، واحبس من يجيء إليّ يتظلم منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله، فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا ورجعوا إلى المدينة، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم جماعة من المهاجرين معه، ودفع الكتاب إلى رجل منهم وانصرفوا إلى المدينة، فلما قدموها جمع محمد بن أبي بكر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بها من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم فك الكتاب بحضرتهم عليه خواتم من معه من المهاجرين، وأخبرهم بقصة الغلام، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان، وقام أصحاب رسول الله ﷺ فلحقوا بمنازلهم، وما منهم أحد إلا هو مغتم؛ وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبها ما فيها على عثمان لحال ابن مسعود، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر من بني تيم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله وعائشة، فلما رأى ذلك عليّ وصح عنده الكتاب بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم بدريون، ثم جاء معهم حتى دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير،

فقال له: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به، فقال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال علي: فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف عثمان بالله: ماكتبت [هذا الكتاب] ولا أمرت به، ولا وجهت هذا الغلام قط إلى مصر؛ وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، فلما شكوا في أمر عثمان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار وكان خشي عليه القتل؛ فخرج من عنده عليّ وأصحاب رسول الله ﷺ وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلا، ثم قالوا: لا نسكت إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحث ونتعرف منه ذلك الكتاب، وكيف يؤمربقتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بغير حق! فإن يك عثمان كتب ذلك عزلناه، وإن يك مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في أمر مروان، ولزموا بيوتهم، وفشا الخبر في المسلمين من أمر الكتاب، وفقد أصحاب رسول الله ﷺ عن عثمان، وخرج من الكوفة عدي بن حاتم الطائي والأشتر مالك بن الحارث النخعي في مائتي رجل، وخرج من البصرة حكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل، حتى قدموا المدينة يريدون خلع عثمان، وحوصر عثمان قبل هلال ذي القعدة بليلة، وضيق عليه المصريون والبصريون وأهل الكوفة بكل حيلة ولم يدعوه يخرج، ولا يدخل إليه أحد إلا أن يأتيه المؤذن فيقول: الصلاة! وقد منعوا المؤذن أن يقول: يا أمير المؤمنين، فكان إذا جاء وقت الصلاة بعث أبا هريرة يصلي بالناس، وربما أمر ابن عباس بذلك، فصعد يوما عثمان على السطح فسمع بعض الناس يقول: ابتغوا إلى قتله سبيلا، فقال: والله ما أحل الله ولا رسوله قتلي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس» وما فعلت من ذلك شيئا؛ ثم قال: لا أخلف رسول الله ﷺ في أمته بإراقة محجمة دم حتى ألقاه، يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ ! أحبكم إليّ من كف عنا لسانه وسلاحه؛ ثم أشرف عليهم فقال: أفيكم عليّ؟ قالوا: لا، قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا، فقال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشيء،

فابتعتها من مالي وجعلتها للغني والفقير وابن السبيل، فقالوا: نعم، قال: فاسقوني منها، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؟ فبلغ ذلك عليا، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة، فما كادت تصل إليه حتى خرج في سببها عدة من بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه؛ ثم قال عثمان: والله! لو كنت في أقصى داري ما طلبوا غيري، ولو كنت أدناهم ما جاوزوني إلى غيري، سنجتمع نحن وهم عند الله، وسترون بعدي أمورا تتمنون أني عشت فيهم، ضعف أمري، والله، ما أرغب في إمارتهم، ولولا قول رسول الله ﷺ لي «إذا ألبسك الله قميصا وأرادوك على خلعه فلا تخلعه» لحبست في بيتي وتركتكم وإمارتكم، ووالله! لو فعلت ما تركوني وإنهم قد خدعوا وغروا، والله! لو أقتل لمت، لقد كبر سني، ورق عظمي وجاوزت أسنان أهل بيتي، وهم على هذا لا يريدون تركي، اللهم! فشتت أمرهم وخالف بين كلمتهم وانتقم لي منهم واطلبهم لي طلبا حثيثا. وقد استجيب دعاءه في كل ذلك.

✍ثم أمر عثمان بن عفان عبد الله بن عباس على الحج فحج بالناس فأمّره.

✍وبعث إلى الأشتر فدعاه فقال: يا أشتر! ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد، إما أن تخلع أمرهم وتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وإما أن تقص من نفسك، فإن أبيتهما فالقوم قاتلوك؛ قال عثمان: أما أن أخلع لهم أمرهم، فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله، [والله] لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أخلع أمة محمد ﷺ بعضها على بعض، وأما أن أقص من نفسي، فو الله لقد علمتم أني لم آت شيئا يجب عليّ القصاص فيه، وأما أن تقتلوني، فو الله إن تقتلوني لا تتحابون بعدي! ولا تقاتلون بعدي عدوا جميعا،ولتختلفن حتى تصيروا [هكذا]، يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ » - الآية، ثم أرسل إلى عبد الله بن سلام فجاءه فقال: الكف الكف! ثم جاءه زيد بن ثابت فقال: يا أمير المؤمنين! هذه الأنصار بالباب، فقال عثمان: إن شاءوا أن يكونوا أنصار الله منكم وإلا فلا؛ ثم جاءه عبد الله بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين! اخرج فقاتلهم، فإن معك من قد نصر الله بأقل منهم، فلم يعرج على قول ابن الزبير، ثم

قال: ائتوني برجل منهم أقرأ عليه كتاب الله، فأتوه بصعصعة بن صوحان وكان شابا فقال: ما وجدتم أحدا تأتوني به غير هذا الشاب! فتكلم صعصعة بكلام، فقال عثمان: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾؛ فلما اشتد بعثمان الأمر أصبح صائما يوم الجمعة وقال: إني رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: «يا عثمان! إنك تفطر عندنا الليلة»؛ ثم قال عليّ للحسن والحسين: اذهبا بسيفكما حتى تقفا على باب عثمان ولا تدعا أحدا يصل إليه، وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ؛ورماه الناس بالسهام حتى [خضب] الحسن بالدماء، وتخضب محمد بن طلحة، وشج قنبر مولى عليّ؛ ثم أخذ محمد بن أبي بكر بيد جماعة وتسور الحائط من غير أن يعلم به أحد من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وهو قاعد والمصحف في حجره ومعه امرأته والناس فوق السطح لا يعلم أحد بدخولهم، فقال عثمان لمحمد بن أبي بكر: والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني! فرجع محمد، وتقدم إليه سودان بن رومان المرادي ومعه مشقص فوجأه حتى قتله وهو صائم، ثم خرجوا هاربين من حيث دخلوا، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة، وكان تمام حصاره خمسة وأربعين يوما، وكانت امرأته تقول: إن شئتم قتلتموه، وإن شئتم تركتموه! فإنه كان يختم القرآن كل ليلة في ركعة. ثم صعدت إلى الناس تخبرهم وهمر الناس عليه فدخلوا، وأول من دخل عليه الحسن والحسين فزعين وهما لا يعلمان بالكائنة وكانا مشغولين على الباب ينصرانه ويمنعان الناس عنه؛ فلما دخلوا وجدوا عثمان مذبوحا، فانكبوا عليه يبكون، ودخل الناس فوجا فوجا، وبلغ الخبر علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعدا فخرجوا مذهلين، كادت عقولهم تذهب لعظم الخبر الذي أتاهم، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا واسترجعوا، وقال عليّ لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟

قالا: لم نعلم، قال: فرفع يده ولطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، ثم خرج وهو غضبان يسترجع، فلقيه طلحة بن عبيد الله فقال: مالك يا أبا الحسن؟ فقال علي: يقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب محمد ﷺ من غير أن تقوم عليه بينة ولا حجة! فقال له طلحة: لو دفع مروان إليهم لم يقتلوه، فقال علي: لو خرج مروان إليكم لقتلتموه قبل أن يثبت عليه حكومة! ثم أتى علي منزله يسترجع، فاشتغل الناس بعضهم ببعض وفزعوا ولم يتوهموا بأن هذه الكائنة تكون؛ ثم حمل على سريره بين المغرب والعشاء، وصلى عليه جبير بن مطعم، ودلته في قبره نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن بدر الفزاري، ودفن ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة؛ وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

✍وقتل يوم قتل عثمان من قريش عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن العوام، والمغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، وقتل معهم غلام لعثمان أسود- أربعة أنفس.

✍وكان عمال عثمان حين قتل: على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة، وعلى مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منبه، وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة.

❀◈❀

٤/ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

نسبه:

على بن أبى طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب، ويقال له شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم.

ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبيﷺ.

وكان اسم عليٍّ عند مولوده أسد، سمته بذلك أمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة

وفي غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٧٠) وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، لم يعجبه هذا الأسم وسماه عليًا.

كنيته:

أبو الحسن، نسبه إلى أبنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ويكنى أيضًا بأبى تراب، كنية كناه بها النبي – ﷺ.

وكان يكنى بأبي تراب كما سيأتي:

و(امه) فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف.

و (امها) فاطمة بنت هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى.

و (امها) جدية بنت وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.

و (امها) فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى.

و (امها) سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن اهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر.

و (امها) عاتكة بنت ابى همهمة بن كتاب المحبر عبد العزى بن عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر.

و (امها) تماضر بنت ابى عمرو بن عبد مناف بن قصى.

و (امها) امة الله وهى حبيبة بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى وهو ثقيف بن منبه.

و(امها) قلابة بنت مخزوم بن صبح بن وائلة بن فهم ابن عمرو بن قيس.(المحبر - (ج ١ / ص ١٦)

وحظيت فاطمة بنت أسد برعاية النبي ﷺ حينما كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أمًا بعد أمه ،تقوم على شئونه وترعي أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها.

وقد استجابت فاطمة بنت أسد لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة.

وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدتها برًا بها وبوالدها - ﷺ.

وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٤١٤)برقم ١٥٣٩٧ - عن علي - يعني ابن أبي طالب - قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تكفيه الداخل وفاطمة بنت أسد تكفيه الخارج - يعني النبي ﷺ - رواه الطبراني

وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٤١٤)برقم (١٥٣٩٨) - وفي رواية: عن علي أيضا قال: قلت لأمي فاطمة بنت أسد بن هاشم: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة وتكفيك خدمة الداخل الطحن والعجن.).ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح.

وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٤١٤) برقم(١٥٣٩٩)- وعن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: " رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي

تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ". ثم أمر أن تغسل ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: " الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين ". وكبر عليها أربعا وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم). رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٤١٤) برقم(١٥٤٠٠)- وعن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب خلع النبي ﷺ قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها فلما سوي عليها التراب قال بعضهم: يا رسول الله رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه بأحد فقال: " ألبستها قميصي لتلبسني من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها أخفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت من أحسن خلق الله إلي صنيعا بعد أبي طالب " رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

مولده:

ولد قبل البعثة بعشر سنين وذكر الحاكم في المستدرك(٣/ ٤٨٣) بغير إسناد: أن عليا ولد في جوف الكعبة.

إسلامه ﷺ:

روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ٣ / ص ٦٦٦)برقم (٦٤٦٣) - أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن ابن أخي طاهر العقيقي حدثني جدي يحيى بن الحسن حدثني عبيد الله الطلحي ثنا أبي حدثني يحيى بن محمد بن عباد بن هانيء السجزي عن محمد بن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال: كان من نعم الله على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب في عيال كثير فقال: رسول الله ﷺ لعمه العباس وكان من أيسر بني هاشم: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه فقال العباس: نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيا فاتبعه وصدقه وأخذ العباس جعفرا ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه).

وفي الرواية كما ترى: حرص النبي ﷺ على رد الجميل الذي أسداه له عمه أبو طالب لما ضمه إلى كفالته في صغره ﷺ بضمه عليا إلى كفالته ومن ثم نشأ علي في بيئة أخرى فلما كان من أمر النبوة والوحي كان علي من أول من أسلم وكان أول الصبية إسلاما.

وروى الطبري في تاريخه- (ج ١ / ص ٥٣٩) قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال فحدثني محمد بن إسحاق قال وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات

فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ يا بن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم أو كما قال بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أو كما قال فقال أبو طالب يا بن أخي إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما حييت.

وقال الطبري: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال وزعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبه آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله فزعموا أنه قال له أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه.

❁هجرته:

✍جاء في ذخائر العقبى - (ج ١ / ص ٦٠) قال ابن إسحق وأقام عليٌ بمكة بعد النبي ﷺ ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن النبي ﷺ وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم (وهو ابن امرئ القيس الانصاري) ولم يقم بقباء إلا ليلة أو ليلتين.

❁ قصة نوم علي في فراش النبي ﷺ:.

✍القصةأخرجها عبدالرزاق في مصنفه وعنه أحمد في المسند وابن جرير الطبري والطبراني في معجمه الكبير وغيرهم من حديث عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس عن ابن عباس، وفيه نسج العنكبوت بيتاً على الغار. وفيه عثمان الجزري قال فيه أحمد: روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا أعلم روى عنه غير معمر والنعمان، ومال إلى تحسينه الحافظ ابن كثير وابن حجر!.ا.هـ.

والقصة التي وردت في المصادر السنية فقد حكم الشيخ الألباني بضعف الرواية في تخريجه لأحاديث كتاب السيرة لمحمد الغزالي (ص١٦٣). وهذا هو الصواب لأن فيه فيه عثمان الجزري وهو ضعيف. قال أبو حاتم: لايحتج به.

وقال العقيلي: لا يتابع حديثه. وقد ذكرت القصة في مسند الإمام أحمد (١|٣٣٠) من طريق أبي بلج، وهذا الحديث من مناكيره كما في ميزان الذهبي. والمنكر أبداً منكر كما قال الإمام أحمد، أي لا يمكن استعماله في تقوية الروايات الضعيفة. وبذلك يتضح لنا سقوط هذه الرواية سنداً ومتناً.

ـرق القصة:

أما قصة نسج العنكبوت فقد رويت من ثلاثة طرق، تفصيلها كالآتي:

الطريق الأولى:

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، قال: وأخبرني عثمان الجزري : أن مقسما مولى ابن عباس ، أخبره عن ابن عباس في قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: " تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم: إذا أصبح، فأثبتوه بالوثاق. يريدون النبي ﷺ ، وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله ﷻ نبيه ﷺ على ذلك، فبات على على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبونه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليا، رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل، خلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال.)

أخرجه عبد الرزاق في " المصنف " (٩٧٤٣) بأطول من هذا، وأحمد (١/ ٣٤٨)، والطبري في " جامع البيان " عند تفسير الآية، والطبراني في " الكبير "

(12155)، والخطيب في " تاريخ بغداد " (١٣/ ١٩١ .(والحديث ضعيف، في إسناده عثمان الجزري.

قال ابن أبى حاتم في " الجرح والتعديل " (٦/ ١٧٤): عثمان الجزري، ويقال له: عثمان المشاهد. روى عن مقسم، روى عنه معمر والنعمان، سمعت أبي يقول ذلك.

نا عبد الرحمن، انا على بن أبى طاهر القزوينى فيما كتب إلى، قال: انا أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن عثمان الجزري فقال: روى أحاديث مناكير، زعموا أنه ذهب كتابه.

نا عبد الرحمن قال: سألت أبي عن عثمان الجزري فقال: لا أعلم روى عنه غير معمر والنعمان.ا.هـ .

وأورده البخاري في " التاريخ الكبير " (٦/ ٢٥٨.

❁ وهم وقع فيه بعض أهل العلم:

وقع بعض أهل العلم في وهم عندما ظنوا أن عثمان الجزري هو عثمان بن عمرو بن ساج الجزري، ومنهم: -

١/ الهيثمى في " المجمع " (٧/ ٢٧) فقال عند تخريجه للحديث: رواه أحمد والطبراني وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.ا.هـ .

٢/ الشخ أحمد شاكر في " تخريج المسند " (٤/ ١٩٣، ٥/ ٨٧

وربما يكون هناك مصنفون معاصرون اعتمدوا على تخريجهم فظنوا نفس الظن. والله أعلم.

۞ تحسين بعض العلماء للقصة:

ذهب بعض أهل العلم إلى تحسين القصة منهم:

١/ الحافظ ابن كثير: في" البداية والنهاية (2/239)" فقال: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ.ا.هـ .

٢/ الحافظ ابن حجر: في " الفتح " (٧/ ٢٧٨): قال: وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن.. وذكر القصة.ا.هـ .

والصواب – والله أعلم – أن السند لا يحتمل التحسين وذلك لجهالة عثمان الجزري، حتى الطرق التي ستأتي لا تجعل الحديث يرتقي إلى مرتبة الحسن لأنها أيضا ضعيفة.

✍ الطريق الثانية:

أخرج أبو بكر المروزي في " مسند أبى بكر " (٧٢) عن بشار الخفاف، عن جعفر بن سليمان، حدثنا أبو عمران الجوني، حدثنا المعلى بن زياد، عن الحسن، قال: انطلق النبى صلى الله وأبو بكر إلى الغار فدخلا فيه، فجاء العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاءت قريش يطلبون النبى ﷺ، فكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت، قالوا لم يدخله أحد، وكان النبى ﷺ قائما يصلى، وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للنبى ﷺ: فداك أبى وأمى، هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره، فقال النبي ﷺ: **"**لا تحزن إن الله معنا **"**.

✍ وهذه الرواية معلولة:

١/ في سندها بشار بن موسى الشيباني الخفاف.

قال البخاري: منكر الحديث. وقال يحيى بن معين والنسائى: ليس بثقة. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر: ضعيف كثير الغلط كثير الحديث.

٢/ أنها مرسلة عن الحسن.

قال الذهبي في " الموقظة " (ص ١٧): " من أوهى المراسيل عندهم: مراسيل الحسن.

وأوهى من ذلك: مراسيل الزهري، وقتادة، وحميد الطويل، من صغار التابعين.

وغالب المحققين يعدون مراسيل هؤلاء معضلات ومنقطعات؛ فإن غالب روايات هؤلاء عن تابعي كبير، عن صحابي، فالظن بمرسله أنه أسقط من إسناده اثنين.ا.هـ .

وذهب ابن كثير في " البداية والنهاية " (٢/ ٢٣٩) إلى تحسين هذه الرواية لأنها تشهد للرواية الأولى فقال: " وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بماله من الشاهد ."

والحديث أورده الشيخ الألباني في " الضعيفة " (١١٢٩)

الطريق الثالثة:

عن أبى مصعب المكى قال: أدركت أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله ﷻ شجرة، فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره، وإن الله ﷻ بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه النبى ﷺ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان (و في نسخة: ترفان) حتى وقعا بين العنكبوت وبين الشجرة، فأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ على قدر مائتى ذراع قال الدليل سراقة بن مالك المدلج: انظروا هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله رسول الله

ﷺ، فقال الفتيان: إنك لم تخطر منذ الليلة أثره حتى إذا أصبحنا قال: انظروا في الغار ! فاستقدم القوم حتى إذا كانوا على خمسين ذراعا نظر أولهم فإذا الحمامات، فرجع، قالوا: ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنهما بهما، فسمت عليهما فأحرزهما الله تعالى بالحرم فأفرجا كل ما ترون.) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٩)، والبزار كما في " كشف الأستار " (١٧٤١ .(وقد حكم العلامة الألباني في " الضعيفة " (١١٢٨) على هذه الرواية بالنكارة، وسأكتفى بكلامه في تخريج الحديث فقال: وقال الهاشمى: " تفرد به أنس ومن ذكر معه، لا نعرفه إلا من حديث مسلم بن إبراهيم عن عون بن عمرو القيسى عن أبي مصعب ." وقال العقيلي: " لا يتابع عليه عون وأبو مصعب رجل مجهول.

قلت: وأشار البزار إلى جهالته بقوله: " لا نعلم رواه إلا عون بن عمير، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلا عوين" .

وقال ابن معين في عون: " لا شيء ."

وقال البخاري: " منكر الحديث، مجهول ."

ذكره الذهبي في" الميزان "وساق له حديثين مما أنكر عليه هذا أحدهما.

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه " البداية " (٣/ ١٨٢): " وهذا حديث غريب جدا ."

وقال الهيثمي في " المجمع " (٦/ ٥٣): " رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم ."

قلت: يشير إلى عون وأبي مصعب، فإن من دونهما ثقات معروفون، فهي غفلة عجيبة منه عن هذه النقول. فسبحان ربي لا يضل ولا ينسى.ا.هـ" .

وروى أحمد في مسند ه- (ج ١ / ص ٣٣٠) برقم(٣٠٦٢) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن حماد ثنا أبوعوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال: إني

لجالس إلى بن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا يا أبا عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء قال فقال ابن عباس بل أقوم معكم قال وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال فابتدءوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له عشر:

١/ وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا يحب الله ورسوله قال فاستشرف لها من استشرف قال أين علي قالوا هو في الرحل يطحن قال وما كان أحدكم ليطحن قال فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر قال فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي.

٢/ قال: ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث عليا خلفه فأخذها منه قال لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه.

٣/ قال: وقال لبني عمه أيكم يواليني في الدنيا والآخرة قال وعلي معه جالس فأبوا فقال علي أنا أواليك في الدنيا والآخرة قال أنت وليي في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال أيكم يواليني في الدنيا والآخرة فأبوا قال فقال علي أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال أنت وليي في الدنيا والآخرة.

٤/ قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة.

٥/ قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.

٦/ قال: وشري عليٌ نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه قال وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم قال وأبو بكر يحسب أنه نبي الله قال فقال يا نبي الله قال فقال له علي إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن

رأسه فقالوا انك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك.

٧/ قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك قال فقال له علي أخرج معك قال فقال له نبي الله لا فبكى علي فقال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي انه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

٨/ قال: وقال له رسول الله أنت وليي في كل مؤمن بعدي.

٩/ وقال: سدوا أبواب المسجد غير باب علي فقال فيدخل المسجد جنبا وهو طريقه ليس له طريق غيره.

١٠/ قال: وقال من كنت مولاه فإن مولاه علي.

قال: وأخبرنا الله ﷻ في القرآن انه قد رضي عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد.

قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال ائذن لي فلأضرب عنقه قال أو كنت فاعلا: «وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم».قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف بهذه السياقة. أبو بلج أعدل ما قيل فيه أنه يقبل حديثه فيما لاينفرد به. وفي متن حديثه هذا ألفاظ منكرة بل باطلة لمنافرتها ما في الصحيح ولبعضه الآخر شواهد. ثم طول الكلام على فقراته وكان مما قال:

١ - قال ابن تيمية في منهاج السنة: فيه ألفاظ هي كذب على رسول الله:

✍/ كقوله " لا ينبغي أن أذهب الا وأنت خليفتي " فقد ذهب النبي غير مرة وخليفته على المدينة غير علي بن أبي طالب....

✍/ وكذلك قوله " وسد الأبواب كلها إلا باب علي " فهذا وضعته الشيعة على طريق مقابلة " إلا خوخة أبي بكر "

/ وقوله " أنت ولي كل مؤمن بعدي " فهذا موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

٢ – وقصة نوم علي في فراش رسول الله رويت في كتب السير وغيرها وليس لها إسناد قائم.

٣ – قصة تأخر خروج أبي بكر إلى رسول الله في الهجرة مخالفة لما ثبت في البخاري من أنهما خرجا معا من بيت أبي بكر.

٤ – وفي قصة سد الأبواب غير باب علي أحاديث... وليس في هذه الأحاديث إسناد صالح بل هي أسانيد ضعيفة لا تثبت على نقد ولم يصنع ابن حجر رحمه الله شيئا في تقوية الحديث بمثل هذه الأسانيد ولم يصب في نقد الحافظين ابن الجوزي والعراقي لإيرادهما هذين الحديثين في الموضوعات.

٥ – وأما دخول علي بن أبي طالب المسجد وهو جنب فله شواهد منها:... فذكر ثلاثة شواهد وضعفها.

٦ – قوله " من كنت مولاه فعلي مولاه " لها شواهد كثيرة تبلغ حد التواتر.

زواجه:

زواج أمير المؤمنين عليٍّ من السيدة فاطمة رضي الله عنها، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد، وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة،.

روى بن حبان في صحيحه باب – ذكر وصف تزويج علي بن أبي طالب فاطمة رضي الله عنها: برقم(٦٩٤٤)– أخبرنا أبو شيبة داود بن إبراهيم داود بن يزيد البغدادي بالفسطاط حدثنا الحسن بن حماد حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر الى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يارسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الاسلام وإني وإني قال: (وما ذاك)؟ قال: تزوجني فاطمة قال: فسكت عنه فرجع أبو بكر الى عمر

فقال له: قد هلكت وأهلكت قال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة الى النبي ﷺ فأعرض عني قال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل الذي طلبت فأتي عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يارسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الاسلام وإني وإني قال: (وما ذاك)؟ قال: تزوجني فاطمة فسكت عنه فرجع الى أبي بكر فقال له: إنه ينتظر أمر الله فيها قم بنا الى علي حتى نأمره يطلب مثل الذي طلبنا

قال علي: فأتياني وأنا أعالج فسيلا لي فقالا: إنا جئناك من عند ابن عمك بخطبة قال علي: فنبهاني لأمر فقمت أجر ردائي حتى أتيت النبي ﷺ فقعدت بين يديه فقلت: يارسول الله قد علمت قدمي في الاسلام ومناصحتي وإني وإني قال: (وما ذاك)؟ قلت: تزوجني فاطمة قال: (وعندك شيء) قلت: فرسي وبدني قال: (أما فرسك فلا بد لك منه وأما بدنك فبعها) قال: فابتعتها بأربع مئة وثمانين فجئت بها حتى وضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال: (أي بلال ابتغنا بها طيبا) وأمرهم أن يجهزوا فجعل لها سريرا مشرطا بالشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلي: (إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك) فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب وجاء رسول الله ﷺ فقال: (ها هنا أخي)؟ قالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال: (نعم) ودخل رسول الله ﷺ البيت فقال لفاطمة: (إيتيني بماء) فقامت الى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ﷺ ومج فيه ثم قال لها: (تقدمي) فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: (اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ثم قال ﷺ لها: (أدبري) فأدبرت فصب بين كتفيها وقال: (اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ثم قال ﷺ: (إيتوني بماء) قال علي: فعلمت الذي يريد فقمت فملأت القعب ماء وأتيته به فأخذه ومج فيه ثم قال لي: (تقدم) فصب على رأسي وبين ثديي ثم قال: (اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم) ثم قال: (أدبر) فأدبرت فصبه بين كتفي وقال: (اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم) ثم قال لعلي: (ادخل بأهلك بسم الله والبركة) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

وروى الإمام الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٤٠٨) برقم(١٠٢١)- حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا الحسن بن حماد الحضرمي ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت وأهلكت قال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني فقال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل الذي طلبت فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة فأعرض عنه فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها انطلق بنا إلى علي حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا قال علي: فأتياني وأنا في سبيل فقالا: بنت عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمت أجر ردائي طرف على عاتقي وطرف آخر في الأرض حتى أتيت النبي ﷺ فقعدت بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني قال: وما ذاك يا علي؟ قلت: تزوجني فاطمة قال: وما عندك؟ قلت: فرسي وبدني يعني درعي قال: أما فرسك فلا لك منه وأما درعك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين فأتيت بها النبي ﷺ فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة فقال: يا بلال أبغنا بها طيبا وائمرهم أن يجهزوها فجعل لها سريرا مشرطا بالشريط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيبا يعني رملا وقال: إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك فجاءت مع أم أيمن فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب فجاء النبي ﷺ فقال: ههنا أخي؟ فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته بنتك فدخل فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء فأتته به فمج فيه ثم قال لها: قومي فنضح بين ثدييها وعلى رأسها ثم قال: اللهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها: ادبري فأدبرت فنضح بين كتفيها ثم قال: اللهم أعيذها بك من الشيطان الرجيم ثم قال: ائتيني بماء فعملت الذي يريده فملأت القعب ماء فأتيته به فأخذ منه بفيه ثم

مجه فيه ثم صب على رأسي وبين يدي ثم قال: اللهم إني أعيذه وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال: ادخل على أهلك بسم الله والبركة.(فيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف).

وروى الإمام الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٤٠٨) برقم(١٠٢٢) - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق عن يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سبرة بن المسيب بن نجية عن أبيه عن جده عن ابن العباس قال: كانت فاطمة تذكر لرسول الله ﷺ فلا يذكرها أحد إلا صدعته حتى يئسوا منها فلقي سعد بن معاذ عليا فقال: إني والله ما أرى رسول الله ﷺ يحبسها إلا عليك فقال له علي: فلم ترى ذلك فوالله ما أنا بأحد الرجلين ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ما عندي وقد علم ما لي صفراء ولا بيضاء وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه - يعني يتألفه بها - إني لأول من أسلم فقال سعد: فإني أعزم عليك لتفرجنها عني فإن لي في ذلك فرجا قال: أقول ماذا؟ قال: تقول جئت خاطبا إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد قال: فانطلق علي وهو ثقيل حصر فقال له النبي ﷺ: كأن لك حاجة يا علي؟ قال: أجل جئتك خاطبا إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد فقال له النبي ﷺ: مرحبا كلمة ضعيفة ثم رجع إلى سعد بن معاذ فقال له: قد فعلت الذي أمرتني به فلم يزد على أن رحب بي كلمة ضعيفة.

فقال سعد: أنكحك والذي بعثه بالحق إنه خلف الآن ولا كذب عنده وأعزم عليك لتأتينه غدا فلتقولن يا نبي الله متى تبنيني؟ فقال علي: هذه أشد علي من الأولى أولا أقول يا رسول الله حاجتي قال كما أمرتك فانطلق علي فقال يا رسول الله متى تبنيني؟ قال: الليلة إن شاء لله ثم دعا بلالا فقال: يا بلال إني قد زوجت ابنتي ابن عمي وأنا أحب أن يكون من سنة أمتي الطعام عند النكاح فائت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد واجعل لي قصعة لعلي أجمع عليها المهاجرين والأنصار فإذا فرغت فآذني فانطلق ففعل ما أمره به ثم أتاه بقصعة فوضعها بين يديه فطعن رسول الله ﷺ في رأسها وقال: أدخل الناس علي زقة زقة ولا تغادرون زقة إلى

غيرها يعني إذا فرغت زقة فلا تعودون ثانية فجعل الناس يردون كلما فرغت زقة وردت أخرى حتى فرغ الناس.

ثم عمد النبي ﷺ إلى ما فضل منها فتفل فيها وبارك وقال: يا بلال احملها إلى أمهاتك وقل لهن كلن وأطعمن من غشيكن ثم قام النبي ﷺ حتى دخل على النساء فقال: إني زوجت بنتي من ابن عمي وقد علمتن منزلتها مني وأنا دافعها إليه فدونكن ابنتكن فقمن النساء فغلفنها من طيبهن وألبسنها من ثيابهن وحلينها من حليهن ثم إن النبي ﷺ دخل فلما رأينه النساء ذهبن وبينهن وبين النبي ﷺ ستر وتخلفت أسماء بنت عميس فقال لها النبي ﷺ: على رسلك من أنت؟ قالت: أنا التي أحرس ابنتك إن الفتاة ليلة تبنى بها لابد لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أرادت شيئا أفضت بذلك إليها قال: فإني أسأل الهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم ثم صرخ بفاطمة فأقبلت فلما رأت عليا جالسا إلى النبي ﷺ حصرت وبكت فأشفق النبي ﷺ أن يكون بكاؤها لأن عليا لا مال له فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ فما ألوتك في نفسي وقد أصبت لك خير أهلي وأيم الذي نفسي بيده لقد زوجتك سعيدا في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فلان منها فقال النبي ﷺ: يا أسماء ائتيني بالمخضب فاملئيه ماء فأتت أسماء بالمخضب فملأته فمج النبي ﷺ فيه ومسح فيه وجهه وقدميه ثم دعا فاطمة فأخذ كفا من ماء فضرب به على رأسها وكفا بين ثدييها ثم رش جلده وجلدها ثم التزمها فقال: اللهم إنها مني وأنا منها اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني فطهرها ثم دعا بمخضب آخر ثم دعا عليا فصنع به كما صنع بها ثم دعا له كما دعا لها ثم قال لهما: قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما وبارك في سيركما وأصلح بالكما ثم قام فأغلق عليهما بابه بيده.

قال ابن عباس: فأخبرتني أسماء بنت عميس أنها رمقت رسول الله ﷺ فلم يزل يدعو لهما خاصة لا يشركهما في دعائه أحدا حتى توارى في حجرته ﷺ. (وفيه يحيى بن يعلى وهو متروك).

وروى بن حبان في صحيحه باب - ذكر ما أعطى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صداق فاطمة: برقم (٦٩٤٥)- حدثنا أبويعلى قال: حدثنا الحسن بن حماد سجادة حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن أيوب عن عكرمة: عن ابن عباس قال: لما تزوج علي فاطمة قال النبي ﷺ: (أعطها شيئا) قال: ماعندي شيء قال: (فأين درعك الحطمية؟) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وبرقم (٦٩٤٦)- أخبرنا أحمد بن محمد بن الشرقي حدثنا أحمد بن منصور زاج حدثنا إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة: عن ابن عباس أنه سمعه يقول: ما استحل علي فاطمة إلا ببدن من حديد.قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

روى بن حبان في صحيحه باب - ذكر وصف ما جهزت به فاطمة حين زفت الى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: - (٦٩٤٧)- أخبرنا الحسن بن إبراهيم الخلال بواسط حدثنا شعيب ابن أيوب الصريفيني حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن عطاء بن السائب عن أبيه: عن علي بن أبي طالب قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميلة ووسادة أدم حشوها ليف.

قال أبو حاتم: الخميلة: قطيفة بيضاء من الصوف وصريفين: قرية بواسط).قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد

وروى أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني في كتاب الأحاد والمثاني

برقم(١٦٩)- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللهِ، زَوَّجْتَنِي حَمْشُ السَّاقَيْنِ، عَظِيمُ الْبَطْنِ، أَعْمَشُ الْعَيْنَيْنِ، فَقَالَ: زَوَّجْتُكَ أَقْدَمُ أُمَّتِي سُلَّمًا، وَأَعْظَمُهَا حِلْمًا، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا.

وروى أحمد في مسنده - (ج ٥ / ص ٢٦) برقم (٢٠٣٢٢) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو أحمد ثنا خالد يعني بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال: وضأت النبي ﷺ ذات يوم فقال هل لك في فاطمة رضي الله عنها تعودها فقلت نعم فقام متوكئا علي فقال أما انه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك قال فكأنه لم يكن على شيء حتى دخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها كيف تجدينك قالت والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي قال أبو عبد الرحمن وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال (أو ما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.وقال الألباني في الضعيفة برقم(٤٨٩٨) وهذا إسناد ضعيف؛ رجاله ثقات؛ غير خالد بن طهمان؛ فضعفه الأكثرون. وقال ابن معين: "ضعيف خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة".

مشاهده:

مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبنى قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين،

استخلاف النبي ﷺ لعليٍّ على المدينة في غزوة تبوك ٨هـ.

وحج أبى بكر بالناس.ودور عليٍّ رضي الله عنه الإعلامى، ووفد قد نصارى نجران وآية المباهلة.

وإرسال النبي ﷺ عليًا داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف عليٍّ في حجة الوداع.

قصة الكتاب الذي هم النبي ﷺ بكتابته في مرض موته، وعن العلاقة بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة ومبايعته لأبى بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، وإقتدائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه.

قصة ميراث النبي ﷺ ومحبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبى بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية

فضائله:

روى البخاري في صحيح - باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال النبي ﷺ لعلي (أنت مني وأنا منك)

وقال عمر توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض.

بيان الرواية:

(أنت) المعنى أنا وأنت متصلان من جهة العلم والدين والنسب.

روى الترمذي في سننه باب مناقب علي بن أبي طالب برقم(٣٧١٢)

- حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشا واستعمل عليهم على بن أبى طالب فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع على وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدءوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم أنصرفوا إلى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على النبى ﷺ فقام أحد الأربعة فقال يا رسول الله ألم تر إلى على بن أبى طالب صنع كذا وكذا فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال (**ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي**).

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان).قال الشيخ الألباني: صحيح

روى البخاري في صحيحه برقم ٣٤٩٨- حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه). قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال (أين علي بن أبي طالب). فقالوا يشتكي من عينيه يا رسول الله قال (**فأرسلوا إليه فأتوني به**). فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**)

بيان الرواية:

قوله: (يدوكون ليلتهم) يخوضون ويتحدثون طوال ليلتهم من الدوكة وهي الخوض والاختلاط]

روى البخاري في صحيحه برقم ٣٤٩٩ - حدثنا قتيبة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ (**لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غدا رجلا يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه**).

فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه.

روى البخاري في صحيحه برقم (٣٥٠٠)- حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه: أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر قال فيقول ماذا؟ قال يقول له أبو تراب فضحك. قال والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان والله له اسم أحب إليه منه

فاستطعمت الحديث سهلا وقلت يا أبا عباس كيف ذلك؟ قال دخل علي على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال له النبى ﷺ (**أين ابن عمك**). قالت في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول (**اجلس يا أبا تراب**). مرتين]

بيان الرواية:

قوله: (فاستطعمت الحديث سهلا) طلبت من سهل أن يحدثني الحديث وإتمام القصة.

قوله: (خلص) وصل.

روى البخاري في صحيحه برقم(٣٥٠١)- حدثنا محمد بن رافع حدثنا حسين عن زائدة عن أبى حصين عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله قال لعل ذاك يسؤوك؟ قال نعم قال فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن على فذكر محاسن عمله قال هو ذاك في بيته أوسط بيوت النبى ﷺ ثم قال لعل ذاك يسؤوك؟ قال أجل قال فأرغم الله بأنفك انطلق فاجهد علي جهدك.

بيان الرواية:

قوله: (رجل) لعله الذي ذكر في الحديث [٣٤٩٥].

قوله: (فأرغم الله بأنفك) ألصقه بالرغام وهو التراب وهو كناية عن الذل والإهانة.

قوله: (أوسط بيوت) في وسطها أو المراد أحسنها يشير بذلك إلى منزلته عند النبي ﷺ.

قوله: (انطلق) اذهب من عندي.

✍قوله: (فاجهد على جهدك) ابلغ غايتك واعمل في حقي ما تستطيعه وتقدر عليه فإني لا أبالي بعد قولي بالحق.

✍روى البخاري في صحيحه برقم(٣٥٠٢) - حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن الحكم سمعت ابن أبى ليلى قال حدثنا علي: أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبى ﷺ سبى فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبى ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبى ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال (على مكانكما). فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال (ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعا وثلاثين وتسبحان ثلاثا وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم).

✍روى مسلم في صحيحه- (٢٤٩)- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَدِىِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ زِرٍّ قَالَ قَالَ عَلِىٌّ وَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ ﷺ إِلَىَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِى إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِى إِلاَّ مُنَافِقٌ) والحديث رواه البخاري في صحيحه باب فكاك الأسير..

❁ بيان الرواية:

✍قوله: (فلق الحبة) شقها في الأرض حتى تنبت ثم تثمر.

✍قوله: (برأ) خلق.

✍قوله: (النسمة) حكى الأزهرى: أن النسمة هي النفس وأن كل دابة فى جوفها روح فهي نسمة.

✍قوله: (عهد إلي) أي ذكر لي وأخبرني بذلك.

✍وفي الرواية: أن من عرف على بن ابى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقربه من رسول الله ﷺ وحب النبى ﷺ له وما كان منه في نصرة الاسلام وسوابقه فيه ثم أحب الانصار

وعليا لهذا كان ذلك من دلائل صحة ايمانه وصدقه فى اسلامه لسروره بظهور الاسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ومن أبغضهم كان بضد ذلك واستدل به على نفاقه وفساد سريرته.

✍روى البخاري في صحيحه برقم (٣٥٠٣) - حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن سعد قال سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبى ﷺ لعلى (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى)و أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم ٢٤٠٤.

❁ **بيان الرواية:**

✍قوله: (أبيه) أي سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✍قوله: (بمنزلة هارون) نازلا منى منزلة هارون من موسى عليهما السلام في أخوة الدين والنسب وقيل إنه ﷺ قاله له حين خرج إلى تبوك وخلفه على أهله وعياله وأمره أن يقيم فيهم فكان كهارون حين خلفه موسى عليهما السلام على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه.

✍روى البخاري في صحيحه برقم(٣٥٠٤)- حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي).

فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي الكذب

✍**بيان الرواية:**

✍قوله: (اقضوا كما كنتم تقضون) قال هذا لأهل العراق حين أفتى باسترقاق أمهات الأولاد وقد كان يرى أن يعتقن كما كان يرى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✍قوله: (أكره الاختلاف) أي مخالفة الأئمة من قبلي أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

✍قوله: (حتى يكون للناس جماعة) حتى تبقى كلمة الأمة مجتمعة. (أو أموت) إلى أن أموت.

✍قوله: (كما مات أصحابي) أي على الحق والهداية والمراد من سبقه من الخلفاء الراشدين.

✍قوله: (عامة ما يروى) أكثر ما يروى عنه وينسب إليه مما فيه رائحة المخالفة ونحو ذلك مما لا يليق به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✍قوله: (الكذب) أي هو اختلاق عليه]

إسهاماته في عهد الخلفاء:

✍روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين - (ج ٣ / ص ٨٠) برقم (٤٤٥٧) - حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا جعفر بن محمد بن شاكر ثنا عفان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود بن أبى هند ثنا أبو نضرة عن أبى سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا قال فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ فقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار وثبت قائلكم ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبى بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فسأل عنه فقال ناس من الأنصار فأتوا به فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه: أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ

فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاؤوا به فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال مثل قوله لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه).هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.و سكت عنه الذهبي في التلخيص.

✍وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين - (ج ٣ / ص ٧٠)برقم(٤٤٢٢)- حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ثنا الفضل بن محمد البيهقى ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال: حدثنى إبراهيم بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عَزَّ وَجَلَّ في سر وعلانية ولكنى أشفقت من الفتنة ومالى في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عَزَّ وَجَلَّ ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم فقبل المهاجرون منه ما قال وما إعتذر به قال على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار وثاني إثنين وإنا لنعلم بشرفه وكبره ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي).هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولو يخرجاه.وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

✍وفي كتاب الثقات لابن حبان ٢/ ٢٨٦: قال: فلما دخلت السنة السابعة والثلاثون كتب معاوية إلى على بن أبى طالب أما بعد فان الله اصطفى محمدا ﷺ بعلمه وجعله الامين على وحيه والرسول إلى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام كان أفضلهم في الاسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة بعده وخليفة خليفته المظلوم المقتول رحمة الله عليهم وقد ذكر لي أنك تنتفى من دمه فان كنت صادقا فأمكنا ممن قتله حتى نقتله

به ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة وإى فإنه ليس لك ولا لاحد من أصحابك عندنا إلا السيف والذي لا إله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال حتى يقتلهم الله أو تلحق أرواحنا بعثمان والسلام فكتب إليه على بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فان أخا خولان قدم على بكتاب منك يذكر فيه محمد ﷺ وما أنعم الله عليه من الهدى والحمد لله على ذلك وأما ما ذكرت من ذكر الخلفاء فلعمري إن مقامهم في الاسلام كان عظيما وإن المصاب بهم لجرح عظيم في الاسلام وأما ما ذكرت من قتلة عثمان فانى قد نظرت في هذا الامر فلم يسعنى دفعهم إليك وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر فقال لي يا على أنت أحق الناس بهذا الامر بعد رسول الله ﷺ وهات يدك حتى أبايعك فلم أفعل مخافة الفرقة في الاسلام فأبوك أعرف بحقى منك فان كنت تعرف من حقى ما كان يعرفه أبوك فقد قصدت رشدك وإن لم تفعل فسيغنى الله عنك والسلام فلما قرأ معاوية الكتاب تهيأ هو ومن معه على المسير إلى على ثم سار يريد العراق وسار على من العراق).

ورو الإمام الطبراني في المعجم الكبير - (ج ١ / ص ٥٥) برقم(١٤)

- حدثنا معاذ بن المثنى ثنا على بن المدينى ثنا إسحاق بن منصور السلولى ثنا محمد بن سليمان العبدي عن هارون بن سعد عن عمران بن ظبيان عن أبى يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت عليا يحلف: لله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق).

وفي كتاب الكامل لابن الأثير (٢/ ٧٩) كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة من بعده، وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق.

وخلاصة ما مضى من الروايات أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا رافعًا إليه الشكاوي، مصليًا خلفه، محبًا له، مبغضًا من بغضه.

❁ علي رضي الله عنه في عهد عمر رضي الله عنه:

روى أحمد بن حنبل في مسند (ج ٥ / ص ١١٣)برقم (٢١١٢٢)

– حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علي: أقضانا وأبي أقرؤنا وإنا لندع كثيرا من لحن أبي وأبي يقول سمعت من رسول الله ﷺ فلا أدعه لشيء والله تبارك وتعالى يقول ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وذكر بن عبد البر في الاستيعاب – (ج ١ / ص ٣٣٩) قال أحمد بن زهير: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن. وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي: إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف ١٥. الحديث.

وقال له: إن الله رفع القلم عن المجنون. الحديث فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر.

وذكر بن القيم في كتاب الطرق الحكمية – (ج ١ / ص ٧٠) تحت عنوان (على يفضح محتالة)وقال جعفر بن محمد أتى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضة فألقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى في أهلى وهذا أثر فعاله. فسأل عمر النساء فقلن له إن ببدنها وثوبها أثر المنى.فهم بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول يا أمير المؤمنين تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما فنظر علي إلى ما على الثوب ثم دعا بماء حار شديد الغليان فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه وذاقه فعرف طعم البيض وزجر المرأة فاعترفت.

وروى بن سعد في الطبقات الكبرى - (ج ٣ / ص ٣٠٧) قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عثمان بن عبد الله بن زياد مولى مصعب بن الزبير عن أيوب بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال مكث عمر زمانا لا يأكل من المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة وأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال قد شغلت نفسى في هذا الأمر فما يصلح لى منه فقال عثمان بن عفان كل وأطعم قال وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقال لعلي ما تقول أنت في ذلك قال غداء وعشاء قال فأخذ عمر بذلك.

و خلاصة ما مضى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يستشير علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور، وكان على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طيلة حياة عمر مستشارًا ناصحًا لعمر، محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر رضي الله عنه يحب عليًا رضي الله عنه وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة وتزوج عمر أم كلثوم بنت علي رضي الله عمهما طمعا في أن يتصل نسبه بالنبي ﷺ.

علي رضي الله عنه في عهد عثمان رضي الله عنه :

١/ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقيم الحدود ويُستشار في شؤون دولة عثمان:

روى مسلم في صحيحه باب حد الخمر: برقم: «٤٥٥٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَلِىُّ بْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ - وَهُوَ ابْنُ عُلَيَّةَ - عَنِ ابْنِ أَبِى عَرُوبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ الدَّانَاجِ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِىُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ

فَيْرُوزَ مَوْلَى ابْنِ عَامِرٍ الدَّانَاج حَدَّثَنَا حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبُو سَاسَانَ قَالَ شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ أَزِيدُكُمْ فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَآهُ يَتَقَيَّأُ فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأْ حَتَّى شَرِبَهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ قُمْ فَاجْلِدْهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ قُمْ يَا حَسَنُ فَاجْلِدْهُ. فَقَالَ الْحَسَنُ وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا - فَكَأَنَّهُ وَجَدَ عَلَيْهِ - فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ قُمْ فَاجْلِدْهُ. فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ فَقَالَ أَمْسِكْ. ثُمَّ قَالَ جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ وَعُمَرُ ثَمَانِينَ وَكُلٌّ سُنَّةٌ وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ. زَادَ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ فِي رِوَايَتِهِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ وَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَ الدَّانَاجِ مِنْهُ فَلَمْ أَحْفَظْهُ.

۞ بيان الرواية:

أنه لما ثبت الحد على الوليد بن عقبة قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الإمام لعلي بن أبي طالب على سبيل التكريم له وتفويض الأمر إليه في استيفاء الحد قم فأجلده أي أقم عليه الحد بأن تأمر من ترى بذلك فقبل عليٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك فقال للحسن قم فاجلده فامتنع الحسن فقال لابن جعفر فقبل فجلده وكان علي مأذونا له في التفويض إلى من رأى كما ذكرناه وقوله وجد عليه أي غضب عليه

وقوله: (ول حارها من تولى قارها) الحار الشديد المكروه والقار البارد الهنيء الطيب وهذا مثل من أمثال العرب قال الأصمعي وغيره: معناه ول شدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها والضمير عائد إلى الخلافة والولاية أي كما أن عثمان وأقاربه يتولون هنيء الخلافة ويختصون بها يتولون نكدها وقاذوراتها ومعناه ليتول هذا الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة أقاربه الأدنين والله أعلم.

قوله: (قال أمسك ثم قال وكل سنة) هذا دليل على أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان معظما لآثار عمر وأن حكمه وقوله سنة وأمره حق وكذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلاف ما يكذبه الشيعة عليه.

واعلم أنه وقع هنا في مسلم ما ظاهره أن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين.

استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية: جاء في كتاب رياض النفوس (١/ ٨- ٩) أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبد الله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- على إثر ذلك- للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية، جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم، قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته..رأيت عليًا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت- يا أبا الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عيناي الماء فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو، إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري.

روى محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة برقم (١٢١٨)-قال: وحدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف السجستاني قال: حدثنا السري بن يحيى بن أخي هناد بن السري قال: حدثنا سعيد بن إبراهيم التيمي قال: حدثنا سيف بن عمر التميمي الأسيدي قال: حدثنا محمد بن أبان، عن علقمة بن مرثد، عن العيزار بن جرول، عن سويد بن غفلة الجعفي قال: سمعت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أيها الناس؛ الله الله، وإياكم والغلو في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقولكم: خراق المصاحف، فوالله ما خرقها إلا عن ملاء منا أصحاب محمد ﷺ جمعنا فقال: ما تقولون في هذه القراءة التي قد اختلف فيها الناس، يلقى الرجل الرجل فيقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر، فقلنا: ما

الرأي يا أمير المؤمنين؟ قال: أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا، فقلنا: فنعم ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، فقال: يكتب أحدكما ويمل الآخر، فإذا اختلفتما في شيء فارفعاه إلي، فكتب أحدهما وأملى الآخر، فما اختلفا في شيء من كتاب الله ﷻ إلا في حرف في سورة البقرة، فقال أحدهما: التابوت. وقال الآخر: التابوه، فرفعاه إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: التابوت، قال: وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو وليت مثل الذي ولي لصنعت مثل الذي صنع قال: فقال القوم لسويد بن غفلة: الله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قال: الله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ علي وعثمان عضوان بمجلس الشورى الذي عينه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

روى البخاري في صحيحه باب كيف يبايع الإمام الناس برقم - (٦٧٨١) - حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية عن مالك عن الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان قال المسور طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم انطلق فادعوا الزبير وسعدا فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال ادع لي عليا فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل ثم قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئا ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار

وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا. فقال أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون.

بيان الرواية:

قوله: (الرهط) ما دون العشرة من الرجال.

قوله: (ولاهم) جعل أمر اختيار الخليفة إليهم وهم عثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

قال الطبري فلم يكن أحد من أهل الإسلام يومئذ له منزلتهم من الدين والهجرة والسابقة والفضل والعلم بسياسة الأمر.

قوله: (أنافسكم) أنازعكم.

قوله: (الأمر) تولي الخلافة.

قوله: (فمال الناس على عبد الرحمن) قصدوه كلهم بعضا بعد بعض.

قوله: (يطأ عقبه) يمشي خلفه وهو كناية عن الإعراض.

قوله: (طرقني) أتاني ليلا.

قوله: (هجع) قطعة من الليل من الهجوع وأصله النوم في الليل خاصة.

قوله: (ما اكتحلت) كناية عن النوم أي ما دخل النوم جفن عيني كما يدخلها الكحل.

قوله: (فناجاه) تكلم معه على انفراد سرا.

قوله: (ابهار الليل) انتصف وبهرة كل شيء وسطه وقيل معظمه.

قوله: (على طمع) أي أن يوليه.

قوله: (شيئا) من المخالفة.

قوله: (صلى للناس) صلى بهم إماما.

قوله: (أمراء الأجناد) هم معاوية أمير الشام وعمير بن سعد أمير حمص والمغيرة بن شعبة أمير الكوفة وأبو موسى الأشعري أمير البصرة وعمرو ابن العاص أمير مصر رضي الله عنهم.

قوله: (وافوا تلك الحجة) قدموا إلى مكة فحجوا مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورافقوه إلى المدينة.

قوله: (يعدلون بعثمان) يجعلون غيره مساويا له ويرضون به.

قوله: (فلا تجعلن على نفسك سبيلا) أي شيئا من الملامة إذا لم توافق الجماعة.

عتاب بين علي رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه:

ذكر ابن حبان في كتاب السيرة ١/ ٥٠٢: واعتمر عثمان في شهر رجب سنة خمس وعشرين ودخل مكة وكان بين الصفا والمروة وحل قبل أن يصبح ثم رجع إلى المدينة وأمر بتوسعة المسجد الحرام وتجديد أنصاب الحرم وتزوج عثمان بنت خالد بن أسيد ثم اعتمر عثمان في رجب وخرج معه عبد الله بن جعفر والحسين بن علي فمرض الحسين بن علي فأقام عبد الله بن جعفر عليه بالسقيا وبعث إلى علي يخبره بذلك فخرج علي في نفر من بني هاشم إلى السقيا فلما دخلها دعا ببدنة فنحرها وحلق رأسه وأقام على الحسين يمرضه فلما فرغ عثمان من عمرته كلموه بأن يحول الساحل إلى جدة وكانوا قبل ذلك في الجاهلية يرسون بالشعيبة وقالوا: جدة أقرب إلى مكة وأوسع وأقرب من كل ناحية فخرج عثمان إلى جدة فرآها ورأى موضعها وأمرهم أن يجعلوها بمكان الشعيبة فحول الساحل إلى جدة ودخل البحر وقال: إنه مبارك وقال لمن معه: ادخلوا ولا يدخلها إلا

بمئزر ثم خرج عثمان من جدة على طريق يخرجه إلى عسفان ثم مضى إلى الجار فأقام بها يوما وليلة ثم انصرف فمر بعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منصرفه وهو يمرض الحسين مع جماعة من بني هاشم فقال عثمان: قد أردت المقام عليه حتى تقدم ولكن الحسين عزم علي وجعل يقول: امض لرهطك فقال علي: ما كان ذلك بشيء يفوتك هل كانت إلا عمرة إنما يخاف الإنسان فوت الحج فأما العمرة فلا فقال عثمان: إني أحببت أن أدرك عمرة في رجب فقال علي بن أبي طالب: ما رأيت رسول الله ﷺ اعتمر في رجب قط وما اعتمر عمراته الثلاث إلا في ذي القعدة ثم رجع عثمان إلى المدينة ثم مضى علي مع الحسين إلى مكة

علمه رضي الله عنه:

قال الحافظ المزي: وروى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: وأخبرنا يحيى بن معين قال: حدثنا عبدة بن سليمان عن عبد الملك ابن أبي سليمان قال قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من علي قال: لا والله ما أعلمه.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: قال أحمد بن زهير: وحدثنا محمد بن سعيد الأصفهاني قال: حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن قليب عن جبير قال: قالت عائشة: من أفتاكم بصوم عاشوراء قالوا: علي. قالت: أما إنه لأعلم الناس بالسنة.

قال ابن عبد البر في الإستيعاب: حدثنا خلف بن قاسم حدثنا عبد الله بن عمر الجوهري قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال: حدثنا محمد بن السري إملاء بمصر سنة أربع وعشرين ومائتين قال: حدثنا عمرو بن هاشم الجنبي

قال: حدثنا جويبر عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس قال: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر

فهمه رضي الله عنه:

ذكر الحافظ المزي في تهذيب الكمال - (ج ٢٠ / ص ٤٨٦)

قال أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال خذاها عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الأرغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة وقال صاحب الأرغفة الثلاثة لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه إلا بمر الحق فقال على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة دراهم فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذها فلم أرض وتقول الآن إنه لا يجب لى في مر الحق إلا درهم فقال له على عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحا فقلت لا أرضى إلا بمر الحق ولا يجب لك في مر الحق إلا درهم فقال له الرجل فعرفنى الوجه في مر الحق حتى أقبله فقال على أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت الثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وبقي له سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن).

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة لم كان صفو الناس إلى علي بن أبي طالب؟ فقال يا بن أخي إن عليا كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له السطة في العشيرة والقدم في الإسلام والصهر برسول الله ﷺ والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجود في الماعون ومناقبه وفضائله كثيرة جدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وروى محمد بن سعد في الطبقات الكبرى - (ج ٢ / ص ٣٣٩)

أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا سيف بن سليمان عن قيس مولى بن علقمة عن داود بن أبي عاصم الثقفي عن سعيد بن المسيب قال خرج عمر بن الخطاب على أصحابه يوما فقال أفتوني في شيء صنعته اليوم فقالوا ما هو يا أمير المؤمنين قال مرت جارية لي فأعجبتني فوقعت عليها وأنا صائم قال فعظم عليه القوم وعلي ساكت فقال ما تقول يا بن أبي طالب فقال جئت حلالا ويوما مكان يوم فقال أنت خيرهم فتوى.

قال أبو عمر بن عبد البر: بويع لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة يوم قتل عثمان فاجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار وتخلف عن بيعته نفر منهم فلم يهجهم ولم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل). وفي رواية أخرى قال: (أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل).

أزواجه وأولاده رضي الله عنه:

١/ فاطمة بنت سيد العالمين: ولد له من فاطمة بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى.

٢/ خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة، وولد له منها: محمد الأكبر (محمد ابن الحنفية).

٣/ ليلى بنت مسعود بن خالد من بنى تميم: وُولد له منها: عبيد الله وأبو بكر.

٤/ أم البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة: وولد له منها: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وبعد الله،.

٥/ أسماء بنت عميس الخثعمية: وولد له منها يحيى وعون،وولد له من الصهباء، عمر الأكبر ورقية،.

٦/ أمامة بنت العاص بن الربيع: وولد له منها، محمد الأوسط.

٧/ أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي وولد له منها أم الحسن.ورملة الكبرى.

٨/ محياة بنت أمرئ القيس: وولد له منها: ابنة هلكت وهي جارية.

✍وولد له من أمهات أولاد، محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، جمانة ونفيسة.

✍قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: لم يصح لنا من ولد على رضي الله عن غير هؤلاء، وجميع ولد على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة.

✍وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن الكلابية، وعمر ابن التغلبية.

❁ خلافته رضي الله عنه :

✍قال أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات: لما كان من أمر عثمان ما كان قعد علي في بيته وأتاه الناس يهرعون إليه. كلهم يقولون: أمير المؤمنين عليّ، حتى دخلوا عليه داره وقالوا:

نبايعك، فإنه لا بد من أمير وأنت أحق، فقال عليّ: ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى

عليا يطلبون البيعة وهو يأبى عليهم، فجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى عليّ فقال له: ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة؟ فقال: لا أفعل إلا [عن] ملأ وشورى، وجاء أهل مصر فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فو الله! لقد قتل عثمان، وكان قتله لله رضى، فقال عليّ: كذبتم، والله ما كان قتله لله رضى! لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره؛ وهرب مروان فطلب فلم يقدر عليه، فلما رأى ذلك علي منهم خرج إلى المسجد وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: يا أيها الناس! رضيتم مني أن أكون عليكم أميرا؟ فكان أول من صعد إليه المنبر طلحة فبايعه بيده، وكان إصبع طلحة شلاء فرآه أعرابي يبايع فقال: يد شلاء وأمر لا يتم، فتطير علي منها وقال: ما أخلقه أن يكون كذلك، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول الله ﷺ ؛ ثم بلغ عليا أن سعدا وابن عمر ومحمد بن مسلمة يذكرون هنات، فقام علي خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال: أيها الناس! إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي، فإذا بايعتموني فلا خيار لكم عليّ، وعلى الإمام الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة، فمن [ردها] رغب.عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم، ولم [تكن] بيعته إياي فلتة،وليس أمري وأمركم واحدا، أريد الله وتريدونني لأنفسكم، وأيم الله! لأنصحن الخصم ولأنصفن المظلوم.

وقد أكثر الناس في قتل عثمان، فمنهم من قد زعم أنه قتل ظالما، ومنهم من قد زعم أنه قتل مظلوما، وكان الإكثار في ذلك على طلحة والزبير، قالت قريش: أيها الرجلان! إنكما قد وقعتما في ألسن الناس في أمر عثمان فيما وقعتما فيه، فقام طلحة في الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: أيها الناس! ما قلنا في عثمان أمس إلا نقول لكم فيه اليوم مثله أنه خلف الدنيا بالتوبة، ومال عليه قوم فقتلوه، وأمره إلى الله؛ ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا أيها الناس! إن الله اختار من كل شيء شيئا، واختار من الناس محمدا ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، واختار من الشهور رمضان وأنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام،

واختار من الأيام يوم الجمعة فجعله عيدا لأهل الإسلام، واختار من البلدان هذين الحرمين: مكة والمدينة، فجعل بمكة البيت الحرام، وجعل بالمدينة حرم رسول الله ﷺ، وجعل ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة، واختار من الشورى التسليم كما اختار هذه الأشياء، فأذهبت الشورى بالهوى والتسليم بالشك، وقد تشاورنا فرضينا عليا، وأما إن قتل عثمان فأمره إلى الله.

فلما رأى عليٌ اختلاف الناس في قتل عثمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! أقبلوا عليّ بأسماعكم وأبصاركم، إن الناس بين حق وباطل، فلئن علا أمر الباطل لقديما ما فعل، وإن يكن الحق قد غاب فلعل، وإني أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا في فتنة، وما علينا فيها إلا الاجتهاد، الناس اثنان وثلاثة لا سادس لهم: ملك طار بجناحيه، أو نبي أخذ الله بيده، أو عامل مجتهد، أو مؤمل يرجو، أو مقصر في النار؛ وإن الله أدب هذه الأمة بأدبين: بالسيف والسوط، لا هوادة عند السلطان فيهما، فاستتروا واستغفروا الله فأصلحوا ذات بينكم.ثم نزل وعمد إلى بيت المال وأخرج ما فيه وفرقه على المسلمين، ثم بعث إلى سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة فقال: لقد بلغني عنكم هنات، فقال سعد: صدقوا! لا أبايعك، ولا أخرج معك حيث تخرج حتى تعطيني سيفا يعرف المؤمن من الكافر، وقال له ابن عمر: أنشدك الله والرحم أن تحملني على ما لا أعرف، والله! لا أبايع حتى يجتمع المسلمون على من جمعهم الله عليه.

وقال محمد بن مسلمة: إن رسول الله ﷺ أمرني إذا اختلف أصحابه ألا أدخل فيما بينهم، وأن أضرب بسيفي صخر أحد، فإذا انقطع أقعد في بيتي حتى تأتيني يد خاطئة أو منية قاضية، وقد فعلت ذلك؛ ثم دعا عليّ أسامة بن زيد وأراده على البيعة فقال أسامة: أما البيعة فإنني أبايعك، أنت أحب إليّ وآثرهم عندي، وأما القتال فإني عاهدت رسول الله ﷺ أن لا أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله، فلما رآهم علي مختلفين قال: أخرجوني من هذه البيعة واختاروا لأنفسكم من أحببتم،

فسكتوا وقاموا وخرجوا، فدخل عليه المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين! إني مشير عليك بخلال ثلاث فافعل أيها شئت، فقال: ما هي يا أعور؟

فقال: إني أرى من الناس بعض التثاقل فيك؛ فأرى أن تأتي بحمل ظهر فتركبه وتركض في الأرض هاربا من الناس، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالا أظهر من جمالك وخيولا، ثم ركضوا في أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو أبيت، فإن لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على الشام كله واكتب إليه كتابا بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعلمه أنك ستكون له خيرا من عمر وعثمان، واردد عمرو بن العاص على مصر، واذكر في كتابك شرفه وقدمه، فإنه رجل يقع الذكر منه موقعا، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ في القدوم عليك تستخبر هما عن البلاد والناس، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاح.

فقال علي: أما ما ذكرت من فراري من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعوني، وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألني الله عن إقرارهما ساعة واحدة في سلطاني وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً، وأما خروجي من هذه البلاد إلى غيرها فإني ناظر في ذلك. فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام واللحوق بمعاوية، فقال له: يا أمير المؤمنين! أشرت عليك بالأمس في رأيي بمعاوية وعمرو، إن الرأي أن تعاجلهم بالنزع، فقد عرف السامع من غيره، وتستقبل أمرك، ثم خرج من عنده فلقيه ابن عباس خارجا وهو داخل، فلما انتهى إليه قال: رأيت المغيرة خارجا من عندك، فيم جاءك؟ قال: جاءني أمس برأي واليوم برأي، وأخبره بالرأيين، فقال ابن عباس: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشك، قال: فما الرأي؟

قال ابن عباس: كان الرأي قبل اليوم، قال علي:

عليّ ذلك! قال: كان الرأي أن تخرج إلى مكة حتى تدخلها وتدخل دارا من دورها وتغلق عليك بابك، فإن الناس لم يكونوا ليدعوك، وإن قريشا كانت تضرب

الصعب والذلول في طلبك، لأنها لا تجد غيرك، فأما اليوم فإن بني أمية يستحسنون الطلب بدم صاحبهم، ويشبهون على الناس أن يلزموك شعبة من أمره ويلطخونك من ذلك ببعض اللطخ. فهمّ علي بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأى معاوية وما هو صانع، فجاءه أبو أيوب الأنصاري فقال له: يا أمير المؤمنين! لو أقمت بهذه البلاد! لأنها الدرع الحصينة ومهاجرة للنبي ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت فيها كمن كان، وأن تشعب عليك [قوم] رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت وقد أعذرت، فقال علي: إن الرجال والأموال بالعراق، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصاري وعزم على المقام بالمدينة؛ وبعث العمال على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة أميرا، وعمارة بن حسان ابن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام؛ فأما سهل بن حنيف فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيه خيل من أهل الشام فقالوا له: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع، قال: ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى، ولكن ارجع إلى بلدك، فرجع إلى علي وإذا القوم أصحاب.

وأما قيس بن سعد فإنه انتهى إلى إيلة فلقيه طلائع فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا من الأصحاب الذين قتلوا وشردوا من البلاد، فأنا أطلب مدينة آوي إليها، فقالوا: ومن أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة، فقالوا: امض بنا، فمضى قيس حتى دخل مصر وأظهر لهم حاله. وأخبرهم أنه ولي على مصر، فافترق عليه أهل مصر فرقا: فرقة دخلت في الجماعة وبايعت، وفرقة أمسكت واعتزلت، وفرقة قالت: إن قيد من قتلة عثمان فنحن معه وإلا فلا، فكتب قيس بن سعد بجميع ما رأى من أهل مصر إلى علي.

وأما عبيد الله بن عباس فإنه خرج منطلقا إلى اليمن، لم يعانده أحد ولم يصدّه عنها صاد حتى دخلها فضبطها لعلي، وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامدا إلى الكوفة حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان، فقال طليحة: من أنت؟ قال: أنا عمارة بن حسان بن شهاب، قال: ما جاء بك؟ قال: بعثت إلى الكوفة أميرا، قال: ومن بعثك؟ قال: أمير المؤمنين علي، قال: الحق بطيّتك، فإن القوم لا يريدون بأميرهم أبي موسى الأشعري بدلا، فرجع عمارة إلى علي وأخبره الخبر، وأقام طليحة بزبالة.

وأما عثمان بن حنيف فإنه مضى يريد البصرة وعليها عبد الله بن عامر بن كريز، وبلغ أهل البصرة قتل عثمان، فقام ابن عامر فصعد المنبر وخطب وقال: إن خليفتكم قتل مظلوما، وبيعته في أعناقكم، ونصرته ميتا كنصرته حيا، واليوم ما كان أمس، وقد بايع الناس عليا ونحن طالبون بدم عثمان، فأعدوا للحرب عدتها، فقال له حارثة بن قدامة: يا ابن عامر! إنك لم تملكنا عنوة وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار وبايع الناس عليا، فإن أقرك أطعناك، وإن عزلك عصيناك، فقال ابن عامر: موعدك الصبح، فلما أمسى تهيأ للخروج وهيأ مراكبه وما يحتاج إليه، واتخذ الليل جملا يريد المدينة، واستخلف عبد الله بن عامر الحضرمي على البصرة، فأصبح الناس يتشاورون في ابن عامر وأخبروا بخروجه، فلما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة والزبير فقالا له: لا مرحبا بك ولا أهلا! تركت العراق والأموال، وأتيت المدينة خوفا من علي، ووليتها غيرك، واتخذت الليل جملا، فهلا أقمت حتى يكون لك بالعراق فئة، قال ابن عامر: فأما إذا قلتما هذا فلكما عليّ مائة ألف سيف وما أردتما من المال.

ثم أتت أم كلثوم بنت علي أباها وكانت تحت عمر بن الخطاب، فقالت له: إن عبد الله بن عمر رجل صالح، وأنا أتكفل ما يجيء منه لك، فلما كان من قدوم ابن عامر المدينة جاء ابن عمر إليها فقال: يا أماه! إنك قد كفّلت فيّ وأنا أريد

الخروج إلى العمرة الساعة، ولست بداخل في شيء يكرهه أبوك غير أني ممسك حتى يجتمع الناس، فإن شئت فأذني، وإن شئت فابعثيني إلى أبيك، قالت: لا، بل اذهب في حفظ الله وتحت كنفه، فانطلق ابن عمر معتمرا.

فلما أصبح الناس أتوا عليّا فقالوا: قد حدث البارحة حدث هو أشد من طلحة والزبير ومعاوية، قال علي: وما ذاك؟ قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى علي السوق وجعل يعد طلابا ليرد ابن عمر، فسمعت أم كلثوم بذلك فركبت بغلتها حتى أتت أباها فقالت: إن الأمر على غير ما بلغك، وحدثته بما ذكر لها ابن عمر، فطابت نفس علي بذلك، فما انصرفوا من السوق حتى جاءهم بعض القدام من العمرة وأخبروه أنهم رأوا ابن عمر وآخر معه على حمارين محرمين بكساءين.

ثم كتب علي إلى معاوية: «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي فادخل في السلام كما دخل الناس وإلا فأذن بحرب كما يؤذن أهل الفرقة- والسلام. وبعث كتابه مع سبرة الجهني والربيع بن سبرة، فلما قدم سبرة بكتاب علي ودفعه إلى معاوية جعل يتردد في الجواب مدة، فلما طال ذلك عليه دعا معاوية رجلا من عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه «من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب» وقال له: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وأبرزه- وأوصاه بما يقول، وبعثه مع سبرة رسول علي فقدما المدينة، فرفع العبسي الطومار كما أمر معاوية، فخرج الناس ينظرون إليه وعلموا حينئذ أن [معاوية] معترض معاند؛ فلما دخلا على علي دفع إليه العبسي الطومار ففض عن خاتمه فلم يجد في جوفه شيئا، فقال لسبرة: ما وراءك؟ قال: تركت قوما لا يرضون إلا بالقود، وقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، فقال علي: أمني يطلبون دم عثمان.

ثم كتب عليٌ إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتي، فادخل فيما دخل فيه الناس ورغب أهل ملكك في السمع والطاعة، واكتب إلي بما كان منك ومنهم إن شاء الله- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته». وبعث الكتاب مع عبد الأسلمي، فلما قدم معبد الكوفة دعا أبو موسى الأشعري الناس إلى طاعة علي فأجابوه طائعين، وكتب إلى علي بن أبي طالب «بسم الله الرحمن الرحيم- لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن قيس، سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فقد قرأت كتابك ودعوت من قبلي المسلمين فسمعوا وأطاعوا- والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» ودفع كتابه إلى معبد.

وكانت عائشة خرجت معتمرة، فلما قضت عمرتها نزلت على باب المسجد واجتمع إليها الناس فقالت: أيها الناس! إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلما، واستحلوا البلد الحرام وسفكوا الدم الحرام. فقال عبد الله ابن عامر: ها أنا ذا أول طالب بدمه، فكان أول من انتدب لذلك.

ولما كثر الاختلاف بالمدينة استأذن طلحة والزبير عليا في العمرة، فقال لهما: ما العمرة تريدان، وقد قلت لكما قبل بيعتكما لي: أيكما شاء بايعته، فأبيتما إلا بيعتي، وقد أذنت لكما، فاذهبا راشدين، فخرجا إلى مكة وتبعهما عبد الله بن عامر بن كريز فلما لحقهما قال لهما: ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما، فاجتمعوا مع عائشة بمكة وبها جماعة من بني أمية.

ثم جمع معاوية أهل الشام على محاربة علي والطلب بالقود من دم عثمان، واحتال في قيس بن سعد بن عبادة وكان واليا على مصر، وكتب إلى علي

كتابا يمرغ فيه معاوية، فلما قرأ عليٌ الكتاب عزل قيسا وولى عليها محمد بن أبي بكر.

ثم حج بالناس عبد الله بن عباس، أمره علي على الحج، فلما انصرف أجمع طلحة والزبير [على] المسير بعائشة، فقال طلحة: ما لنا أمر أبلغ في استمالة الناس إلينا من شخوص ابن عمر معنا، وكان من أمره في عثمان وخلافه له على ما يعلمه من يعلمه، فأتاه طلحة فقال: يا أبا عبد الرحمن! إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس فاشخص معنا فإن لك بنا أسوة، فقال ابن عمر: أتخدعونني [لتخرجوني] كما تخرج الأرنب [من] جحرها! إن الناس إنما يخدعون بالوصيف والوصيفة والدنانير والدراهم، ولست من أولئك، قد تركت هذا الأمر عيانا وأنا أدعى إليه في عافية، فاطلبوا لأمركم غيري، فقال طلحة: يغني الله عنك.

✍وقدم يعلى بن أمية من اليمن [وقد كان] عاملا عليها بأربعمائة من الإبل، فدعاهم إلى الحملان، فقال له الزبير: دعنا من إبلك هذه، ولكن أقرضنا من هذا المال، فأعطاه ستين ألف دينار، وأعطى طلحة أربعين ألف دينار، فتجهزوا وأعطوا [من خف معهم].

✍وفي السنة السادسة والثلاثين: تشاور الطالبون بدم عثمان في مسيرهم.

✍قال الزبير: [عليكم بالشام] بها الأموال والرجال.

✍وقال ابن عامر: البصرة فإن غلبتم عليها فلكم الشام، إن معاوية قد سبقكم إلى الشام وهو ابن عم عثمان، وإن البصرة لي بها صنائع ولأهلها في طلحة هوى.

✍وقالت عائشة تقول: نقصد المدينة، فقالوا لها: يا أم المؤمنين! دعي المدينة فإن [من] معك [لا يقرنون] لتلك الغوغاء، واشخصي معنا إلى البصرة، فإن أصلح الله هذا الأمر كان الذي نريد، وإلا فقد بلغنا ويقضي الله فيه ما أحب، وكلموا حفصة ابنة عمر أن تخرج معهم فقالت: رأيي تبع لرأي عائشة، فأتاها عبد

الله بن عمر فناشدها الله أن تخرج، فقعدت وبعث إلى عائشة أن أخي حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر الله لابن عمر.

ثم نادى منادي طلحة والزبير: من كان عنده مركب وجهاز، وإلا فهذا جهاز ومركب، فحملوا على ستمائة ناقة [سوى] من كان له مركب، وكانوا نحو ألف نفس، وتجهزوا بالمال، وشيعهم نساء النبي ﷺ، وكان كلهن بمكة حاجّات إلا أم سلمة فإنها سارت إلى المدينة، فلما بلغوا ذات عرق ودعت أزواج النبي ﷺ وبكين وبكى الناس، فما رأوا بكاء أكثر من ذلك اليوم، وسمي يوم النحيب. وجعلن يدعون على قتلة عثمان الذين سفكوا في حرم رسول الله ﷺ الدم الحرام، ثم انصرفن، ومضت عائشة وهي تقول: اللهم! إنك تعلم أني لا أريد إلا الإصلاح فأصلح بينهم.

وبعثت أم الفضل حين خرجت عائشة ومن معها من مكة إلى علي رجلا من جهينة قالت له: اقتل في كل مرحلة بعيرا وعليّ ثمنه، وهذه مائة دينار وكسوة، وكتبت معه «أما بعد! فإن طلحة والزبير وعائشة خرجوا من مكة يريدون البصرة» فقدم المدينة وأعطى عليا الكتاب، فدعا علي محمد بن أبي بكر فقال له: ألا ترى إلى أختك خرجت مع طلحة والزبير! فقال محمد بن أبي بكر: إن الله معك ولن يخذلك، والناس ناصروك.

ثم قام علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، تهيئوا للخروج إلى قتال أهل الفرقة فإني سائر إن شاء الله، إن الله بعث رسولا صادقا ناطق وأمر واضح، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم، وقد قال رسول الله ﷺ «إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها». انهضوا إلى هؤلاء الذين يريدون تفريق جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ذات البين.

وبعث علي الحسن بن علي وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفارهم، فلما قدموا الكوفة [قام] أبو موسى الأشعري في الناس وكان واليا [عليها] وأخبرهم بقدوم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين.

وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى والي الكوفة وإذا في كل كتاب منهما «بسم الله الرحمن الرحيم- من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري- سلام عليك! فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار» فلما قرأ الكتابين وثب عمار بن ياسر فقال: أمرت عائشة بأمر، وأمرنا بغيره، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فهوذا تأمرنا بما أمرت، وركبت ما أمرنا به، ثم قال: هذا ابن عم رسول الله ﷺ فاخرجوا إليه، ثم انظروا في الحق ومن الحق معه. ثم قام الحسن بن علي فقال: يا أيها الناس! أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، لعل الله يصلح بينكم. ثم قام هند بن عمرو البجلي فقال: إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا ابنه فاتبعوا قوله وانتهوا إلى أمره، فقام حجر بن عدي الكندي فقال: أيها الناس! أجيبوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافا وثقالا بأموالكم وأنفسكم.

ثم قال الحسن: أيها الناس! إني غاد، فمن شاء منكم فليخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء، فأجابوه، وخرج معه تسعة آلاف نفس بعضهم على البر وبعضهم على الماء، وساروا حتى بلغوا ذا قار، وخرج علي من المدينة معه ستمائة رجل، وخلف على المدينة سهل بن حنيف، فالتقى هو وابنه الحسن مع من خرج معه من الكوفة بذي قار، فخرجوا جميعا إلى البصرة ولم يدخل علي الكوفة، وكتب إلى المدينة إلى سهل بن حنيف أن يقدم عليه ويولي على المدينة أبا حسن المازني؛ والتقى مع طلحة والزبير وعائشة بالجلحاء»

على فرسخين من البصرة، وذلك لخمس خلون من جمادى الآخرة، وكان علي كثيرا ما يقول: يا عجب كل العجب، من جمادى ورجب! فكان من أمرهم ما كان.

وقتل ابن جرموز الزبير ثم أتى عليا يخبره فقال عليّ: سمعت رسول الله ﷺ [يقول] «قاتل ابن صفية بالنار» فقال ابن جرموز: إن قتلنا معكم فنحن في النار! وإن قاتلناكم فنحن في النار! ثم بعج بطنه بسيفه فقتل نفسه. وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم من ورائه، فأثبته فيه وقتله، وحمله إلى البصرة فمات بها، فقبر طلحة بالبصرة، وقتل الزبير بوادي السباع؛ وكان كعب بن سور قد علق المصحف في عنقه ثم يأتي هؤلاء فيذكرهم، ويأتي هؤلاء فيذكرهم حتى قتل.

وكان علي ينادي مناديه: لا تقتل مدبرا، ولا تذفف على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن، ولم يقتل بعد آن واحدا.

فلما اطمأن الناس بعث علي بعائشة مع نساء من أهل العراق إلى المدينة، وأقام بالبصرة خمسة عشر يوما ثم خرج إلى الكوفة، وولى على البصرة عبد الله بن عباس، وولى الولاة في البلدان، وكتب إلى المدن بالقرار والطاعة.

ثم إن أبا مسلم الخولاني قال لمعاوية: على ما تقاتل عليا وهو ابن عم رسول الله ﷺ وله من القدم والسابقة ما ليس لك وإنما أنت رجل من الطلقاء؟ فقال له معاوية: أجل! والله ما نقاتل عليا، وأنا [لست] أدعي في الإسلام مثل الذي له، ولكن أقاتله على دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنا أطلبه بدمه، فقال أبو مسلم: إني أستخبر لك عن ذلك، فركب راحلته وانتهى إلى الكوفة، ثم نزل عن راحلته وأتى عليا ماشيا والناس عنده ولا يعرفه أحد، فقال: من قتل عثمان؟ فقال علي: الله قتل عثمان وأنا معه، فخرج أبو مسلم ولم يتكلم، ومضى حتى انتهى إلى راحلته فركبها، ولحق بالشام فانتهى إلى معاوية وهو يثقل، فقيل له: هذا أبو مسلم قد جاء، فعانقه معاوية وسأله عن سفره وخاف أن يكون قد جاء بشيء مما يكره، فقال أبو مسلم: والله لتقاتلن عليا أو لنقاتلنه، فإنه قد أقر بقتل أمير المؤمنين عثمان، فقام معاوية فرحا وصعد المنبر واجتمع إليه الناس وحمد الله وأثنى عليه، وقام أبو مسلم خطيبا وحرض الناس على قتال علي؛ فصح خروج أهل الشام قاطبة على علي وطلبهم إياه بدم عثمان.

ثم إن حجر بن الأدبر قدم على علي فقال: يا أمير المؤمنين! الجماعة والعدد والمال مع الأشعث بن قيس بآذربيجان فابعث إليه فليقدم، فكتب إليه علي «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس، أما بعد! فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم واحمل ما غللت من المال». فكتب إليه الأشعث بن قيس «أما بعد! فقد جاءني كتابك بأن أقدم عليك وأحمل ما غللت من مال الله، فما أنت وذاك! والسلام»، ثم قال الأشعث: والله! لأدعنه بحال مضيعة، ولأفسدن عليه الكوفة، ثم ارتحل من آذربيجان وهو يريد معاوية، وبلغ ذلك عليا وشق عليه خروجه إلى معاوية، فقال حجر بن الأدبر: يا أمير المؤمنين! ابعثني إلى الأشعث بن قيس فأنا أعرف به وأرفق، وإن هو خوشن لم يجب أحدا، قال له علي: سر إليه، فسار حجر إليه فأدركه بشهرزور فقال له حجر: يا أبا محمد! أنشدك الله أن تأتي معاوية وتدع ابن عم رسول الله ﷺ، فقال الأشعث: أوما سمعت كتابه إليّ؟ فقال حجر: إنك [إن] أتيت معاوية أقبلنا جميعا إلى الشام، وأنشدك الله ألا نظرت إلى أيتام قومك وأياماهم! فإني لا آمن أن يفتضحوا غدا، قال: فما تريد يا حجر؟ قال: تنحدر معي إلى الكوفة، فإنك شيخ العرب وسيدها والمطاع في قومك، وسيصير إليك الأمر، فلم يزل به حجر حتى قال: ليصرفوا صدور الركائب إلى الكوفة، فتقدم على علي فسرّ علي بمجيئه فقال: مرحبا وأهلا بأبي محمد على عجلته، فقال: أمير المؤمنين! إن هذا ليس بيوم عتاب، ثم أقام مع علي بالكوفة. وحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر علي ولاه.

وفي السنة السابعة والثلاثون:

كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب «أما بعد فإن الله اصطفى محمدا ﷺ بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، واختار [له] من المسلمين أعوانا، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، كان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة بعده وخليفة خليفته والخليفة المظلوم المقتول - رحمة الله عليهم! وقد ذكر لي أنك تنتفي من دمه، فإن كنت صادقا فأمكنا ممن قتله

حتى نقتله به، ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة، وإلا فإنه ليس لك ولا لأحد من أصحابك عندنا إلا السيف، والذي لا إله غيره! لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال حتى يقتلهم الله أو تلحق أرواحنا بعثمان- والسلام».

فكتب إليه عليٌ «بسم الله الرحمن الرحيم- من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان - أما بعد فإن أخا خولان قدم عليَّ بكتاب منك يذكر فيه محمدا ﷺ، وما أنعم الله عليه من الهدى، والحمد لله على ذلك، وأما ما ذكرت من ذكر الخلفاء فلعمري إن مقامهم في الإسلام كان عظيما، وإن المصاب بهم لجرح عظيم في الإسلام، وأما ما ذكرت من قتلة عثمان فإني قد نظرت في هذا الأمر فلم يسعني دفعهم إليك، وقد كان أبوك أتاني حين ولّى الناسُ أبا بكر فقال لي: يا علي! أنت أحق الناس بهذا الأمر بعد رسول الله ﷺ، وهات يدك حتى أبايعك، فلم أفعل مخافة الفرقة في الإسلام، فأبوك أعرف بحقي منك، فإن كنت تعرف من حقي ما كان يعرفه أبوك فقد قصدت رشدك، وإن لم تفعل فسيغني الله عنك- والسلام.

فلما قرأ معاوية الكتاب تهيأ هو ومن معه على المسير إلى عليٍ ثم سار يريد العراق، وسار عليٌ من العراق، وصلى الظهر بين القنطرة والجسر ركعتين، وبعث على مقدمته شريح بن هانيء وزياد بن النضر بن مالك، أمر أحدهما أن يأخذ على شط دجلة والآخر على شط الفرات، معهما أكثر من عشرة آلاف نفس، واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري، ثم أخذ عليٌّ طريق الفرات وجعل يقول: إذا سمعتموني أقول «قال رسول الله ﷺ » فهو كما أقول، وإذا لم أقل «قال رسول الله ﷺ » فإنما الحرب خدعة؛ فالتقى عليٌ وأهلُ الشام بصفين لسبع بقين من المحرم، فقام عليٌ خطيبا في الناس فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض، وإن أبرم أمرا لم ينقضه الناقضون، مع أن لله- وله الحمد- لو شاء لم يختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ وقد ساقتنا وهؤلاء المقادير حتى

جمعت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمنظر ومستمع، ولو شاء الله لجعل الانتقام، وكان منه التغييرحتى يتبين أهل الباطل ويعلم أهل الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة هي دار القرار لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا- الآية، ألا! إنكم تلقون عدوكم غدا فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا فيها تلاوة القرآن، وسلوه النصر، وعليكم بالجد والحزم وكونوا صادقين.

ثم قعد فوثب الناس إلى سيوفهم يهيؤونها، وإلى رماحهم يثقفونها، وإلى نبالهم يريشونها، ثم جعل [على] مقدمته شريح بن هانىء الحارثي والأشتر، وعلى الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء، وعلى الساقة زياد بن النضر، وعلى ميمنة الرجالة سليمان بن صرد الخزاعي.

ثم قام معاوية خطيبا في أهل الشام واجتمع الناس فقال: الحمد لله الذي دنا في علوه وعلا في دنوه، وظهر وبطن فارتفع فوق كل منظر أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، يقضي فيفصل، ويقدر فيغفر، ويفعل ما يشاء، وإذا أراد أمرا أمضاه، وإذا عزم على أمر قضاه، لا يؤامر أحدا فيما يملك ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا، ثم كانت من قضاء الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه الرقعة من الأرض، ولفّت بيننا وبين أهل العراق، فنحن من الله بمنظر ومستمع، وقد قال الله وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا- الآية، فانظروا يا أهل الشام، فإنما تلقون غدا العدو، فكونوا على إحدى ثلاث خلال:

- إما قوما تطلبون ما عند الله بقتالكم قوما بغوا عليكم.
- وإما قوما تطلبون بدم الخليفة عثمان فإنه خليفتكم وصهر نبيكم.
- وإما قوما تدفعون عن نسائكم وذراريكم.

وعليكم بتقوى الله والصبر الجميل! نسأل الله لنا ولكم النصر، وأن يفرغ علينا وعليكم الصبر، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين؛ فأجابه أهل

الشام: طب نفسا! نموت معك ونحيى معك، ثم جعل معاوية أبا الأعور عمرو ابن سفيان السلمي على مقدمته، وحبيب بن مسلمة الفهري على ميمنته، وبسر ابن أرطاة على ميسرته، ومسلم بن عقبة على رجالة العسكر؛ فلما كان الغد اقتتلوا قتالا شديدا، فحجز بينهم الليل حتى قاتلوا ثلاثة أيام؛ فقتل من أصحاب علي بالمبارزة: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن بديل ابن ورقاء، وعمار بن حنظلة الكندي، وبشر بن زهير، ومالك بن كعب العامري، وطالب بن كلثوم الهمداني، والمرتفع بن وضاح الزبيدي، وشريح بن طارق البكري، وأسلم بن يزيد الحارثي، والحارث بن اللجاج الحكمي، وعائذ بن كريب الهلالي، وواصل بن ربيعة الشيباني، وعائذ بن مسروق الهمداني، ومسلم ابن سعيد الباهلي، ومحارب بن ضرار المرادي، وسليمان بن الحارث الجعفي، وشرحبيل بن يزيد الحضرمي.

وقتل من أصحاب معاوية في المبارزة: شرحبيل بن منصور، وعبد الرزاق ابن خالد العبسي، وشريح بن الحارث الكلابي، وصالح بن المغيرة الجمحي، وحريث بن الصباح الحميري، والحارث بن وداعة الحميري، وروق بن الحارث العكي، والمطاع بن المطلب القيني، وجلهمة بن هلال الكلبي، والوضاح بن أزهر السكسكي، ووزاع بن سلامان الغساني، والمهاجر بن حنظلة الجعفي، وعبد الله بن جرير العكي، ومالك بن وديعة القرشي؛ سوى من قتل من الفريقين [من] غير براز.

ولما قتل عمار أتى عبد الله بن عمرو معاوية فقال: قتل عمار، فقال عمرو ابن العاص: قتل عمار! فما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» ! فقال معاوية: أنحن قتلناه! إنما قتله أهل العراق، جاءوا به فطرحوه في سيوفنا ورماحنا، وقد قيل: إنه قتل بصفين سبعون ألفا: من أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفا. فلما اشتدت البلاء بالفريقين، وكثر بينهم القتلى قال عمرو بن العاص لمعاوية: إن هذا الأمر لا يزداد إلا شدة،

فهل لك إلى أمر لا يزداد القوم به إلا فرقة، إن أعطونا اختلفوا وإن منعونا اختلفوا؟ فقال معاوية: ما هو؟ فقال: المصاحف نرفعها وندعوهم بما فيها، فإنهم لا يقاتلون إلا على ما قد علمت؛ فقال معاوية: افعل ما رأيت، فأمر بالمصاحف فرفعت في الرماح ثم جعلوا ينادون: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه؛ فسر الناس به وكرهوا القتال، وأجابوا إلى الصلح، وأنابوا إلى الحكومة، وقالوا لعلي: إن القوم يدعونك إلى الحق وإلى كتاب الله، فإن كرهنا ذلك فنحن إذا مثلهم، فقال علي: ويحكم! ما ذلك يريدون ولا يفعلون؛ ثم مشى الناس بعضهم إلى بعض وأجابوا الصلح والحكومة، وتفرقوا إلى دفن قتلاهم، ولم يجد علي بدا من أن يقبل الحكومة لما رأى من أصحابه، فحكم أهل الشام عمرو بن العاص، وأراد على أن يحكم ابن عباس فقال الأشعث بن قيس- وهو يومئذ سيد الناس: لا يحكم في هذا الأمر رجلان من قريش، ولا افترق الفريقان على هذا الجمع على حكومة بعد أن كان من القتال بينهما ما كان إلا وأحد الحكمين منا؛ وتبعه أهل اليمن على ذلك، ثم قال الأشعث: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري، وكتبوا بينهم كتابي الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم- هذا ما تقاضى عليه

علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المسلمين أنا ننزل على حكم الله وكتابه، فما وجد الحكمان في كتاب الله فبهما يتبعانه، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة تجمعهما، وهما آمنان على أموالهما وأنفسهما وأهاليهما، والأمة أنصار لهما على الذي يقضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين- والطائفتان كلتاهما عليهما- عهد الله وميثاقه أن يفيا بما في هذه الصحيفة على أن بين المسلمين الأمن ووضع السلاح، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكما بين الناس بما في هذه الصحيفة، على أن الفريقين جميعا يرجعان سنة، فإذا انقضت السنة إن أحبا أن يردا ذلك ردا،

وإن أحبا زادا فيهما ما شاء الله، اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة».

✍وشهد على الصحيفة فريق عشرة أنفس.

✍فشهد من أصحاب علي:

الأشعث بن قيس، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن قيس الهمداني، وحجر بن الأدبر الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعبد الله بن محل العجلي، ووقاء بن سمي البجلي، وعقبة بن زيد الأنصاري، ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن أوس الرحبي.

✍وشهد من أهل الشام:

أبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة الفهري، والمخارق ابن الحارث الزبيدي، وعلقمة بن يزيد الحضرمي، وسبيع بن يزيد الحضرمي وزمل بن عمرو العذري، ويزيد بن الحر العبسي، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعتبة بن أبي سفيان.

✍وكتب يوم الأربعاء سنة سبع وثلاثين.

فانصرف عليٌ بمن معه من أهل العراق، وانصرف معاوية بمن معه إلى الشام، فقال عبد الله بن وهب الحرمي وكان من أصحاب علي: لا حكم إلا لله، فقال علي: هذه كلمة حق أريد بها باطل. فلما دخل علي الكوفة خرج من كان يقول: لا حكم إلا لله، ونزلوا بحروراء وهم قريب من اثني عشر ألفا، فسموا الحرورية، ومناديهم ينادي: أمير القتال شبث بن ربعي التميمي، والأمر بعد الفتح شورى، والبيعة لله. ومات خباب بن الأرت بالكوفة.

فخرج علي من صفين، وولى علي سهل بن حنيف فارس، فأخرجه أهل فارس، فوجه زيادا فرضوا وصالحوه وأدوا إليه الخراج.

ثم إن الخوارج اجتمعت على زيد بن حصين وقالوا له: أنت سيدنا وشيخنا وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة، تول أمرنا، وجهروا به فقال: ما كنت لأفعلها، فلما أبى عليهم ذلك ذهبوا إلى يزيد بن عاصم المحاربي فعرضوا عليه أمرهم فأبى عليهم ذلك، ثم ذهبوا إلى سعد بن وائل التميمي فأبى عليهم، فأتوا عبد الله بن وهب الراسبي واجتمعوا عنده بقرب النهروان، وخرج إليهم علي في جمعية، فلما أتاهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم أيها القوم قد علمتم وعلم الله أني كنت للحكومة كارها حتى أشرتم عليّ بها وغلبتموني عليها والله بيني وبينكم شهيد! ثم كتبنا بيننا وبينهم كتابا وأنتم على ذلك من الشاهدين، فقالت طائفة من القوم: صدقت- ورجعوا إلى الجماعة، وبقيت طائفة منهم على قولهم، فقال علي: هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، منهم أهل النهروان ورب الكعبة»

! ثم إنهم عبروا الجسر إلى علي ليحاربوه، فلما عبروا الجسر نادى علي في العسكر: استقبلوهم، فاستقبلوهم والتقطوهم بالرماح، فكان مع علي جميعة يسيرة، إنما جاء علي أن يردهم بالكلام، وقد كانت الخوارج قريبا من خمسة آلاف؛ فلما فرغوا من قتلهم قال علي: اطلبوا لي المخدع، فطلبوه فلم يجدوه فقال: اطلبوا المخدع، فو الله ما كذبت ولا كذبت، ثم دعا ببغلته البيضاء فركبها وجعل يقلب القتلى حتى أتى على فضاء من الأرض فقال: قلبوا هؤلاء، فإذا هم برجل ليس له ساعد، بين جنبيه ثدي فيه شعرات، إذا مدت امتدت، وإذا تركت قلصت، فقال علي: الله أكبر! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم فيهم رجل مخدع اليد» ولولا أن تنكلوا عن العمل لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمد ﷺ ؛ ثم حج بالناس عبد الله بن عباس.

وفي السنة الثامنة والثلاثون: اجتمعوا لميعادهم مع الحكمين بأذرح، وحضر فيهم من أهل المدينة سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن الزبير، وابن عمر، ولم يخرج علي بنفسه، ووافى معاوية في أهل الشام وكان بينه وبين أبي موسى

الأشعري ما كان وافترق الناس ورجعوا إلى أوطانهم، وندم عبد الله بن عمر على حضوره أذرح، فأحرم من بيت المقدس تلك السنة ورجع إلى مكة.

واستشار معاوية أصحابه في محمد بن أبي بكر وكان واليا على مصر، فأجمعوا على المسير إليه، فخرج عمرو بن العاص في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي ومعاوية بن حديج، فالتقوا بالمسنّاة وقاتلوا قتالا شديدا، وقتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، وانهزم محمد بن أبي بكر وقاتل حتى قتل، وقد قيل: إنه أدخل في جوف حمار ميت، ثم أحرق بالنار، فلما بلغ عليا سرور معاوية بقتله قال: لقد حزنا عليه بقدر سرورهم بقتله، ثم ولى علي الأشتر على مصر. ومات صهيب بن سنان.

فلما بلغ معاوية خبر مسير الأشتر إلى مصر قال: إنه ليأتي وعامة أهل مصر أهل اليمن وهو يماني، وكتب إلى دهقان بالعريش: إن احتلت في الأشتر فلك علي أن أخرج خراجك عشرين سنة، فقدم الأشتر على امرأة من حمير يقال لها ليلى بنت النعمان، فتلطف له الدهقان وسأله: أي الشراب أحب إليك؟ قال: العسل، قال: عندي عسل من عسل برقة لم ير مثله، ثم قدمته إليه فسقته منه، فمات من ساعته، فبلغ ذلك معاوية فقال: إن لله جنودا من العسل. ومات صفوان ابن بيضاء في رمضان وكان قد شهد بدرا، ومات سهل بن حنيف بالكوفة وصلي عليه. وحج بالناس قثم بن العباس.

وفي السنة التاسعة والثلاثون: استعمل علي يزيد بن حجية التميمي على الري، ثم كتب إليه بعد مدة أن أقدم، فقدم على علي فقال له: أين ما غللت من مال الله؟ قال: ما غللت، فخفقه بالدرة خفقات وحبسه في داره، فلما كان في بعض الليالي قرب يزيد البواب وما حله، ولحق بالرقة وأقام بها حتى أتاه إذن بمعاوية، فلما بلغ عليا لحوقه معاوية قال: اللهم! إن يزيد أذهب بمال المسلمين ولحق بالقوم الظالمين، اللهم! فاكفنا مكره وكيده.

ثم وجه معاوية خيلا فيهم الضحاك بن قيس الفهري، وسفيان بن عوف الدابري، فأغار سفيان على الأنبار وفيها مسلحة لعلي، فلما بلغ عليا خروجهم

خرج من بيته والناس في المسجد، فلما رأوه «٤» صاحوا، قال: اسكتوا اسكتوا! فلما سكتوا قال: شاهت الوجوه! شاهت الوجوه! إن قلت نعم، قلتم: لا، وإن قلت: لا، قلتم: نعم، إن استنفرتكم في الحر قلتم: الحر شديد فإذا جاء الشتاء نفرنا، وإذا جاء الشتاء واستنفرتكم قلتم: البرد شديد وإذا كان الصيف نفرنا، إن عدوكم يجد من الهناء ما تجدون، ولكن لا رأي لمن لا يطاع، وددت أن لي بجماعتكم ألف فارس.

ثم بعث معاوية بسربن أرطاة- أحد بني عامر بن لؤي- في جيش من أهل الشام إلى المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري، فهرب منه أبو أيوب ولحق عليا بالكوفة، ولم يقاتله أحد بالمدينة حتى دخلها، فصعد منبر رسول الله ﷺ وجعل ينادي: يا أهل المدينة! والله لولا ما عهد إلي أمير المؤمنين معاوية ما تركت فيها محتلما إلا قتلته! فبايع أهل المدينة معاوية، وأرسل إلى بني سلمة: ما لكم عندي أمان حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فدخل جابر بن عبد الله على أم سلمة وقال: يا أماه! إني خشيت على دمي، وهذه بيعة ضلالة، فقالت: أرى أن تبايع، فخرج جابر بن عبد الله فبايع بسر بن أرطاة لمعاوية كارها، ثم خرج بسر حتى أتى مكة، فخافه أبو موسى الأشعري وكان والي مكة لعلي، وتنحى عن مكة حتى دخلها، ثم مضى إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عامل علي، فلما سمع به عبيد الله هرب، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان، وكانت ابنته تحت عبيد الله بن عباس. فلما قدم بسر اليمن قتل عبد الله بن عبد المدان، وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب- من أحسن الصبيان- صغيرين كأنهما درتان، ففعل بهما ما فعل.

فلما حضر الموسم بعث عليٌ على الحج عبد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي، فاجتمعا بمكة وتنازعا وأبى كل واحد منها أن يسلم لصاحبه إقامة الحج، فاجتمع الناس على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، فحج بالناس شيبة بن عثمان.

وفي السنة الأربعون: بلغ الخبر عليا بما فعل بسر بن أرطاة باليمن وما كان من أمر بني عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب خطبهم وقال: لقد خفت أن يظهر مولى القوم عليكم، وما يظهرون عليكم بأن يكونوا بالحق أولى منكم، ولكن بصلحهم في بلادهم وفسادكم في بلادكم، واجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وأدائهم الأمانة وخيانتكم، والله والله لو استعملت فلانا لخان وغدر- ثلاثا! ولو بعثه معاوية لم يخنه ولا غدره، اللهم! قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، وكرهتهم وكرهوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، وأبدلني بمن هو خير لي منهم وأبدلهم بمن هو شر لهم مني.

مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكان السبب في ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي أبصر امرأة من بني تيم الرباب يقال لها قطام، وكانت من أجمل أهل زمانها، وكانت ترى رأي الخوارج، فولع بها فقالت: لا أتزوج بك إلا على ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك ذلك، فتزوجها وبنى بها فقالت له: يا هذا! قد عرفت الشرط، فخرج عبد الرحمن بن ملجم ومعه سيف مسلول حتى أتى مسجد الكوفة وخرج علي من داره وأتى المسجد وهو يقول: أيها الناس! الصلاة الصلاة! أيها الناس! الصلاة الصلاة! وكانت تلك ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، فصادفه عبد الرحمن بن ملجم من خلفه ثم ضربه بالسيف ضربة من قرنه إلى جبهته، وأصاب السيف الحائط فثلم فيه، ثم ألقى السيف من يده، وأقبل الناس عليه فجعل ابن ملجم يقول للناس: إياكم والسيف فإنه مسموم، وقد سمه شهرا، فأخذوه، ورجع علي بن أبي طالب إلى داره، ثم أدخل عليه عبد الرحمن بن ملجم فقالت له أم كلثوم بنت علي: يا عدو الله! قتلت أمير المؤمنين! فقال: لم أقتل إلا أباك، فقالت: إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين من بأس، فقال عبد الرحمن بن ملجم: فلم تبكين إذا؟ فو الله سممته شهرا! فإن أخلفني أبعده الله

وأسحقه، فقال علي: احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو أو قصاص، وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين.

فمات علي بن أبي طالب غداة يوم الجمعة، فأخذ عبد الله بن جعفر والحسن ابن علي ومحمد بن الحنفية عبد الرحمن بن ملجم، فقطعوا يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم، ثم كحلوا عينيه بملمول محمي، ثم قطعوا لسانه وأحرقوه بالنار؛ وكان لعلي يوم مات اثنتان وستون سنة،

✍وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر.

✍قال ابن حبان: واختلفوا في موضع قبره ولم يصح عندي شيء من ذلك فأذكره، وقد قيل: إنه دفن بالكوفة في قصر الإمارة عند مسجد الجماعة، وهو ابن ثلاث وستين.

✍ثم قام الحسن بعد دفن أبيه خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد مات فيكم رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون! لقد كان رسول الله ﷺ ليبعثه بالبعث ويعطيه الراية فما يرجع حتى يفتح الله عليه، يقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ولا ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما.

٥/ **طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمَانَ بنِ عَمْرٍو:**

ابْنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ القُرَشِيُّ، التَّيْمِيُّ، المَكِّيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ.

✍لَهُ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

✍قال الذهبي في السير: لَهُ فِي (مُسْنَدِ بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ) بِالمُكَرَّرِ: ثَمَانِيَةٌ وَثَلاَثُوْنَ حَدِيْثاً.

وَلَهُ حَدِيْثَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا، وَانْفَرَدَ لَهُ البُخَارِيُّ بِحَدِيْثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِثَلاَثَةِ أَحَادِيْثَ.

حَدَّثَ عَنْهُ: بَنُوْهُ؛ يَحْيَى، وَمُوْسَى، وَعِيْسَى، وَالسَّائِبُ بنُ يَزِيْدَ، وَمَالِكُ بنُ أَوْسِ بنِ الحَدَثَانِ، وَأَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ، وَقَيْسُ بنُ أَبِي حَازِمٍ، وَمَالِكُ بنُ أَبِي عَامِرٍ الأَصْبَحِيُّ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ التَّمِيْمِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَآخَرُوْنَ.

صفته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ مَنْدَةَ: كَانَ رَجُلاً آدَمَ، كَثِيْرَ الشَّعْرِ، لَيْسَ بِالجَعْدِ القَطَطِ، وَلاَ بِالسَّبْطِ، حَسَنَ الوَجْهِ، إِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَلاَ يُغَيِّرُ شَعْرَهُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ المُنْذِرِ الحِزَامِيُّ: عَنْ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ عِمْرَانَ، حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، حَدَّثَنِي مُوْسَى بنُ طَلْحَةَ، قَالَ: كَانَ أَبِي أَبْيَضَ يَضْربُ إِلَى الحُمْرَةِ، مَرْبُوْعاً، إِلَى القِصَرِ هُوَ أَقْرَبُ، رَحْبَ الصَّدْرِ، بَعِيْدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، ضَخْمَ القَدَمَيْنِ، إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيْعاً.

إسلامه وبلاؤه:

قال الذهبي في السير: كَانَ مِمَّنْ سَبَقَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأُوْذِيَ فِي اللهِ، ثُمَّ هَاجَرَ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ غَابَ عَنْ وَقْعَة بَدْرٍ فِي تِجَارَةٍ لَهُ بِالشَّامِ، وَتَأَلَّمَ لِغَيْبَتِهِ، فَضَرَبَ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِسَهْمِهِ، وَأَجره.

وهو أحدُ الخمسة الذين أسلموا مِن سادات الصحابة على يدي أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم: عثمانُ، وعبدُ الرحمن بن عوف، والزبيرُ بن العوام، وسعدُ بن أبي وقاص.

كان يُقال له ولأبي بكر: القرينانِ، لأن نوفلَ بن خُويلد بنِ العَدَوية أخذهما، فقرنهما في حبل واحدٍ حين بلغه إسلامُهُما، ولم يمنَعْهُما بنو تَيْم.

وهو أحدُ الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.

✍وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة.

✍وأحدُ الستة أصحاب الشورى الذين نَص عليهم عُمَرُ، وقال: تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

شَهِدَ المشاهد كُلها مَعَ رسولِ الله ﷺ إلا بدراً، فإنه كان بالشام، فضَرَبَ له رسولُ

الله ﷺ بسهمه وأجره.

✍وأبلَى يومَ أحدٍ بلاءً حسنًا، وأصيبت يدُه يومئذٍ، ورقاها رسولُ الله ﷺ، وكان جماعة من الصحابة يقولون عن يوم أحد: ذاك يوم كله لِطلحة، ولما طأطأ لِرسول الله ﷺ لِينهضَ على تلك الصخرةِ يومَ أحدٍ قال: "**أوجب طلحةُ**".

✍وكان يُقال له: طلحةَ الخير، وطلحةَ الجُود، وطلحةَ الفَيَّاض.

✍قَالَ الحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ بنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَتِهِ: كَانَ طلحة مَعَ عُمَرَ لَمَّا قَدِمَ الجَابِيَةَ، وَجَعَلَهُ عَلَى المُهَاجِرِيْنَ.

✍أخرج البخاري (٣٧٢٤) في فضائل الصحابة و(٤٠٦٣) في المغازي، باب: غزوة أحد.

قَالَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ: عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ شَلاَّءَ.

✍وفي سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢٠١) عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّام قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» قال الألباني: حديث حسن.

✍أخرج النسائي ٦ / ٢٩ - ٣٠ في الجهاد: باب ما يقول من يطعنه العدو.برقم(٣١٤٩)- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ،

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمَا أَنْتَ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**أَنْتَ فَقَاتَلَ**»، حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: «**كَمَا أَنْتَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَنْتَ فَقَاتَلَ**»، حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِلْقَوْمِ؟**» فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ، فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ**» قال الألباني: حديث حسن من قوله (فقطعت أصابعه)وما قبله يحتمل التحسين وهو على شرط مسلم.

✍أخرج البخاري (٣٧٢٣) في الفضائل، و(٤٠٦٠) و(٤٠٦١) في المغازي، باب: غزوة أحد.

قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي كَانَ يُقَاتِلُ بِهَا رَسُوْلُ اللهِ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيْثِهِمَا.

✍أخرج ابْنُ سَعْدٍ فِي " الطبقات " ٣ / ١ / ١٥٥.: عَنْ عَائِشَةَ، وَأُمِّ إِسْحَاقَ بِنْتَيْ طَلْحَةَ، قَالَتَا: جُرِحَ أَبُوْنَا يَوْمَ أُحُدٍ أَرْبَعاً وَعِشْرِيْنَ جِرَاحَةً، وَقَعَ مِنْهَا فِي رَأْسِهِ شَجَّةٌ مُرَبَّعَةٌ، وَقُطِعَ نِسَاهُ -يَعْنِي العِرْقَ- وَشُلَّتْ أُصْبُعُهُ، وَكَانَ سَائِرُ الجِرَاحِ فِي جَسَدِهِ، وَغَلَبَهُ الغَشْيُ، وَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَكْسُوْرَة رَبَاعِيَتُهُ، مَشْجُوْجٌ فِي وَجْهِهِ، قَدْ عَلاَهُ الغَشْيُ، وَطَلْحَةُ مُحْتَمِلُهُ يَرْجِعُ بِهِ القَهْقَرَى، كُلَّمَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِيْنَ، قَاتَلَ دُوْنَهُ، حَتَّى أَسْنَدَهُ إِلَى الشِّعْبِ.

✍وَفِي (صَحِيح مُسْلِم) برقم (٢٤١٧) في الفضائل مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءَ هُوَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: (**اهْدَأْ! فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيْقٌ، أَوْ شَهِيْدٌ**).

أخرج ابن سعد ٣ / ١ / ١٥٧، والطبراني في " الكبير " (١٩٤)، وأبو نعيم في " الحلية " ١ / ٨٨. عنْ قَبِيْصَةَ بنِ جَابِرٍ، قَالَ: صَحِبْتُ طَلْحَةَ، فَمَا رَأَيْتُ أَعْطَى لِجَزِيْلِ مَالٍ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ.

جوده وسخاوة نفسه :

وأخرج الفسوي مطولا في " المعرفة والتاريخ " ١ / ٤٥٨، والطبراني في " الكبير " (١٩٥) وأبو نعيم في " الحلية " ١ / ٨٨، وهو عند ابن سعد ٣ / ١ / ١٥٧. والهيثمي في " المجمع " ٩ / ١٤٨ وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات. عن سُعْدَى بِنْتُ عَوْفٍ المُرِّيَّةُ، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى طَلْحَةَ يَوْماً وَهُوَ خَاثِرٌ (ثقيل النفس).

فَقُلْتُ: مَا لَكَ، لَعَلَّ رَابَكَ مِنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ؟

قَالَ: لاَ وَاللهِ، وَنِعْمَ حَلِيْلَةُ المُسْلِمِ أَنْتِ، وَلَكِنْ مَالٌ عِنْدِي قَدْ غَمَّنِي.

فَقُلْتُ: مَا يَغُمُّكَ؟ عَلَيْكَ بِقَوْمِكَ.

قَالَ: يَا غُلاَمُ! ادْعُ لِي قَوْمِي، فَقَسَّمَهُ فِيْهِم.

فَسَأَلْتُ الخَازِنَ: كَمْ أَعْطَى؟

قَالَ: أَرْبَعَ مَائَةِ أَلْفٍ.

مقتله : رضي الله عنه :

أخرج الحاكم ٣ / ٣٧٢، وفيه " في طلب دمه " بدل " وطلب دمه " وسكت الحاكم عنه.و قال الذهبي في مختصره: سنده جيد..عن مُوْسَى بنُ عُقْبَةَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ بنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَائِشَةُ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، عَرَّجُوا عَنْ مُنْصَرَفِهِمْ بِذَاتِ عِرْقٍ، فَاسْتَصْغَرُوا عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ، وَأَبَا بَكْرٍ بنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَرَدُّوْهُمَا.

قَالَ: وَرَأَيْتُ طَلْحَةَ، وَأَحَبُّ المجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلاَهَا، وَهُوَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِهِ عَلَى زَوْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنِّي أَرَاكَ وَأَحَبُّ المجَالِسِ إِلَيْكَ أَخْلاَهَا، إِنْ كُنْتَ تَكْرَهُ هَذَا الأَمْرَ فَدَعْهُ.

فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةَ! لاَ تَلُمْنِي، كُنَّا أَمْسِ يَداً وَاحِدَةً عَلَى مَنْ سِوَانَا، فَأَصْبَحْنَا اليَوْمَ جَبَلَيْنِ مِنْ حَدِيْدٍ، يَزْحَفُ أَحَدُنَا إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنِّي شَيْءٌ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ مِمَّا لاَ أَرَى كَفَّارَتَهُ إِلاَّ سَفْكَ دَمِي، وَطَلَبَ دَمِهِ.

أخرج البخاري في " التاريخ الصغير " ١ / ٧٥ قال: حَدَّثَنَا مُوْسَى بنُ أَعْيَنَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ فِي حَدِيْثِ عَمْرِو بنِ جَاوَانَ، قَالَ: التَقَى القَوْمُ يَوْمَ الجَمَلِ، فَقَامَ كَعْبُ بنُ سُورٍ مَعَهُ المُصْحَفُ، فَنَشَرَهُ بَيْنَ الفَرِيْقَيْنِ، وَنَاشَدَهُمُ اللهَ وَالإِسْلاَمَ فِي دِمَائِهِمْ، فَمَا زَالَ حَتَّى قُتِلَ. وَكَانَ طَلْحَةُ أَوَّلَ قَتِيلٍ.

قُتِل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومَ وَقْعة الجَمَل في العاشر من جُمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد استكْمَل من العمر يومئذٍ أربعـاً وستين سنة.

أخرج ابن سعد ٣ / ١ / ١٥٩، والحاكم ٣ / ٣٧٠. إسناده صحيح. عن وَكِيْعٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ:

رَأَيْتُ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ حِيْنَ رَمَى طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَوَقَعَ فِي رُكْبَتِهِ، فَمَا زَالَ يَنْسَحُّ حَتَّى مات.

قَالَ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ في تاريخه ص: ١٨١، والحاكم ٣ / ٣٧١ من طريق: الحسين بن يحيى المروزي، عن غالب بن حليس الكلبي أبي الهيثم، عن جُوَيْرِيَةَ بنَ أَسْمَاءَ، عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ، عَنْ عَمِّهِ: أَنَّ مَرْوَانَ رَمَى طَلْحَةَ بِسَهْمٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبَانَ، فَقَالَ: قَدْ كَفَيْنَاكَ بَعْضَ قَتَلَةِ أَبِيْكَ.

قَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، عَنْ مُوْسَى بنِ طَلْحَةَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَهُ: كَمْ تَرَكَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنَ العَينِ؟

قَالَ: تَرَكَ أَلْفَي أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمَائَتَي أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمِنَ الذَّهَبِ مَائَتَي أَلْفِ دِيْنَارٍ، وَقُوِّمَتْ أُصُوْلُهُ وَعَقَارُهُ ثَلاَثِيْنَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وَرَوَى: سَعِيْدُ بنُ عَامِرٍ الضُّبَعِيُّ، عَنِ المُثَنَّى بنِ سَعِيْدٍ قَالَ:

أَتَى رَجُلٌ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ فَقَالَ: رَأَيْت طَلْحَةَ فِي المَنَامِ، فَقَالَ:

قُلْ لِعَائِشَةَ تُحَوِّلَنِي مِنْ هَذَا المَكَانِ، فَإِنَّ النَّزَّ قَدْ آذَانِي.

فَرَكِبَتْ فِي حَشَمِهَا، فَضَرَبُوا عَلَيْهِ بِنَاءً وَاسْتَثَارُوْهُ.

قَالَ: فَلَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ إِلاَّ شُعَيْرَاتٌ فِي إِحْدَى شِقَّيْ لِحْيَتِهِ -أَوْ قَالَ: رَأْسِهِ- وَكَانَ بَيْنَهُمَا بِضْعٌ وَثَلاَثُوْنَ سَنَة.

وحكَى المَسْعُوْدِيُّ: أَنَّ عَائِشَةَ بِنْتَهُ هِيَ الَّتِي رَأَتِ المَنَامَ.

وَكَانَ قَتْلُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ، فِي جُمَادَى الآخِرَةِ.

روى الطبراني في " الكبير " (١٩٩) أن طلحة قتل وسنه أربع وستون ودفن بالبصرة في ناحية ثقيف.ولكن في سنده الواقدي، وهو متروك وانظر " المجمع " ٩ / ١٢٠..

قَالَ يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ، وَخَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ، وَأَبُو نَصْرٍ الكَلاَبَاذِيُّ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَ طَلْحَةَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ.

وَلِطَلْحَةَ أَوْلاَدٌ نُجَبَاءُ، أَفْضَلُهُمْ: مُحَمَّدٌ السَّجَّادُ.كَانَ شَابّاً، خَيِّراً، عَابِداً، قَانِتاً لِلِّهِ.

وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قُتِلَ يَوْمَ الجَمَلِ أَيْضاً، فَحَزِنَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ وَقَالَ: صَرَعَهُ بِرُّهُ بِأَبِيْهِ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: عَاشَ حَمِيْداً، سَخِيّاً، شَرِيْفاً، وَقُتِلَ فَقِيْداً، ﷺ.

وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِيُّ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ:

أَيَا سَائِلِي عَنْ خِيَارِ العِبَادِ … صَادَفْتَ ذَا العِلْمِ وَالخِبْرَه

خِيَارُ العِبَادِ جَمِيعًا قُرَيْشٌ ... وَخَيْرُ قُرَيْشٍ ذَوُو الهِجْرَه
وخَيْرُ ذَوِي الهِجْرَةِ السَّابِقُونَ ... ثَمَانِيَةٌ وَحْدَهُمْ نَصَرَه
عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ ثُمَّ الزُّبَيْرُ ... وَطَلْحَةُ وَاثْنَانِ مِنْ زُهْرَهْ
وبَرَّانِ قَدْ جَاوَرَا أَحْمَدًا ... وَجَاوَرَ قَبْرُهُمَا قَبْرَه
فَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ فَاخِرًا ... فَلَا يَذْكُرَنْ بَعْدَهُمْ فَخْرَه

❊❊❊

٦/ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى:

ابْنِ قُصَيٍّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ.

حَوَارِيُّ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَحَدُ العَشَرَةِ المَشْهُوْدِ لَهُم بِالجَنَّةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَهْلِ الشُّوْرَى، وَأَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ وَهُوَ حَدَثٌ، لَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

روى البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة برقم[٤٣٨٨] وقال ابن عباس هو حواري النبي ﷺ)

بيان الرواية:

قوله: (حواري) هو الناصر الخالص والخليل الصافي وأصل الحور عند العرب البياض. والحواريون: أي أصحاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسمي الحواريون لبياض ثيابهم.

وَرَوَى: اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ ابْنُ ثَمَانِ سِنِيْنَ، وَنَفَحَتْ نَفْحَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أُخِذَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ غُلَامٌ ابْنُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً بِيَدِهِ السَّيْفُ، فَمَنْ رَآهُ عَجِبَ، وَقَالَ: الغُلَامُ مَعَهُ السَّيْفُ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (**مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟**).

فَأَخْبَرَهُ، وَقَالَ: أَتَيْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ.

صفته رضي الله عنه:

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ رَجُلاً طَوِيْلاً، إِذَا رَكِبَ خَطَّتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ، وَكَانَ خَفِيْفَ اللِّحْيَةِ وَالعَارِضَيْنِ.

قَالَ إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى: عَنْ مُوْسَى بنِ طَلْحَةَ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدٌ، عِذَارَ عَامٍ وَاحِدٍ، يَعْنِي: وُلِدُوا فِي سَنَةٍ.

وَقَالَ المَدَائِنِيُّ: كَانَ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَلِيٌّ، أَتْرَابًا.

وَرَوَى: هِشَامٌ، عَنْ أَبِيْهِ عُرْوَةَ: أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ طَوِيْلاً تَخُطُّ رِجْلاهُ الأَرْضَ إِذَا رَكِبَ الدَّابَّةَ، أَشْعَرَ.

وَكَانَتْ أُمُّهُ صَفِيَّةُ تَضْرِبُهُ ضَرْبًا شَدِيْداً، وَهُوَ يَتِيْمٌ.

فَقِيْلَ لَهَا: قَتَلْتِهِ، أَهْلَكْتِهِ.
قَالَتْ:

إِنَّمَا أَضْرِبُهُ لِكَي يَلَبّ   وَيَجُرَّ الجَيْشَ ذَا الجَلَبْ

إسلامه رضي الله عنه وبلاؤه:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَسْلَمَ - عَلَى مَا بَلَغَنِي - عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ: الزُّبَيْرُ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَعْدٌ.

أخرج البخاري (٤٠٧٧) في المغازي: باب الذين استجابوا لله والرسول، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي! كَانَ أَبُوَاكَ -يَعْنِي: الزُّبَيْرَ، وَأَبَا بَكْرٍ - مِنْ: ﴿الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُوْلِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٧٢].لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُوْنَ مِنْ أُحُدٍ، وَأَصَابَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، فَقَالَ: (**مَنْ يُنْتَدَبُ لِهَؤُلاَءِ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ بِنَا قُوَّةً؟**).

فَانْتُدِبَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ فِي سَبْعِيْنَ، فَخَرَجُوا فِي آثَارِ المُشْرِكِيْنَ، فَسَمِعُوا بِهِم، فَانْصَرَفُوا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوْءٌ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٧٤] لَمْ يَلْقَوا عَدُوّاً.

وَعَنْ عُمَرَ بنِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَاتَلَ الزُّبَيْرُ مَعَ نَبِيِّ اللهِ وَلَهُ سَبْعَ عشرة.

أخرج الطبراني (٢٣٠)، وذكره الهيثمي في " المجمع " ٦ / ٨٤ ونسبه إلى الطبراني، وقال: هو مرسل صحيح الإسناد. عن هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ: عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: كَانَتْ عَلَى الزُّبَيْرِ يَوْمَ بَدْرٍ عمامَةٌ صَفْرَاءُ، فَنَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَى سِيمَاءِ الزُّبَيْرِ.

وَفِيْهِ يَقُوْلُ عَامِرُ بنُ صَالِحِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ:

جَدِّي ابْنُ عَمَّةِ أَحْمَدٍ وَوَزِيْرُهُ ... عِنْدَ البَلاَءِ وَفَارِسُ الشَّقْرَاءِ
وَغَدَاةَ بَدْرٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ ... شَهِدَ الوَغَى فِي اللأَّمَةِ الصَّفْرَاءِ
نَزَلَتْ بِسِيْمَاهُ المَلاَئِكُ نُصْرَةً ... بِالحَوْضِ يَوْمَ تَأَلُّبِ الأَعْدَاءِ

روى البخاري (٣٧١٩) في فضائل الصحابة: باب مناقب الزبير، ومسلم (٢٤١٥) في الفضائل: باب فضائل طلحة والزبير،: عن جَابِرٌ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ: (**مَنْ يَأْتِيْنَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟**).

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسٍ، فَجَاءَ بِخَبَرِهِمْ. ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ.

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَذَهَبَ.ثُمَّ الثَّالِثَةَ.فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**). والحواري: خالصة الإنسان وصفيه المختص به كأنه أخلص ونقي من كل عيب.وتحوير الثياب: تبييضها وغسلها.ومنه سمي أصحاب عيسى: حواريين، لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب: وقيل: الحواري: الناصر، فلما انضم هؤلاء إلى عيسى وتابعوه ونصروه سمعوا حواريين.

۞ جمع له النبي ﷺ أباه وأمه يوم الخندق:

✍وروى أحمد في المسند.ط الرسالة (٣/ ٢٧) برقم ١٤٠٩ قال: - حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ، كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي الْأُطُمِ الَّذِي فِيهِ نِسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُطُمِ حَسَّانَ، فكَانَ يَرْفَعُنِي وَأَرْفَعُهُ، فَإِذَا رَفَعَنِي عَرَفْتُ أَبِي حِينَ يَمُرُّ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: " **مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَيُقَاتِلَهُمْ؟** " فَقُلْتُ لَهُ حِينَ رَجَعَ: يَا أَبَتِ تَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأَعْرِفُكَ حِينَ تَمُرُّ ذَاهِبًا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَمَا وَاللهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَجْمَعُ لِي أَبَوَيْهِ جَمِيعًا يتفداني بِهِمَا يَقُولُ: " **فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي** " (إسناده صحيح على شرط الشيخين. أبو أسامة: هو حماد بن أسامة.والحديث أخرجه مسلم (٢٤١٦) عن أبي كريب، عن أبي أسامة، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن سعد ٣/ ١٠٦ عن عفان بن مسلم، ومسلم (٢٤١٦) من طريق علي بن مسهر، والترمذي (٣٧٤٣) من طريق عبدة بن سليمان، والبزار (٩٦٦) من طريق أبي معاوية، والنسائي في "اليوم والليلة" (٢٠١) من طريق حماد بن زيد، وأبو يعلى (٦٧٣) من طريق حماد بن سلمة، ستتهم عن هشام بن عروة، به. وبعضهم يزيدُ فيه على بعض..).

✍وروى أحمد في المسند.ط الرسالة (٢٢/ ٢٧٢) برقم ١٤٣٧٤

قال: - حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي، وَحَوَارِيَّ مِنْ أُمَّتِي** " وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٩٢، والنسائي في "الكبرى" (٨٢١٢)، وأبو عوانة في المناقب كما في "إتحاف المهرة" ٣/ ٥٤٨ من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد.

✍وروى أحمد في المسند. ط الرسالة (٢/ ٩٩) برقم ٦٨١قال: - حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ

جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ** "

روى الإمام البخاري في صحيحه برقم (٣٩٧٣) قال: - أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ مَعْمَرٍ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: «كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ» قَالَ: «إِنْ كُنْتُ لَأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا» قَالَ: «ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ اليَرْمُوكِ».قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ، هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: «فِيهِ فَلَّةٌ فُلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ» قَالَ: صَدَقْتَ،).
على حد قول الشاعر: من[البحر الطويل]

ولا عَيْبَ فيهمْ غَيرَ أنَّ سُيُوفَهم ... بهنَّ فُلُول مِنْ قِراعِ الكَتَائِب

، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلاثَةَ آلافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ.

وروى البخاري في صحيحه برقم(٣٩٧٥)قال: - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ اليَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: " إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لاَ نَفْعَلُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا، فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: «كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ» قَالَ عُرْوَةُ: «وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا».

كان رضي الله عنه قليل الرواية عن الرسول ﷺ:

اتَّفَقَ لَهُ البخاري ومسلم عَلَى حَدِيْثَيْنِ، وَانْفَرَدَ لَهُ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةِ أَحَادِيْثَ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيْثٍ. حَدَّثَ عَنْهُ بَنُوْهُ: عَبْدُ اللهِ، وَمُصْعَبٌ، وَعُرْوَةُ، وَجَعْفَرٌ، وَمَالِكُ بنُ

أَوْسِ بنِ الحَدَثَانِ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ عَامِرِ بنِ كُرَيْزٍ، وَمُسْلِمُ بنُ جُنْدَبٍ، وَأَبُو حَكِيْمٍ مَوْلاَهُ، وَآخَرُوْنَ.

وسبب قلة الرواية: ما روى أحمد في المسند.ط الرسالة (٣/ ٣٠) برقم ١٤١٣ قال: - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: مَا لِي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا أَسْمَعُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَفُلانًا، وَفُلانًا؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً: " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**" (إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو حديث متواتر.وأخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٧٦٠، وابن ماجه (٣٦)، والبزار (٩٧٠)، والشاشي (٤٠) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٩١)، والبخاري (١٠٧)، والنسائي في "الكبرى" (٥٩١٢».

ما نزل فيه رضي الله عنه من القرآن:

روى أحمد في المسند. ط الرسالة (٣/ ٣٥) برقم ١٤١٩ قال:

- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الزُّبَيْرَ، كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ خَاصَمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ، كَانَا يَسْقِيَانِ بِهَا كِلاهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: " **اسْقِ ثُمَّ أَرْسِلِ إِلَى جَارِكَ** " فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ لِلزُّبَيْرِ: " **اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ** " فَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ ﷺ حِينَئِذٍ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ، أَرَادَ فِيهِ سَعَةً لَهُ وَلِلأَنْصَارِيِّ، فَلَمَّا أَحْفَظَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، اسْتَوْعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ، قَالَ عُرْوَةُ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " وَاللهِ مَا أَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتِ إِلَّا فِي ذَلِكَ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]. (إسنادُه صحيح على شرط الشيخين، وعروةُ بن الزبير كان عند مقتل أبيه مراهقاً أو بالغا، كانت سنه ثلاثة عشر عاماً، وقد جزم البخاري في "تاريخه" ٧/ ٣١ بسماعه من أبيه، وقال مسلم في "التمييز"- فيما نقله عنه ابنُ حجر في "التهذيب" في ترجمة عروة-: حج عروة مع عثمان وحفظ عن أبيه فمن دونهما من الصحابة. وقد صرح بالإسناد السالف بسماعه مِن أبيه. أبو اليمان: هو الحكم بن نافع، وشعيب: هو ابن أبي حمزة. وأخرجه البخاري (٢٧٠٨)، والشاشي (٤٧)، والبغوي (٢١٩٤) من طريق أبي اليمان، بهذا الإسناد.وأخرجه البخاري (٢٣٦١) و(٤٥٨٥)، والبيهقي ٦/ ١٥٣-١٥٤ و١٠/ ١٠٦ من طريق معمر، والبخاري (٢٣٦٢)، والبيهقي ٦/ ١٥٤ من طريق ابن جريج، ويحيى بن آدم في "الخراج" (٣٣٧)، والطبري ٥/ ١٥٩ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، ثلاثتهم عن الزهري، عن عروة بن الزبير قال: خاصم الزبير)

توضيح الرواية:

قال البغوي في "شرح السنة" ٨/ ٢٨٥: الشّراج: مسايل الماء من الحِرار إلى السهل، واحدها: شَرِيج وشَرْج، والحرة: حجارة سود بين جبلين، وجمعُها: حَرون وحَرأت وحِرَار.

وقوله: "أن كان ابن عمتك"، معناه: لأن كان، أو لأجل أن كان ابنَ عمتك، كقوله سبحانه وتعالى: (أن كان ذا مال وبنينَ)، أي: لأن كان ذا مال.

وقوله: "حتى يبلغ الجَدْر"، والجدر: الجدار، يريد جِذم الجدارِ الذي هو الحائل بين المشارب، وبعضهم يرويه بالذال المعجمة، يريد مبلغ تمام الشرب من جذرِ الحساب، والأول أصح.

وقوله: "فاستوعى للزبير حقه"، أي: استوفاه، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع فيه الأشياءَ، كأنه جمعه في وعائه.

وقوله: "أحفظ"، أي: أغضب، قال السندي: وقول الأنصاري زَلة من الشيطان بالغضب، وإلا فهو أنصاري بَدْري كما يدل عليه الحديث، والقول بأنه منافق بعيد، والله أعلم.

❁ عثمان رضي الله عنه يتمنى أن يعهد للزبير رضي الله عنه من بعده:

روى البخاري في صحيحه برقم (٣٧١٧) قال: - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ، قَالَ: أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رُعَافٌ شَدِيدٌ سَنَةَ الرُّعَافِ، حَتَّى حَبَسَهُ عَنِ الحَجِّ، وَأَوْصَى، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: اسْتَخْلِفْ، قَالَ: وَقَالُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ؟ فَسَكَتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ - أَحْسِبُهُ الحَارِثَ -، فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ عُثْمَانُ: وَقَالُوا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا الزُّبَيْرَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ «إِنَّهُ لَخَيْرُهُمْ مَا عَلِمْتُ، وَإِنْ كَانَ لَأَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»

❁ توضيح الرواية:

(سنة الرعاف) السنة التي أصاب الناس فيها رعاف كثير والرعاف خروج الدم من الأنف وكان ذلك سنة إحدى وثلاثين للهجرة. (حبسه) منعه. (أوصى) كتب وصيته عملا بالسنة. (استخلف) اعهد بالخلافة لرجل من بعدك. (وقالوه) أي وقال الناس هذا. (وقالوه) أي وقال الناس هذا. (الحارث) بن الحكم أخو مروان. (ما علمت) في علمي].

❁ ندمه رضي الله عنه على مشاركته في الفتنة:

روى أحمد في المسند.ط الرسالة (٣/ ٣١) برقم ١٤١٤ قال: - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا شَدَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا جَاءَ بِكُمْ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: " إِنَّا قَرَأْنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ،

وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٥] خَاصَّةً لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ " (إسناده جيد، شداد بن سعيد أبو طلحة الراسبي صدوق، وروى له مسلم في الشواهد، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ أبي سعيد مولى بني هاشم- واسمُه عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبيد البصري- فمن رجال البخاري. ومطرف: هو ابن عبد الله بن الشِّخير.وأخرجه البزار (٩٧٦) من طريق الحجاج بن نصير، عن شداد بن سعيد، بهذا الإسناد.).

وروى أحمد في المسند. ط الرسالة (٣/ ٤١)برقم ١٤٢٦قال: - حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: أَلَا أَقْتُلُ لَكَ عَلِيًّا؟ قَالَ: لَا، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ وَمَعَهُ الْجُنُودُ؟ قَالَ: أَلْحَقُ بِهِ فَأَفْتِكُ بِهِ. قَالَ: لَا. إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **إِنَّ الْإِيمَانَ قَيَّدَ الْفَتْكَ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ** " (والحديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ المبارك بن فضالة، بن أبي أمية. مولى عمر بن الخطاب. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. تُوُفِّي سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي. وكان فيه ضعف وعفان بن مسلم يرفعه ويوثقه ويحدث عنه.وقد علق له البخاري، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو- وإن كان مدلساً- قد صرح بالتحديث، وقال أحمد: ما روى عن الحسن يحتج به، وقد توبع، والحسن البصري رأى الزبير يبايع علياً وهو ابن أربع عشرة سنة، ولكنه في قول عامة أهل الحديث لم يسمع من بدريّ مشافهة.)

أخرج أبو نعيم في " الحلية " ١ / ٩١ من طريقه، عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قَالَ: انْصَرَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ عَنْ عَلِيٍّ، فَلَقِيَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: جُبْناً جُبْناً!

قَالَ: قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَسْتُ بِجَبَانٍ، وَلَكِنْ ذَكَّرَنِي عَلِيٌّ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَحَلَفْتُ أَنْ لاَ أُقَاتِلَهُ، ثُمَّ قَالَ:

تَرْكُ الأُمُوْرِ الَّتِي أَخْشَى عَوَاقِبَهَا فِي اللهِ أَحْسَنُ فِي الدُّنْيَا وَفِي

خوفه ﷺ:

روى أحمد في المسند ط الرسالة (٣/ ٤٥) برقم ١٤٣٤قال: - حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَيُكَرَّرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قَالَ: " نَعَمْ لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ " فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ (إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن عمرو- وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي المدني- فقد روى له البخاري مقرونا ومسلم متابعة، وهو صدوق حسنُ الحديث.واخرجه البزار (٩٦٤)، وأبو يعلى (٦٦٨)، والطبري ١/ ٢٤-٢، والشاشي (٣٢»

جوده ﷺ:

قال الذهبي: قال الأَوْزَاعِيُّ: حَدَّثَنِي نُهَيْكُ بنُ مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُغِيْثُ بنُ سُمَيٍّ قَالَ: كَانَ لِلزُّبَيْرِ بنِ العَوَّام أَلفُ مَمْلُوْكٍ يُؤَدُّوْنَ إِلَيْهِ الخَرَاجَ، فَلاَ يُدْخِلُ بَيْتَهُ مِنْ خَرَاجِهِمْ شَيْئاً.

ورَوَى: سَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ نَحْوَهُ، وَزَادَ: بَلْ يَتَصَدَّقُ بِهَا كُلِّهَا.

قَالَ جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْمَاءَ: بَاعَ الزُّبَيْرُ دَاراً لَهُ بِستِّ مَائَةِ أَلفٍ، فَقِيْلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! غُبِنْتَ.

قَالَ: كَلاَّ، هِيَ فِي سَبِيْلِ اللهِ.

قال الذهبي: قال اللَّيْثُ: عَنْ هِشَام بنِ عُرْوَةَ: أَنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا قُتِلَ عُمَرُ، مَحَا نَفْسَهُ مِنَ الدِّيْوَانِ، وَأَنَّ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، مَحَا نَفْسَهُ مِنَ الدِّيْوَانِ).

حَسَّانُ ﷺ يَمْدَحُ الزُّبَيْرَ ﷺ:

أَقَـامَ عَلَـى عَهْـدِ النَّبِـيِّ وَهَدْيِـهِ حَوَارِيُّـهُ وَالقَـوْلُ بِالفِعْـلِ يُعْـدَلُ

أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيْقِهِ ... يُوَالِي وَلِيَّ الحَقِّ وَالحَقُّ أَعْدَلُ
هُوَ الفَارِسُ المَشْهُوْرُ وَالبَطَلُ الَّذِي ... يَصُوْلُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ مُحَجَّلُ
إِذَا كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ ... بِأَبْيَضَ سَبَّاقٍ إِلَى المَوْتِ يُرْقِلُ
وَإِنَّ امْرَءاً كَانَتْ صَفِيَّةُ أُمَّهُ ... وَمِنْ أَسَدٍ فِي بَيْتِهَا لَمُؤَثَّلُ
لَهُ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ قُرْبَى قَرِيْبَةٌ ... وَمِنْ نُصْرَةِ الإِسْلاَمِ مَجْدٌ مُؤَثَّلُ
فَكَمْ كُرْبَةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ ... عَنِ المُصْطَفَى وَاللهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ
ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فَعَالِ مُعَاشِرٍ ... وَفِعْلُكَ يَا ابْنَ الهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

۞

٧/سَعِيْدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ:

ابْنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ رِيَاحِ بنِ قُرْطِ بنِ رَزَاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ، أَبُو الأَعْوَرِ، القُرَشِيُّ، العَدَوِيُّ.

كَانَ وَالِدُهُ زَيْدُ بنُ عَمْرٍو مِمَّنْ فَرَّ إِلَى اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَسَاحَ فِي أَرْضِ الشَّامِ يَتَطَلَّبُ الدِّيْنَ القَيِّمَ، فَرَأَى النَّصَارَى وَاليَهُوْدَ، فَكَرِهَ دِيْنَهُمْ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى دِيْنِ إِبْرَاهِيْمَ، وَلَكِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِشَرِيْعَةِ إِبْرَاهِيْمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَمَا يَنْبَغِي، وَلاَ رَأَى مَنْ يُوْقِفُهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، فَقَدْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ: (**يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ**).

وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الإِمَامِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَعِشْ حَتَّى بُعِثَ.

جاء في صحيح البخاري برقم (٣٨٢٨)- وَقَالَ اللَّيْثُ، كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: " رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي المَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لاَ تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا "

تُوُفِّيَ زيد بن عمرو قَبْلَ المَبْعَثِ، فَقَدْ نَقَلَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ رَثَاهُ بِأَبْيَاتٍ، وَهِيَ:

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً مِنَ النَّارِ حَامِيَا
بِدِيْنِكَ رَبّاً لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَمَا هِيَا
وَإِدْرَاكِكَ الدِّيْنَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيْدِ رَبِّكَ سَاهِيَا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارٍ كَرِيْمٍ مُقَامُهَا تُعَلَّلُ فِيْهَا بِالكَرَامَةِ لاَهِيَا
وَقَدْ تُدْرِكُ الإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سَبْعِيْنَ

صفته:

كَانَ سَعِيْدٌ رَجُلاً آدَمَ، طَوِيْلاً، أَشْعَرَ.

تزوج سعيد من ابْنَةِ عَمِّهِ فَاطِمَةُ، أُخْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ. وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر بن الخطاب، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قال ابن سعد: وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن المعمور بن حيان بن غنم بن مليح من خزاعة.

إسلامه:

أَسْلَمَ سَعِيْدٌ قَبْلَ دُخُوْلِ النَّبِيِّ ﷺ دَارَ الأَرْقَمِ.

ففي صحيح البخاري بَابُ إِسْلاَمِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

برقم(٣٨٦٢)- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فِي مَسْجِدِ الكُوفَةِ يَقُولُ: «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي، وَإِنَّ عُمَرَ لَمُوثِقِي عَلَى الإِسْلاَمِ، قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عُمَرُ، وَلَوْ أَنَّ أُحُدًا ارْفَضَّ لِلَّذِي صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ لَكَانَ».

بيان الرواية:

قوله: (لموثقي) من الوثاق وهو ما يشد به ويربط أي ضيق علي وأهانني.

قوله: (ارفض) أي زال عن مكانه وتفرق.

قوله: (للذي صنعتم) لأجل صنعكم المنكر به.

قوله: (لكان) أي حقيقا بالارفضاض.

سعيد بن زيد: مِنَ البَدْرِيِّيْنَ: لما ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي (طَبَقَاتِهِ)، عَنِ الوَاقِدِيِّ، عَنْ رِجَالِهِ، قَالُوا: لَمَّا تَحَيَّنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وُصُوْلَ عِيْرِ قُرَيْشٍ مِنَ الشَّامِ، بَعَثَ طَلْحَةَ وَسَعِيْدَ بنَ زَيْدٍ قَبْلَ خُرُوْجِهِ مِنَ المَدِيْنَةِ بِعَشْرٍ، يَتَحَسَّسَانِ خَبَرَ العِيْرِ، فَبَلَغَا الحَوْرَاءَ، فَلَمْ يَزَالاَ مُقِيْمَيْنِ هُنَاكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمُ العِيْرُ، فَتَسَاحَلَتْ.فَبَلَغَ نَبِيَّ اللهِ الخَبْرُ قَبْلَ مَجِيْئِهِمَا، فَنَدَبَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ يَطْلُبُ العِيْرَ، فَتَسَاحَلَتْ، وَسَارُوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَرَجَعَ طَلْحَةُ وَسَعِيْدٌ لِيُخْبِرَا، فَوَصَلاَ المَدِيْنَةَ يَوْمَ الوَقْعَةِ، فَخَرَجَا يَؤُمَّانِهِ.وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِهِمَا وَأُجُوْرِهِمَا.

وسعيد بن زيد أَحَدُ العَشَرَةِ المَشْهُوْدِ لَهُم بِالجَنَّةِ،، وَمِنَ الَّذِيْنَ رضي الله عنهم وَرَضُوْا عَنْهُ.

روى أحمد في مسنده ط الرسالة (٣/ ١٨٥)برقم ١٦٤٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ حُصَيْنٌ: أَخْبَرَنَا عَنْ هِلالِ بْنِ يِسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الْكُوفَةِ، اسْتَعْمَلَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، قَالَ: فَأَقَامَ خُطَبَاءَ يَقَعُونَ فِي عَلِيٍّ، قَالَ: وَأَنَا إِلَى جَنْبِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، قَالَ: فَغَضِبَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَتَبِعْتُهُ فَقَالَ: أَلا تَرَى إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الَّذِي يَأْمُرُ بِلَعْنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَأَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى الْعَاشِرِ لَمْ آثَمْ، قَالَ قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ "**، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: قَالَ: أَنَا).

✍وشَهدَ سعيد بن زيد المَشَاهِدَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ حِصَارَ دِمَشْقَ، وَفتَحَهَا، فَوَلاَّهُ عَلَيْهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ نِيَابَةَ دِمَشْقَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

✍كان سعيد بن زيد من مستجابي الدعوة: روى مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم وغصب الأرض برقم ١٣٩- (١٦١٠) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: «**اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا**»، قَالَ: «فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ».

موته رضي الله عنه:

روى أحمد في مسنده ط الرسالة (٣/ ١٨٥) برقم ١٦٤٥- حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يِسَافٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ ظَالِمٍ التَّمِيمِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: هُوَ فِي التِّسْعَةِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ سَمَّيْتُهُ، قَالَ: اهْتَزَّ حِرَاءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ** " قَالَ: "رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدٌ "، وَأَنَا - يَعْنِي سَعِيدٌ نَفْسَهُ).

✍أخرج ابن سعد ٣ / ١ / ٢٨٠. قَالَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ أُمَيَّةَ: عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: مَاتَ سَعِيْدُ بنُ زَيْدٍ وَكَانَ يَذْرَبُ، فَقَالَتْ أُمُّ سَعِيْدٍ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ: أَتُحَنِّطُهُ بِالمِسْكِ؟ فَقَالَ: وَأَيُّ طِيْبٍ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ؟ فَنَاوَلَتْهُ مِسْكاً).

الذرب: داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه.

ورد عَنْ مَالِكٍ أنه قَالَ: مَاتَ سَعِيْدُ بنُ زَيْدٍ، وَسَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِالعَقِيْقِ.

قَالَ الوَاقِدِيُّ: تُوُفِّيَ سَعِيْدُ بنُ زَيْدٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَسَبْعِيْنَ سَنَةً، وَقُبِر بِالمَدِيْنَةِ، نَزَلَ فِي قَبْرِهِ سَعْدٌ وَابْنُ عُمَرَ.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ: مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨/ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَاسْمُ أَبِي وَقَّاصٍ:

مَالِكُ بنُ أُهَيْبِ بن عَبْدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُأي. الأَمِيْر، أَبُو إِسْحَاقَ القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، المَكِّيُّ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: وَأُمُّهُ: حَمْنَةُ بِنْتُ سُفْيَانَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ مَنَافٍ.

صفته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ، قَالَتْ: كَانَ أَبِي رَجُلاً قَصِيْراً، دَحْدَاحـًا، غَلِيْظـًا، ذَا هَامَةٍ، شَثْنَ الأَصَابِعِ، أَشْعَرَ، يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ.

وروى الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٣٧)برقم ٢٩٣- عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: «كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جَعْدَ الشَّعْرِ، أَشْعَرَ الْجَسَدِ، آدَمَ طَوِيلًا، أَفْطَسَ».أفطس من الفطاسة وهي انفراش الأنف.

إسلامه:

روى البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة برقم(٣٥٢٠)- حدثنا مكي بن إبراهيم حدثنا هاشم بن هاشم عن عامر ابن سعد عن أبيه قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام) أي ثالث من أسلم أولا من الرجال الأحرار]

✍وفي سنن ابن ماجه برقم (١٣٢)- عَنْ هَاشِمِ بْنِ هَاشِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولَ: قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،: «مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثُلُثُ الْإِسْلَامِ»[قال الألباني صحيح].

✍قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ: أَسْلَمَ سَعْدُ ابْنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

✍وقال المزى: كان سابع سبعة فى الإسلام.

✍وقال الواقدى، عن سلمة بن بخت، عن عائشة بنت سعد، عن سعد: أسلمت وأنا ابن تسع عشرة سنة.

❁ جهاده:

✍وفي كتاب السنة للمروزي (ص: ٤٧) عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ مَخْرَجَهُ إِلَى بَدْرٍ وَاسْتَصْغَرَهُ فَبَكَى عُمَيْرٌ فَأَجَازَهُ، قَالَ سَعْدٌ: فَعَقَدْتُ عَلَيْهِ حَمَالَةَ سَيْفِهِ وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَدْرًا وَمَا فِي وَجْهِي إِلَّا شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَمْسَحُهَا بِيَدِي ثُمَّ أَكْثَرَ اللهُ لِي بَعْدُ مِنَ اللِّحَى يَعْنِي: الْبَنِينَ.

✍وروى البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة برقم (٣٥٢٢)- حدثنا عمرو بن عون حدثنا خالد بن عبد الله عن إسماعيل عن قيس قال: سمعت سعدا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام؟ لقد خبت إذا وضل عملي. وكانوا وشوا بي إلى عمر قالوا لا يحسن يصلي.).

✍وفي سنن ابن ماجه برقم (١٣١)- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، وَخَالِي يَعْلَى، وَوَكِيعٌ، عَنْ إِسْماعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ**» [قال الألباني صحيح].وكان هذا في سرية: رَابِغٍ، وَهُوَ مِنْ جَانِبِ الْجُحْفَةِ، فَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُوْنَ

عَلَى المُسْلِمِيْنَ، فَحَمَاهُمْ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسِهَامِهِ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلُ قِتَالٍ فِي الإِسْلاَمِ. فَقَالَ سَعْدٌ:

أَلاَ هَـلْ أَتَـى رَسُـوْلَ اللهِ أَنِّـي ... حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
فَمَـا يَعتَـدُّ رَامٍ فِـي عَـدُوٍّ ... بِسَـهْمٍ يَـا رَسُـوْلَ اللهِ قَبْلِـي

وسعد: أَحَدُ العَشَرَةِ، وَأَحَدُ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، وَأَحَدُ مَنْ شَهِدَ بَدْراً، وَالحُدَيْبِيَةَ.

وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض.

وفي سنن ابن ماجه (١/ ٤٧)برقم(١٢٩) قال: - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «**ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» [قال الألباني صحيح].

وفي مسند أحمد ط الرسالة (٤٢/ ١٨) برقم٢٥٠٩٣- حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، يُحَدِّثُ: أَنَّ عَائِشَةَ، كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَهِرَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهِيَ إِلَى جَنْبِهِ. قَالَتْ: قُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: " **لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ** " قَالَتْ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ: " **مَنْ هَذَا؟** " قَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، فَقَالَ: " **مَا جَاءَ بِكَ؟** " قَالَ: جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ غَطِيطَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ (إسناده صحيح على شرط الشيخين. يزيد: هو ابن هارون، ويحيى: هو ابن سعيد الأنصاري.).

قال أبو عمر بن عبد البر: وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش، الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ فى مغازيه، وهو الذى كوف الكوفة ونفى الأعاجم، وتولى قتال فارس، أمره عمر بن الخطاب على ذلك، وفتح الله على يديه أكثر فارس، وله كان فتح القادسية وغيرها.

وكان مجاب الدعوة، مشهورا بذلك:

١/ في سنن الترمذي - (برقم ٣٧٥١) - حدثنا رجاء بن محمد العدوي بصري حدثنا جعفر بن عون عن إسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعد: أن رسول الله ﷺ قال (**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**).قال أبو عيسى وقد روي هذا الحديث عن إسمعيل عن قيس أن النبي ﷺ قال اللهم استجب لسعد إذا دعاك وهذا أصح).وقال الشيخ الألباني: صحيح ".

٢/ وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٢١٧)برقم (١٤٨٥١) - عن عامر - يعني الشعبي - قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: متى أصبت الدعوة ؟ قال: يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول: اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم وافعل بهم وافعل. فيقول النبي ﷺ: " **اللهم استجب لسعد**"رواه الطبراني وإسناده حسن.

٣/ وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٢١٧) برقم(١٤٨٥٣)- عن سعيد بن المسيب قال: خرجت جارية لسعد - يقال لها: زيرا - وعليها قميص حرير فكشفتها الريح فشد عليها عمر بالدرة وجاء سعد ليمنعه فتناوله بالدرة فذهب سعد يدعو على عمر فناوله عمر الدرة وقال: اقتص. فعفا عن عمر) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٤/ وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٢١٨)برقم(١٤٨٥٥) - عن عامر بن سعد قال: بينما سعد يمشي إذ مر برجل وهو يشتم عليا وطلحة والزبير فقال له سعد: إنك تشتم أقواما قد سبق لهم من الله ما سبق والله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله ﷻ عليك. قال: يخوفني كأنه نبي فقال سعد: اللهم إن كان يشتم أقواما قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالا. فجاءت بختية (الأنثى من الجمال) فأفرج الناس لها فتخبطته فرأيت الناس يتبعون سعدا يقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق). رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٥/ وفي مجمع الزوائد - (ج ٩ / ص ٢١٩)برقم(١٤٨٥٦)

- وعن قبيصة بن جابر: قال ابن عم لنا يوم القادسية:

ألم تر أن الله أنــزل نصـــره	وسعد بباب القــادسية معصم
فأبنا وقد أُيِّمت نســاء كثيرة	ونسوة سعد لــيس فيهن أيــم

فبلغ سعدا قوله فقال: اللهم اقطع عني لسانه ويده فجاءت نشابة فأصابت فاه فخرس ثم قطعت يده في القتال فقال سعد: احملوني على باب فخرج به محمولا ثم كشف عن ظهره وفيه قروح فأخبر الناس بعذره فعذروه وكان سعد لا يحين. وفي رواية: يقاتل حتى ينزل الله نصره) رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات.

٦/ وكان أمير على الكوفة، فشكاه أهلها ورموه بالباطل، فدعا على الذى واجهه بالكذب دعوة ظهرت إجابتها، والخبر بذلك مشهور، وعزله عمر، وذلك سنة إحدى وعشرين، حين شكاه أهل الكوفة، وولى عمار بن ياسر الصلاة، وعبد الله بن مسعود بيت المال، وعثمان بن حنيف مساحة الأرض، ثم عزل عمارا وأعاد سعدا على الكوفة ثانيا، ثم عزله وولى جبير بن مطعم، ثم عزله قبل أن يخرج إليها،وولى المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى قتل عمر، فأقره عثمان يسيرا، ثم عزله، وولى سعدا، ثم عزله، وولى الوليد بن عقبة.

✍وقيل: إن عمر لما أراد أن يعيد سعدا على الكوفة أبى عليه وقال: تأمرنى أن أعود إلى قوم يزعمون أنى لا أحسن الصلاة. فتركه فلما طعن عمر وجعله أحد أهل الشورى، قال: إن وليها سعد فذاك، وإلا فليستعن به الوالى، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

✍وقال ابن عبد البر في كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج ١ / ص ١٨٣) ورامه ابنه عمر بن سعد أن يدعو لنفسه بعد قتل عثمان فأبى، وكذلك رامه أيضـًا ابن أخيه هاشم بن عتبة فلما أبى عليه صار هاشم إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عبد البر: وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام فطمع فيه معاوية وكتب إليه يدعوه إلى عونه على الطلب بدم عثمان. وكان في جواب سعد بن أبي وقاص له:

معاوي داؤك الداء العياء ... وليس لما تجيء به دواء
أيدعوني أبو حسن علي ... فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفاً بصيراً ... تميز به العداوة والولاء
فإن الشر أصغره كبير ... وإن الظهر تثقله الدماء
أتطمع في الذي أعيا علياً ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حياً ... وميتاً أنت للمرء الفداء
فأما أمر عثمان فدعه ... فإن الرأي أذهبه البلاء

وقال ابن عبد البر: سئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه، فقال: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل..

ومناقبه وفضائله كثيرة جدا منها:

١/ ما رواه الترمذي في سننه - برقم(٣٧٥٢) - حدثنا أبو كريب وأبو سعيد الأشج قالا حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: أقبل سعد فقال النبي ﷺ **(هذا خالي فليرني امرؤ خاله)** وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة فلذلك قال النبي ﷺ **(هذا خالي)**.قال الشيخ الألباني: صحيح.

٢/ روى أحمد في مسنده مسند أحمد بن حنبل - (ج ١ / ص ١٨٥)برقم(١٦١٤) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن سماك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزلت في أربع آيات يوم بدر أصبت سيفا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نفلنيه فقال **(ضعه)** ثم قام فقال يا رسول الله نفلنيه فقال **(ضعه)** ثم قام فقال يا رسول الله نفلنيه اجعل كمن لا غناء له فقال النبي ﷺ **(ضعه من حيث أخذته)** فنزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

وَالرَّسُولِ﴾ قال وصنع رجل من الأنصار طعاما فدعانا فشربنا الخمر حتى انتشينا قال فتفاخرت الأنصار وقريش فقالت الأنصار نحن أفضل منكم وقالت قريش نحن أفضل منكم فأخذ رجل من الأنصار لحيي جزور فضرب به أنف سعد ففزره قال فكان أنف سعد مفزورا قال فنزلت هذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ قال وقالت أم سعد أليس الله قد أمرهم بالبر فوالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر بمحمد قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ثم أوجروها قال فنزلت هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ قال ودخل رسول الله ﷺ على سعد وهو مريض يعوده فقال يا رسول الله أوصى بمالي كله قال لا قال فبثلثيه فقال لا قال فبثلثه قال فسكت).قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

۞ موته:

ذكر غير واحد من العلماء، أنه مات فى قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل إلى المدينة على رقاب الرجال، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم. واختلف فى تاريخ وفاته ومبلغ سنه، فقيل: مات سنة خمس وخمسين وهو المهشور. وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة ست وخمسين. وقيل: سنة سبع وخمسين.

✍وَقَالَ مُحَمَّد بن سعد قَالَ الْوَاقِدِيّ فِي الطَّبَقَات مَاتَ سعد وَهُوَ ابْن بضع وَسبعين سنة وَقَالَ فِي التَّارِيخ مَاتَ وَهُوَ ابْن سبع وَثَمَانِينَ سنة

✍وهو آخر العشرة وفاة.

٩/ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ:

ابْنِ عَبْدِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، أَبُو مُحَمَّدٍ.

قَالَ أبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة برقم ٤٦٦: عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ، قَالَ: «وُلِدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بَعْدَ الْفِيلِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ أَبَا مُحَمَّدٍ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ»

وفي سير الأعلام: وَأُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: هِيَ الشِّفَاءُ بِنْتُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ.

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الحَاكِمُ: أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاَبٍ.

صفته رضي الله عنه:

روى أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ١١٨)برقم ٤٦١- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْخُزَاعِيُّ، ثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ حَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَهْلَةَ بِنْتِ عَاصِمٍ، قَالَتْ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَبْيَضَ أَعْيَنَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ أَقْنَى طَوِيلَ النَّابَيْنِ الْأَعْلَيَيْنِ، رُبَّمَا أَدْمَى نَابُهُ شَفَتَهُ، لَهُ جُمَّةٌ أَسْفَلُ مِنْ أُذُنَيْهِ، أَعْنَقَ ضَخْمَ الْكَفَّيْنِ، غَلِيظَ الْأَصَابِعِ ".

وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١١٨)برقم ٤٦٢- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ النَّضْرِ، ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: «كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ جَمِيلًا حَسَنَ الْوَجْهِ أَبْيَضَ، مُشْرَبًا حُمْرَةً، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ»وفي الرواية ٤٦٥: (لَا يُغَيِّرُ رَأْسَهُ وَلَا لِحْيَتَهُ).

وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١١٨)برقم ٤٦٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، ثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ

اللهِ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ سَاقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ اهْتَمَّ أَعْسَرَ أَعْرَجَ، وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ فَهَتَمَ وَجُرِحَ عِشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ».

وفي جامع معمر بن راشد (١١/ ٤٣) برقم ١٩٨٦٣ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الْكَعْبَةِ فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «وَكَانَ اسْمُ أَبِي بَكْرٍ: عَتِيقَ بْنَ عُثْمَانَ»

مناقبه رضي الله عنه:

١/ هُوَ أَحَدُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِيْنَ بَادَرُوا إِلَى الإِسْلاَمِ.

٢/ وأَحَدُ العَشْرَةِ الذين شَهِدَ لَهُم النبي ﷺ بِالجَنَّةِ.

هجرته رضي الله عنه:

روى البخاري في صحيحه باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار برقم (٣٥٧٠) قال: - حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال فقال سعد قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئا من سمن وأقط فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضر من صفرة فقال له رسول الله ﷺ (مهيم). قال تزوجت امرأة من الأنصار فقال (ما سقت إليها). قال وزن نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال (أولم ولو بشاة).

٣/ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ الَّذِيْنَ قِيْلَ لَهُم: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُم﴾

وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَهْلِ الشُّوْرَى، وَأَحَدُ السَّابِقِيْنَ البَدْرِيِّيْنَ، القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ.

٤/ وَمِنْ أَهْلِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْحُ: ١٨].

٥/ وَقَدْ صَلَّى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَرَاءهُ.لما رواه أحمد في مسنده ط الرسالة (٣٠/ ١١٩) برقم ١٨١٨٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، فَسُئِلَ: هَلْ أَمَّ النَّبِيَّ ﷺ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَزَادَهُ عِنْدِي تَصْدِيقًا الَّذِي قَرَّبَ بِهِ الْحَدِيثَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ السَّحَرِ، ضَرَبَ عُنُقَ رَاحِلَتِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ حَاجَةً، فَعَدَلْتُ مَعَهُ، فَانْطَلَقْنَا، حَتَّى بَرَزْنَا عَنِ النَّاسِ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَتَغَيَّبَ عَنِّي حَتَّى مَا أَرَاهُ، فَمَكَثَ طَوِيلًا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: " حَاجَتَكَ يَا مُغِيرَةُ؟ " قُلْتُ: مَا لِي حَاجَةٌ، فَقَالَ: " هَلْ مَعَكَ مَاءٌ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ، فَقُمْتُ إِلَى قِرْبَةٍ، أَوْ قَالَ سَطِيحَةٍ، مُعَلَّقَةٍ فِي آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ، فَأَحْسَنَ غَسْلَهُمَا، قَالَ: وَأَشُكُّ أَقَالَ دَلَّكَهُمَا بِتُرَابٍ أَمْ لَا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْسِرُ عَنْ يَدِهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الْكُمِّ، فَضَاقَتْ، فَأَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنْ تَحْتِهَا إِخْرَاجًا، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، قَالَ: فَيَجِيءُ فِي الْحَدِيثِ غَسْلُ الْوَجْهِ مَرَّتَيْنِ، فَلَا أَدْرِي أَهَكَذَا كَانَ أَمْ لَا، ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ، وَمَسَحَ عَلَى الْعِمَامَةِ، وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، ثُمَّ رَكِبْنَا، فَأَدْرَكْنَا النَّاسَ، وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَقَدْ صَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً، وَهُمْ فِي الثَّانِيَةِ، فَذَهَبْتُ أُوذِنُهُ، فَنَهَانِي، فَصَلَّيْنَا الرَّكْعَةَ الَّتِي أَدْرَكْنَا، وَقَضَيْنَا الَّتِي سُبِقْنَا). قال الأرناؤوط: صحيح.

٦/ وفي كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢١١) برقم: ٢(٢٥٩٢)- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجُنَيْدِ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنٍ، ثنا أَبُو إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: اشْتَكَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لِمَ تُؤْذِي رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ؟ لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَمْ تَبْلُغْ عَمَلَهُ».

٧/ وكان رضي الله عنه واسع العطاء: لما رَوَى عبد الرَّزَّاق فِي تَفْسِيره أخبرنَا معمر عَن قَتَادَة قَالَ تصدق عبد الرَّحْمَن ابْن عَوْف بِشَطْر من مَاله وَكَانَ لَهُ ثَمَانِيَة آلَاف دِينَار فَتصدق بأَرْبعَة آلَاف فَقَالَ نَاس من الْمُنَافِقين إِن عبد الرَّحْمَن لعَظِيم الرِّيَاء فَقَالَ الله تَعَالَى الَّذين يَلْمِزُونَ الْمُطَوِّعين وَكَانَ لرجل من الْأَنْصَار صَاعَانِ من تمر فجَاء بِأَحَدِهِمَا فَقَالَ نَاس من الْمُنَافِقين إِن كَانَ الله عَن صَاع هَذَا لَغَنِيّ فَقَالَ الله إِلَّا جهدهمْ.

كان عبد الرحمن رضي الله عنه أحد مستشاري أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما روى البخاري في صحيحه برقم(٣٧١٣)- حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثنا مالك وأخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره: أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى أهله وهو بمنى في آخر حجة حجها عمر فوجدني فقال عبد الرحمن فقلت يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وإني أرى أن تمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة وتخلص لأهل الفقه وأشراف الناس وذوي رأيهم.

قال عمر رضي الله عنه لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة.

قال الذهبي: قَدِمَ الجَابِيَةَ مَعَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَكَانَ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَكَانَ فِي نَوْبَةِ سَرْغٍ عَلَى المَيْسَرَةِ.

٭ ◊ ٭

١٠/ أبو عبيدة بن الجراح:

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، القرشي الفهري المكي. يجتمع في النسب هو والنبي ﷺ في فهر.

روى أحاديث معدودة (١٦٤ حديثا قاله بن حزم رحمه الله)، وغزا غزوات مشهودة.

صفته رضي الله عنه :

ذكر ابن سعد في الطبقات: عن مالك بن يخامر أنه وصف أبا عبيدة فقال: كان رجلا نحيفا، معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالا، أحنى (الرجل الاحنى: فيه انعطاف الكاهل نحو الصدر مع انحناء من الكبر)، أثرم (مكسور) الثنيتين وكان رجلا حسن الخلق، لين الشيمة

إسلامه رضي الله عنه :

عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة ابن عبد الاسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الاسلام، وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الارقم.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة.و لم يطل بها اللبث.

شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه أمين الامة، ومناقبه شهيرة جمة.كما في المسند ٣/ ١٣٣وفي صحيح ا لبخاري ح٣٧٤٤ فضائل القرآن ومسلم ٢٤١٩في الفضائل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: " **إن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح** ".

روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين - (ج ٣ / ص ٢٩٤) برقم(٥١٤٤)- حدثنا علي بن عيسى ثنا إبراهيم بن أبي طالب ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال: قال عمر رضي الله عنه لأصحابه: تمنوا فجعل كل رجل منهم يتمنى شيئا فقال: لكني أتمنى بيتا مملوءا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح فقالوا له: ما آلوت الإسلام خيرا قال: ذلك أردت.

وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين - (ج ٣ / ص ٢٩٥) برقم(٥١٤٦) - حدثنا علي بن حمشاد ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان عن أيوب بن عائذ الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أتانا كتاب

عمر لما وقع الوباء بالشام فكتب عمر إلى أبي عبيدة أنه قد عرضت لي إليك حاجة لا غنى لي بك عنها فقال أبو عبيدة يرحم الله أمير المؤمنين يريد بقاء قوم ليسوا بباقين قال: ثم كتب إليه أبو عبيدة: إني في جيش من جيوش المسلمين لست أرغب بنفسي عن الذي أصابهم فلما قرأ الكتاب استرجع فقال الناس: مات أبو عبيدة قال: لا وكان كتب إليه بالعزيمة فأظهر من أرض الأردن فإنها عميقة وبية إلى أرض الجابية فإنها نزهة ندية فلما أتاه الكتاب بالعزيمة أمر مناديه أذن في الناس بالرحيل فلما قدم إليه ليركبه وضع رجله في الغرز ثنى رجله فقال: ما أرى داءكم إلا قد أصابني قال: ومات أبو عبيدة ورجع الوباء عن الناس) رواة هذا الحديث كلهم ثقات وهو عجيب بمرة. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط الشيخين.

✍وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ٣ / ص ٢٩٥) برقم(٥١٤٧) - أخبرني أبو عبد الله السياري في كتاب الرقاق لابن المبارك أنا أبو الموجه أنا عبدان أنا عبد الله أنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب حدثني عبد الرحمن بن غنم عن الحارث بن عميرة الحارثي قال: أخذ معاذ بن جبل يرسل الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة بن الجراح يسأله: كيف هو وقد طعن فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه فنكأته شأنها وفرق منها حين رآها فأقسم أبو عبيدة له بالله ما يحب أن له مكانها حمر النعم): سكت عنه الذهبي في التلخيص.

✍وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ٣ / ص ٢٩٥)برقم(٥١٤٨) - أخبرني علي بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ثنا أبي ثنا عمرو بن محمد العثماني ثنا عمرو بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن أبو عبيدة قال: يا معاذ صل بالناس فصلى معاذ بالناس ثم مات أبو عبيدة بن الجراح فقام معاذ في الناس فقال: يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا فإن عبد الله لا يلقى الله تائبا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له

ثم قال: إنكم أيها الناس قد فجعتم برجل والله ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبدا قط أقل غمزا ولا أبر صدرا ولا أبعد غائلة ولا أشد حبا للعاقبة ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه رحمه الله ثم أصحروا للصلاة عليه فو الله لا يلي عليكم مثله أبدا فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة وتقدم معاذ فصلى عليه حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنوا عليه التراب فقال معاذ بن جبل: يا أبا عبيدة لأثنين عليك ولا أقول باطلا أخاف أن يلحقني بها من الله مقت كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيرا ومن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وكنت والله من المخبتين المتواضعين الذي يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين المتكبرين): سكت عنه الذهبي في التلخيص.

۞

يقول الناظم:

(وإنهم للرهط لا ريب فيهم   على نجب الفردوس بالنور

يعني هؤلاء المذكورين من الصحابة الخلفاء الأربعة، وكذلك الذين سرد أسماءهم في البيت الآتي، (للرهط) وهم عشيرة الرجل، ويطلق على ما دون العشرة، وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وفي بعض النسخ (والرهط) ولعله الأقرب، ويكون الضمير في قوله (وإنهم) عائداً على الأربعة والرهط معطوف عليه، والمقصود بهم الستة المذكورون في البيت الذي بعده.

(لا ريب فيهم) لا تهمة ولا شك فيهم وفيما سينالونه من الله من الفضل ولا شك في منزلتهم عند أهل السنة، ولا ريب في أنهم من أهل الجنة.

(على نجب) جمع نجيب وهو أكرم المال وأنفسه، والمراد أنهم يسرحون في الجنة على نجب الفردوس وهي النوق الكريمة والخيل الكريمة يروحون عليها ويغدون في الجنة.

روى مسلم في صحيحه برقم (١٨٩٢) عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: **"لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة"**.

وروى البغوي في شرح السنة (١٥/ ٢٢٢) برقم ٤٣٨٥- قال: وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي تَوْبَةَ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَارِثِيُّ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَحْمُودٍ، أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْخَلالُ، نَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ، فَإِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ؟ فَقَالَ: «إِنْ يُدْخِلْكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَلا تَشَاءُ أَنْ تَرْكَبَ فَرَسًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فَتَطِيرُ بِكَ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شِئْتَ إِلا فَعَلْتَ»، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفِي الْجَنَّةِ إِبِلٌ، فَإِنِّي أُحِبُّ الإِبِلَ؟ قَالَ: «يَا أَعْرَابِيُّ، إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الْجَنَّةَ، أَصَبْتَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ».ورواه ابن المبارك في "الزهد" (٧٧/ ٢٧١- نعيم)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (٧٨/ ٢٤٤) من طريق سفيان به مرسلاً.وهو مرسل صحيح.

وفي البيت: أن هؤلاء مقطوع لهم بالجنة شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ.

قوله: (الفردوس) اسم من أسماء الجنة، وهو اسم لأعلى الجنة وأوسطها وفي صحيح البخاري باب (وكان عرشه على الماء): برقم ٧٤٢٣ -قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي هِلاَلٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا**

كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»

✍قوله: (بالنور تسرح) أي بمن عليها من أهل النور والوضاءة والبهاء والحسن.

✍قوله: (تسرح) أي تذهب حيث شاء راكبها وفي هذا أن أهل الجنة يتزاورون فيها ويغدون ويروحون لتتم لذتهم وليكمل أنسهم وسرورهم.

✍قوله: (الممدح) أي: الذي له المدائح الكثيرة، والمدائح الكثيرة لهؤلاء جميعـًا ومن أعظم هذا المدح تبشيرهم بالجنة.

❀◊❀

يقول الناظم:

٢١ (وبالقدر المقدور أيقن فإنه دعامة عقد الدين، والدين أفيحُ)

الشرح:

١/ تعريف القدر:

القدر بفتح الدال المهملة: قال الحافظ (١١ / ٤٧٧): قال الكرماني: المراد بالقدر حكم الله. وقالوا- أي: العلماء-: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله.

٢/ في البيت إثبات الإيمان بالقدر وأنه من أركان الإيمان. فالإيمان بالقدر أصل من أصول الدين ، وعمود من أعمدته ، وإنْ انهدم فلا يبقى إيمان ولا دين ، فالدين له فروع كثيرة ولكنه يقوم على ستة أصول لا ينفك بعضها عن بعض منها الإيمان بالقدر ، وبزوال شيء منها ينهدم الدين ولا يبقى هناك توحيد.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات القدر وتقريره.

فمن الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (القمر: ٤٩)،

وقوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ (الأحزاب: ٣٨)،

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ (الفرقان: ٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منه:

ما روى مسلم في صحيحه - (باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر)برقم (١٠٢)- حَدَّثَنِى أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِىُّ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِى الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِىُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِىُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاَءِ فِى الْقَدَرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِى أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِى سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَىَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ. قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ**

اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « **أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ** ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِى « **يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ** ». قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** ».

✍قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيده تكذيبه.

۞ الإيمان بالقدرلا يكون إلا بالإتيان بمراتب القدر،وهي أربع مراتب:

١/ علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا:

فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (الطلاق: ١٢).: وأنه أحاط بكل شئ علمـًا ، وأنه علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.كما قال تعالى في سورة (الأنفال٢٣) (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ).

✍وقال تعالى في سورة (سبأ): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

وقال تعالى كما في سورة (لقمان١٦) ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

وروى أحمد في المسند- (ج ٢ / ص ٢٥٣) برقم(٧٤٣٨) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (**ما من مولود يولد الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يشركانه**) قالوا يا رسول الله فكيف ما كان قبل ذلك قال (الله أعلم بما كانوا عاملين).قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وروى البخاري في صحيحه - برقم (١٣١٨)- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عطاء بن يزيد الليثي: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين).

وأخرجه مسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم ٢٦٥٩

٢/ المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى قيام الساعة.

قال تعالى في سورة (الحج: ٧٠): ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وقال تعالى في سورة (يس: ١٢): ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾: وأن كل شيء كتب ودُوِّن في اللوح المحفوظ.

وقال الله تعالى كما في سورة (القمر٥٢-٥٣) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾.

وقال تعالى في سورة (الحديد٢٢) ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

✍وروى مسلم في صحيحه باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم(٦٩١٩)- حَدَّثَنِى أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلاَنِىُّ عَنْ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِىِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»..

✍روى أبو داود في سننه باب في القدر برقم - (٤٧٠٢)- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُسَافِرٍ الْهُذَلِىُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِى عَبْلَةَ عَنْ أَبِى حَفْصَةَ قَالَ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لاِبْنِهِ يَا بُنَىَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ** ». يَا بُنَىَّ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّى** ». قال الألباني صحيح.

٣) الإيمان بالمشيئة:

وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يمن. كما قال تعالى في سورة (يس: ٨٢): ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

✍وقال تعالى في سورة (التكوير٢٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

✍وقال تعالى في سورة (البقرة من الآية٢٥٥) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

✍وروى الترمذي في سننه- (٢٥١٦) - حدثنا أحمد بن محمد بن موسى أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال ح وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا أبو الوليد حدثنا ليث بن سعد حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس قال:

كنت خلفت رسول الله ﷺ يوما فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**) قال الألباني: صحيح.

ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً ما جاء في ديوان الإمام الشافعي - (ج ١ / ص ١٠٧) من البحر: متقارب تام:

مـا شـئتَ كـان وإن لـم أشـأ ... ومـا شـئتَ إن لـم تشـأ لـم يكـن
خلقـتَ العبـاد علـى مـا علمـتَ ... وفي العلـم يجـري الفتـى والمسـن
علـى ذا مننـتَ وهـذا خـذلتَ ... وهـذا أعنـتَ وذا لـم تُعـن
فمـنهم شـقي ومـنهم سـعيد ... ومـنهم قبـيح ومـنهم حسـن

٤) الإيمان بالإيجاد والخلق:

وأن الموجد الخالق للأشياء كلها هو الله تعالى كما قال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾ (الفاتحة١).

وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑥②﴾(الزمر٦٢)

وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ⑨⑥﴾ (الصافات٩٦).

ومن السنة أدلة منها:

ما جاء في صحيح البخاري - (٣٠١٩) - حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال (**اقبلوا البشرى يا بني تميم**). قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال (**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**). قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال (**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء**

وخلق السماوات والأرض). فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها.

فهذه مراتب القدر ، وليس هناك مخلوق إلا ويمر بهذه المراتب ، وهذه المراتب لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها ، وكل مرتبة منها عليها عشرات الأدلة من الكتاب والسنة ، وجمعها أحدهم في بيت واحد فقال:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينٌ.

۞ أهل السنة والإيمان بالقدر:

✍فمذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره هو ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو: أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

✍وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه.

✍وأنه سبحانه علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها.

✍وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون.

كما أن "سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر"

۞ المعتزلة القدرية فضائحهم وفرقهم:

✍من فضائحهم: نفيهم صفات الباري جل جلاله حتى قالوا أنه ليس له سبحانه علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا بقاء وأنه لم يكن له في

الأزل كلام ولا أرادة ولم يكن له في الأزل اسم ولا صفة لأن الصفة عندهم هو وصف الواصف ولم يكن في الأزل واصف والاسم عندهم التسمية ولم يكن في الأزل مسم اذ لم يكن له كلام في الأزل عندهم وهذا يوجب أن لا يكون لمعبودهم اسم ولا صفة هذا قولهم في صانع العالم وبديهة العقل تقتضي فساده لإحاطة العلم باستحالة كون من لا علم له ولا قدرة له ولا سمع له ولا بصر له صانعا للعالم ومدبرا للخليقة ومما اتفق جميعهم غير الصالحي من فضائحهم قولهم أن المعدوم شيء حتى قالوا أن الجوهر قبل وجوده جوهر والعرض عرض والسواد سواد والبياض بياض ويقولون أن هذه الصفات كلها متحققة قبل الوجود وإذا وجد لم يزدد في صفاته شيء بل هو الجوهر والعرض والسواد في حال الوجود على حقائقها المتحققة في حال العدم وهذا منهم تصريح بقدم العالم ومن كان قوله في الصانع على ما وصفناه وفي الصفة على ما ذكرناه لم يبق له اعتقاد صحيح ولم يكن دعواه في التلبس بالديانة إلا تلبيسا منه على أهل الديانة ليسلم من سيوف المسلمين المسلطة عليهم إلى يوم القيامة.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم أن الله تعالى لا يرى وأنه لايرى نفسه وقال كثير منهم أنه لا يرى شيئا ولا يبصر بحال وليس معبودهم على هذا القول إلا كما نهى إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أباه عن عبادته حين قال إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم أن كلام الله تعالى مخلوق له يخلق لنفسه كلاما في جسم من الأجسام فيكون فيه متكلما وأنه لم يكن متكلما قبل أن خلق لنفسه كلاما ليت شعري كيف يكون كلام المتكلم مسموعا من غيره ولو كان الأمر على ما قالوه لكان الأمر والنهي والشرع لذلك الجسم الذي خلق فيه الكلام وذلك خلاف قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون وزعموا أن الكلام هو المكتوب في الصحف والمقروء بالألسنة غير الكلام الذي نزل به

جبريل على المصطفى عليهما الصلاة والسلام بل كان ذلك عرضا معلوما وهذا الذي يتلى ويكتب عرض آخر وجد وهذا خلاف قول الأمة قبلهم.

ومما اتفقوا عليه قولهم إن أفعال العباد مخلوقة لهم كل واحد منهم ومن جملة الحيوانات كالبقة والبعوض والنملة والنحلة والدودة والسمكة خالق خلق أفعاله وليس خالقا لأفعالهم ولا قادرا على شيء من أعمالهم وأنه قط لا يقدر على شيء مما يفعله الحيوانات كلها ففعل الذباب والبقة والجرادة أفعال هي خالقة لها وليس الباري سبحانه قادرا عليها فأثبتوا خالقين لا يحصون ولا يحصرون حتى أن مذبة لو تحركت على دن من الخل تطاير عنها أكثر من ألف خالق أو قريب منها وقد فارقوا بهذه المقالة لسان الأمة فإن الأمة كلهم قبلهم كانوا يقولون لا خالق إلا الله كما يقولون لا إله إلا الله وخالفوا بهذا أيضا قوله سبحانه وتعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار وقوله تعالى فأروني ماذا خلق الذين من دونه فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق هذه المطالبه ولم يكن لهذا الإنكار عليهم حقيقة

ومما قالوا إن أفعال الحيوانات خارجة من قدرة الله تعالى ولم يوجبوا تخصيصا في وصف كونه قادرا فقد مهدوا بذلك طريق القول بالتثنية.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم إن حال الفاسق الملي منزلة بين منزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر وإنه إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالدا مخلدا في النار مع جملة الكفار ولا يجوز لله تعالى أن يغفر له أو يرحمه ولو أنه رحمه وغفر له يخرج من الحكمة وسقط من منزلة الآلهية بغفران الشرك به قال تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يرد قولهم هذا قوله الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وقوله تعالى أنه لا ييأس من روح الله

الا القوم الكافرون وليت شعري كيف حجروا على الله في مقدوره وحظروا عليه التصرف في مطلق ملكه وكيف منعوه العفو فيما يثبت له في عبده من حقه

ومما اتفقوا عليه من مساوئ مقالاتهم قولهم أن الله تعالى لم يرد أن يكون الزنا واللواط والقتل ومعصية العصاة وكفر الكافرين وجميع الفواحش قبيحة مذمومة وهذا يوجب أن تكون جميعها مرضية حسنة أو يكون عن جميعها غافلا ساهيا وهذا خلاف قوله تعالى وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن كان عليما حكيما وخلاف قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وخلاف ما اتفق عليه العقلاء من ان من لم يرد أن يكون القبيح قبيحا والمذموم مذموما ولم يرد أن يكون كفر الكافرين ومعصية العصاة وظلم الظالمين وزنا الزناة مذمومة غير مرضية كان في السفه والجا وعن حكم الحكمة خارجا.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم إن كثيرا من الأشياء تجب على العبد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه أمر مثل النظر والاستدلال وشكر المنعم وترك الكفر والكفران ثم يقولون إن هذا العبد إذا أتى بهذه الأشياء على قضية عقله دون أمر ربه سبحانه وجب على الله تعالى أن يثيبه من غير أن يكون من قبله فيه أمر أو خبر أو وعد أو وعيد أو تكليف ثم إذا أتى به وجب على العبد شكره فإذا شكره وجب على الله ثوابه وهكذا يدور الأمر بين العبد والرب وهذا يوجب أن لا يتمكن الرب على قولهم من أن يخرج الرب من واجبات العبد تعالى الله عن قولهم من غير أن يكون عليه تكليف أو شريعة مرتبة عليه وعلى قياس هذا يكون كل واحد منهما مؤديا للواجب ولا يكون لأحدهما فضل على الآخر وزادوا على هذا فقالوا إذا خلق الله شيئا من الجماد وجب عليه أن يخلق حيا وأن يتم عقله حتى يستدل ويعتبر ويستحق الثواب بأداء المستحق ومن قضى واجبا لم يستحق عليه شيئا كمن يقضي دينا لم يستحق على صاحبه فضلا على هذا فقالوا إن كل ما يناله العبد من ربه من النعم فإنما يناله باستحقاق منه لا بفضل من الله تعالى فاستنكفوا من أن يروا لله تعالى فضلا على أنفسهم وقالوا إن أسنى المنازل منزلة الاستحقاق.

ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم إن العبد لا يحصل له صفة الإيمان حتى يعلم جميع ما هو شرط في إعتقادهم ويبلغ في معرفته درجة علمائهم كأبي الهذيل والنظام وغيرهما ويقدر فيه على تقرير الدلالة ويتمكن من المناظرة والمجادلة ومن لم يبلغ تلك الدرجة كان كافرا لا يحكم له بالإيمان ولهذا حكموا بالكفر على جميع عوام المسلمين ولذلك زعموا أن علماء مخالفيهم كفرة كلهم وكفر كل فريق منهم جميع فرقهم وهذا يوجب أن لا يكون عند كل واحد منهم مؤمن سواه وأن يكون منفردا بدخول الجنة مع ما ورد من الأخبار في كثرة أهل الجنة ولأجل هذه المقالة قال علماء أهل الحق وأئمتهم أن المعتزلي بالتقليد كافر بالإجماع.

ثم زادوا على هذا ما هو أفضح منه فأنكروا من مفاخر رسول الله ما كان مختصا به زائدا على الأنبياء كوجود المعراج وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ووجود حوض الكوثر وأنكروا ما ورد في هذه الأبواب من الآثار والأخبار وأنكروا عذاب القبر أيضا وأنكروا قول عمر أني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر مع اتفاق أهل النقل على روايته هذا الخبر على الاستقاضة وقول جميع المسلمين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي عذاب القبر قد بلغت الأخبار حد التواتر في المعنى وإن كان كل واحد منها لم يبلغ حد التواتر في اللفظ فأنكروا ما في ذلك من نصوص القرآن كقوله تعالى في صفة آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب واعلم أن ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم واتفقت عليه كلمتهم وهم فرق شتى:

١ - الفرقة الأولى الواصلية:

أتباع واصل بن عطاء الغزال وهو رأس المعتزلة وأول من دعا الخلق إلى بدعتهم وذلك أن معبدا الجهني وغيلان الدمشقي كانا يضمران بدعة القدرية ويخفيانها عن الناس ولما أظهرا ذلك في أيام الصحابة لم يتابعهما عل ذلك أحد

وصارا مهجورين بين الناس بذلك السبب إلى أيام الحسن البصري وكان واصل في غرار من القولين يختلف إليه الناس وكان في السر يضمر اعتقاد معبد وغيلان وكان يقول بالقدر والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين فكانت الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون أنهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية وإن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافي إيمانا في قلوبهم وكان الخوارج يقولون أنهم كفرة مخلدون في النار مع الكفار فخالف واصل القولين وقال إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر وأنه في منزلة بين المنزلتين وحكمهم في الآخرة أنهم مخلدون في النار مع الكفار وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفر له فخالف في هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل جانبا مع أتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين.

ولما أظهر واصل هذه البدعة واعتزل جانبا وافقه عمرو بن عبيد على هذه البدعة ولم يقدرا على إظهار قولهما فلما عرف الناس من واصل قوله بالقدر وكانوا يكفرونه بالقول الأول الذي ابتدعه في فساق أهل الملة كانوا يضربون به المثل ويقولون مع كفره قدري فصار ذلك مثلا سائرا بين الناس يضربونه لكل من جمع بين خصلتين فاسدتين وكان قوله موافقا لقول الخوارج في تخليد العصاة في النار مخالفا لهم في القول بمنزلة بين المنزلتين والمعتزلة بعده تمسكوا بهذا القول ولهذا قيل في المعتزلة أنهم مخانيث الخوارج ونسبهم إسحاق بن سويد إلى الخوارج في شعره فقال:

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب

ثم أحدث واصل بدعة ثالثة وذلك أن المسلمين كانوا في علي وأصحابه وفي أصحاب الجمل الذين كانت فيهم عائشة وطلحة والزبير على قولين فكانت الخوارج تقول: إن عائشة وطلحة والزبير كفروا بمقاتلتهم عليا وكان علي يومئذ

على الحق ولكنه كفر بعد ذلك بالتحكيم وكان الباقون من الأمة يقولون إن فريقي حرب الجمل كانوا مؤمنين مسلمين ولكن الحق كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والآخرون كانوا على خطأ اجتهاد لا يلزم به الكفر ولا الفسق ولا التبري والعداوة ثم إن واصل بن عطاء خالف الفريقين وزعم أن فريقي حرب الجمل كانوا فساقا لا بعينه ورتب على هذا فقال لو شهد عندي رجلان من هذا العسكر ورجل من ذلك العسكر لم اقبل فقيل له شهد من هذا العسكر على والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ومن ذلك العسكر عائشة وطلحة والزبير هل تقبل شهادتهم فقال لو شهدوا جميعهم على باقة بقل لم أقبل هذا قول شيخ المعتزلة الذي به يفتخرون في اعلام الدين واعيان الصحابة وليس العجب من المعتزلة حين بايعوه وافتخروا به ويقول بل العجب من الروافض حين افتخروا بقوله وانتحلوا مذهبه وهذا قوله في علي وأصحابه وكيف يوالون عليا وأولاده ويذهبون إلى مذهب هذا الشيخ الضال الذي يقول في علي وأولاده ما ذكرناه.

٢ - الفرقة الثانية العَمرية:

منهم العمرية وهم أتباع عمرو بن عبيد مولى بني تميم وكان يوافق واصلا فيما ذكرنا من بدعته وزاد عليه أن قال كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل فسقوا وهو خالدون مخلدون في النار وهؤلاء لا يقبلون شهادة واحد من فريقي حرب الجمل.

٣ - الفرقة الثالثة الهذلية:

وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف وكان من موالي عبد القيس وله فضائح كثيرة فيما أحدثه من البدع حتى كفر بتلك البدع جميع الأمة وكفر أيضا سائر المعتزلة وصنف المردار من المعتزلة كتابا في تكفير أبي الهذيل وكذا الجبائي وذكرا في تصنيفهما أن قوله يؤدي إلى قول الدهرية.

فمن جملة فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جل جلاله حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء قال وإذا دخل ذلك الوقت فنى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى عندهم على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة ولا أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة وتفنى قدرة أهل الجنة حتى لو كان قد مد واحد من أهل الجنة يده إلى شيء من ثمارها ودخل تلك الحالة لم يقدر الباري تعالى أن يوصل تلك الثمرة إلى يده ولا على أن يقدر العبد على أن يوصل يده إليها وأهل الجنة كلهم يبقون همودا جمودا ساكنين لا يقدرون على حركة ولا على نطق وينقطع عذاب أهل النار في ذلك الوقت وهذا قول منه يبطل الرغبة والرهبة ويهدم فائدة الوعد والوعيد ولئن قصد بعض أصحابه أن يستر عليه هذه الفضيحة ويخفي هذه البدعة لم يمكنه لأنه ذكرها في تصانيف له مثل كتاب الحجج وغيره من الكتب التي صنفها على الدهرية وطرقها بهذه المقالة إلى تمهيد الحاد الدهرية وطول لسانهم على المسلمين بإرتكابهم هذه البدعة.

ومن فضائحه قوله بطاعة لا يراد بها الله تعالى وركب على هذه البدعة فقال ليس في الدنيا زنديق ولا دهري إلا وهو قطب الله تعالى في كثير من الأشياء ولم يكن له قصد التقرب إلى الله ﷻ لأنه لا يعذبه.

ومن فضائحه بأن علم الباري هو هو وقدرته هي هو ولو كان كما قاله لم يكن عالما ولا قادرا ولكن علمه قدرته وقدرته علمه وكان لا يتحقق الفرق بينهما اذا كانا يرجعان إلى ذات واحدة.

ومن فضائحه قوله في أن كلام الله تعالى ما هو إلا عرض لا في محل ولو جاز هذا لجاز أن يكون سائر الاعراض لا في محل ولكن مالا محل له لا يكون متكلما به لا هو ولا غيره ولا يمكنه أن يقول إن فاعل الكلام هو المتكلم به لأن كلام أهل الجنة وأهل النار وجميع أفعالهم مخلوقة له تعالى في الآخرة فلا يمكنه أن يقول أنه متكلم بكلامهم وله من الفضائح ما لا يحتمل هذا المختصر بيانه.

٤ - الفرقة الرابعة النظامية:

أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار الذي كان يلقب بالنظام والمعتزلة يقولون إنما سمى نظاما لأنه كان حسن الكلام في النظم والنثر وليس كذلك وإنما سمى به لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها وكان في حداثة سنة يصحب الثنوية والسمنية الذين يقولون بتكافئ الأدلة وفي حال كهوليته كان يصحب ملحدة الفلاسفة وكان قد اخذ منهم قولهم بأن أجزاء الجزء لا تتناهى ولا يزال يمكن أن يفصل من الخردلة الواحدة شيئا بعد شيء مالا ينتهي إلى جزء واحد لا جزء له ولزمه على هذا قدم العالم وهذا ركوب منه مالا يقبله عقل أصلا إذ لو كان يمكن أن يفصل من الخردلة من الأجزاء مالا يتناهى وكان ممكنا ذلك في الجبل العظيم بطل الفرق بينهما ولا يمكنه أن يعتذر عنه بأن الأجزاء المفصولة من الجبل تكون اعظم من المفصولة من الخردلة لان الخردلة إذا كان يمكن أن يفصل عنها مالا يتناهى فلا يزال يفصل منها ويجمع حتى يتركب ويتراكم ويصير مثل الجبل وأضعافه وكلمة أبو الهذيل في هذه المسألة فقال لو كان كل جزء من الجسم لا نهاية له لكانت النملة إذا دبت على البقلة لا تنتهي إلى طرفها فقال إنها تطفر بعضا وتقطع بعضا وهذا منه كلام لا يقبله عقول العقلاء لأن ما لا يتناهى كيف يمكن قطعه بالطفرة فصار قوله هذا مثلا سائرا يضرب لكل من تكلم بكلام لا تحقيق له ولا يتقرر في العقل معناه.

ومن فضائحه قوله يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد لانه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه وركب على هذا فقال كل ما فعله الله بالكفار فهو صلاحهم ولم يكن في مقدوره أصلح مما فعل

وقد بينا نحن أن الوجوب على الله تعالى محال وكل عاقل يعلم أن الكافر لا صلاح له في كفره ولا ما يحل به من تبعات فعله فعلى هذا يجب أن يكون حجة الله منقطعة حتى لا يكون له على عبيده حجة ويصور ذلك في ثلاثة ولدوا دفعة واحدة بطنا واحدا فأمات الله أحدهم في حال الطفولية وبلغ منهم اثنان فكفر أحدهما

وآمن آخر فيدخل الله يوم القيامة في الجنة من مات في حال الطفولية ولا يبلغه منها الدرجة العظيمة ويدخل الذي آمن الجنة ويعطيه الدرجة العظيمة ويدخل الذي كفر النار فيقول الطفل الذي مات في صغره لم لم تبلغني درجة الذي آمن بعد البلوغ فيقول له لأنه آمن وأنت لم تؤمن فيقول الذي مات طفلا هلا بلغتني حال البلوغ حتى كنت أؤمن بك كما آمن هو فيقول الله تعالى له لم ابلغك حال البلوغ لأني علمت أنك لو بقيت لكفرت فاخترمتك قبل البلوغ لأن صلاحك كان فيه حتى سلمت من النار فإذا سمع الذي في النار هذا الكلام يقول فلم لم تخترمني قبل البلوغ حتى كنت اسلم من النار وكان يكون فيه صلاحي فنعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى مثل هذه الرذيلة

ومن فضائحه قوله في القرآن أنه لا معجزة في نظمه وكان ينكر سائر المعجزات مثل إنشقاق القمر وأن كان قد نطق به القرآن في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر وكذلك كان ينكر تسبيح الحصى في يده ونبوع الماء من بين أصابعه وكان في الباطن يميل إلى مذهب البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء فتكلم بهذين المذهبين اللذين يبطل أحدهما حدث العالم، والآخر يبطل ثبوت النبوة وكان لا يقدر على إظهار ما كان يضمره من الإلحاد وكان لا يعجبه ان يقبل كلف العبادات وكان يقول ان الإجماع ليس بحجة والخبر المتواتر ليس بحجة وكان يرد على الصحابة جميع ما تكلموا فيه واتفقوا عليه وكان سيرته الفسق والفجور فلا جرم كان عاقبته أنه مات سكران وكان قد قال في صفة حاله:

ما زلت آخذ روح الزق في لطف   واستبيح دما من غير مذبوح
حتى انتشبت ولي روحان في بدن   والزق مطرح جسم بلا روح

وكان آخر كلامه وما ختم به عمره انه كان يده في القدح وهو على علية فأنشأ يقول:

اشرب على طرب وقل لمهدد   هون عليك يكون ما هو كائن

فلما تكلم بهذا الكلام سقط من تلك العلية ومات باذن الله تعالى وفرق الإسلام كلهم يكفرونه واسلاف المعتزلة ايضا يكفرونه وكفره أبو الهذيل في كتاب

الاعراض وصنف الإسكافي منهم كتابا في تكفيره وصنف جعفر بن حرب أيضا في تكفيره فمن وقف من حاله على هذا القدر الذي وصفناه استغنى به عن ذكر سائر فضائحه ونسأل الله تعالى العصمة من كل بدعة.

٥ - الفرقة الخامسة الأسوارية:

وهم أتباع على الأسواري وكان من أتباع النظام موافقا له في جميع ما ذكرناه من فضائحه وضلالاته وزاد عليه بأن قال إن ما علم الله تعالى أن لا يكون لم يكن مقدورا لله تعالى وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله تعالى متناهية ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية والقول به كفر من قائله.

٦ - الفرقة السادسة المعمرية:

أتباع معمر بن عباد وكان رأسا من رؤوس الضلال والإلحاد وكان يقول إن الله تعالى لم يخلق من الأعراض من لون أو كون أو طعم أو رائحة أو حياة أو موت أو سمع أو بصر وأنه لم يخلق شيئا من صفات الأجسام وهذا خلاف قوله تعالى قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير وكان يقول هذا الملحد ان الله تعالى خلق الأجسام بفعل الاعراض بطبائعها فقوله يوجب ان لا يكون لله تعالى كلام ولا نهي لانه لا يقول كلام الله تعالى أزلى كما يقول أهل السنة ولا يقول إنه مخلوق لله تعالى لأن عنده إنه لم يخلق الأجسام وأنه لم يخلق ما ليس بجسم.

ومن بدعه انه كان يقول ليس الأنسان الصورة التي شاهدناها وإنما هو شيء في هذه الصورة عالم قادر مختار يدبر التدبير لا متحرك ولا ساكن ولا متلون ولا مرئي ولا مدرك بالذوق والشم ولا بشيء من الحواس وانه ليس في مكان دون مكان ولم يذكر هذا الا من يصف الأنسان بصفات خالقه ومن لا يطلق عليه مالا يطلقه على خالقه ويلزم على هذا القول ان لا يكون في الدنيا من رأى انسانا قط

وهذا يوجب ان يقال ان الصحابة لم يروا رسول الله وان احدا لم ير نفسه ولا اباه ولا امه ولا رآه غيره ومن كان هذه مقالته لم يكن معدودا في جملة العقلاء واعجب من ذهابه إلى هذه المذاهب الفاحشة افتخار الكعبي به في كتابه وإثباته اياه في مشايخ المعتزلة ومثله لا يفتخر به الا مثله وكل طير يقع مع شكله وقد وهبناه له ولا مثاله كما قال الشاعر:

هل مشتر والسعيد بايعه هل بائع والسعيد من وهبا

٧ - الفرقة السابعة البشرية:

وهم أتباع بشر بن المعتمر

ومن فضائحه قوله في باب التولد ان الإنسان يخلق اللون والطعم والرائحة والسمع والبصر وجميع الإدراكات على سبيل التولد وكذلك يخلق الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهو في هذا القول مخالف لاجماع المسلمين لأن أهل السنة لا يقولون بالتولد أصلا والمعتزلة الذين يقولون بالتولد لا يفرطون فيه ولا يقولون بالتولد إلا في الحركات والاعتمادات فهذه له بدعة زائدة على بدعهم.

ومن ضلالة قوله أن حركة الجسم في المكان الأول في مكان ثان ولا واسطة بينهما وإذا لم يكن بين المكانين واسطة لم يكن هذا الكلام الذي يقول معقولا ولم يكن له حقيقة بحال ومن ضلالته قوله إن الله إذا غفر ذنوب عبد من عباده ثم رجع العبد إلى ذنب عذبه على هذا الذنب الثاني وعلى ما تقدم من ذنوبه التي غفرها له قيل له فما تقول في كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر ثم يموت قبل أن يتوب من شرب الخمر فقال يعاقب على شرب الخمر وعلى كفره الذي كان من قبل فقيل له أتوجب أن يكون من شرب الخمر من المسلمين يناله في العاقبة ما ينال الكفار من العقوبة قال هذا قول وهذا منه قول بخلاف إجماع المسلمين لأن المعتزلة وإن قالوا بمنزلة بين المنزلتين وإن الفاسق يخلد في النار فإنهم لا يقولون إنه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال.

٨/ الفرقة الثامنة الهشامية:

أتباع هشام بن عمرو الفوطي وكان من جملة القدرية وزاد عليهم في بدع كثيرة منها قوله إنه لا يجوز لواحد من المسلمين أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل فخرق بهذا القول إجماع المسلمين وزعم أنه لا يجوز أن يسمى وكيلا خلاف قوله تعالى رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فأتخذه وكيلا وخلاف قول النبي فيما ذكره من أسمائه سبحانه فإنه عد منها الوكيل وهذا شيء وقع لهذا الجاهل لشدة غباوته وجهله بمواقع اللغة فإن الوكيل في اللغة بمنزلة الكافي ويكون بمنزلة الحفيظ لقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أو حفيظ.

ومن بدعه قوله إن الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين ولم يضل الكافرين فقد قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال وما يضل به إلا الفاسقين.

واعلم أن عباد بن سليمان كان من أصحابه وزاد عليه بدعة فقال ما خلق الله سبحانه وتعالى كافرا قط قال لأن الكافر يشتمل على ذاته وكفره قال والله لا يخلق الكفر عندي وقياس قوله يوجب أن لا يكون خالقا لمؤمن لأن إيمان المؤمن لا يكون مخلوقا عنده للباري تعالى وقال أيضا لأن الاعراض لا تدل على شيء وركب عليه فقال أن إنشقاق القمر وفلق البحر وقلب العصا حية لا يدل على شيء من معجزاتهم.

ومن فضائح الفوطي وبدعه قوله إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين الآن وإن كل من قال أنهما مخلوقتان الآن فهو كافر وهذا القول منه زيادة منه على ضلالة المعتزلة لأن المعتزلة لا يكفرون من قال بوجودهما وإن كانوا ينكرون وجودهما الآن وكل من أنكر كون النار مخلوقة يقال له يوم القيامة ما اخبر الله عنه وهو قوله انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون.

ومن جهالاته قوله إن الجنة لا يكون فيها افتضاض إذ لا يكون هناك ألم ولم يعرف هذا الأحمق أن القادر على ان يخلق الجنة ونعيمها وأن يزينها بالحور العين قادر على أن يحفظهم من الألم عند الملاقاة وكان هذا المدبر يجوز قتل مخالفيه حيله ومن جوز هذا في المسلمين لم يتحاش المسلمون عن تجويزه فيه وفي أتباعه.

٩ -الفرقة التاسعة المردارية:

أتباع أبي موسى المردار وكان يقال له راهب المعتزلة يشتغل بالترهب كما كان يشتغل به رهبان النصارى وكان في الحقيقة مردارا أحق الله فيه حقيقة لقبه كما قال الشاعر:

وقل ما أبصرت عيناك من رجل … الا ومعناه ان فكرت في لقبه

وكان من أنواع ما ارتكبه من كفره قوله ان الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه وكان يقول ان كل من جالس السلاطين فهو كافر لا يرث المسلمين ولا يرثه المسلمون.

والباقون من المعتزلة كانوا يقولون ان من جالس السلطان فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر خالد مخلد في النار وهذا خلاف قول المسلمين قبلهم وخلاف أصول أهل السنة وكان يقول ان الله قادر على أن يظلم ويكذب ولو ظلم وكذب كان إلها ظالما كاذبا وهذا القول لا يليق الا بدينه الرقيق الذي ليس به تحقيق وكان يقول كل من قال بجواز رؤية الباري سبحانه فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر ومن شك في كفر من شك في كفره فهو كافر لا إلى غاية وكل من أطلق مثل هذه المقالة فهو مخذول لا شك في كفره.

١٠- الفرقة العاشرة الجعفرية:

وهم أتباع جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وهما كانا أصلين في الجهالة والضلالة كان جعفر بن مبشر يقول فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة مع قوله بأنهم موحدون في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا

كافر وكيف يعقل قول القائل أن الموحد شر من المشرك ومن كان هذا قوله كان حقيقا بان يقال بأنه شر من جميع الكفرة وكان يقول في الفروع ان رجلا لو كان يخطب امرأة واجتمعا للعقد بينهما فوثب عليها واطاعته فألم بها ان المرأة لا حد عليها والرجل يجب عليه الحد وقوله في المرأة خلاف اجماع المسلمين وكان جعفر بن حرب على ضلالة استاذه المردار وزاد عليه بأن قال ان بعضا من الجملة يكون غير الجملة وهذا يوجب أن تكون الجملة غير نفسها لان كل بعض منها عنده غيرها فكان يقول ان الممنوع من الفعل قادر على الفعل ولكنه لا يتمكن من الفعل ولو جاز مثل هذا لجاز أن يقال ان العالم بالشيء عالم به ولكنه لا يعرف شيئا وهذا متناقض في نفسه.

١١- الفرقة الحادية عشر الاسكافية:

وهم أتباع محمد بن عبد الله الاسكافي الذي اقتدى في ضلالة القدرية بجعفر بن حرب وكان استاذه ثم زاد عليه فقال ان الله تعالى قادر على ظلم الأطفال والمجانين وليس بقادر على ظلم العقلاء البالغين ومن خرافاته أنه يقول ان الله تعالى كلم عبده ولا يجوز ان يقال متكلم فكيف يجوز أن يكون مكلما ولا يجوز أن يكون متكلما فان منعه لأجل رواية لزمه ان يمنع كونه منكرا وقد ورد به القرآن والسنة.

١٢ - الفرقة الثانية عشرة الثمامية:

أتباع أبي معن ثمامة بن أشرس النميري وكان من مواليهم لا من نسبهم وكان زعيم القدرية في أيام المأمون والمعتصم والواثق وزاد على أسلافه من ملاعين المعتزلة شيئين

أحدهما قوله بأن المعارف ضرورية كما تقوله الجاحظية وكان يقول ان من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ضرورة ليس عليه أمر ولا نهي وان الله خلقه

للسخرة والاعتبار لا للتكليف في جنة ولا نار وان الله يجعلهم في الآخرة ترابا. وكذلك كان يقول فيمن مات في حال الطفولة.

وبدعته الثانية: انه كان يقول إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها وهذا يؤدي

إلى القول بنفي الصانع إذ لو جاز ان يكون فعل بلا فاعل لجاز أن يكون كل فعل بلا فاعل كما لو جاز ان تكون كتابة بلا كاتب جاز أن تكون كل كتابة بلا كاتب وكان يقول ان دار الإسلام دار شرك لغلبة من يخالفه في بدعته في دار الإسلام وكان يقول لا يجوز سبي النساء من دار الكفر وان من سبي امراة ثم ألم بها فهو زان وان ولده ولد الزنا هذا منه اقرار بانه من ولد الزنا لنه كان من أولاد السبايا.

واعلم ان هذا المبتدع كان يظهر البدعة وكان في الحقيقة ملحدا ولكنه كان يستر الحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع ثم كان يتغلب الحاده الشيء بعد الشيء في الأحايين كما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب مختلف الحديث ان ثمامة رأى يوما ناسا يسارعون إلى صلاة الجمعة مخافة أن تفوتهم الصلاة فأقبل على عبد كان معه وقال أنظر إلى هؤلاء الحمير ماذا فعل بهم ذلك العربي وكان يريد النبي.

وذكر الجاحظ في كتاب المضاحك: أن المأمون الخليفة كان قد ركب يوما فرأى ثمامة وهو سكران قد وقع في الوحل فقال له أنت ثمامة فقال أي والله فقال له الا تستحي فقال لا والله فقال عليك لعنة الله فقال تترى ثم تترى.

وأورد الجاحظ في كتابه من نوادر الحاده: ان غلام ثمامة قال له قم فصل فتغافل عنه فقال له ثانيا قم فصل فتخلص فقال أما أنا فقد تخلصت ان تركتني أنت وكان من شدة عداوته لأهل السنة أنه أغرى الواثق بأحمد بن نصر المروزي السني الخزاعي لأجل أنه كان يطعن على القدرية ووافقه ابن الزيات وابن أبي

داود لما قتله ندم على قتله وعاتبهم على ذلك فقال ابن الزيات تطيبا لقلب الواثق ان لم يكن قتله صوابا فقتلني الله بين الماء والنار.

وقال ابن أبي داود حبسني الله في جلدي ان لم يكن قتله صوابا وقال ثمامة سلط الله علي السيوف ان لم يكن قتله صوابا فاستجاب الله دعواتهم فاما ابن الزيات فانه لما دخل الحمام خسف به الأرض ووقع في الأتون وهلك فيه بين الماء والنار وأما ابن أبي داود فأصابه الفالج فبقي في جلده حبوسا إلى أن مات وأما ثمامة فرآه بنو خزاعة بمكة وقالوا هذا الذي سعى في دم عالمنا أحمد بن نصر ثم أحاطوا به وتبادروا بالسيف فقتلوه ثم أخرجوا جيفته من الحرم حتى اكلته السباع هذه كانت عاقبته في الدنيا وسيناله شؤم بدعته في الآخرة كما يستحقه.

١٣ - الفرقة الثالثة عشرة الجاحظية:

وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ فقد اغتر أصحابه بحسن بيانه في تصانيفه ولو عرفوا ضلالته وما أحدثه في الدين من بدعة وجهالاته لكانوا يستغفرون عن مدحه ويستنكفون عن الانتساب إلى مثله.

فمن جهالاته المعروفة قوله ان المعارف كلها طباع وان كل من عرف شيئا فإنما يعرفه بطبعه لا بان يتعلمه ولا بان يخلق الله تعالى له علما به

ومن جهالاته قوله ان العباد لا يفعلون الا الارادة فقط لا فعل لهم سواها

ومن بدعه قوله لا يبلغ أحد من الناس الا وهو عالم بالله تعالى وهذا يوجب أن يكون جميع المنكرين لله تعالى عارفين به وهذا خلاف المعقول والشرع وأما قوله ان العبد لا يفعل الا الارادة فيجب أن لا يكون العبد فعل صلاة ولا حجا وأن لا يكون قد فعل من موجبات الحدود مثل السرقةوالزنا شيئا.

وأما قوله: ان المعارف ضرورية فانه يوجب أن لا يكون ثواب ولا عقاب على أفعاله الموجودة منه وهذا خلاف قول المسلمين وإنما صنف كتاب طبائع الحيوان لتمهيد هذه البدعة الشنعاء أراد أن يقرر في نفوس من يطالعه هذه البدعة

ويزينها في عينه فيغتر بحسن ألفاظه المبتذلة فيها ويظن أنه إنما جمعه لنشر نوع من العلم ولا يعلم أنه إنما قصد به التمهيد لبدعته حتى إذا ألفه واستأنس به واعتقد مقتضاه انسلخ به عن دينه وقد ركب الجاحظ على قوله هذا قولا هو شر من هذا فقال ان الله تعالى لا يدخل أحدا النار ولكن النار بطبعا تجذب إلى نفسها أهلها ثم تمسكهم في جوفها خالدا مخلدا وهذا يوجب أن يقال في الجنة مثل هذا فقال انها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها فيبطل به الرغبة والرهبة والثواب والعقاب من الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ واعلم أن الكعبي عده من مشايخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه وزعم أنه عربي من بني كنانة ولو كان كما قاله لما صنف كتابا في مفاخر القحطانية على العدنانية والكنانية وما كان يجمع فيه ما هجا به القحطانية العدنانية وكان لا يستجيز انشادها فان من كان ابن رشدة لا يرضى بهجاء أبيه ولو كان عربيا لما صنف كتابه في فضل الموالي على العرب وأما تصانيفه فمن تعرف ما فيها وتأمل معانيها ومقاصده فيها علم أنه لا يشتغل بتصنيف امثالها الا من لا خلاق له ولا مروءة فان أعلى تصانيفه كتاب طبائع الحيوان وقد بينا مقصوده فيه وذلك من شر المقاصد وكيف ما كان وقد سرق أصوله من كتاب أرسطاطاليس ومن كتاب المدايني الذي صنفه في منافع أصناف الحيوان ولم يورد فيه شيئا من كيسه ولا من ذات نفسه الا أبياتا ضمها اليها قالتها العرب في معانيها زين بها حشو كتابه وأودعه مناظرة الكلب والديك والكلب والهرة والكلب والذئب وما أشبه ذلك والعاقل لا يضيع وقته بمثله فان شغل الوقت بأمثاله نوع من المقت.

ومن كتبه كتاب حيل اللصوص فيه الحيل التي يتوصلون بها إلى الفساد يمدحهم بالشطارة ويزعم أنها من موءتهم ويمدحهم باختيارهم الغلمان على النسوان وبأنهم يلعبون بالنرد والشطرنج ويحثهم على القمار ويزعم أنه من المروءة ومن الآداب المرضية ومن عد الدعارة والشطارة من المروءة وزينها

وحث عليها فقد خالف الشريعة والمروءة لأن المسلمين أطبقوا على أن من كانت هذه طريقته كان مذموما في الشريعة والمروءة

ومن كتبه ما صنفه في غش الصناعات أفسد بذلك على المفسدين أموالهم وحث بذلك الناس على الغش والخيانة ومن كتبه ما صنفه في وصف الكلاب والقحاب والمغنين وحيل الماكرين ولا يفتخر بمثل هذه الكتب الا من كان مثله لا خلاق له في دين ولا مروءة وكان مع هذه البدع الفاحشة الوحشة كريه المنظر حتى قال في وصفه الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ
شخص ينوب عن الجحيم بنفسه ... وهو القذى في كل طرف لاحظ

١٤ - الفرقة الرابعة عشرة الشحامية:

أتباع أبي يعقوب بن الشحام استاذ الجبائي في ضلالة القدرية وجوز هو والعلاف مقدورا بين قادرين كما قاله أهل السنة ولكنهم جوزوا انفراد كل واحد منهما بخلقه بخلاف أهل السنة وخلاف قول أهل القدر.

١٥/ الفرقة الخامسة عشرة الخياطية:

أتباع أبي الحسين الخياط أستاذ الكعبي في ضلالته فقد أفرط في قوله في صفة المعدوم حتى زاد فيه على جميع القدرية فوصف المعدوم بأنه جسم فيلزمه أن يجوز كون المعدوم رجلا راكبا جملا وبيده سيف مسلط عليه يصول عليه ويلقنه مثل هذه البدع حتى أنه صاحبه الكعبي بسبب هذه البدعة واستفظعها منه وقال وأن القدرية وأن قالوا في المعدوم أنه شيء وجوهر وعرض وسواد وبياض فإنهم لا يقولون أنه جسم وأنه قابل للأعراض وهذا القول منه يوجب كون الأجسام قديمة ويفضي به إلى نفي الصانع وقد ضلله الكعبي بهذه المسألة وبانكاره أخبار الآحاد وقوله لا يحتج به في أحكام الشريعة وكفى الكعبي فخرا أن يكون له مثل هذا الاستاذ الذي هو عنده ضال مبتدع وذلك ذل له في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم.

١٦/الفرقة السادسة عشرة الكعبية:

أتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بأبي القاسم الكعبي وكان يدعي في كل علم ولم يكن خلص إلى خلاصة شيء من العلوم بل كان متحليا بطرف من كل شيء كان يدعي فيه شيئا من العلوم وخالف قدرية البصرة في أشياء.

✍منها قوله بأن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره.

✍ومنها قوله ن الله لا يسمع وكان يزعم أن معنى وصفه بأنه سميع بصير عالم بالمسموع وبالمرئي.

✍ومنها أنه كان يزعم أن الله تعالى لا ارادة له وان علمه يغني عن ارادته لأن معلومه كان لا محالة قصده أو لم يقصده وهذا القول منه يوجب نفي القدرة وكونه قادرا إذ كان تقوله في نفس الارادة على أن معلومه كائن لا محالة وأيضا فان الشاهد يقضي بخلاف مذهبه وذلك أن القادر منا قد يقدر على شيء باستطاعة عرفية ولا يكون مقدوره واقعا حتى يقصد فعله ويريده.

✍ومنها انه كان يقول بإيجاب الأصلح للعبد على الله تعالى والإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئا

١٧ - الفرقة السابعة عشرة الجبائية:

أتباع أبي علي الجبائي وهو الذي أغوى أهل خوزستان وله من البدع الفاحشة ما لا يحصى.

✍منها أن شيخ أهل السنة أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى سأله يوما عن حقيقة الطاعة فقال هي موافقة الإرادة فقال له هذا يوجب أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده إذا أعطاه مراده فقال نعم يكون مطيعا وخالف الإجماع بإطلاق هذا اللفظ لأن المسلمين أجمعوا قبله على أن من قال أن الباري سبحانه مطيع لعبده كان موصوفا بالكفر في عقده ولو جاز أن يقال أنه لعبده مطيع لجاز أن يقال أنه لعبده خاضع وخاشع.

ومنها أنه كان يقول أن إسماء الباري تعالى يجوز أن تؤخذ قياسا ويجوز أن يشتق له من أفعاله إسما لم يرد به السمع ولم يأذن فيه الشرع حتى قيل له يجوز أن يسمى محبل النساء قال نعم وهذه بدعة شنيعة فضيحة

ومنها أنه كان يقول إن العرض الواحد يجوز أن يكون في محال كثيرة وذلك أنه كان يقول إن الكلام يكتب في محل فيكون عرضا موجودا فيه ثم يكتب في محل ثان فيصير أيضا موجودا فيه من غير أن ينتقل من المحل الأول أو يعدم فيه.

ومنها أنه كان يقول إن الله تعالى ليس بقادر على أن يفنى شيئا من أجسام العالم بإنفراده ولكنه إن شاء أفنى العالم بفناء يخلقه لا في محل فيفني به جميع العالم وهذا القول منه يوجب تخصيص قدرة الباري ببعض المقدورات وفيه التنبيه على صحة التثنية ويجوز كون الفناء لا في محل فناء للقديم تخصيصا لما وجد لا في محل بما وجد لا في محل كما خصوا الإرادة الحادثة لا في محل بالقديم سبحانه لأنه لا في محل.

١٨ - الفرقة الثامنة عشرة (البهشمية):

والبهشمية أتباع أبي هاشم بن الجبائي وأكثر المعتزلة اليوم على مذهبه لأن ابن عباد كان يدعو إلى مذهبه ويسمى أصحابه الذمية لتجويزه كون العبد مستحقا للعقاب لا على فعل فعله وهذا يوجب أن المرء يكون عاصيا لا على معصية فعلها ويوجب أن يكون مطيعا لا على طاعة فعلها وكافرا لا لكفر كفره.

وكان أبو هاشم هذا يقول إن من تاب عن ذنب مع إصراره على ذنب آخر لا تصح توبته عما تاب حتى أن يهوديا تاب عن كفره ولكنه منع حبة مثلا عن مستحق لم تصح توبته عن اليهودية وهذا يوجب أن يؤخذ منه الجزية بعد ما أسلم وأن لا تحل ذبيحته ولا مناكحته إذا أسلم عن مجوسيته مع هذه الحالة فهذا خلاف إجماع الأمة.

وكان يقول إن التوبة عن الذنب بعد عجز المذنب عن الذنب لا تقبل حتى لو كذب ثم قطع لسانه قبل أن يتوب أو زنى ثم قطع فرجه قبل أن يتوب لم تصح توبته وهذا يوجب أن يكون الظالم الذي ظلمه بقطع لسانه منع ربه عن قبول توبته وكان أبو هاشم هذا مع إفراطه في القول بالوعيد أفسق أهل زمانه حتى قال في صفته شاعر عن المرجئة:

يعيب القول بالإرجاء حتى ... يرى بعض الرجاء من الجرائر.
وأعظم من ذوي الإرجاء جرما ... وعيدي أصر على الكبائر

وكان من جهالته قوله بالأحوال حتى كان يقول إن العالم له حال يفارق به من ليس بعالم وللقادر حال به يفارق حال العالم ثم كان يقول إن الحال ليست بموجودة ولا معدومة ولا مجهولة وإن العالم يعلم على حالة ولا يعلم حال العالم ولا حال القادر ولا يمكن الفرق بين حال العالم وبين حال القادر إذ لا يعلم حال واحد منهما ومن لا يعلم من نفسه ما يقول كيف يقدر أن يعلمه غيره واقتدى في ذلك بقول الباطنية حيث قالوا إن الصانع لا معدوم ولا موجود وما من ثابت إلا وهو في الحقيقة موجود إذ لا واسطة بين العدم والجود ولو ثبت بينهما واسطة لجاز أن يخرج الشيء من العدم إلى الثبوت ثم من الثبوت إلى الوجود كما جاز أن يخرج من القيام إلى القعود ثم من القعود إلى الاضطجاع إذ كان القعود واسطة بين الطرفين.

ومن ضلالاته قوله إن الطهارة ليست بواجبة وكان يقول تجوز الطهارة بماء مغصوب ولا تجوز الصلاة في أرض مغصوبة وكان يفرق بينهما بأن الطهارة غير واجبة والصلاة واجبة وهذا القول منه خلاف إجماع الأمة ثم كان يستدل على أن الطهارة ليست بواجبة لجواز أن يطهر غيره وهو صحيح ثم كان يرتب على هذا فيقول إن الوقوف بعرفة والسعي والطواف ليست بواجبة لأن مشى دابته في جميع ذلك ينوب عن مشيه ويلزم على هذا أن يقول أن الزكوات والكفارات كلها ليست بواجبة لجواز أدائها بالوكلاء والنائبين وهذا القول كفر منه خالف فيه جميع الأمة كان مع ارتكابه هذه البدع يكفر المعتزلة ويتبرأ منهم حتى كان يكفر أباه وتبرأ منه

ولم يأخذ ميراثه بعد موته لتكفيره إياه وتبريه منه وكان سائر المعتزلة يكفرونه أيضا وحالهم في هذا المعنى كما وصفه الله تعالى من حال الكفار حيث قال إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب.

ومما يكشف عن افتضاحهم في مذاهبهم وتبرئ بعضهم من بعض ما حكاه أصحاب المقالات من أن سبعة من رؤوس القدرية اجتمعوا في مجلس واحد وتناظروا في أن الله تعالى هل يقدر على ظلم وكذب يختص به فافترقوا من هذا المجلس وكل منهم كان يكفر الباقين.

وذلك لأن النظام سئل في ذلك المجلس عنه فقال أنه ليس بقادر على ذلك إذ لو قدر عليه لم يأمن أن يقع منه ظلم أو كذب فيما مضى أو يقع ذلك في المستقبل أو وقع أو يقع ذلك في طرف من أطراف الأرض فقال له علي الأسواري ينبغي على هذه العلة أن لا يقدر على خلاف المعلوم والمخبر عنه فقال هو لازم فما تقول أنت فقال الأسواري أنا أقول أنه لا يقدر على الظلم والكذب ولا يقدر على خلاف المعلوم فقال له النظام هذا الذي تقول كفر وإلحاد ثم قال له أبو الهذيل ما تقول في فرعون وفي كل من علم الله أنه لا يؤمن أو أخبر عنه أنه لا يؤمن أن قلت أنه لم يكن مقدورا لهم أن يؤمنوا لزمك تكليف ما لا يطاق وأنت لا تقول به وإن قلت أنه كان مقدورا لهم كان محالا لأنه يؤدي إلى أن يكون العبد قادرا على تجهيله وتكذيبه تعالى الله عن قولهم فقالوا له هذا الجواب لازم فما تقول أنت فقال أنا أقول أنه قادر على أن يظلم ويكذب وقادر أيضا على خلاف المعلوم فقال له أرأيتك لو ظلم وكذب فقال أنه محال منه فقالوا له ما كان محالا لا يكون مقدورا فتحير هؤلاء الثلاثة ولم يدروا كيف سبيل الجواب فقال بشر بن المعتمر كل ما أنتم عليه فهو تخليط فقالوا له فايش تقول أنت هل يقدر على أن يعذب طفلا ليس له ذنب فقال يقدر فقالوا فلو عذبه كيف حكمه قال يكون الطفل عاقلا بالغا عاصيا مستحقا للعقاب ويكون الباري عادلا بتعذيبه فقالوا له كيف يكون الطفل بالغا وكيف يكون من فعل الظلم عادلا به فتحير فقال له المرداد منهم أخذتم على

أستاذي بشر شيئا منكرا مستفيضا ولكن يجوز أن يغلط الأستاذ فقال له بشر فما تقول أنت قال أقول إنه قادر على الظلم والكذب ولو وجد ذلك منه كان إلها ظالما كاذبا فقالوا له ومن كان بهذه الصفة هل يكون مستحقا للشكر والعبادة أو يكون مذموما فقال لا يكون مستحقا للشكر والعبادة فقالوا ومن لا يكون مستحقا للشكر والعبادة لا يكون إلها فتحير فقال زعيم من زعمائهم يقال له الأشج أنا أقول إنه قادر على أن يظلم ويكذب ولكنه إن ظلم وكذب كان عادلا صادقا فقال الإسكافي كيف ينقلب الظلم عدلا والكذب صدقا فتحير فقال له ما تقول أنت فقال أنا أقول إن ظلم أو كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه فقال جعفر بن حرب كأنه يقول أنه قادر على ظلم المجانين ولا يقدر على ظلم العقلاء فتحيروا وصاروا كلهم منقطعين متحيرين وكان كل واحد يعتقد أن أقوال الباقين كلها كفر.

فلما انتهت زعامتهم إلى الجبائي وابنه أبي هاشم قالا جميعا هذه مسألة لا

يمكن أن يجاب عنها ورضيا بالجهل فيما يرجع إلى وصف الاعتقاد ولو وافقهم التوفيق لتمسكوا بمذهب أهل الحق وتركوا التردد من باطل إلى باطل ولم يتمردوا فيه كما تمردوا في مسألة العالم كانوا لا يزالون يترددون من باطل إلى باطل حتى انتهوا إلى القول بأحوال مجهولة واعترفوا بأنهم يهرفون بما لا يعرفون وينتحلون ما لا يعقلون وكما تمردوا على باطلهم في مسألة الرؤية حتى انتهى بهم الكلام إلى أن قالوا أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يرى نفسه ولا غيره كما حكيناه عن الكعبي وكما تمردوا في مسئلة خلق الأفعال حتى وصل بهم إلى أن قالوا بخالقين كثيرين زائدين على ألف ألف وزادوا في ذلك المجوس والثنوية من وجهين:

١/ أن المجوس والثنوية قالوا بخالقين اثنين وهم بخالقين لا يحصرون.

٢/ أن الثنوية والمجوس لم ينفوا كون الباري سبحانه خالقا وهؤلاء الذين قالوا إن العبد يسمى خالقا والباري سبحانه لا يجوز أن يسمى خالقا خالفوا به إجماع هذه الأمة وكما تمردوا في مسألة القرآن حتى أدى بهم القول إلى أن قالوا أنه

يخلق كلاما في محل فيكون متكلما بما خلقه في ذلك المحل فلزمهم بذلك أن لا يكون هو آمرا ولا ناهيا وأن يكون الأمر والنهي لذلك المحل وأن لا يكون الله تعالى على عبده شرع ولا تكليف.

وكما تمردوا في مسئلة التعديل والتجوير أنه واجب عليه أن يخلق بعض مقدوراته وحرام عليه أن يفعل بعضها فرتبوا عليه شريعة في الواجب والمحظور أعظم مما رتبه على عبيده لأنهم زعموا أنه لو خالف في شيء مما وجب عليه أو هو محظور عليه خرج من الحكمة وسقط به عن منزلة الآلهية والعبد وأن خالف في شيء مما شرع له لم يسقط عن منزلة العبودية وأن توجه عليه نوع من العقوبة ولو أنهم بدل ما تلبسوا به من العنت والتمرد راجعوا مذهب أهل الحق سلموا عن هذه البدع.

غير أن التوفيق أعز من أن يناله أهل الشقاق والعصبية وفضائحهم أفظع وأكثر من أن يمكن جمعها في مثل هذا الكتاب وقد جمعنا في تفصيلها كتبا تشتمل على معظمها وعاداتهم التنقل في أباطليهم وتكفير بعضهم لبعض في أقاويلهم.

واعلم أن جميع ما ذكرناه من مقالاتهم الشنيعة ومذاهبهم الفظيعة لا يخفى على العاقل فسادها إذا صرف الهمة إلى تأملها.

۞ الشيعة والإيمان بالقدر:

✍جاء في [منهاج السنة: ٢/ ٢٩].يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن "قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة" وهذا كان في أواخر المائة الثالثة، وكثر بينهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه.

فأثبته متقدموهم، ونفاه متأخروهم وأدخلوا نفيه في (عدلهم) فأشبهوا المجوس.

فمذهب هؤلاء الإمامية وشيوخهم القدرية أن الله ليس على كل شيء قدير.

ومن قولهم أيضًا: إن الله لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يقدر أن يضل مهتديًا، ولا يحتاج أحد من الخلق إلى أن يهديه الله، بل الله قد هداهم هدى البيان.

ومن قولهم: إن هدى الله المؤمنين والكفار سواء ليس له على المؤمنين نعمة في الدين أعظم من نعمته على الكافرين، بل قد هدى علي بن أبي طالب كما هدى أبا جهل، بمنزلة الذي يعطى أحد بنيه دراهم ويعطي الآخر مثلها لكن هذا أنفقها في طاعة الله وهذا أنفقها في معصيته؛ فليس للأب من الإنعام على هذا في دينه أكثر مما له من الإنعام على الآخر.

ومن تمام قول الإمامية الذي وافقوا فيه المعتزلة في توحيدهم وعدلهم من متأخري الشيعة أن الله لم يخلق شيئًا من أفعال الحيوان لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم، بل هذه الحوادث تحدث بغير قدرته ولا خلقه.

فهؤلاء يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بغير مشيئته وقدرته وخلقه.

فقول القدرية يتضمن الإشراك والتعطيل؛ فإنه يتضمن إخراج بعض الحوادث عن أن يكون لها فاعل، ويتضمن إثبات فاعل مستقل غير الله. وهاتان شعبتان من شعب الكفر.

وبيان ذلك أنهم يقولون: إن الإنسان صار مريدًا فاعلًا بإرادته بعد أن لم يكن كذلك بدون محدث أحدث ذلك، وهذا أصل التعطيل.

وأما الشرك فلأنهم يقولون: إن العبد مستقل بإحداث هذا الفعل من غير أن يكون الله جعله محدثًا له.

وهذان «التعطيل، والإشراك في الربوبية» لازم لكل من أثبت فاعلاً مستقلاً غير الله. وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه، وفعل

العبد من جملة الحوادث. وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فإن شاء الله كان وإن لم يشأ لم يكن، وفعل العبد من جملة الممكنات، وذلك أن العبد إذا فعل الفعل فنفس الفعل حادث بعد أن لم يكن فلا بد من سبب. وإذا قيل: حدث بالإرادة فالإرادة أيضًا حادثة فلا بد لها من سبب.

فمن قال: إن شيئًا من الحوادث أفعال الملائكة والجن والإنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية.

ولهذا قال بعض السلف: من قال إن كلام الآدميين أو أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال: إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة.

وفي الجملة القوم لا يثبتون لله مشيئة عامة، ولا خلقًا متناولاً لكل حادث. وهذا القول أخذوه عن المعتزلة وهم أئمتهم فيه.

ولهذا كانت الشيعة في هذا على قولين: منهم من يقول ذلك، ومنهم من يقول: إنه يخص بعضهم.

ويذكر الأشعري في [مقالات الإسلاميين: ١/ ١١٤، ١١٥].أن الرافضة في أفعال العباد ثلاثة فرق:

١/ فرقة يقولون بأن أعمال العباد مخلوقة لله.

٢/ وفرقة تنفي أن تكون أعمال العباد مخلوقة لله.

٣/ وفرقة تتوسط وتقول: لا جبر كما قال الجهمي، ولا تفويض كما قال المعتزلة؛ لأن الرواية عن الأئمة - كما زعموا - جاءت بذلك، ولم يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أو لا.

۞ اختلاف القدرية والجهمية الجبرية في الظلم والعدل:

فقالت القدرية: الظلم في حقه هو ما نعرفه من ظلم الناس بعضهم بعضًا. فإذا قيل إنه خالق أفعال العباد وإنه مريد لكل ما وقع وقيل مع ذلك: إنه يعذب العاصي كان هذا ظلمًا كظلمنا، وسموا أنفسهم (العدلية).

وقالت الجهمية: الظلم في حقه هو ما يمتنع وجوده. فأما كل ما يمكن وجوده فليس بظلم؛ فإن الظلم إما مخالفة أمرِ مَنْ تجب طاعته، وإما التصرف في ملك الغير بغير إذنه والرب ليس فوقه آمر ولا لغيره ملك بل إنما يتصرف في ملكه فكل ما يمكن فليس بظلم؛ بل إذا نعَّمَ فرعون وأبا جهل وأمثالهما ممن كفر به وعصاه، وعذب موسى ومحمدًا ممن آمن به وأطاعه فهو مثل العكس فالجميع بالنسبة إليه سواء.

والقدرية يقولون: إن الله سوَّى بين المكلفين في القدرة ولم يخص المؤمنين بما فضلهم به على الكفار حتى آمنوا، ولا فضل المطيعين بما فضلهم به على العصاة حتى أطاعوا. وهذا من أقوال القدرية والمعتزلة وغيرهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل الصريح.

ومن اعتقد أن مِنَّته على المؤمنين بالهداية دون الكافرين ظلم منه فهذا جهل لأن هذا تفضل منه كما قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فتخصيص هذا بالإيمان كتخصيص هذا بمزيد صحة وعلم وقوة وحال ومال، قال تعالى في سورة [الزخرف: ٣٢]: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾، ولهذا قيل: كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل.

والظلم الذي هو ظلم أن يعاقب الإنسان على ظلم غيره قال تعالى في سورة (طه): ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

قال المفسرون: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره. والهضم أن ينقص من حسناته، فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلمًا ونزه نفسه عنه.

فأما عقوبته على فعله الاختياري وإنصاف المظلومين من الظالمين فهو من كمال عدل الله تعالى.

وقول الجمهور من مثبتي القدر ونفاته: إن الظلم مقدور لله ممكن، والله سبحانه لا يفعله لعدله، فهو منزه عنه؛ ولهذا مدح نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئًا؛ والمدح يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع.

ولا نزاع بين المسلمين أن الله عادل ليس ظالمًا؛ لكن ليس كل ما كان ظلمًا من العبد يكون ظلمًا من الرب، ولا ما كان قبيحًا من العبد يكون قبيحًا من الرب؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ثمرات الإيمان بالقدر:

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك:

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

ومن تمام الإيمان بالقدر أن يأخذ الإنسان بالأسباب، ويسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويسعى

لطلب الرزق؛ فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله.

والإيمان بالقدر على هذا النحو، يثمر سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وترك التحسر على ما فات، ويورث في الإنسان الشجاعة، والإقدام، وطرد اليأس، وقوة الاحتمال.

يقول الناظم:

٢٢ (ولا تنكرن جهلاً نكيراً ولا الحوض والميزان إنك

الشرح:

تضمن هذا البيت الإيمان بالقبر وفتنته وعذابه ونعيمه ، وأن الناس يفتتنون في القبور.روى الطبراني في الكبير عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص. أن النبي ﷺ قال: (**استجيروا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق**) قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٩٣٢ في صحيح.

وروى النسائي في سننه برقم ١٣٠٨ قال: أخبرنا محمد بن بشار عن محمد قال حدثنا شعبة عن أشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق قالت عائشة فما رأيت رسول الله ﷺ يصلي صلاة بعد إلا تعوذ من عذاب القبر. قال الألباني: صحيح، الصحيحة (١٣٧٧)

قوله: (ولا تنكرن) (لا) ناهية ، و(تنكرن) من الإنكار وهو الجحد وعدم الإثبات.

✍قوله: (جهلاً) مفعول لأجله ، أي تنكر وجودهما لأجل جهلك وبسبب قلة علمك.

✍قوله: (نكيراً ومنكراً) هذان ملكان من ملائكة الله زرق العيون سود الوجوه.

✍وسبب هذه التسمية لأنهما يأتيان على صورة منكرة لم يعهدها الإنسان وليس فيها أنسٌ للناظرين ، ويُسميان الفتانان ، لأنهما يفتنان الناس في قبورهم. فالإيمان بالمنكر والنكير من الإيمان باليوم الآخر.

✍وقد سأل رجل الإمام أحمد: هل نقول المنكر والنكير أو الملكين؟ قال (المنكر والنكير هكذا هو).

✍وقد اتفق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف وأكثرهم بعد ظهوره على إ ثبات إحياء الموتى في قبورهم ومساءلة الملكين لهم وتسمية أحدهما منكرا والآخر نكيرا وعلى إثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين.

عذاب القبر ونعيمه ثابتان بنصوص الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بهما، ويلحقان الروح والبدن معـًا، وقد نُقل على ذلك اتفاق أهل السنة.

✍هناك أناس من أهل الشبهات والضلال ومن الروافض ينكرون حسب مزاجهم وهواهم السنة النبوية فلا يأخذون بها إلا إذا كان الأمر يصب بمصلحتهم فمهما أتيت بدليل من الكتاب أو السنة لا يأخون به إن خالف هواهم وشواذهم ومزاجهم ومهما كان سندك من آية أو حديث فيقولون هذا ضعيف وهذا موضوع مع أنه يكون ضمن كتب الصحاح ، وهذه الآية لا تفسر كما فسرها أئمة التفسير والصحابة والرسول ﷺ بل وفق ما يوافق أكاذيبهم وادعاءاتهم وأباطيلهم المزيفة.

✍وعندما تأتي بدليل لا غبار عليه نهائيـًا ولم ينتقص منه أحد يقولون لك: نحن نأخذ فقط بالقرآن الكريم كتاب الله تعالى وهم بذلك أيضـًا يكذبون لأن الله تعالى أمرنا في كتابه العزيز بإتباع الرسول ﷺ بكل شيء وهذا ما سأوضحه من

نصوص القرآن الكريم والتي تأمرنا بإتباع نبينا محمد ﷺ وهذه تكون علامة المحبة أيضاً لنا من الله ﷻوالله سبحانه وتعالى يقول ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء ٨٠.

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر ٧٥.

ويقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الأحزاب21

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝٤﴾ النجم ٣-٤

ويقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ النساء.

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١﴾ آل عمران

ويقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ النساء

فهل بعد هذه الآيات الواضحة يأتي سفيه وجاهل ويقول أنا لا آخذ إلا بالقرآن الكريم وهو كاذب كما أوضحنا أعلاه ويناقض نفسه بنفسه وقد نبه رسولنا محمد ﷺ لأمثال هؤلاء الرافضة الزنادقة وأهل الضلال والبدع والشبهات.

الحديث الأول: روى أبو داود في سننه- برقم (٤٦٠٧)- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ قَالاَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِى النَّضْرِ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِى رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « **لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِى مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ نَدْرِى مَا وَجَدْنَا فِى كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ** ».قال الألباني: صحيح.

الحديث الثاني: روى أحمد بن حنبل في المسند - (ج ٤ / ص ١٣٠) برقم(١٧٢١٣) قال: - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد بن هارون قال انأ حريز بن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع الا ولا لقطة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروهم فان لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم**».قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي فمن رجال أبي داود والنسائي وهو ثقة.

إثبات عذاب القبر ونعيمه من القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

فعرضهم على النار من الواضح من سياق الآية أنه قبل يوم القيامة ومعنى يعرضون يحرقون ، هل هناك شخص يفقه بديهيات اللغة العربية ولا يرى حرف العطف الواو بين.. غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا.أم أن الكلام غير واضح لأهل هذه الشبهة التي كانت مخفية وكشفوها الآن !!! قلت سابقاً من كان همه فقط النسخ واللصق وجلب الشبهات والأكاذيب من المنتديات والمواقع المشبوهة لأمثال هؤلاء سينفضح أمرهم ويزيد أهل الإسلام تمسكهم بدينهم الذي يأخذونه من الكتاب والسنة دون تفريق وبفهم إجماع سلف الأمة.

وقال الله تبارك وتعالى-: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾[الأنفال].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنعام].

فقول ملائكة العذاب:"اليوم"يدل على الزمن الحاضر وهو بلا شك قبل يوم القيامة. فدل ذلك على أن الكفار يعذبون قبل البعث والحساب .

هاتان الآيتان واضحتان أن عذاب الكافر بالضرب يبدأ من قبض روحه.

هذه مقولة الكافر عند الاحتضار ثم ما يقوله في قبره في لهفة أن يرجع إلى الدنيا حتى يعمل صالحا. قال تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ المؤمنون

يقول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الكافر لن يطلب أن يعود إلى مال أو أهل أو ولد إنما يتمنى أن يرجع إلى الدنيا حتى يعمل صالحا، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر عندما يرى العذاب، والبرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة، وهي القبور حيث يُنعم المؤمنون ويُعذب الكافرون والعاصون.

ومن الأدلة أيضا وفق فهم إمام من أئمة الصحابة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور].

وقد روى الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: " عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة ".

أم هاتان الآيتان دالتان على أن الشهيد منعم في حياة البرزخ .

الآية الأولى: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[آل عمران.[

الآية الثانية: قال – تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[البقرة].

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

وفي الآية دليل على ثبوت عذاب القبر ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة ودلت عليه الآيات القرآنية ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وهذا لا يكون إلا في الدنيا لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

وقال أبو الحسن الأشعري- رحمه الله- في "الإبانة": مما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوا وعشيا.

وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾[التوبة: ١٠١].

اتفق أهل السنة والجماعة على أن عذاب القبر ونعيمه حق وأن المؤمن والكافر والمنافق كلهم يسألون في قبورهم وأن ذلك يقع على الروح والجسد تبعا لما تشعر به الروح وخالف في ذلك بعض الخوارج والمعتزلة واستدلوا بأدلة عقلية واهية نقلية متناقضة مؤولين ومفسرين الآيات حسب أهوائهم وأرائهم الفاسدة.

والقبر في معتقد المسلمين روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، جعله الله تعالى برزخا بين حياتين، وفاصلا بين مرحلتين، فهو بمثابة محطة للوقوف والانتظار، يقف فيها من مات – معذبا أو منعما – ريثما تنقضي أعمار الناس في حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعا إلى الدار الآخرة حيث يجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

ورغم أن هذه المرحلة (القبر) مرحلة غيبية محضة، لا تدركها العقول، ولا يصلها الحس، فلم يخرج لنا ميت ليخبرنا بما رأى، ولا نزل حي إلى أهل القبور ليعلم حالهم، فالغيب يحيط بهذه المرحلة من جوانبها، فلا طريق لمعرفة حقيقتها إلا بالخبر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إلا أنه وُجِدَ من يشغّب على تلك النصوص، أحيانا بدعوى مخالفتها للعقل والحس، وهي دعوى سنحاول مناقشتها لبيان أن عذاب القبر ونعيمه حقيقة ثابته أثبتها الشرع بنصوصه، وهي حقيقة لا تعارضها العقول، ولا ينكرها الحس.

وقد رد عليهم أهل السنة والجماعة في حينها بأدلة عقلية ونقلية قوية وصحيحة وواضحة وفي هذه الآونة ظهر بعض الأشخاص الذين تبنوا بعض هذه الآراء والأفكار المنحرفة وأخذوا يبثون سمومهم بين صفوف الأمة ويقولون أنه لا عذاب ولا نعيم في القبر قبل يوم القيامة وزعموا أن لا دليل على عذاب القبر من القرآن وأولوا بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر ورفضوا البعض الآخر كما أنكروا وجود أحاديث في نعيم القبر وأنكروا أن يكون هناك حديثا صحيحا في نعيم القبر أو سؤال الملكين إلى غير ذلك من الإدعاءات الباطلة وخطأوا الصحابة الكرام والسلف الصالح في فهمهم لعذاب القبر بل لم يأخذوا بما صح وتواتر عن النبي ﷺ من ثبوت عذاب القبر ونعيمه وأنكروا الحياة البرزخية ويا ليتهم اكتفوا بالأخذ بهذه العقائد الفاسدة لأنفسهم بل أخذوا يروجون لها بين عامة المسلمين بل ويكفرون مخالفيهم.

لذا كان لزاما على علماء الأمة أن يتصدوا لهذه الشرذمة الضالة المضلة التي اختارت مشاقة الرسول – ﷺ –وإتباع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾النساء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى(٤/ ٢٨٢) بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعـًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح مفردة عن البدن. وقال(٤/ ٢٦٢): وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة: هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

والأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة منها:

1/ ما في الصحيحين ومسند أحمد وأبى داود والنسائى من حديث أنس أن النبى ﷺ قال: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ –لمحمد– فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما، ويفسح له في قبره سبعون ذراعـًا، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون. وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه."

فقوله ﷺ: (يسمع قرع نعالهم – فيقعدانه – ضربة بين أذنيه – فيصيح صيحة – حتى تختلف أضلاعه) كل ذلك دليل واضح على شمول الأمر للروح والجسد.

2/ وروى الترمذي في سننه برقم ١٠٧١ – حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان (يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)** وفي الباب عن علي وزيد بن ثابت وابن عباس والبراء بن عازب وأبي أيوب وأنس وجابر وعائشة وأبي سعيد كلهم رووا عن النبي ﷺ في عذاب القبر).قال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن غريب وقال الشيخ الألباني: حسن ."

✍فقوله: "فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه " صريح في ذلك.

3 / وروى أحمد في" مسند ه –(ج ٦ / ص ١٣٩) برقم(٢٥١٣٣)

– حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا يزيد بن هارون قال انا بن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ذكوان عن عائشة قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابى فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية قال وما تقول قلت تقول أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت عائشة فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر ثم قال أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبى الا قد حذر أمته وسأحذركموه تحذيرا لم يحذره نبي أمته انه أعور والله ﷻ ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل

مؤمن فأما فتنة القبر فبى تفتنون وعنى تسألون فإذا كان الرجل الصالح اجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول في الإسلام فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله عز وجل ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك منها ويقال على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله وإذا كان الرجل السوء اجلس في قبره فزعا مشعوفا فيقال له فيم كنت فيقول لا أدري فيقال ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها كنت على الشك وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يعذب قال محمد بن عمرو فحدثنى سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال ان الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب واخرجى حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح له فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلى حميدة وأبشري ويقال بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فإذا كان الرجل السوء قالوا أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي منه ذميمة وأبشري بحميم وغساق ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨﴾ فما يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أرجعى ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له ويرد مثل ما في حديث عائشة سواء) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

بيان الرواية:

قوله: (ولا مشعوف) الشعف شدة الفزع حتى يذهب بالقلب.

قوله: (فيم كنت) أي في أي دين.

قوله: (ماهذا الرجل) أي الرجل المشهور بين أظهركم. ولا يلزم منه الحضور. وترك ما يشعر بالتعظيم لئلا يصير تلقينا. وهو لا يناسب موضع الاختبار.

قوله: (يحطم بعضها بعضا) من شدة المزاحمة.

قوله: (على اليقين كنت) يدل على أن من كان على اليقين في الدنيا يموت عليه عادة. وكذا في جانب الشك.

قوله: (إن شاء الله) للتبرك لا للشك.

قوله: (سمعت الناس) يريد أنه كان مقلدا في دينه للناس ولم يكن منفردا عنهم بمذهب.

قوله: (على الشك) أي خلاف اليقين اللائق بالإنسان.

4/ وفي مسند أحمد بن حنبل – (ج ٤ / ص ٢٨٧) برقم(١٨٥٥٧) – حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى

مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله ﷻ اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد في السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى وما لى قال وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله ﷻ اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

٥/: روى أحمد في مسند ه – (ج ٣ / ص ٤٥٥)برقم ١٥٨١٦) – حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا محمد بن إدريس يعنى الشافعى عن مالك عن بن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

❁بيان الرواية:

✍قوله: (نسمة المؤمن) أي روحه.

✍قوله: (يعلق) في النهاية أي تأكل. وهو في الأصل للإبل إذا أكلت العضاه. يقال علقت تعلق علوقا فنقل إلى الطير.

٦/: ما رواه البخاري في صحيحه باب ماجاء في غسل البول برقم صحيح البخاري – (ح رقم ٢١٥) – حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن خازم قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بقبرين

فقال (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة). ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة. قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) ورواه مسلم في صحيحه باب ما جاء في نجاسة البول. قال ابن المثنى وحدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش قال سمعت مجاهدا مثله (يستتر من بوله).

٧/ وروى أحمد في مسنده – (ج ٥ / ص ٣٩) برقم ٢٠٤٢٧ – حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا وكيع ثنا الأسود بن شيبان عن بحر بن مرار عن أبى بكرة قال: كنت أمشى مع النبى ﷺ فمر على قبرين فقال من يأتينى بجريدة نخل قال فاستبقت أنا ورجل آخر فجئنا بعسيب فشقه باثنين فجعل على هذا واحدة وعلى هذا واحدة ثم قال: (أما إنه سيخفف عنهما ما كان فيهما من بلولتهما شىء ثم قال إنهما ليعذبان في الغيبة والبول).قال شعيب الأرنؤوط: حديث قوي وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح غير بحر بن مرار – وهو ابن عبد الرحمن بن أبى بكرة.

✍فمجموع النصوص يدل على أن الروح تنعم مع البدن الذي في القبر، أو تعذب، وأنها تنعم في الجنة وحدها.

✍ومما ينبغي التنبيه عليه أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه إن لم يتجاوز الله عنه، قبر أم لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو حرق حتى صار رماداً، أو نسف في الهواء، أو أغرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور، قاله ابن القيم رحمه الله ونقله عنه السفاريني في لوامع الأنوار.

✍ثم اعلم أيها الموفق: أن من معاني الشهادة الثانية أي أشهد أن محمداً رسول الله أن يصدق الإنسان بما يخبر به رسول الله ﷺ ومنه إخباره بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين منكر ونكير عليهما السلام، فمن أنكر عذاب القبر وقد أخبر به رسول الله فقد شاقق رسول الله وفي سور[النساء/ ١١٥] يقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

ويقول تعالى في سورة [الأنفال/ ١٣]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾.

شبهات:

زعموا أن السلف قد أخطأوا في فهمهم لعذاب القبر الذي لم يقصد به إلا عذاب جهنم.

وذكرت الآيات الدالة على عذاب القبر في الأعلى وكما فسرها الصحابة الكرام الذين شاهدوا التنزيل، وكما فسرها سلف هذه الأمة من خير القرون لا كما فسرها هؤلاء الضالون.

قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم

هذه الآية فسرها الرسول – ﷺ – بأنها نزلت في عذاب القبر وسؤال الملكين.

روى البخاري في صحيحه باب ما جاء في عذاب القبر: ح رقم ١٣٠٣ – حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة / بهذا وزاد ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر) وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم ٢٨٧١

❁ **بيان الرواية:**

✍قوله: (أتي) أتاه الملكان وأقعداه أو سألاه.

✍قوله: (بالقول الثابت) الذي ثبت بالحجة عندهم وهي كلمة التوحيد التي تمكنت في قلوبهم. [إبراهيم ٢٧]

✍قوله: (في عذاب القبر) أي في السؤال في القبر.

✍وقوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) طه ١٢٤).

✍روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبى في التلخيص – (ج ٢ / ص ٤١٣) برقم (٣٤٣٩) – أخبرنا أبو زكريا العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق أنبأ النضر بن شميل ثنا حماد بن سلمة عن أبى حازم المدني عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم.

✍وما جاء في المسند لأحمد من حديث البراء.السابق".. ثم قال: وينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فألبسوه من الجنة وأ فرشوه منها وأروه منزله منها فيلبس من الجنة ويفرش منها ويرى منزله فيها، ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب فيقول: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم... فهذا الحديث واضح وصريح وصحيح في أن الميت في قبره ينعم كما يعذب الكافر والمنافق، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى نعيم القبر لا كما ادعى المنكرون.

✍ما رأيكم بما صح وثبت عن النبى ﷺفي الأحاديث الصحيحة المتصلة السند والتي بلغت حد التوتر والتي ذكر منها البخاري ومسلم في صحيحهما ما

يزيد على مائتى حديث صحيح في عذاب القبر ونعيمه، كما ذكر الإمام البيهقى في كتابه إثبات عذاب القبر مائتين وأربعين حديثا صحيحا في عذاب القبر ونعيمه،كما ذكر أنها كلها تذكر بصراحة ووضوح جلي دون لبس أو غموض أن الميت في قبره ينعم أو يعذب.

فهل كان الرسولﷺ يستعيذ من عذاب لا وجود له؟ وإن قالوا المقصود بعذاب القبر عذاب النار في الآخرة قلنا لهم إن هذا غير صحيح لأنه - ﷺ - كان يعطف أحدهما على الآخر والعطف يقتضي المغايرة.

✍قال الإمام القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ج٢/ ما نصه: وقد كثرت الأحاديث في عذاب القبر، حتى قال غير واحد أنها متواترة وإن لم يصح مثلها لم يصح شيء من أمر الدين.

✍وقال صاحب شرح العقيدة الطحاوية: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله– ﷺ – في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلا لذلك وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به.

✍ويكفينا دليلا كتاب إثبات عذاب القبر للبيهقى والذي ذكر فيه مائتين وأربعين حديثا، وقد بلغ عدد الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث تسعة وثلاثين صحابيا .

✍وما ذكره البيهقى في كتابه ليس جميع الأحاديث وإنما معظمها، حيث يوجد في صحيح البخاري ما يقارب مائة حديث في نعيم القبر وعذابه وفي حياة البرزخ وأن الميت يسمع وينعم في قبره أو يعذب ويضيق عليه قبره أو يتسع، وفي صحيح مسلم ما يقارب هذا العدد أو يزيد، فهل بعد ورود ما يزيد على مائتى حديث في صحيحى البخاري ومسلم بخصوص هذا الموضوع بالإضافة إلى ما ورد في كتب الأحاديث المعتمدة نقول إن أحاديث عذاب القبر أحاديث أحاد؟ حقا: عَجَبٌ قَوْلُهُمْ.

✍وقد قال الحافظ ابن الصلاح وابن حجر وابن كثير: إذا اتفق البخاري ومسلم على حديث فإنه يفيد درجة علمية يقينية قطعية كالحديث المتواتر لأن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول الحسن، ولا تجتمع الأمة على ضلالة.

✍وهناك مغالطات وتناقضات لهؤلاء الروافض وبقية أهل الضلال والشبهات التي تنكر عذاب القبر، لو أردنا أن نقف بها واحدة واحدة لطال بنا المقام.

✍وفي بدء الناظم كلامه عن الإيمان باليوم الآخر بالكلام عن الملكين منكر ونكير: إشارة إلى أن القبر وما فيه هو أول منازل الآخرة وأن من مات قامت قيامته ، والمؤمن يؤمن بهذا وبكل ما يكون بعده ، فنؤمن بالنفح بالصور وهو قرن يُنفخ فيه والموكول به إسرافيل. والنفخات الثلاث نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام ، وبعض العلماء جعلها نفختين ، والصحيح أنها ثلاث ، وكلها ذكرت في القرآن ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (النمل٨٧).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الزمر٦٨).

فينفخ في الصور النفخة الأولى فيفزع الناس ثم ينفخ فيه فيصعقون ثم ينفخ فيقومون لرب العالمين وفي الحديث أن بينهما أربعين. ولا يُدرى أربعين ماذا؟ وجاء في وصف قيامهم بأنهم (**يقومون حفاة عراة غرلا**) كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا [عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ] أَنَّهُ أَنْشَدَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي … فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطَّلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ … عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ
أَفِي الْجِنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ … أَمِ الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدَعُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ … إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا

طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يُرْحَمْ تَضَرُّعُهُمْ فِيهَا وَلَا رقيةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا

قَوْلُهُ: "وَالْحَوْضُ -الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ".

۞ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا، وَلَقَدِ اسْتَقْصَى طُرُقَهَا شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كَثِيرٍ، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فِي آخِرِ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، الْمُسَمَّى بِـ"الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ". فَمِنْهَا:

١/ مَا رَوَاهُ أحمد بن حنبل في المسند - (ج ٤ / ص ٤٢٤)برقم(١٩٨١٧)

- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو سعيد ثنا شداد أبو طلحة ثنا جابر بن عمرو أبو الوازع عن أبي برزة قال قلت: يا رسول الله مرني بعمل اعمله قال أمط الأذى عن الطريق فهو لك صدقة قال وقتلت عبد العزى بن خطل وهو متعلق بستر الكعبة وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة **(الناس آمنون غير عبد العزى بن خطل)** وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن لي حوضا ما بين أيلة إلى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان ينثعبان من الجنة من ورق والآخر من ذهب أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه أباريق عدد نجوم السماء)** قال شعيب الأرنؤوط: إلى قوله عليه الصلاة والسلام: " **عبد العزى خطل** " إسناده حسن من أجل أبي الوازع، وإلى نهاية الحديث: " **نجوم السماء** " صحيح لغيره وهذا إسناد حسن لأجل أبي الوازع.

٢/ روى مسلم في صحيحه - (برقم٦١١٧)- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا وَهْبٌ - يَعْنِى ابْنَ جَرِيرٍ - حَدَّثَنَا أَبِى قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِى حَبِيبٍ عَنْ مَرْثَدٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ فَقَالَ « **إِنِّى فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ إِنِّى لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** ».
قَالَ عُقْبَةُ فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

٣/ وروى مسلم برقم: (٦١١٨)- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِى أَصْحَابِى. فَيُقَالُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** ».

٤/ وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ في مسنده - (ج ٣ / ص ١٠٢)برقم (١٢٠١٥) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل قال سمعت أنس بن مالك يقول: أغفى النبي ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما أما قال لهم واما قالوا له لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ انه أنزلت علي آنفا سورة فقرأ رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال (**هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة عليه خير كثير يرد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتي فيقال لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك**).قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٥/ وَرَوَى مُسْلِمٌ في صحيحه - (برقم٩٢١)- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « أُنْزِلَتْ عَلَىَّ آنِفًا سُورَةٌ ». فَقَرَأَ « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ۝٣﴾». ثُمَّ قَالَ « **أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ** ». فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « **فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّى ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِى. فَيَقُولُ مَا تَدْرِى مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ** ». زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِى حَدِيثِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِى الْمَسْجِدِ. وَقَالَ « **مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ** ».

٦/ وَرَوَى الْبُخَارِيُّ في صحيحه برقم ٦٥٠٥ - حدثني يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله: عن النبي ﷺ (**أنا فرطكم على الحوض**).

وحدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال سمعت أبا وائل عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال (**أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي؟ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**). تابعه عاصم عن أبي وائل.

وروى البخاري في صحيحه: باب في الحوض: برقم ٦٢١٢ - حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ (**إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم**).

قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل؟ فقلت نعم فقال أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها (فأقول إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي) وأخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته رقم ٢٢٩٠ - ٢٢٩١

بيان الرواية:

قوله: (فرطكم) هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء.

قوله: (ليرفعن) يظهرهم الله تعالى لي حتى أراهم.

قوله: (ليختلجن) يعدل بهم عن الحوض ويجذبون من عندي.

قوله: (دوني) قبل أن يصلوا إلي.

✍قوله: (ما أحدثوا) من بدعة وفتنة ومعصية.

✍قوله: (وقال ابن عباس ﴿سُحْقًا﴾ / الملك ١١ / بعدا يقال ﴿سَحِيْقٌ﴾ / الحج ٣١ / بعيد سحقه وأسحقه أبعده

✍والذي يستخلص مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ: أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ، وَمَوْرِدٌ كَرِيمٌ، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الِاتِّسَاعِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ، كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ كُلَّمَا شُرِبَ مِنْهُ وَهُوَ فِي زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقُضْبَانَ الذَّهَبِ، وَيُثْمِرُ أَلْوَانَ الْجَوَاهِرِ، فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّ حَوْضَ نَبِيِّنَا ﷺ أَعْظَمُهَا وَأَحْلَاهَا وَأَكْثَرُهَا وَارِدًا٣. جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

۞ وَقَوْلُهُ: وَالْمِيزَانُ، أَيْ: وَنُؤْمِنُ بِالْمِيزَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٤٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٢ - ١٠٣].

✍قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِذَا انْقَضَى الْحِسَابُ كَانَ بَعْدَهُ وَزْنُ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ الْوَزْنَ لِلْجَزَاءِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُحَاسَبَةِ، فَإِنَّ الْمُحَاسَبَةَ لِتَقْرِيرِ الْأَعْمَالِ، وَالْوَزْنَ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا لِيَكُونَ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهَا. قَالَ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ مَوَازِينُ مُتَعَدِّدَةٌ تُوزَنُ فِيهَا الْأَعْمَالُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْمَوْزُونَاتِ، فَجَمَعَ بِاعْتِبَارِ تَنَوُّعِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

✍وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ: أَنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ لَهُ كِفَّتَانِ حِسِّيَّتَانِ مُشَاهَدَتَانِ:

رَوَى ابن حبان في صحيحه- (ج ١ / ص ٤٦١) برقم ٢٢٥ - أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد قال: حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله قال: أخبرنا الليث بن سعد قال: حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر شيئا من هذا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل ويقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة يقال: فلا يثقل اسم الله شيء**) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

✍وَفِي هَذَا السِّيَاقِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ، وَهِيَ أَنَّ الْعَامِلَ يُوزَنُ مَعَ عَمَلِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ صحيح البخاري -برقم (٤٤٥٢) - حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا المغيرة قال حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: (**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾.

وعن يحيى بن بكير عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله

[ش أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم ٢٧٨٥].

✍وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَجْنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟** " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ! مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**".

وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ أَيْضًا بِوَزْنِ الْأَعْمَالِ أَنْفُسِهَا، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الميزان**".

وفي الصحيح، وَهُوَ خَاتِمَةُ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ، قَوْلُهُ ﷺ: "**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وبحمده، سبحاناللهِ الْعَظِيمِ**".

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ، وَيُوَكَّلُ بِهِ مَلَكٌ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ، نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا**" وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ، نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا. فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مُلْحِدٍ مُعَانِدٍ يَقُولُ: الْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ لَا تَقْبَلُ الْوَزْنَ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ الْوَزْنَ الْأَجْسَامُ!! فَإِنَّ اللهَ يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَكَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبْشًا أَغَرَّ ٣، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَرَوْنَ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ، فَيُذْبَحُ، وَيُقَالُ: خُلُودٌ لَا مَوْتَ**". وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِمَعْنَاهُ. فَثَبَتَ وَزْنُ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ.

فَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، كَمَا أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَيَا خَيْبَةَ مَنْ يَنْفِي وَضْعَ الْمَوَازِينِ الْقِسْطِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَخْبَرَ الشَّارِعُ، لِخَفَاءِ الْحِكْمَةِ عَلَيْهِ، وَيَقْدَحُ فِي النُّصُوصِ بِقَوْلِهِ: لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمِيزَانِ إِلَّا الْبَقَّالُ والفوَّال!! وَمَا

أَحَرَاهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يُقِيمُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، [فإنه] لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ. فَكَيْفَ وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ مَا لَا اطِّلَاعَ لَنَا عَلَيْهِ. فَتَأَمَّلْ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، لَمَّا قَالَ"**اللَّهُلَهُمْ**: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الْبَقَرَةِ: ٣٠] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴿٨٥﴾﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٥].

ﮓﮔﮕ

يقول الناظم:

٢٣ (وقال يخرج الله العظيم بفضله　　من النار أجساداً من الفحم تطرح)

٢٤ (على النهر في الفردوس تحيا　　كحب حميل السيل إذا جاء

الشرح:

واجعل من إعتقادك أيها الموفق أن الله تعالى يجود على أناس فيخرجهم من النار بعدما دخلوها ثم يجود عليهم فيدخلهم الجنة.

روى أحمد بن حنبل فِي مسنده - (ج ٣ / ١٢٥) برقم ١٢٢٨٠- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد وروح ثنا يزيد بن أبي صالح المعني قال سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبي ﷺ قال: (**يدخل النار أقوام من أمتي حتى إذا كانوا حمما ادخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء فيقال هم الجهنميون**). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير يزيد بن أبي صالح.

وفي المسند ٢/ ٢٧٥ برقم(٧٧٠٣)- حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة قال قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال النبي ﷺ: «**هل تضارون في**

الشمس ليس دونها سحاب؟) قالوا لا يا رسول الله فقال: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب) فقالوا لا يا رسول الله قال (فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا فيتبعه فيتبع من كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله ﷻ في غير الصورة التي تعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه قال فيأتيهم الله ﷻ في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه) قال (ويضرب جسر على جهنم) قال النبي ﷺ: (فأكون أول من يجيز ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبها كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله ﷻ من القضاء بين العباد وأراد ان يخرج من النار من أراد ان يرحم ممن كان يشهد أن لا إله الا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من بن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ويبقى رجل يقبل بوجهه إلى النار فيقول أي رب قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعوا الله حتى يقول فلعلي ان أعطيتك ذلك ان تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار فيقول بعد ذلك يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول أو ليس قد زعمت ان لا تسألني غيره ويلك يا بن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعوا حتى يقول فلعلي ان أعطيتك ذلك ان تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطى من عهوده ومواثيقه ان لا يسأل غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا دنا منها انفهقت له الجنة فإذا رأى ما فيها من الحبرة والسرور سكت ما شاء الله ان يسكت ثم يقول يا رب أدخلني الجنة فيقول أو ليس قد زعمت ان لا تسأل غيره وقد أعطيت عهودك ومواثيقك ان لا تسألني غيره فيقول يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك فلا يزال يدعوا

الله حتى يضحك الله فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا أدخل قيل له تمن من كذا فيتمنى ثم يقال تمنى من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقال له هذا لك ومثله معه قال وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة ولا يغير عليه شيئا من قوله حتى إذا انتهى إلى قوله هذا لك ومثله معه قال أبو سعيد سمعت النبي ﷺ يقول هذا لك وعشرة أمثاله معه قال أبو هريرة حفظت مثله معه قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة». قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين وأخرجه البخاري في صحيحه باب فضل السجود برقم(٧٧٣)ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية رقم ١٨٢.

✍بيان كلمات الحديث:

✍قوله: (تمارون) تشكون.

✍قوله: (سحاب) غيم.

✍قوله: (يحشر) يجمع بعد البعث.

✍قوله: (الطواغيت) جمع طاغوت وهو كل رأس في الضلال وكل من صد عن طريق الله ﷻ وعبادته.

✍قوله: (شوك السعدان) نبت له شوك.

✍قوله: (بأعمالهم) بسبب أعمالهم السيئة وبقدرها وعلى حسبها.

✍قوله: (يوبق) يهلك.

✍قوله: (يخردل) تقطعه كلاليب جهنم قطعا صغيرة كالخردل.

✍قوله: (تأكل أثر السجود) تحرق موضع أثره.

✍قوله: (امتحشوا) احترقوا واسودوا.

✍قوله: (ماء الحياة) هو ماء من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبدا.

قوله: (حميل السيل) ما يحمله السيل من طين ونحوه. شبه نباتهم بذلك لأنه أسرع في الإنبات.

قوله: (قشبني) سمني وأهلكني.

قوله: (ذكاؤها) لهيبها وشدة إشتعالها ووهجها.

قوله: (بهجتها) حسنها ونضارتها.

قوله: (ويحك) كلمة رحمة كما أن (ويلك) كلمة عذاب.

قوله: (ما أغدرك) ما أكثر تركك للوفاء بالعهد والميثاق.

قوله: (فيضحك الله) المراد بالضحك هنا ما يلزم عنه وهو الرضا وإرادة الخير أو هو ضحك يليق به سبحانه وتعالى.

قوله: (تمن) اطب ما تحب وترغب.

قوله: (أمنيته) طلباته ورغباته.

قوله: (من كذا وكذا) أي اذكر هذه الأماني التي كانت في نفسك قبل أن أذكرك بها.

قوله: (يذكره ربه) الأماني التي غابت عنه.

وكما جاء في صحيح البخاري - باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ / الأعراف ٥٦ / - (برقم ٧٠١٢) - حدثنا حفص بن عمر حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال **(ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يقال لهم الجهنميون)**.

يقول الناظم:

٢٥ (وإن رسول الله للخلق شافعٌ وقال في عذاب القبر حقٌ موضحُ)

الشرح:

قَوْلُهُ: (للخلق شافعٌ):

الشفاعة في لغة العرب:

مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر، أي أن الشفع هو الزوج الذي هو عكس الوتر عند الإطلاق، تقول: أعطيتك كتاباً ثم شفعته بآخر، أي صار ما معك زوجاً بعد أن كان وتراً.

قال ابن منظور: (شفع الوتر من العدد شفعاً: صيره زوجاً) [(١)].

والمشفع – بكسر الفاء – هو الذي يقبل الشفاعة.

والمشفع – بفتح الفاء – هو الذي يقبل شفاعته.

قال ابن الأثير في (النهاية): (قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهى السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفِع الذي يقبل الشفاعة والمشفَع الذي تقبل شفاعته) [(٢)].

وعرفها اللقاني بأنها في اللغة هى: (الوسيلة والطلب) [(٣)].

ومن المشفع أخذت تسمية الشفعة التى هى الزيادة: لأن من حقت له الشفعة زاد في ماله ذلك المشفوع؛ فيصير ما معه شفعاً، وكأن ما حصل معه من الملك قبل الشفعة وتراً، وبعد أخذ المشفوع صار شفعاً.

وفي هذا يقول ابن الأثير: (الشفعة في الملك معروفة، وهى مشتقة من الزيادة، لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه).

وقال الراغب: (الشفع ضم الشىء إلى مثله)، قال: (والشفعة: هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، وهو من الشفع)

تعريف الشفاعة اصطلاحاً:

التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

مثال جلب المنفعة: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها.

مثال دفع المضرة: شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار أن لا يدخلها.

وأكثر ما تستعمل الشفاعة: تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى وشفاعته ﷺ توسله إلى الله تعالى أن يرحم العباد في مواقف عدة من مواقف يوم القيامة.

ثانياً: أركان الشفاعة:

١- الشافع. ٢- المشفوع له.

٣- المشفوع عنده. ٤- المشفوع فيه (موضوع الشفاعة)

ثالثاً: شرط قبول الشفاعة في المشفوع له:

١/ **الرضى عن المشفوع له**: قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء].

أن يكون من أهل التوحيد، لما رواه البخاري في صحيحه باب الحرص على الحديث برقم ٩٩ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ **(لقد ظننت - يا أبا هريرة - أن لا تسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه)**.

٢/ **الإذن بالشفاعة والرضى عن الشافع**: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه/ ١٠٩].

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس/ ٣].

أقسام الشفاعة:

القسم الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي على عدة أنواع:

١/ **الشفاعة العظمى لفصل القضاء**: لما رواه البخاري في صحيحه باب سورة بني إسرائيل الإسراء برقم(٤٤٣٥)- حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي** عَزَّ وَجَلَّ **قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد**

كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيا اشفع لنا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبا - نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمدا ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ﷻ ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى» وأخرجه مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة برقم (٥٠١).

بيان الرواية:

قَوْلُهُ: فَنَهَس بِنُونٍ وَمُهْمَلَةٍ أَيْ أَخَذَ مِنْهَا بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهِ.

قَوْلُهُ: **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِظُهُورِ ذَلِكَ لَهُ يَوْمَئِذٍ حَيْثُ تَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ وَيَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

قوله: فِي صَعِيد وَاحِد هُوَ الأَرْض الواسعة المستوية وَينْفذهُمْ الْبَصَر، قَالَ أَبُو عبيد: مَعْنَاهُ ينفذهم بصر الرَّحْمَن حَتَّى يَأْتِي عَلَيْهِم كلهم وَقَالَ غَيره أَرَادَ يخرقهم أبصار الناظرين لِاسْتِوَاء الصَّعِيد وَالله تَعَالَى أحَاط بِالنَّاسِ أَولا وآخرا.

قَوْلُهُ: فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا فَأَمَّا كَوْنُهُ أَوَّلَ الرُّسُلِ فَقَدِ اسْتُشْكِلَ بِأَنَّ آدَمَ كَانَ نَبِيًّا وَبِالضَّرُورَةِ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ وَأَنَّ أَوْلَادَهُ أَخَذُوا ذَلِكَ عَنْهُ فَعَلَى هَذَا فَهُوَ رَسُولٌ إِلَيْهِم فيكون هُوَ أَوَّلَ رَسُولٍ فَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْأَوَّلِيَّةُ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ لِنُوحٍ مُقَيَّدَةٌ بِقَوْلِهِمْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ فِي زَمَنِ آدَمَ لَمْ يَكُنْ لِلْأَرْضِ أَهْلٌ أَوْ لِأَنَّ رِسَالَةَ آدَمَ إِلَى بَنِيهِ كَانَتْ كَالتَّرْبِيَةِ لِلْأَوْلَادِ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ رَسُولٌ أُرْسِلَ إِلَى بَنِيهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَعَ تَفَرُّقِهِمْ فِي عِدَّةِ بِلَادٍ وَآدَمُ إِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَى بَنِيهِ فَقَطْ وَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِي بَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتَشْكَلَهُ بَعْضُهُمْ بِإِدْرِيسَ وَلَا يَرِدُ لِأَنَّهُ اخْتُلِفَ فِي كَوْنِهِ جَدَّ نُوحٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا فَإِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شكُورًا.

٢/ شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب: لما رواه البخاري في صحيحه باب قصة أبي طالب برقم ٣٦٧٠ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنا عبد الملك حدثنا عبد الله بن الحارث حدثنا العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب

لك؟ قال (**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**). ورواه مسلم في صحيحه باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب.برقم (٥٣١).

قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ (المدثر: ٤٨)؟

قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة لما روى الحاكم في المستدرك ،باب قراءات النبي ﷺ مما لم يخرجاه وقد صح سنده -برقم (٢٩٥٤) أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ علي بن الحسين بن علي بن الجنيد ثنا أبو الشعثاء ثنا خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من أهل القبلة من شاء الله قالوا ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا قال فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فيقول الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا**» قال وقرأ رسول الله ﷺ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

قال الذهبي في التلخيص: صحيح، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم برقم(٨٤٣).

ومقصود العلماء من ذكرهم الشَّفَاعَةَ فِي عُصَاةِ الْأُمَّةِ وَإِخْرَاجهمْ مِنَ النَّارِ: هُوَ الرَّدّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ أهل الْبِدْعَةِ كالْمُعْتَزِلَةِ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا خُرُوجَ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهَا، ومَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مُخَالِفَ لِلْأَحَادِيثِ،سابقة الذكر.

القسم الثاني: شفاعة عامة لجميع من يرضى الله تعالى له بالشفاعة أن يشفع، وهي على عدة أنواع:

الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين: والأحاديث الدالة على خروج الموحدين من النار متواترة فمنها: ما رواه البخاريفي صحيحه ٤٤ - حدثنا مسلم

بن إبراهيم قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: (**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**) وأخرجه مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (١٩٣).

وما رواه أحمد في مسنده - (ج ٣ / ص ٢١٣) برقم (١٣٢٤٥) - حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سليمان بن حرب ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحراني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

✍**الشفاعة في رفع درجات المؤمنين**: كما روى مسلم في صحيحه باب إغماض عين الميت برقم(٢١٦٩)- حَدَّثَنِى زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِىُّ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِى قِلاَبَةَ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِى سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ « **إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ** ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ « **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ** ». ثُمَّ قَالَ « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِى سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِى الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِى عَقِبِهِ فِى الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِى قَبْرِهِ. وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ** ».

✍**الشفاعة في أقوام قد أُمر بهم أن يدخلوا النار أن لا يدخلوها:**

٧٧- قال الحافظ أبوبكر بن أبي الدنيا في "كتاب الأهوال" كما في "النهاية" لابن كثير (ج٢ ص١٨١): وثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثني محمد ابن سلمة عن أبي عبدالرحيم [١٧٩] حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث عن أبي هريرة وذكر حديثًا عن أبي هريرة، ثم قال زيد بن أبي أنيسة كما في ص(١٨٢): ثم قال المنهال: حدثني عبدالله بن الحارث أيضًا أن النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال: «**أمرّ بقوم من أمّتي قد أمر بهم إلى النّار،**

قال: فيقولون: يا محمّد ننشدك الشّفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق وأستاذن على الربّ ﷻ فيأذن لي فأسجد وأقول: يا ربّ قوم من أمّتي قد أمر بهم إلى النّار. قال: فيقول لي: انطلقْ فأخرجْ منهم. قال: فأنطلق وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثمّ ينادي الباقون: يا محمّد ننشدك الشّفاعة فأرجع إلى الرّبّ فأستأذن. فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك وسلْ تعطه واشفعْ تشفّعْ. فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، أقول: ثمّ قوم من أمّتي قد أمر بهم إلى النّار. فيقول: انطلق فأخرجْ منهم. قال: فأقول: يا ربّ أخرج منهم من قال: لا إله إلاّ الله، ومن كان في قلبه حبّة من إيمان؟ قال: فيقول: يا محمّد ليستْ تلك لك، تلك لي. قال: فأنطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النّار فيعيّرهم أهل النّار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النّار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكًا بكفّ من ماء فينضح بها في النّار، ويغبطهم أهل النّار، ثمّ يخرجون ويدخلون الجنّة فيقال: انطلقوا فتضيّفوا النّاس. فلو أنّهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمّون المحرّرين».

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النّار ثلاث مرات ألاّ يدخلوها، ويكون معنى قوله: «أخرجْ» أي أنقذ، بدليل قوله بعد ذلك: «**ويبقى قوم فيدخلون النّار**»، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة وقد وثّقه الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب. كما في "التهذيب" و"الميزان"، ويخشى أيضًا من إرساله، فيحتمل أن يكون عبدالله ابن الحارث سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أن يكون أرسله، والله أعلم.

۞ اقسام الناس في الشفاعة على أقسام:

✍**القسم الأول:** المشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة في الدنيا.

القسم **الثاني**: المعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

القسم **الثالث**: أهل السنة والجماعة أقروا بشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر،وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى تتحقق شروط الشفاعة السابقة.

شبهات وردود:

١/**شبهة**: وهي لمن أنكر الشفاعة للأهل الكبائر من الموحدين؛ استدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (البقرة: ٤٨).

وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ (غافر: ١٨).

وبقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝٤٨﴾ (المدثر: ٤٨).

والجواب من وجوه:

١ ـ أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ۝٤٨﴾ (المدثر: ٤٢-٤٨)

فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا.

٢ ـ أنه يراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناس في بعضهم عند بعض..

٢/ **شبهة**: العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمته إليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان وهو شديد التعلق

به فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به.

والجواب من وجوه:

١ ـ أن هذا سر عبادة الأصنام، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير أصحابه، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الزمر: ٤٣).

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الزمر: ٤٤).

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده، وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه.

٢ ـ هناك فرق بين الشفاعة عند الخالق ولدى المخلوق فمن تلك الفروق:

أ ـ أن الله تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع بخلاف الشفيع عند المخلوق فالشفيع هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل.

ب ـ أن الشفاعة عند الله لها شروط بخلاف الشفاعة لدى المخلوقين فقد تكون لأسباب خارجية كالمحبة والمصلحة ونحوها.

ما قيل في الشفاعة من النظم

وإن تــرِدْ مســائلاً في الشــفاعةْ / في عقــد أهــل الحــقِّ والجماعــةْ
تصــحُّ إن تــوفرَ الركنــانِ / الأولُ الإذنُ مــن الــرحمنِ
فــانظرهُ في أول آي "يــونس" / وآيــة الكرســيِّ لا تلتــبس
وبعــدَهُ الرضــا فــلا تختــلط / دليلــهُ في "الأنبيــاء" فاضــبط
واجتمــعَ الركنــان يــاذا العــزم / في آي "طــه" وذا في "الــنجم"
وإن تســألْ عــن عــدة الأنــواع / فقــد أتــتْ فــاظفرْ بالانتفــاع
أولُهَــا: التــي هــي المقــامُ / تحمــدُهُ لأجلهــا الأنــام
إن طــالَ بــالخلق مقــامُ الحشــر / يشــفعُ في الحســاب كيمــا يجــري
خُــصَّ بهــا مــن إنســه والجنــة / وبعــدها: اســتفتاحه للجنــة
فتفــتحَ الأبــوابُ للــدخول / بعــد شــفاعة مــن الرســول
وبعــدها يُشــفعُ الرســولُ / في عمــه أتــتْ بــذا النقــولُ
لــم يــرضَ عنــه ربُّــه وإنمــا / تعذيبُــه خُفِّــفَ في جهــنمَ

൭◊൫

يقول الناظم:

٢٦ (ولا تكفرن أهل الصلاة وإن / فكلهم يعصي وذو العرش

الشرح:

تعريف الكفر في اللغة:

بمعنى الستر والتغطية ، يقال لمن غطى ذرعه بالثوب: قد كفر درعه ويقال للمزارع: " كافرا " لأنه يغطي البذر بالتراب ، ومنه قوله تعالى في الآية (٢٠) من سورة الحديد:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

يَكُونُ حُطاماً وَفِى الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآية:

قال ابن كثير في التفسير: يَقُولُ تَعَالَى مُوهِنًا أَمْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمُحَقِّرًا لَهَا: ﴿أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِى الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ﴾ أَيْ إِنَّمَا حَاصِلُ أَمْرِهَا عِنْدَ أَهْلِهَا هَذَا، ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي أَنَّهَا زَهْرَةٌ فَانِيَةٌ وَنِعْمَةٌ زَائِلَةٌ فَقَالَ: كَمَثَلِ غَيْثٍ وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَأْتِي بعد قنوط الناس.

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ﴾ أَيْ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ نَبَاتُ ذَلِكَ الزَّرْعِ الَّذِي نَبَتَ بِالْغَيْثِ، وَكَمَا يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ تُعْجِبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْكُفَّارَ، فَإِنَّهُمْ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَيْهَا وَأَمْيَلُ النَّاسِ إِلَيْهَا ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطامـًا أَيْ يَهِيجُ ذَلِكَ الزَّرْعُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا بَعْدَ مَا كَانَ خَضِرًا نَضِرًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ حُطَامًا أَيْ يَصِيرُ يَبِسًا مُتَحَطِّمًا، هَكَذَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا تَكُونُ أَوَّلًا شَابَّةً ثُمَّ تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء، والإنسان يكون كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ عُمْرِهِ وَعُنْفُوَانِ شَبَابِهِ غَضًّا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُهُولَةِ فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ وَيَنْفَدُ بَعْضُ قُوَاهُ، ثُمَّ يَكْبَرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ دَالًّا عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا وَفَرَاغِهَا لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ، حَذَّرَ مِنْ أَمْرِهَا وَرَغَّبَ فِيمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ فَقَالَ: وَفِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٌ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ أَيْ وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ الْآتِيَةِ الْقَرِيبَةِ إِلَّا إِمَّا هَذَا وَإِمَّا هَذَا: إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أَيْ هِيَ مَتَاعٌ فَانٍ غَارٌّ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرُّ بِهَا وَتُعْجِبُهُ حَتَّى يَعْتَقِدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَاهَا وَلَا مَعَادَ وَرَاءَهَا، وَهِيَ حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة.

ومنه سمي الكفر الذي هو ضد الإيمان " كفرا " لأن فيه تغطية للحق بجحد أو غيره ، وقيل: سمي الكافر " كافرا " لأنه قد غطى قلبه بالكفر.

تعريف الكفر في الإصطلاح:

هو إعتقادات وأقوال وأفعال جاء في الشرع ما يدل أن من وقع فيها ليس من المسلمين.و قد حكى جمع من أهل العلم إجماع العلماء على أن الكفر يكون بمجرد القول أو الفعل.

مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي ناقشها علماء الإسلام، وبينوا حدودها وضوابطها، لما في التمادي والغلو فيها بدون أي قيد أو ضابط من انعكاسات سلبيات مدمرة ومؤثرة على مسيرة الأمة الثقافية والعلمية والعملية، ولما في تمييعها من مضار دينية ودنيوية.

ولقد كان من أكثر الأسباب التي جعلت العلماء يهتمون ببيان قواعد وضوابط التكفير هو الرد على الفرق الغالية، والتي أصبحت تتخذ التكفير منهجاً تنطلق منه، وتبني وفقه آراءها وتوجهاتها، وأصبحت تُنَظّر له في كل عمل فكري، محاولة حل أية قضية عملية أو علمية من خلال منظومة التكفير الفكرية وتطبيقها على أرض الواقع، وبالأسلوب الفج الذي لا يرتضيه النهج الإسلامي الحنيف، فرأى العلماء ضرورة كشف زيف هذا الفكر وعواره وتبيين معايبه للناس كي لا يقعوا في شره، وشر ما يقود إليه كما وقع فيه أقوام فضلوا وأضلوا.

لقد ظهر هذا الفكر بقوة عند الخوارج، والتي برزت في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولم يعترفوا لأحد بالإسلام إلا لمن تبع جماعتهم واعتقد عقيدتهم. وقد تعرض وقد تعرض الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه إلى

عملية التكفير من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بينه وبين معاوية. وبالرغم من أن مأخذهم لم يكن يتعدى الإجتهاد السياسي إلا أنهم أضفوا عليه صفة الكفر والإيمان ، وذهبوا إلى حد شق وحدة الأمة المسلمة وإعلان الحرب على المسلمين.

وبنوا رأيهم هذا على حجج واهية تنم عن سوء فهم وجهل مطبق بالدين، ومما يكشف ابتداعهم هذا أنه لم يكن معهم صحابي واحد، بل كانوا أقواماً حديثي عهد بإسلام، أخذوا يتبعون متشابه القرآن ويتركون محكمه.

✍وقد كانت لهؤلاء سطوة كبيرة حاولوا من خلالها ضرب المسلمين في العمق ظانين بعملهم هذا أنهم يحسنون صنعا، وأنه يجاهدون في سبيل الله ! وأنهم بهمجيتهم هذه يقيمون شرع الله !

✍لقد كانت السمة الرئيسية لهذه الفرقة هي رمي الناس بالكفر والمروق من الدين، وحشر الناس جميعاً في زاوية الإلحاد، وأخذ أصحابها يكفرون الناس لأتفه الأسباب، وأشعلوا في سبيل ذلك حروباً طاحنة مع الأمة بأسرها، استباحوا فيها الأموال والأعراض والدماء.

✍وبسبب التشدد الذي اتصف به هذا الفكر لم يلبث إلا قليلاً حتى اندثر، ولم يبق له إلا مناوشات طفيفة هنا وهناك.

✍ولم تقتصر هذه البدعة على من سبق فقط بل انتشرت هذه البدعة أيضاً لدى طوائف أخرى، إذ ظهر مبتدعون آخرون كل كان يدعو إلى بدعته ويزينها للناس، ويدّعي دعاوى باطلة في ثياب حق، فإذا ما أحسّ بالقوة أعلن التمرّد وكفّر الأمة وكرّ عليها بالسيف.

فتكفير أي إنسان أو اتهامه بالفسق والضلال والإنحراف أو النفاق يجرده عمليا من حقوقه الإنسانية ويعرضه للإهانة والقتل والطرد من المجتمع ، وإذا اتخذت عملية التكفير طابعا تنظيميا- كجماعة التكفير- فإنها تعرض المجتمع

الإسلامي إلى الفرقة والإختلاف ، وإذا انهارت الرابطة الدينية فلا مجال لأن نستعيض عنها بأي شيئ آخر.

وإدراكا من الإسلام لخطورة عملية التكفير فقد دعى إلى إحترام هوية كل من يتشهد الشهادتين ويلتزم بأركان الدين وعدم التشكيك بإسلام من يعلن إسلامه حتى في ساحات القتال وتحت بريق السيوف ، حيث قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

و عندما حدثت الفتنة الأولى بين المسلمين ونشبت بينهم الحروب رفض الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتهم خصومه بالكفر والنفاق وقال: كما نقل بن كثير في البداية والنهاية أنه سئل عمن بغى عليه أمشركون أم منافقون فأجاب قائلا: لقد فروا من الشرك وذكروا الله كثيرا وإنما هم إخواننا بغوا علينا.

وظاهرة التكفير - التي إستشرت في مجتمعنا العربي والإسلامي مزقت جسد الأمة الإسلامية وأسقطت عصمة المسلمين واستباحت دماءهم وأموالهم.

واعلم أيها الموفق: أنه يجب عليك ألا تتعجل في إطلاق تعابير التكفير والتفسيق على المعينين أو الجماعات حتى تتأكد من وجود جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفاء جميع موانع التكفير في حقه وهذا يجعل مسألة التكفير من مسائل الإجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلا العلماء الذين بلغوا مرتبة الإجتهاد لأن الحكم على المسلم بالكفر وهو لا يستحقه ذنب عظيم ، لأنه حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام ، وأنه حلال الدم والمال ، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك ، ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر ، وهو ليس كذلك ، وقد روى البخاري في صحيحه باب ما ينهى من السباب واللعن برقم(٥٦٩٨)- حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن عبد الله بن بريدة حدثني يحيى بن يعمر أن أبا الأسود

الديلي حدثه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي ﷺ يقول (**لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**) وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم رقم ٦١

بيان الرواية:

قوله: (يرمي) ينسب ويتهم.

قوله: (بالفسوق) المعصية والخروج عن طاعة الله تعالى.

قوله: (ارتدت عليه) رجعت عليه فكان هو فاسقا أو كافرا.

قوله: (صاحبه) المرمي والمتهم.

قوله: (كذلك) كما رماه واتهمه.

ففهم معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان يمنع من الدخول في الضلالات؛ من التكفير بالمعصية، أومن التكفير بما ليس بمكفر، فمن فهم معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، حصّن لسانه وعقله من الدخول في الغلو في التكفير، وإتّباع الفرق الضالة التي سارعت في باب التكفير، فخاضت فيه بغير علم، فكفّروا المسلمين، وأدخلوا في الإسلام والإيمان من ليس بمسلم ولا مؤمن.

يقول الناظم:

٢٧ (ولا تعتقد رأي الخوارج إنه   مقالٌ لمن يهواه يردي ويفضحُ)

الشرح:

بعد ذكر معتقد الخوارج وهو التكفير بالمعاصي دون ضوابط نهى الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى السني ألا يعتقد إعتقاد الخوارج.

الخوارج: هم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، وأصلهم الخارجون على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. حيث اعتبروا قبول التحكيم كفر، وطلبوا من علي أن يتوب من ذلك، وأشهر بدعهم هو تكفير مرتكب الكبيرة، ويسمون بالشُّراة؛ يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله، كما في قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾، ويسمون بالحرورية لانحيازهم إلى قرية حروراء قريباً من الكوفة، وسموا بالمحكِّمة لرفعهم شعار لا حكم إلا لله.

الخوارج الحرورية: وهم خمس وعشرون فرقة: وهي:

١/ الأزارقة وهم أصعب الخوارج وأشرهم فعلا وأسوأهم حالا فسموا الأزارقة بنافع بن الأزرق صاحب الأسئلة عن ابن عباس

٢/ الصفرية سمو بعبيد بن الأصفر

٣/ الإباضية سموا بعبد الله بن إباض

٤/ النجدية سموا بنجدة بن عامر

٥/ الشمراخية سموا بشمراخ رأسهم

٦/ السرية هكذا بالأصل

٧/ العزرية سموا براسهم ابن عزرة

٨/ العجردية نسبة إلى عبد الكريم بن عجرد

٩/ التغلبية سموا بتغلب رأسهم كانوا يقولون الغلام مسلم أبدا حتى يبدو لنا منه خروج من الإسلام وكيف نشهد بالكفر على من يعلم من الدين مثل ما نعلم ويؤدي من الفرائض مثل ما نؤدي ويتولى من نتولى ويتبرأ مما نتبرأ منه ويحتج على من خالفنا بمثل حجتنا وهو معنا في مجلس يخاصم خصماءنا إذا غلبته عينه

نام ثم استيقظ فقال إني قد احتلمت ثم حدث حديثا غير ذلك نكفره ونستحل دمه إنا إذا لمن الظالمين.

١٠/ الشكية وكان قولهم إن أصحاب الحدود من أصحابهم مسلمون سرقوا أو زنوا أو قذفوا وقالوا في القتلى نستغفر لهم ونتولاهم ولا نشهد لهم بالنجاة لأن الله أعلم بسرائرهم فلم نكلف الشهادة فسموا أهل الشك وكفروا من خالفهم

١١/ الفضلية وإنما سموا بفضل رأسهم وذلك أنه فارقهم في الذنوب فزعم أن كل ذنب صغيرا أو كبيرا أو قطرة أو كذبة شرك بالله سموا بذلك الفضلية وكفروا من خالفهم.

ومنهم فرقة خالفتهم في تزويج الصغار .

ومنهم فرقة خالفتهم في الهدى والقلائد واستحلوها وكفروا من خالفهم وكان سائرهم يحرمها.

١٢/ النجرانية افترقوا في امرأة يقال لها أم نجران هاجرت إلى بعض خوارجهم فتزوجت رجلا في الهجرة بالبصرة من قومها ثم استخفت فتزوجت رجلا من أصحابها سرا ثم ظهر عليها زوجها الأول من قومها فقربها إليه فتبرأ منها بعضهم وتولاها بعضهم وكفروا من خالفهم بعضهم بعضا.

١٣/ البيهسية سموا بهيصم أبي بيهس بن عامر رأسهم فزعم أن حكم الإمام بالكوفة حكما يستحق به الكفر ففي تلك الساعة يكفر من كان في حكم ذلك الإمام بخراسان والأندلس وعلى الإمام إذا أبصر كفره فتاب منه أرسل إلى أهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وإن لم يشعروا به فإن أبى أن يتوب منه وقال مالى أن أتوب مما لا شك فيه ولم أعلم به ضربت عنقه وكفروا من خالفهم ومن قولهم أيضا لو أن رجلا قطر قطرة خمر في جب فلا يشرب من ذلك الجب أحد إلا كفر وإن لم يشعر لأن الله ﷻ يوفق المؤمنين وزعموا لو أن رجلا ضرب أباه ألف سوطا كل يوم كان مسلما من شك في ذلك فقد كفر عندهم.

ومنهم فرقة فارقتهم في شراب السكر والنبيذ إذا سكر فلا حد عليه يشهد بعضهم على بعض في ذلك بالشرك وكفروا من خالفهم.

ومنهم فرقة خالفتهم في النكاح بغير شهود فقالوا ننكح بشهادة الكرام الكاتبين.

١٤/ ومنهم الفديكية وإنما سموا بأبي فديك وهو اليوم بالبحرين واليمامة وليس بالبصرة ولا الكوفة ولا الجزيرة منهم أحد وكان أبو فديك من أصحاب نجدة ثم خالفه وفارقه وكفر من خالفه.

١٥/ ومنهم العطوية وإنما سموا بعطية.

١٦/ ومنهم الجعدية وإنما سموا بمسلم بن الجعد وكان من أهل الكوفة.

و لك ما جاء في الخوارج وتحريضهم الناس على أن يعتقدوا إعتقادهم:

وفي رسالة اعتنى بها: عبد السَّلَام بن برجس آل عبد الْكَرِيم. تحمل عنوان: مناصحة الإِمَام وهب بن مُنَبّه إِلَى أبي شمر ذِي خولان.وقد تأثر بِمذهب الْخَوَارِج /

بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

إِلَى أبي شمر ذِي خولان. سَلام عَلَيْك:

فَإِنَّا نحمد إليك الله الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ونوصيك بتقوى الله وَحده لَا شريك لَهُ فَإِن دين الله رشد وَهدى فِي الدُّنْيَا وَنَجَاة وَفَوْز فِي الْآخِرَة وَإِن دين الله طَاعَة الله وَمُخَالفَة من خَالف سنة نبيه وشريعته فَإِذا جَاءَك كتابنَا هَذَا فَانْظُر أَن تُؤَدِّي إِن شَاءَ الله مَا افْترض الله عَلَيْك من حَقه.

تسْتَحق بذلك وِلَايَة الله وَولَايَة أوليائه.

وَالسَّلَام عَلَيْك وَرَحْمَة الله، فَقلت لَهُ فَإِنِّي أنهاك عَنْهُم.

قَالَ فَكيف اتبع قَوْلك وأترك قَول من هُوَ أقدم مِنْك.

قَالَ قلت: أفتحب أن أدخلك على وهب بن مُنَبّه حَتَّى تسمع قَوْله ويخبرك خبرهم قَالَ نعم.

فَنزلت وَنزل معي إِلَى صنعاء ثمَّ غدونا حَتَّى أدخلته على وهب بن مُنَبّه ومسعود بن عَوْف وَال على الْيمن من قبل عُرْوَة بن مُحَمَّد.

قَالَ عَليّ ابْن الْمَدِينِيّ هُوَ عُرْوَة بن مُحَمَّد بن عَطِيَّة السَّعْدِيّ ولاؤنا لَهُم من سعد بن بكر بن هوَازن قَالَ فَوَجَدنَا عِنْد وهب نَفرا من جُلَسَائِهِ فَقَالَ لي بَعضهم من هَذَا الشَّيْخ فَقلت هَذَا أَبُو شمر ذُو خولان من أهل حُضُور وَله حَاجَة إِلى أبي عبد الله.

قَالُوا أَفلا يذكرهَا؟قلت إِنَّهَا حَاجَة يُرِيد أن يستشيره فِي بعض أمره فَقَامَ الْقَوْم

وَقَالَ وهب مَا حَاجَتك يَا ذَا خولان فهرج وَجبن من الْكَلَام

فَقَالَ لي وهب عبّر عَن شيخك.

فَقلت نعم يَا أَبَا عبد الله إِن ذَا خولان من أهل الْقُرْآن وأهل الصّلاح فِيمَا علمنَا وَالله أعلم بسريرته فَأَخْبرنِي أنه عرض لَهُ نفر من أهل صنعاء من أهل حروراء فَقَالُوا لَهُ زكاتك الَّتِي تؤديها إِلَى الْأُمَرَاء لَا تجزي عَنْك فِيمَا بَيْنك وَبَين الله لأَنهم لَا يضعونها فِي موَاضعهَا فأدها إلينا فَإنَّا نضعها فِي موَاضعهَا نقسمها فِي فُقَرَاء الْمُسلمين وَنُقِيم الْحُدُود.

وَرَأَيْت أن كلامك يَا أبا عبد الله أشفى لَهُ من كَلَامي وَلَقَد ذكر لي انه يُؤَدِّي إِلَيْهِم الثَّمَرَة لوَاحِدَة مئةٍ فَرَق على دؤابه وَيبْعَثهَا مَعَ رَقِيقه

فَقَالَ لَهُ وهب يَا ذَا خولان أَتُرِيدُ أن تكون بعد الْكبر حروريا تشهد على من هُوَ خير مِنْك بالضلالة فَمَاذَا أنت قَائِل لله غَدا حِين يقفك الله

وَمن شهدت عَلَيْهِ.الله يشْهد لَهُ بِالْإِيمَان وأنت تشهد عَلَيْهِ بالْكفْر وَالله يشْهد لَهُ بِالْهدى وأنت تشهد عَلَيْهِ بالضلالة فَأَين تقع إِذا خَالف رَأْيك أَمر الله وشهادتك شَهَادَة الله.

أخبرني يَا ذَا خولان مَاذَا يَقُولُونَ لَك فَتكلم عِنْد ذَلِك ذُو خولان

وَقَالَ لوهب إِنَّهُم يأمرونني أن لَا أَتصدق إلا على من يرى رَأْيهمْ وَلَا أَسْتَغْفر إِلَّا لَهُ.

فَقَالَ وهب صدقت هَذِه محبتهم الكاذبة.

فَأَما قَوْلهم فِي الصَّدَقَة فَإِنَّهُ قد بَلغنِي أن رَسُول الله ﷺ ذكر أن امْرَأَة من أهل الْيمن دخلت النَّار فِي هرة ربطتها فَلَا هِيَ تطعمها وَلَا هِيَ تركتهَا تأكل من خشَاش الأَرْض.

أفإنسان مِمَّن يعبد الله ويوحده وَلَا يُشْرك بِهِ شَيْئا أحب إلى الله من أن تطعمه من جوع ، أو هرة ، وَالله يَقُول فِي كِتَابه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ يَقُول: يَوْمًا عسيرا غضوبا على أهل مَعْصِيَته لغضب الله عَلَيْهِم ﴿فوقاهم الله شَرّ ذَلِك الْيَوْم﴾ حَتَّى بلغ ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

ثمَّ قَالَ وهب: مَا كَاد تبَارك وَتَعَالَى أن يفرغ من نعت مَا أعد لَهُم بذلك من النَّعيم فِي الْجنَّة.

وأما قَوْلهم لَا يسْتَغْفر إلا لمن يرى رَأْيهمْ أهم خير من الْمَلَائِكَة وَالله تَعَالَى يَقُول فِي سُورَة ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وَأَنا أقسم بِالله مَا كَانَت الْمَلَائِكَة ليقدروا على ذَلِك وَلَا ليفعلوا حَتَّى أمروا بِهِ لِأَن الله تَعَالَى قَالَ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وانه أَثْبتَت هَذِه الْآيَة فِي سُورَة ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ وفسرت فِي

﴿حمٓ ۝١﴾ الْكُبْرَى قَالَ الَّذين يحملون الْعَرْش وَمن حوله يسبحون بِحَمْد رَبهم ويؤمنون بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذين ءامنوا الْآيَات.

أَلا ترى يَا ذَا خولان إِنِّي قد أدْركْت صدر الْإِسْلَام فوَاللهِ مَا كَانَت للخوارج جمَاعَة قطّ الا فرقها الله على شَرّ حالاتهم وَمَا أظهر أحد مِنْهُم قَوْله إلا ضرب الله عُنُقه وَمَا اجْتمعت الْأمة على رجل قطّ من الْخَوَارِج.

وَلَو أمكن الله الْخَوَارِج من رَأْيهمْ لفسدت الأَرْض وَقُطعت السبل وَقُطع الْحَج عَن بَيت الله الْحَرَام وَإِذن لعاد أمر الإسلام جَاهِلِيَّة حَتَّى يعود النَّاس يستعينون برؤوس الْجبَال كَمَا كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة وَإِذن لقام أكثر من عشرَة أو عشْرين رجلا لَيْسَ مِنْهُم رجل إلا وَهُوَ يَدْعُو إلى نَفسه بالخلافة وَمَعَ كل رجل مِنْهُم أَكثر من عشرَة آلَاف يُقَاتل بَعضهم بَعْضًا وَيشْهد بَعضهم على بعض بالْكفْر حَتَّى يصبح الرجل الْمُؤمن خَائفًا على نَفسه وَدينه وَدَمه وَأَهله وَمَاله لَا يدْرِي أَيْن يسْلك أو مَعَ من يكون.

غير أن الله بِحكمِهِ وَعلمه وَرَحمته نظر لهَذِهِ الْأمة فَأحْسن النّظر لَهُم فَجَمعهُمْ وَألّف بَين قُلُوبهم على رجل وَاحِد لَيْسَ من الْخَوَارِج فحقن الله بِهِ دِمَاؤُهُمْ وستر بِهِ عَوْرَاتهمْ وعورات ذَرَارِيهمْ وَجمع بِهِ فرقتهم وأمّن بِهِ سبلهم وَقَاتل بِهِ عَن بَيْضَة الْمُسلمين عدوهم وَأقَام بِهِ حدودهم وأنصف بِهِ مظلومهم وجاهد بِهِ ظالمهم رَحْمَةٌ من الله رَحِمهم بهَا.

✍ قَالَ الله تَعَالَى فِي كتاب ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾ وَقَالَ الله تَعَالَى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ فَأَيْنَ هم من هَذِه الْآيَة فَلَو كَانُوا مُؤمنين نصروا.

✍وَقَالَ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ لَو كَانُوا جند الله غلبوا وَلَو مرّة وَاحِدَة فِي الْإِسْلَام.

وَقَالَ الله تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فَلَو كَانُوا مُؤمنين نصروا.

✍وَقَالَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ حَتَّى بلغ ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فَأَيْنَ هم من هَذَا هَل كَانَ لأحد مِنْهُم قطّ أخبر الى الِاسْم من يَوْم عمر بن الْخطاب بِغَيْر خَليفَة وَلَا جمَاعَة وَلَا نظر وَقد قَالَ الله تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وأنا أشهد أن الله قد أنفذ مَا وعدهم من الظُّهُور والتمكين والنصر على عدوهم وَمن خَالف رَأْي جمَاعَتهمْ.

✍وَقَالَ وهب أَلا يسعك يَا ذَا خولان من أهل التَّوْحِيد وأهل الْقبْلَة وَأهل الإقرار بشرائع الْإِسْلَام وسننه وفرائضه وَمَا وسع نَبِي الله نوحًا من عَبدة الْأَصْنَام وَالْكفَّار إِذْ قَالَ لَهُ قومه: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ حَتَّى بلغ ﴿تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أَولا يسعك مِنْهُم مَا وسع نَبِي الله وخليله إِبْرَاهِيم من عَبدة الْأَصْنَام إِذْ قَالَ ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ حَتَّى بلغ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

أَولا يسعك يَا ذَا خولان مَا وسع عِيسَى من الْكفَّار الَّذين اتخذوه إِلَهًا من دون الله.

وَإِن الله قد رَضِي قَول نوح وَقَول ابراهيم وَقَول عِيسَى إِلى يَوْم الْقِيَامَة ليقتدي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَمن بعدهمْ يَعْنِي ﴿إِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّهُم عِبَادك وَإِن تغْفر لَهُم فَإِنَّك

أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم﴾ وَلَا يخالفون قَول أَنْبيَاء الله ورأيهم فبمن يَقْتَدِي إِذا لم يقتد بِكِتَاب الله وَقَول أنبيائه ورأيهم.

وَاعْلَم أن دخولك عَليّ رَحْمَةٌ لَك إِن سَمِعتَ قولي وَقبلتَ نصيحتي لَك وَحجَّةٌ عَلَيْك غَدا عِنْد الله إِن تركتَ كتاب الله وعدتَ إلى قَول الحروراء.

قَالَ ذُو خولان فَمَا تأمرني:

فَقَالَ وهب انْظُر زكاتك الْمَفْرُوضَة فأدها إلى من ولاه الله أَمر هَذِه الْأمة وجمعهم عَلَيْهِ فَإِن الْملك من الله وَحده وَبِيَدِهِ يؤتيه من يَشَاء وينزعه مِمَّن يَشَاء فَمن ملكه الله لم يقدر أحد أن يَنْزعهُ مِنْهُ فَإِذا أدّيت الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة إلى وَالِي الْأَمر بَرِئت مِنْهَا فَإِن كان فضلٌ فصِلْ بِهِ من أرحامك ومواليك وَجِيرَانك من أهل الْحَاجة وضيف إِن ضافك

فَقَالَ ذُو خولان فَقَالَ أشهد أَنِّي نزلتُ عَن رَأْي الحرورية وصدقتُ مَا قلتَ: فَلم يلبث ذُو خولان إلا يَسِيرا حَتَّى مَاتَ.

تأديب ولي الأمر من يريد أن يفرق مجموع المسلمين:

روى الدارمي في سنن - (ج ١ / ص ٦٦)برقم ١٤٤ - أخبرنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد ثنا يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار: أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال: انا: عبد الله صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال: انا: عبد الله عمر فجعل له ضربا حتى دمي رأسه فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.قال حسين سليم أسد: رجاله ثقات غير أنه منقطع سليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب.

حكم تكفير الخوارج اختلف العلماء إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: الخوارج كفار: واستدلوا بما ورد من أحاديث المروق المشهورة عند علماء الفرق؛ رادين الخوارج إلى سلفهم القديم ذي الخويصرة

وموقفه الخاطئ من رسول الله ﷺ، ثم موقف الخوارج أيضاً من الصحابة خصوصاً الإمام علي وغيره ممن شارك في قضية التحكيم. والأحاديث الواردة فيهم كثيرة.

وقد وردت عن علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة جملة من هذه الأحاديث الصحيحة ومنها:

١/ مارواه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦). - حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة**».

٢/ وما رواه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٤).- حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يخرج في هذه الأمة - ولم يقل: منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم- أو: حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء**».

٣ - وما رواه البخاري (٦٩٣٢).من حديث عبدالله بن عمر، وذكر الحرورية فقال: قال النبي ﷺ: «**يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**».

٤ - وما رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣). عن أبي سعيد قال: «بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: **ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟!** قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه قال: **دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في**

نضيه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه – أو قال: ثدييه – مثل ثدي المرأة – أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

٥ – وما رواه البخاري (٦٩٣٤).أن يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا؟ قال: سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق: «**يخرج منه قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية**».

٦/ وقد أورد ابن حجر في(فتح الباري ١٢/ ٢٨٦). عدة روايات عن الصحابة تصف الخوارج بأنهم شرار الخلق والخليقة، وأنهم أبغض خلق الله، وأنه يقتلهم خير الخلق والخليقة، وهي روايات كثيرة.

٧/ أورد أسماء طائفة من العلماء الذين كفروهم، كالبخاري، حيث قرنهم بالملحدين، وأفرد عنهم المتأولين.وبذلك صرح القاضي أبو بكر بن العربي – فيما يذكر ابن حجر – حيث صرح بكفرهم في شرح الترمذي، وقال: إن هذا هو الصحيح، مستندا إلى ما رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).من قوله ﷺ: «يمرقون من الإسلام»، وبما رواه البخاري (٣٣٤٤) من قوله ﷺ: «**ولأقتلنهم قتل عاد**»، وفي رواية للبخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤). بلفظ: «**ثمود**»، ولحكمهم على من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار، فكانوا هم أحق بالاسم منهم، وبما رواه مسلم (١٠٦٧).من قوله ﷺ: «**هم شر الخلق والخليقة**». ولا يوصف بذلك إلا الكفار.

"فعلى القول بتكفيرهم، يقاتلون ويقتلون، وتسبى أموالهم.

القول الثاني: عدم تكفير الخوارج وأن فرقة كبقية فرق المسلمين، وأنهم وإن كانوا على ضلال فإن ذلك لا يخرجهم عن جملة فرق المسلمين التي وجد

لها حسنات وأخطاء، وهذا ما يقوله الخطابي فيما يذكره عنه ابن حجر: في فتح الباري (١٢/ ٣٠١)، جازما بأن هذا الحكم: (أي عدم إخراجهم عن الإسلام) أمر مجمع عليه لدى علماء المسلمين وذلك في قوله: "أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام".

✍ومثل الخطابي ابن بطال، فقد قال أيضا: "ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين "، من الكفر فروا، "ولكن ابن حجر يشك فيما يظهر في صحة هذا القول عن علي، ويرى أنه على فرض صحته فإنه يحمل على أنه لم يكن قد اطلع على معتقداتهم التي أوجبت تكفيرهم عند من يراه".

✍ويؤيد ما ذهب إليه ابن بطال ما أخرجه الطبري بسند صحيح عن عبدالله ابن الحارث عن رجل من بني نضر عن علي وذكر الخوارج، فقال: (إن خالفوا إماما عدلا فقاتلوهم، وإن خالفوا إماما جائرا، فلا تقاتلوهم، فإن لهم مقالا".

✍ومن الذين تورعوا عن تكفيرهم، ورأى أن حكمهم هو حكم غيرهم من الفرق الإسلامية - الشاطبي، فهو يرى أن الخوارج غير كافرين، مستندا في حكمه هذا إلى ما ورد من روايات عن السلف، وخصوصا ما كان من موقف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث عاملوهم معاملة أهل الإسلام.

✍ومن لم يعتقد كفر الخوارج لم ير قتلهم وسبيَ نسائهم وغنيمة أموالهم:

١/ روى البخاري في صحيحه باب: وإن طائفتان من المؤمنين برقم ٣١: - حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال أين تريد؟ قلت أنصر هذا الرجل قال ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إذا**

التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار). فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال (إنه كان حريصا على قتل صاحبه).وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما رقم ٢٨٨٨.

٢/ وفي المعجم الكبير - (ج ١ / ص ٢٩٠) برقم ٨٥٢ - حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عبد الله بن أبان ثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر الشعبي قال: كان مروان بن الحكم يقاتل الضحاك بن قيس فقال لرجل من بني أسد يقال له أيمن بن خريم: ألا تقاتل معنا؟ فقال: لا إن أبي وعمي شهدا بدرا مع الله ﷺ وعهدا إلي أن لا أقاتل أحدا شهد أن لا إله إلا الله فإن أتيتني ببراءة من النار قاتلت معك فقال اذهب فلا حاجة لنا فيك فقال أيمن:

(ولست بقاتل رجلا يصلي ... على سلطان آخر من قريش)
(له سلطانه وعلي جرمي ... معاذ الله من فشل وطيش)
(أأقتل مسلما في غير جرم ... فليس بنافعي ما عشت عيشي)

٣/ وأوصى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن سلمان العبدى فقال أعلم أنه من صلى الخمس صلوات فإنه يصبح في ذمة الله ويمسى فلا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فتخفره في ذمته فيكبك الله على منخرك في النار.

٤/ وفي سير أعلام النبلاء ١/١١٨: ابن علية: حدثنا أيوب، عن محمد قال: نبئت أن سعدا قال: ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، جاهدت وأنا أعرف بالجهاد، ولا أبخع نفسي إن كان رجلا خيرا مني، لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان، فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر). وأخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ١٠١ .وأبو نعيم في " حلية الاولياء " ١ / ٩٤ .والطبراني في " الكبير " (٣٢٢).

٥/ وأتى رجل الحسن فقال يا أبا سعيد إن هؤلاء استنفرونى لأقاتل الخوارج فما ترى فقال إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء وأن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتيل منهم فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة.

٦/ وقال مزاحم بن زفر كنا بسمرقند وعليها محمد بن المهلب فخرج علينا يوم الجمعة رجلى حرورى فضرب رجلا من بني عجل بالسيف فأخذ فدعا محمد بن المهلب الضحاك بن مزاحم فسأله فقال أرى أن تحبسه حتى ينظر ما يصنع المضروب ثم نقصه منه فحبسه وكتب إلى يزيد بن المهلب فكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فوافق الكتاب موت سليمان بن عبد الملك واستخلاف عمر بن عبد العزيز فعرض عليه الكتاب فكتب أما بعد فانظر الحروري فإن المضروب مات من ضربته فدعه لأوليائه يقتلونه وإن كان بريئا فقصه منه ثم احبسه محبسا قريبا من أهله حتى يموت من هواه الخبيث الذي خرج عليه.

٧/ وسألَ وبرةُ الحسن عن رجلٍ يرى رأى الخوارج ولم يخرج قال العمل أملك بالناس من الرأى وإنما يجزى النّاس بالأعمال وقال حبيب بن ثابت أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء الذين قتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنهروان فيم استجابوا له وفيم فارقوه عليه وفيم استحق قتالهم فقال كنا بصفين فلما استمر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية رحمهما الله أرسل إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمصحف وادعه إلى كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه لن يأبى عليك فأجابه رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون فقال علي نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ وألقوا سيوفهم على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء الذين على التل لا نمشى إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم فتكلم سهل بن جنيف فقال أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل فقال نعم قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فلم نعط الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني أبدا قال فرجع وهو مغيظ فلم يصبر حتى اتى

أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال ألسنا على الحق فذكر مثل ذلك سواء فقال أبو بكر يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه أبدا قال فنزلت سورة الفتح فأرسل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عمر فأقرأه إياها فقال يا رسول الله أو فتح هو قال نعم.

٨/ قال ابن عباس ليس الحرورية بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم يضلون.

✍**القول الثالث**: بعض العلماء يتحرج عن تكفيرهم عموماً ولا يتحرج عن تكفير بعض الفرق منهم:

✍كالبدعية من الخوارج الذين قصروا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء.

✍والميمونية- حيث أجازوا نكاح بعض المحارم كبنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة، ثم زادوا فأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن لاشتمالها -فيما يزعمون- على ذكر العشق والحب،.. والقرآن لم يَدْعُ الناس إلى العشق وضرب المواعيد الفاجرة، وإنما دعى إلى ما تضمنته هذه السورة الكريمة من العفة وتقديم خوف الله على خوف غيره وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء والشهوات الطائشة، ولو صار العشاق على حسب ما تضمنته سورة يوسف لصاروا أولياء. (الملل والنحل» (١/ ١٢٩)

✍وكذا اليزيدية منهم، حيث زعموا أن الله سيرسل رسولاً من العجم فينسخ بشريعته شريعة محمد ﷺ (الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٨).

✍وقد نظر الذين كفروا الخوارج أو كفروا بعضهم إلى ما أحدثوه من عقائد وأحكام مخالفة لما هو معلوم من الدين بالضرورة، فكفروهم ومن هؤلاء المكفرين من رد سلفهم القديم إلى ذي الخويصرة، ونظر إلى ما ورد في حقهم من الأحاديث التي تصفهم بالمروق من الدين؛ فكفرهم. يرى أن الأحاديث التي

استدل بها الفريق الأول إنما تصدق -على فرض صحتها - على المرتدين في زمن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وما رأيت أحداً من العلماء سبقهم إلى هذا القول.

القول الرابع: قال علي يحيى معمر الإباضي: "إن أحاديث المروق - إذا صحت - لا يكون المقصود منها إلا أصحاب الثورة الأولى أولئك الذين خرجوا على خلافة أبي بكر، منكرين للشريعة أو لأصل من أصولها" يعني المرتدين الذين خرجوا على أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله:.

قلت (محمد نبيه): إن ما في الأحاديث من أوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم في العبادة لا ينطبق على هؤلاء المرتدين في زمن أبي بكر بعد وفاة الرسول ﷺ.غير أن صاحب هذا القول من الإباضية وحسبك أنهم من المحسوبين على الخوارج.

مناصحة الخوارج وتفنيد شبههم:

مناصحة الخوارج وتفنيد شبههم:

كما في سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس وهي كثيرة ومنها:

١/ ما جاء في كتاب القدر للفريابي محققا (ص: ٢٣٦)برقم ٤٢٦حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفًّى، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ مربابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ يُحَدِّثُ، يَقُولُ: كَانَ سُلَيْمَانُ بن داود إذا ما نزل دعى الْهُدْهُدَ، فَبَحَثَ الْأَرْضَ، فَدَلَّهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ إِذَا كَانَتِ الْأَرْضُ [تَرْبِدُ] عَلِمَ أَنَّ الْمَاءَ قَرِيبٌ مِنْهَا، فَأَمَرَهُمْ، فَحَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَاءَ، فَقَالَ لَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: أَلَا تَخَافُ اللهَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّ الْهُدْهُدَ توضع له الجنة فوق الأرض، فلا يعلم حتى يؤخذ برقبته، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُهُمْ بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: "**قَدْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ مَا لَمْ يَبْلُغِ الْقَدَرُ، فَإِذَا بَلَغَ الْقَدَرُ لَمْ يَنْفَعِ الْحَذَرُ، وَحَالَ الْقَدَرُ دُونَ النَّظَرِ**". فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ: مَرَرْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ، فَرَدَدْتُ قَوْلَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ.

٢/ وَرَوَى ابن جرير ١٦/ ١١١.عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو رَاشِدٍ وَهُوَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ فقال له يابن عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مَرْيَمَ: ٧١] قَالَ أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ يَا أَبَا رَاشِدٍ فَسَنَرِدُهَا، فَانْظُرْ هَلْ نُصْدِرُ عَنْهَا أَمْ لَا.

ولما خرجت خارجة من الحرورية كتب إليهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه أن يأتيني منكم رجلان وبيني وبينكم كتاب الله عز وجل فأتياه فخاصمهما وقالا نرجع على أنا نسيح في الأرض فأقسموا على أن لا يخيفوا سبيلا ولا يهريقوا دماء فإن فعلتم فقد آذنتم بالحرب فساح أحدهما فأهراق دماء وأخاف السبيل فبعث إليه سعيدا الجرشي في أهل الكوفة فقتلوه وقتلوا أصحابه.

من صفات الخوارج:

(أنهم يتميزون بالفردية وضعف الروح الجماعية ، ومن شأن هذه الصفة أن تبعث على التفرق والتمزق. من أجل هذا انقسم الخوارج إلى فرق عديدة، وصارت إمكانية حصر فرقهم مسألة صعبة، مما أدى إلى اختلاف علماء الفرق في بيان فرقهم وبيان عددها. لكنهم اتفقوا على أنهم لا يقلون عن عشرين فرقة.

لذا فإنا سوف نذكر فرق الخوارج أصولاً وفروعاً ونحن مقتفين أثر الشهرستاني في ذلك لما له من سابقة في هذا المضمار لوضوح تقسيماته وبساطتها: وعليه يمكن تقسيم فرق الخوارج كالاتي:

المحكمة الأولى./ والأزارقة./ والنجدات./ والبيهسية: ومن البيهسية فرقة تسمى العونية. وهي فرقتان:

ومنهم أصحاب التفسير.

ومنهم أصحاب السؤال.

والعجاردة: وقد افترقت بدورها إلى: الصلتية./ والحمزية./ والخلفية./ والميمونية./ والأطرافية./ والشعبية. / والخارمية. / والثعالبة.

وتنقسم الثعالبة إلى فرق وهي:

الأخنسية./ والمعبدية./ والرشدية./ والشيبانية./ والمكرمية.

الأزارقة: وهم أتباع راشد بن نافع بن الأزرق الحنفي ، وهم من أكبر فرق الخوارج عدداً وأشدهم شوكة وأعظمهم خطراً على المسلمين، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى فارس، وقد هزموا كثيراً من جيوش المسلمين، تصدى لهم البطل المغوار المهلب بن أبي صفرة اختاره أهل البصرة ليذود عنهم وعن حرمهم، ثم أقره ابن الزبير على حربهم وبعد ابن الزبير أقره عبدالملك بن مروان والحجاج. وقد استمرت الحروب بين الأزارقة والمهلب تسعة عشر عامًا. ولولا بطولة المهلب وانقسام الأزارقة على أنفسهم لما انقضت حربهم بالفترة التي انقضت فيها.

وقالوا (الدار دار كفر إلا من أظهر إيمانه ولا يحل ذبائحهم ومناكحتهم ومواريثهم وهم ككفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ولا يحل القعود عن الجهاد. والقَعَدَة كفار).

وذكر الشهرستاني عقائدهم فقال: إن أهم بدعهم هي: -

١- تكفير سواهم من المسلمين.

٢- تكفير القعدة.

٣- إباحة قتل أطفال المخالفين ونساءهم.

٤- إسقاط الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ذكره.

٥- الحكم بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم.

٦- التقية غير جائزة قولاً وعملاً.

٧- تكفير من ارتكب الكبيرة.

ويضيف الشهرستاني إلى بدعهم هذه بدعة جديدة ، فيقول: (واستحلوا كفرالأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها. وقالوا إن مخالفينا مشركين فلا يلزمنا أداء أماناتنا إليهم).

فرق الخوارج:

١/**النجدات:** وهم إتباع نجد بن عامر الحنفي الذي كان مع نافع بن الأزرق على عبدالله بن الزبير ثم اختلفا فيما بينهما بخصوص التقية حيث منعها نافع واقرها نجدة واختلفا كذلك في حكم القعدة ، فقد قال نافع: القعود عن الجهاد كفر بينما عذر نجدة القاعدين عن الجهاد وأدى اختلافهم هذا إلى توجه نافع إلى البصرة بينما توجه نجدة بمن معه إلى اليمامة وبقي فيها فترة ثم خرج بمعسكره عازماً على اللحاق بنافع في البصرة لولا أن جاءه أبو فديك وعطية بن الأسود قافلين من البصرة فأخبراه بما أحدث نافع هناك فرجع مع هؤلاء بعسكره وقد أمروه عليهم.

ومن عقائد النجدات التي تميزهم عما سواهم من فرق الخوارج أنهم أكثر تساهلاً من الأزارقة. فهم لا يكفرون القعدة ويبيحون التقية ويعذرون بالجهالات ويرى نجدة أن الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسوله والإقرار بما جاء من عند الله جملة وهذا واجب على كل مكلف، والأمر الثاني هو ما سوى ذلك والناس معذورون فيه إن جهلوه. فمن أداه اجتهاده إلى استحلال حرام وتحريم حلال فهو معذور ، لهذا سموا بالعاذرية ، ويرى أن من كذب كذبة وأصر عليها أشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر دون إصرار لا يشرك.

٢/**العجاردة**: هم أتباع عبدالكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم، وقد تفرد بقوله يجب التوقف في أطفال المسلمين حتى يبلغوا ويُدعوا إلى الإسلام ، أما أطفال المشركين فهم مع آباءهم في النار. ويرون أن الهجرة فضيلة لا فريضة ولا يكفرون القعدة بقعودهم بل يتولونهم.

وفي العجاردة ميل إلى الانقسام ، فقد ذكر البغدادي والشهرستاني وفخر الدين الرازي انقسامها إلى سبع فرق وهي: (الصلتية والميمونية والحمزية والخلفية والأطرافية والسبعية والحازمية).

٣/**الصفرية**: هم أتباع زياد بن الأصفر أو ابن الصفار ، وقال قوم اصفرت وجوههم من العبادة فسموا بذلك، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونساءهم والأزارقة يرون ذلك ، وقد زعمت الصفرية أن ما كان من الأعمال فيه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له كزانٍ وسارق وقاذف وليس صاحبه كافراً ولا مشركًا.

٤/**الأباضية**: وهم أتباع عبدالله بن أباض، ويرون أن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار وهم يعنون به كفر نعمة وليس كفر شرك.

ويرون صحة مناكحة المخالفين من المسلمين والتوارث معهم، وأن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، ويقبلون شهادة مخالفيهم ولا يجيزون قتالهم إلا بعد دعوتهم.

✍وقد بادت جميع فرق الخوارج آنفة الذكر ولم يتبق منها سوى طائفة الإباضية تقيم في عمان وفي جهات أخرى من شمال أفريقية ويكره إباضية عمان أن يسموا خوارج، حيث إنهم لم يعد يربطهم بالخوارج سوى اسمهم وهم الآن متعايشون مع المسلمين على أكمل وجه ، وقد استطاع المذهب الإباضي أن يثبت أصالته خاصة في العصور المتأخرة في عمان حيث استطاع أن يعطي تطبيقات عملية حول سلطات الإمام وواجباته ومسؤولياته الإدارية والمالية والأمنية.

✍يقول الدكتور فاروق عمر في كتابه (التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ٣٢.): (وبعد أن نجح الإباضية في تأسيس كيانات سياسية في عمان

والمغرب العربي فقد كان لابد لهم من أن يغيروا ويعدلوا في نظريتهم... وهنا لابد من القول بأن المذهب الإباضي أظهر مرونة واعتدالاً ونظرةً توفيقية بحيث يتلاءم مع الظروف السياسية والاجتماعية في عمان وفي ذلك يكمن سر نجاح الإباضية واستمرارها لأكثر من اثني عشر قرناً من الزمان).

وكان الإباضيون في المغرب العربي سواء أكانوا حكاماً أم ثواراً على قدر كبير من العفة والنزاهة والأخلاق الحميدة التي تؤكد تمسكهم بأهداب الشريعة الغراء.

يقول الدكتور محمود إسماعيل في كتابه(الخوارج في المغرب الإسلامي ص ١٨٨): (فحروب الإباضية في المغرب عموماً انطوت على مثالية مفرطة في معاملة الخصوم ونجد مصداقاً لذلك في حروب أبي يزيد بن كيداد ، وكان من أكر قادة الحركة الإباضية في المغرب الإسلامي، جند حياته من أجل إزالة الحكم الفاطمي مستعيناً بأتباع الفرق الناقمة على الإسماعيلية. قام بثورة كبرى أيام القائم بأمر الله الفاطمي وابنه المنصور وقع في أسر المنصور حتى مات فيه سنة ٣٣٦ هـ.

فحسبه وفاؤه بالعهود التي كان يقطعها على نفسه ببذل الأمان لسكان المدن المفتوحة، ولم يلجأ إلى أساليب القمع والبطش إلا حين تمردت هذه المدن وانضمت لخصومه).

اختلفت الخوارج فيما بينها كفرق ولكنهم مع افتراقهم اجتمعوا على مسائل منها:

١- إجماعهم على أن الخليفة لا يون إلا بالانتخاب الحر الصحيح يقوم به عامة المسلمين لا فريق منهم ويستمر الخليفة في منصبه ما دام قائماً بالعدل مقيماً للشرع فإن تنكب لذلك وجب عزله.

٢- إن الخليفة لا يختص به بيت من بيوت المسلمين ، فكل من توفرت فيه شروط الإمامة جاز له ذلك سواء أكان من قريش أو من سواها.

٣- مما أجمعت عليه الخوارج أيضاً تكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، عائشة وطلحة والزبير وكل من رضي بالتحكيم.

٤- أجمعت الخوارج سوى الإباضية على اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً مخلداً في نار جهنم.

مكانة الصحابة رضي الله عنهم عند الخوارج:

الخوارج جميعا يكفرون عثمان وعلي والحكمين وأصحاب الجمل الصحابة رضي الله عنهم جميعاً. -

الخوارج كانوا يأخذون الأمور بسطحية شديدة ، فبنوا نتائجهم على مقدمات ساذجة، فهم حينما قالوا بأن مرتكب الكبيرة كافر وقعوا في ورطة كبيرة جرتهم إلى أن يقعوا في أخطاء أكبر، وكل خطأ كانوا يقعون فيه كان يؤدي بهم إلى واد سحيق من الضلال بسبب عنادهم وتماديهم في الباطل.

ولقد جاء طعنهم في الصحابة رضي الله عنهم نتيجة خطأ بسيط في فهم قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

ففي قضية التحكيم رأوا أن اللجوء إلى التحاكم إلى كتاب الله عن طريق الناس هو حكم بغير ما أنزل الله، وهو مستلزم للكفر، لهذا كفروا علياً ومعاوية والحكمين: أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص الصحابة رضي الله عنهم ولو أنابوا إلى رشدهم واستمعوا إلى صوت العقل لكان خيراً لهم ولأمتهم لكن تنطعهم الشديد كان له الأثر السيئ عليهم ، فقد كان هذا التشدد معول هدم يفت في عضدهم فترى الفرقة منهم بعد أن تثار أي مسألة مهما تكن بسيطة قد انقسمت على نفسها وهكذا حتى ترى منهم فرقتين تعترف أحدهما للأخرى بالصواب والهداية.

وبعد أن أكفرَ عامةُ الخوارج قِسماً من صحابة رسول الله ﷺ متهمين إياهم بالحكم بغير ما أنزل الله نرى قِسماً منهم قد وجه تهمة أخرى إلى الصحابة رضي الله عنهم كلهم وهي تهمة تحريف القرآن الكريم. ففي كتابي (البدء والتاريخ،

المقدسي: ٥/ ١٣٥ ، تاريخ المذاهب الإسلامية: ٩٢): أن العجاردة قالوا: (ليست سورة يوسف من القرآن ولا حا ميم عين سين قاف) وهذا الكلام لم يتناول الصحابةﷺ مباشرة إلا أن فيه طعناً ضمنياً لهم لأنهم هم الذين تُرك القرآن بين أيديهم فأي تحريف يقع له يكون الصحابةﷺ هم المتهمين به.

✍وقد أدرك الأوائل من علماء الأمة خطورة هذه الآراء فحكموا بكفر من قال منهم ذلك.

✍وفي كتاب (التبصير في الدين: ٢٦): يقول أبو المظفر الاسفراييني: (والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ). ونحن لا نوافق الخطيب البغدادي لما أدخل الخوارج جميعاً في حضيرة الإيمان سوى الزيدية من الإباضية الذين يزعمون أنه سوف يرسل الله تعالى نبياً من العجم في آخر الزمان ، والميمونية من العجاردة الذين يزعمون أن سورة يوسف ليست من القرآن وأنه يحل نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخوات(الفرق بين الفرق: ٧٢)

✍لأن مثل هذا التسامح يغري الناس في التطاول على نبراس الأمة ورمز شموخها صحابة رسول الله ﷺ ويوحي إليهم بأن تكفير المسلم شيء يسير لا يقدم ولا يؤخر في ميزان الله تعالى.

✍لذا فنحن نوافق أبا المظفر الاسفراييني فيما ذهب إليه من أن من كفّر أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فقد لزمه الكفر(التبصير في الدين: ٢٦).وذلك لأن مسألة تكفير الصحابةﷺ لا تقف عند حدودهم بل تصل إلى المساس بالقرآن الكريم الذي شهد لهم بصدق الإيمان وحسن الإسلام وكثرة البذل والتضحية في سبيل الله وبالسنة النبوية المطهرة التي أعلت شأنهم وقدرتهم حق قدرهم كما سنرى فيما بعد.

෴◈෴

يقول الناظم:

٢٨ (ولا تكن مرجيًا لعوبًا بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزحُ)
٢٩ (وقل: إنما الإيمان: قول ونيةٌ وفعلٌ على قول النبي مصرحُ)
٣٠ (وينقص طوراً بالمعاصي وتارةً بطاعته ينمي وفي الوزن يرجحُ)

الشرح:

قول الناظم: ولا تك مرجيا: تحذير للسني من اعتقاد فرقة (المرجئة) الملقبة بذلك.

الإرجاء هو: التأخير: تقول العرب: أرجأ فلان هذا الأمر، فهو يرجئه إرجاء، وهو مرجئه، بهمز، وأرجاه فلان يرجيه إرجاء، بغير همز فهو مرجيه، ومنه قول الله تعالى ذكره في سورة: التوبة آية رقم: ١٠٦: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ .يقرأ بالهمز، وغير الهمز بمعنى مؤخرون لأمر الله.

وقوله تعالى: مخبرا عن الملأ من قوم فرعون كما في سورة: الأعراف آية رقم: ١١١: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ بهمز أرجه، وبغير الهمز.

فأما الأمر الذي بتأخيره سميت المرجئة مرجئة لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ،كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

وقال الطبري: فمؤخر أمر علي وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى ربهما، وتارك ولايتهما والبراءة منهما: مرجئا أمرهما، فهو مرجئ، ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان مرجئهما عنه، فهو مرجئ »

روى الطبري في تهذيب الآثار - (ج ٧ / ص ٤٤) برقم (١٩٧٥)- قال: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، يقول: سمعت الفضيل يعني ابن عياض يقول: « أهل الإرجاء يقولون: الإيمان قول لا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل ».

وروى الطبري في تهذيب الآثار - (ج ٧ / ص ٤٥) برقم(١٩٧٦) -قال: وسمعت عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي، قال: سمعت أبا رجاء، يقول: سمعت وكيعا، يقول: « ليس بين كلام الجهمية والمرجئة كبير فرق قالت الجهمية: الإيمان المعرفة بالقلب، وقالت المرجئة: الإقرار باللسان.

وروى الطبري في تهذيب الآثار للطبري - (ج ٧ / ص ٤١) برقم (١٩٧٢) قال: - حدثني عبد الله بن عمير الرازي، قال: سمعت إبراهيم بن موسى يعني الفراء الرازي قال: سئل ابن عيينة عن الإرجاء، فقال: « الإرجاء على وجهين: قوم أرجوا أمر عليّ وعثمان، فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، فلا تجالسوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم ».

وروى الطبري في تهذيب الآثار برقم ٢٠١٢ - قال: حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يؤدي ما افترض الله عليه، ويجتنب ما حرم الله عليه، ويرضى بما قسم الله له، ثم يخاف مع ذلك أن لا يتقبل منه ».

وقال ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته - (ج ٢ / ص ٣٤٩) ما صَحَّ عَنْ النَّبِيّ ﷺ أنه ذَمّ مِنْ طَوَائِف أَهْل الْبِدَع: إلا الْخَوَارِج فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِيهِمْ الْحَدِيث مِنْ وُجُوه كُلّهَا صِحَاح.وهذا لِأَنَّ مَقَالَتهمْ حَدَثَتْ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ. وَكَلِمَة رَئِيسهمْ.

وَأَمَّا الْإِرْجَاء ، وَالرَّفْض ، وَالْقَدَر ، وَالتَّجَهُّم ، وَالْحُلُول وَغَيْرهَا مِنْ الْبِدَع فَإِنَّهَا حَدَثَتْ بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة. وَبِدْعَة الْقَدَر: أَدْرَكَتْ آخِر عَصْر الصَّحَابَة فَأَنْكَرَهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا ، كَعَبْدِ الله بْن عُمَر ، وَابْن عَبَّاس ، وَأَمْثَالهمَا. أَكْثَر مَا يَجِيء مِنْ ذِمَّتهمْ: فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقُوف عَلَى الصَّحَابَة: مِنْ قَوْلهمْ فِيهِ. ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة الْإِرْجَاء بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة فتكَلَّمَ فِيهَا كِبَار التَّابِعِينَ الَّذِينَ

أَدْرَكُوهَا كَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُمْ ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة التَّجَهُّم بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر التَّابِعِينَ. وَاسْتَفْحَلَ أَمْرهَا ، وَاسْتَطَارَ شَرّهَا فِي زَمَن الْأَئِمَّة ، كَالْإِمَامِ أَحْمَد وَزَوِيهِ. ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْد ذَلِكَ بِدْعَة الْحُلُول ، وَظَهَرَ أَمْرهَا فِي زَمَن الْحُسَيْن الْحَلَّاج. وَكُلَّمَا أَظْهَرَ الشَّيْطَان بِدْعَة مِنْ هَذِهِ الْبِدَع وَغَيْرهَا: أَقَامَ الله لَهَا مِنْ حِزْبه وَجُنْده مَنْ يَرُدّهَا ، وَيُحَذِّر الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا ، نَصِيحَة لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَهْلِ الْإِسْلَام. وَجَعَلَهُ مِيرَاثًا يُعْرَف بِهِ حِزْب رَسُول الله ﷺ وَوَلِيّ سُنَنه ، مِنْ حِزْب الْبِدْعَة وَنَاصِرهَا.

ومما يدل على أن بدعة الإرجاء حدثت بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة ما رواه البخاري في صحيحه. باب (خوف المؤمن أن يحبط عمله صحيح) برقم(٤٨)- قال: حدثنا محمد بن عرعرة قال حدثنا شعبة عن زبيد قال سألت أبا وائل عن المرجئة فقال حدثني عبد الله: أن النبي ﷺ قال (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

رجال الرواية بعد البخاري:

١/ محمد بن عرعرة بن البرند بن النعمان بن علجة بن الأقفع بن كزمان بن الحارث بن حارثة بن مالك بن سعد بن عبيدة بن الحارث بن سامة بن لؤى بن غالب القرشى السامى، أبو إسحاق البصرى، نزيل بغداد. أبو عبد الله، ويقال: أبو إبراهيم، ويقال: أبو عمرو البصرى، والد إبراهيم بن محمد بن عرعرة.

قال المزى: قال أبو حاتم: ثقة صدوق.

وقال النسائى: ليس به بأس.

وذكره ابن حبان فى كتاب " الثقات، وقال: مات سنة ثلاث عشرة ومئتين، وكان له خمس وسبعون سنة.

وكذلك قال محمد بن سعد، ومحمد بن عبد الله الحضرمى فى تأريخ وفاته.

وروى له مسلم، وأبو داود.

✍قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٩ / ٣٤٣: وقال ابن سعد: وله ست وسبعون.

✍وقال الحاكم، وابن قانع: ثقة.

✍وفى " الزهرة ": روى عنه البخارى عشرين حديثا.

٢/ شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى، أبو بسطام الواسطى، مولى عبدة بن الأغر، مولى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة.

✍وقال قعنب بن المحرر: مولى الجهاضم من العتيك.

✍وقال محمد بن سعد: مولى الأشاقر عتاقة، انتقل إلى البصرة فسكنها. رأى الحسن وابن سيرين.

✍قال المزى: قال البخارى، عن على ابن المدينى: له نحو ألفى حديث.

✍وقال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: شعبة أثبت فى الحكم من الأعمش وأعلم بحديث الحكم، ولولا شعبة ذهب حديث الحكم، وشعبة أحسن حديثا من الثورى، لم يكن فى زمن شعبة مثله فى الحديث، ولا أحسن حديثا منه قسم له من هذا حظ. وروى عن ثلاثين رجلا من أهل الكوفة لم يرو عنهم سفيان.

✍وقال محمد بن العباس النسائى: سألت أبا عبد الله ـ يعنى: أحمد بن حنبل ـ: من أثبت شعبة أو سفيان؟ فقال: كان سفيان رجلا حافظا وكان رجلا صالحا، وكان شعبة أثبت منه وأنقى رجالا، وسمع من الحكم قبل سفيان بعشر سنين.

✍وقال الفضل بن زياد: سئل أحمد بن حنبل: شعبة أحب إليك حديثا أو سفيان؟

فقال: شعبة أنبل رجالا وأنسق حديثا.

✍وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه: كان شعبة أمة وحده فى هذا الشأن ـ يعنى فى الرجال وبصره بالحديث وتثبته وتنقيته للرجال ـ.

✍وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا معمر أن قتادة كان يسأل شعبة عن حديثه.

✍وقال حماد بن زيد: قال لنا أيوب: الآن يقدم عليكم رجل من أهل واسط هو فارس فى الحديث فخذوا عنه.

✍قال حماد: فلما قدم شعبة أخذت عنه.

✍وقال أبو الوليد الطيالسى: اختلف إلى حماد بن سلمة قبل أن أختلف إلى شعبة، فقال لى حماد: إذا أردت الحديث فالزم شعبة.

✍وقال أبو الوليد أيضا: سمعت حماد بن زيد يقول: ما أبالى من خالفنى إذا وافقنى شعبة، لأن شعبة كان لا يرضى أن يسمع الحديث مرة، إذا خالفنى شعبة فى شىء تركته.

✍وقال سعيد بن عامر الضبعى، عن شعبة: كتب عنى سعد بن إبراهيم حديثى كله.

✍وقال أبو بكر بن أبى الأسود، عن خاله عبد الرحمن بن مهدى: كان سفيان يقول: شعبة أمير المؤمنين فى الحديث.

✍وقال محمد بن يحيى الذهلى، عن سلم بن قتيبة: قدمت من البصرة فأتيت الكوفة فأتيت سفيان، فقال لى: من أين أنت؟ فقلت: من البصرة فقال: ما فعل أستاذنا شعبة؟.

✍وقال يحيى بن معين، عن أبى قطن: كتب لى شعبة إلى أبى حنيفة يحدثنى، فقال: كيف أبو بسطام؟ فقلت: بخير. قال: نعم حشو المصر هو.

✍وقال محمد بن عبيد بن أبى الأسد، عن سلمة السعدى: سمعت ابن إدريس يقول:

رأيت فى المنام كأنى أفجر بحرا، فقدمت إلى هذه المدينة ـ يعنى بغداد ـ فلقيت شعبة بن الحجاج.

✍وقال حرملة بن يحيى، عن الشافعى: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، وكان يجىء إلى الرجل: فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان.

✍وقال أبو زيد الهروى: قال رجل لشعبة: يا أبا بسطام، سمعت؟ فقال: والله لأن أتقطع أحب إلى من أن أقول لما لم أسمع: سمعت.

✍وقال عبد الرحمن بن مهدى: قال شعبة: ما سمعت من رجل حديثا إلا قال لى: حدثنى أو حدثنا، إلا حديثا واحدا.

✍قال شعبة: قال قتادة: قال أنس: قال رسول الله ﷺ: " إن من حسن الصلاة إقامة الصف " أو كما قال. فكرهت أن يفسد على من أجل جودة الحديث.

✍وقال محمد بن المنهال الضرير: سمعت يزيد بن زريع غير مرة يقول: كان شعبة من أصدق الناس فى الحديث.

✍وقال عمرو بن على: سمعت أبا بحر البكراوى يقول: ما رأيت أعبد لله من شعبة، لقد عبد الله حتى جف جلده على ظهره ليس بينهما لحم.

✍وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلت على شعبة فى وقت صلاة قط إلا رأيته قائما يصلى وكان أبو الفقراء وأمهم، وسمعته يقول: والله لولا الفقراء ما جلست لكم.

✍وقال أيضا: كان شعبة إذا قام فى مجلسه سائل لا يحدث حتى يعطى، فقام يوما سائل ثم جلس، فقال: ما شأنه؟ قالوا: ضمن عبد الرحمن بن مهدى أن يعطيه درهما.

وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة، وكان إذا رأى المسكين لا يزل ينظر إليه حتى يغيب عن وجهه.

وقال يحيى بن سعيد القطان: كان شعبة من أرق الناس، كان ربما مر به السائل فيدخل إلى بيته فيعطيه ما أمكنه.

و قال قراد أبو نوح: رأى على شعبة قميصا فقال: بكم أخذت هذا؟ قلت: بثمانية دراهم. قال لى: ويحك أما تتقى الله تلبس قميصا بثمانية دراهم، ألا اشتريت قميصا بأربعة دراهم، وتصدقت بأربعة. قلت: أنا مع قوم نتجمل لهم. قال: ايش تتجمل لهم !.

وقال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين.

وقال عيسى بن شاذان، عن عمرو بن العباس الرزى: سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول:ما رأيت أعقل من مالك بن أنس، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أنصح للأمة من عبد الله بن المبارك.

وقال أبو الورد عبد الله بن عبيد الله بن حكام، عن عمه عمرو بن حكام: أتى شعبة شيخ من جيرانه محتاج، فسأله، فقال له شعبة: لم سألتنى، عندى شىء؟ قال: فذهب الشيخ لينصرف، فقال له شعبة: اذهب فخذ حمارى فهو لك. فقال: لا أريد حمارك. قال: اذهب فخذه قال: فذهب فأخذه فمر به على مجالس أصحابنا بنى جبلة فاشتراه بعضهم بخمسة دراهم فأهداه إلى شعبة.

وقال أبو عمرو أحمد بن محمد الحيرى، عن أبيه: سمعت محمد بن معاوية، وسليمان بن حرب إلى جابنه يقول: خرج الليث بن سعد يوما فقوموا ثيابه ودابته وخاتمه وما كان عليه ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفا. فقال سليمان بن حرب: خرج شعبة يوما فقوموا حماره وسرجه ولجامه ثمانية عشر درهما إلى عشرين درهما.

و قال أبو زرعة، عن مقاتل بن محمد الرازى: سمعت وكيعا يقول: إنى لأرجو أن يرفع الله لشعبة فى الجنة درجات بذبه عن رسول الله ﷺ.

و قال عفان بن مسلم، عن يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت أحدا قط أحسن حديثا من شعبة.

وقال أبو سعيد الأشج، عن الوليد بن حماد بن زياد: سمعت عبد الله بن إدريس يقول ما جعلت بينك وبين الرجال مثل شعبة وسفيان.

و قال حنبل بن إسحاق، عن على ابن المدينى: سألت يحيى بن سعيد أيما كان أحفظ للأحاديث الطوالات سفيان أو شعبة؟ فقال: كان شعبة أمر فيها.

وقال: سمعت يحيى يقول: كان شعبة أعلم بالرجال فلان عن فلان كذ وكذا، وكان سفيان صاحب أبواب.

وقال أبو عبيد الآجرى: سمعت أبا داود، قال: لما مات شعبة قال سفيان: مات الحديث. قيل له: هو أحسن حديثا من سفيان؟ فقال: ليس في الدينا أحسن حديثا من شعبة ومالك على القلة، والزهرى أحسن الناس حديثا، وشعبة يخطىء فيما لا يضره ولا يعاب عليه - يعنى: فى الأسماء -.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة مأمونا ثبتا حجة، صاحب حديث، وكان أكبر من الثورى بعشر سنين.

وقال يحيى بن سعيد القطان: شعبة أكبر من الثورى بعشر سنين، والثورى أكبر من ابن عيينة بعشر سنين.

وقال أحمد بن عبد الله العجلى: واسطى سكن البصرة ثقة ثبت فى الحديث، وكان يخطىء فى أسماء الرجال قليلا.

وقال صالح بن محمد البغدادى: أول من تكلم فى الرجال شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان، ثم تبعه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

✍وقال أبو أحمد بن عدى: يقال: إن هشيما تزوج بأم شعبة وكان موسرا، وقال: تزوجت بأم شعبة لأغنيه.

✍قال محمد بن سعد: توفى بالبصرة فى أول سنة ستين ومئة.

✍وقال أبو بكر بن منجويه: مولده سنة اثنتين وثمانين، ومات سنة ستين ومئة فى أولها، وله يوم مات سبع وسبعون سنة وكان من سادات أهل زمانه حفظا وإتقان وورعا وفضلا، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علما يقتدى به، وتبعه عليه بعده أهل العراق.

✍قال الحافظ أبو بكر الخطيب: حدث عنه سعد بن إبراهيم، وعلى بن الجعد وبين وفاتيهما مئة وخمسن سنين، وقيل مئة وثلاث سنين.

✍روى له الجماعة.

✍قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٤ / ٣٤٥: هذا بعينه (أى ما نقل آنفا) كلام ابن حبان فى " الثقات " نقله ابن منجويه منه، ولم يعزه إليه، لكن عند ابن حبان أن مولده سنة ثلاث وثمانين.

✍وذكر ابن أبى خيثمة أنه مات فى جمادى الآخرة.

✍وأما ما تقدم من أنه كان يخطىء فى الأسماء، فقد قال الدارقطنى فى " العلل ": كان شعبة يخطىء فى أسماء الرجال كثيرا لتشاغله بحفظ المتون.

✍وقال صالح بن سليمان: كان لشعبة أخوان يعالجان الصرف، وكان شعبة يقول لأصحاب الحديث: ويلكم الزموا السوق فإنما أنا عيال على إخوتى.

✍وقال ابن معين: كان شعبة صاحب نحو وشعر.

✍وقال الأصمعى: لم نر أحدا أعلم بالشعر منه.

✍وقال بدل بن المحبر: سمعت شعبة يقول: تعلموا العربية فإنها تزيد فى العقل.

وقال ابن إدريس: شعبة قبان المحدثين، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما لزمت غيره.

وقال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع إلا ظننت أنه قد نسى.

وفى " تاريخ ابن أبى خيثمة ": قال شعبة: ما رويت عن رجل حديثا إلا أتيته أكثر من مرة،والذى رويت عنه عشرة أتيته أكثر من عشر مرار.

وقيل لابن عوف: مالك لا تحدث عن فلان؟ قال: لأن أبا بسطام تركه.

وقال الحاكم: شعبة إمام الأئمة فى معرفة الحديث بالبصرة، رأى أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة: الصحابيين، وسمع من أربع مئة من التابعين.

٣/ زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو بن كعب اليامى،و يقال: الإيامى أيضا، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله الكوفى.

قال المزى: قال على ابن المدينى، عن يحيى بن سعيد القطان: ثبت.

وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائى: ثقة.

وقال ليث بن أبى سليم، عن مجاهد: أعجب أهل الكوفة إلى أربعة: محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، وأبو هبيرة يحيى بن عباد، وطلحة، وزبيد.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن عبد الله بن شبرمة: كان زبيد اليامى يجزىء الليل ثلاثة أجزاء: جزء عليه، وجزء على عبد الرحمن ابنه، وجزء على عبد الله ابنه، وكان زبيد يصلى ثلث الليل ثم يقول لأحدهما: قم، فإن تكاسل صلى جزءه، ثم يقول للآخر: قم، فإن تكاسل صلى جزءه، فيصلى الليل كله.

قال أبو نعيم: مات سنة ثنتين وعشرين ومئة.

وقال محمد بن عبد الله بن نمير: مات سنة أربع وعشرين ومئة بعد طلحة بعشر سنين.

روى له الجماعة.

قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٣ / ٣١١: وأرخه الإمام أحمد وابن قانع سنة ثلاث وعشرين.

وقال يعقوب بن سفيان: ثقة ثقة خيار، إلا أنه كان يميل إلى التشيع.

وقال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث، وكان فى عداد الشيوخ، وليس بكثير الحديث.

وقال العجلى: ثقة ثبت فى الحديث، وكان علويا.

وحكى ابن أبى خيثمة عن شعبة قال: ما رأيت بالكوفة شيخا خيرا من زبيد.

وقال سعيد بن جبير: لو خيرت عبدا القى الله فى مسلاخه اخترت زبيد اليامى.

وقال البخارى فى " تاريخه ": قال عمرو بن مرة: كان زبيد صدوقا.

وقال ابن حبان فى " الثقات ": كان من العباد الخشن مع الفقه فى الدين ولزوم الورع الشديد.

وقال محمد بن طلحة بن مصرف: ما كان بالكوفة ابن أب وأخ أشد مجانبا من طلحة ابن مصرف وزبيد اليامى، كان طلحة عثمانيا، وكان زبيد علويا.

٤/ أبو وائل: هو: شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدى، أسد خزيمة، ويقال: أحد بنى مالك بن ثعلبة بن دودان،الكوفى.أدرك النبى ﷺ ولم يره.

قال المزى: قال الزبرقان السراج، عن أبى وائل: إنى لأذكر وأنا ابن عشر حجج فى الجاهلية وأنا أرعى غنما ـ وفى رواية: إبلا ـ لأهلى بالبادية حين بعث النبى ﷺ.

وقال عاصم بن بهدلة، عن أبى وائل: أدركت سبع سنين من سنى الجاهلية.

✍وقال مغيرة بن مقسم، عن أبى وائل: أتانا مصدق النبى ﷺ فأتيته بكبش لى، فقلت: خذ صدقة هذا. قال: ليس فى هذا صدقة.

✍وقال الأعمش: قال لى شقيق بن سلمة: يا سليمان لو رأيتنى ونحن هراب من خالد ابن الوليد يوم بزاخة، فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقى، فلو مت يومئذ كانت النار. قال: وسمعت شقيقا يقول: كنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة.

✍وقال يزيد بن أبى زياد: قلت لأبى وائل: أيما أكبر أنت أو مسروق؟ قال: أنا.

✍وقال محمد بن فضيل بن غزوان، عن أبيه، عن أبى وائل: إنه تعلم القرآن فى شهرين.

✍وقال عمرو بن مرة: قلت لأبى عبيدة: من أعلم أهل الكوفة بحديث عبد الله؟ قال: أبو وائل.

✍وقال الأعمش: قال لى إبراهيم: عليك بشقيق فإنى أدركت الناس وهم متوافرون وإنهم ليعدونه من خيارهم.

✍وقال مغيرة، عن إبراهيم ـ وذكر عنده أبو وائل ـ، فقال: إنى لأحسبه ممن يدفع عنا به.

✍وقال فى موضع آخر: أما إنه خير منى.

✍وقال عاصم بن بهدلة: ما سمعت أبا وائل سب إنسانا قط ولا بهيمة.

✍وقال سفيان الثورى، عن أبيه: سمعت أبا وائل وسئل: أنت أكبر أو الربيع بن خثيم؟ قال: أنا أكبر منه سنا وهو أكبر منى عقلا.

✍وقال عاصم بن بهدلة: كان زر يحب عليا وكان أبو وائل يحب عثمان وكانا يتجالسان فما سمعتهما يتناثيان شيئا قط.

وقال حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة: قيل لأبى وائل: أيهما أحب إليك على أو عثمان؟ قال: كان على أحب إلى من عثمان ثم صار عثمان أحب إلى من على.

وقال وكيع: كان ثقة.

وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة لا يسأل عن مثله.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

وقال أبو معاوية، عن الأعمش: قال لي أبو وائل: يا سليمان ما في أمرائنا هؤلاء واحدة من اثنتين، ما فيهم تقوى أهل الإسلام ولا عقول أهل الجاهلية.

قال محمد بن عثمان بن أبى شيبة: مات في زمن الحجاج بعد الجماجم.

وقال خليفة بن خياط: مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين.

وقال الواقدى: مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز.

وكذلك روى عن أبى نعيم، والمحفوظ الأول، والله أعلم.

روى له الجماعة.

قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٤ / ٣٦٣: وقال ابن حبان فى " الثقات ": سكن الكوفة، وكان من عبادها، وليست له صحبة. ومولده سنة إحدى من الهجرة.

وقال العجلى: رجل صالح، جاهلى، من أصحاب عبد الله.

وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة.

وقال ابن أبى حاتم فى " المراسيل ": قال أبو زرعة: أبو وائل عن أبى بكر مرسل.

وقال ابن أبى حاتم: وقلت لأبى: سمع من عائشة؟ قال: لا أدرى، ربما أدخل بينه وبينها مسروقا.

قال: وقلت لأبى: سمع من أبى الدرداء؟ قال: أدركه ولا يحكى سماع شىء عنه، أبو الدرداء بالشام وأبو وائل بالكوفة.

قلت: كان يدلس؟ قال: لا.

قال الحافظ فى "تقريب التهذيب" ص / ٢٦٨: مخضرم.

كلمات ومعاني:

قوله: (سباب المسلم) شتمه والتكلم في عرضه بما يعيبه ويؤذيه.

قوله: (فسوق) فجور وخروج عن الحق.

قوله: (كُفر) أي إن استحله.

والمراد إثبات ضرر المعصية مع وجود الإيمان.لأن المرجئة يعتقدون أن الفاسق كامل الإيمان.ولا يعتقدون تأثير المعاصي على الإيمان.

المرجئة وفرقهم:

قَالَ أَبُو مُحَمَّد بن حزم في كتابه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٨٨) فِرَقُ المقرّين بِملَّة الْإِسْلَام خَمْسَةٌ وهم: أهل السّنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثمَّ افْتَرَقت كل فرقة من هَذِه على فرق وَأَكْثر افْتِرَاق أهل السّنة فِي الْفتيا ونبذ يسيرَة من الاعتقادات سننبه عَلَيْهَا إِن شَاءَ الله تَعَالَى ثمَّ سَائِر الْفرق الْأَرْبَعَة الَّتِي ذكرنَا فَفِيهَا مَا يُخَالف أهل السّنة الْخلاف الْبعيد وَفِيهِمْ مَا يخالفهم الْخلاف الْقَرِيب فأقرب فرق المرجئة إِلَى أهل السّنة من ذهب مَذْهَب أبي حنيفَة الْفَقِيه إِلَى أَن الْإِيمَان هُوَ التَّصْدِيق بِاللِّسَانِ وَالْقلب مَعًا وَأَن الْأَعْمَال إِنَّمَا هِيَ شرائع الْإِيمَان وفرائضه فَقَط. وأبعدهم أَصْحَاب جهم بن صَفْوَان والأشعري وَمُحَمّد بن كرام

السجسْتانِي فَإِن جهماً والأشعري يَقُولُونَ إن الْإِيمَان عقدٌ بِالْقَلْبِ فَقَط وَإِن أظهر الْكفْر والتثليث بِلِسَانِهِ وَعبد الصَّلِيب فِي دَار الْإِسْلَام بِلَا تقية وَمُحَمّد بن كرام يَقُول هُوَ القَوْل بِاللِّسَانِ وَإِن اعْتقد الْكفْر بِقَلْبِه وَأقرب فرق الْمُعْتَزلَة إِلَى أهل السّنة أَصْحَاب الْحُسَيْن بن مُحَمَّد النجار وَبشر ابْن غياث المريسي ثمَّ أَصْحَاب ضرار بن عَمْرو وأبعدهم أَصْحَاب أبي الهزيل.

المرجئة: هم الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، فالإيمان عندهم هو معرفة الله ومحبته والإقرار بوحدانيته وترك الاستكبار عليه، ويرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، وأكثرهم على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وكانوا يقولون لا تضرّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل: إن أول من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي.

قال الشهرستاني: "والمرجئة أربعة أصناف:

١/ مرجئة الخوارج.

٢/ ومرجئة القدرية.

٣/ ومرجئة الجبرية.

٤/ والمرجئة الخالصة".

وأشهر فرق المرجئة الجهمية والأشاعرة ومرجئة الفقهاء:

١/ **العُبيدية:** أتباع عبيد المكتئب، قال: إن ما دون الشرك مغفور لا محالة، والعبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٠).

٢/ **اليونسية:** أتباع يونس بن عون النميري، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له، وترك الاستكبار عليه، والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر تركها

حقيقة الإيمان. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٠)، الفرق بين الفرق (ص٢٠٢)، ومقالات الإسلاميين (ص١٣٤).

٣/ **الغسَّانية:** أتباع غسان الكوفي، زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسله، والإقرار بما أنزل الله، وبما جاء به الرسول ﷺ في الجملة دون تفصيل، والإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقال: (من قال): أعلم أن الله تعالى حرم الخنزير، ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة أم غيرها؟ كان مؤمناً. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤١)، والفرق بين الفرق (ص٢٠٣).

٤/ **الثوبانية:** أتباع أبي ثوبان المرجئ، زعم أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى، وبرسله، وبكل ما يجوز في العقل أن يفعله، وما جاز في العقل تركه فليست معرفته من الإيمان، وأخر العمل كله عن الإيمان. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٠٤)، والملل والنحل (١/ ١٤٢)، ومقالات الإسلاميين (ص١٣٥)، والبرهان (ص٤٤).

٥/ **التومنية:** أتباع أبي معاذ التومني، زعم أن الإيمان هو ما عصم من الكفر، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك كفر، وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٤)، والفرق بين الفرق (ص٢٠٣)، ومقالات الإسلاميين (ص١٣٩).

٦/ **المريسية:** أَصْحَاب بشر المريسي ومرجئة بَغْدَاد من أَتْبَاعه وَكَانَ يتَكَلَّم بالفقه على مَذْهَب أبي يُوسُف القَاضِي وَلكنه خَالفه بقوله إِن الْقُرْآن مَخْلُوق وَكَانَ مَهْجُورًا من الْفَرِيقَيْنِ وَهُوَ الَّذِي نَاظر الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَيَّامه هَذِه فرق المرجئة الْمَحْضَة الَّذين يتبرؤون عَن القَوْل بالجبر وَالْقدر.

قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠): قَالُت: طَوَائِف من المرجئية إِن إِبْلِيس لم يسْأَل الله قطّ النظرة وَلَا أقرّ بِأَن خلقه من نَار وَخلق آدم من تُرَاب.

وَآخَرُونَ من المرجئية قَالُوا: إِن النُّبُوَّة تكتسب بِالْعَمَلِ الصَّالح.

وَآخَرُونَ كَانُوا من أهل السّنة فغلوا فَقَالُوا قد يكون فِي الصَّالِحين من هُوَ أفضل من الْأَنْبِيَاء وَمن الْمَلَائِكَة عَلَيْهِم السَّلَام وَأَن من عرف الله حق مَعْرفَته فقد سَقَطت عَنْهُم الْأَعْمَال والشرائع.

وَقَالَ بَعضهم بحلول الْبَارِي تَعَالَى فِي أجسام خلقه كالحلاج وَغَيره.

٧/ **والغيلانية:** أصحاب غيلان بن مروان الدمشقي، وأصحاب محمد بن شبيب، ومنهم من لا يدخل أعمال القلوب كجهم ومن اتبعه والصالحي وهو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه.

٨/ **الشمرية:** أصحاب أبي شمر.

٩/ **الصالحية:** أصحاب أبي الحسن الصالحي.

١٠/ **الجهمية.**

١١/ **الشبيبية:** أصحاب محمد بن شبيب.

١٢/ **النجارية:** وهم الحسين بن محمد النجار وأصحابه.

والمرجئة ثلاثة أصناف:

١/ صنف يقول: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه، وذكر فرقاً كثيرة يطول ذكرهم، لكن ذكرنا جمل أقوالهم، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

٢/ وصنف يقول: الإيمان هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكَرَّامية.

٣/ صنف يقول: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم.

ورد بن تيمية على الصنف الثالث بردود:

الرد الأول: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص، وليس الأمر كذلك فإن اتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجبه على أمة محمد، وأوجب على أمة محمد من الإيمان ما لم يوجبه على غيرهم، والإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن، ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن، والإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ليس مثل الإيمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً، فإنه لابد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر، لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك. وأما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر، وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل؛ لموته قبل أن يبلغه شيء آخر.

وأيضاً لو قدر أنه عاش، فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول، وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر به، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة، ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة، فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين.

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم: خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال. فنقول: إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال، فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا

بفرضه، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ولهذا لم يجئ ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان، كحديث وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْس، وحديث الرجل النجدي الذي يقال له: ضِمَام بن ثَعْلَبة وغيرهما، وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر وجبريل، وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس، فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فرض أدخله النبي ﷺ في الإيمان إذا أفرد، وأدخله في الإسلام إذا قرن بالإيمان وإذا أفرد، وسنذكر إن شاء الله متى فرض الحج؟

✍وكذلك قولهم: من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمنًا، فصحيح؛ لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه، والعمل لم يكن وجب عليه بعد، فهذا مما يجب أن يعرف، فإنه تزول به شبهة حصلت للطائفتين.

✍فإذا قيل: الأعمال الواجبة من الإيمان، فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئًا واحداً في حق جميع الناس. وأهل السنة والحديث يقولون: جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان، أي: من الإيمان الكامل بالمستحبات، ليست من الإيمان الواجب. ويفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل بالمستحبات، كما يقول الفقهاء: الغُسْل ينقسم إلى مجزئ وكامل، فالمجزئ: ما أتى فيه بالواجبات فقط، والكامل: ما أتى فيه بالمستحبات. ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب، وقد يراد به الكمال المستحب.

✍وأما قولهم: إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع. فهذا صحيح. وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها. وقد يقرن به الأعمال. وذكرنا نظائر لذلك كثيرة. وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب. والأعمال الظاهرة لازمة لذلك. لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب،

وحيث عطفت عليه الأعمال، فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة.

ثم للناس في مثل هذا قولان: منهم من يقول: المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً، ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصاً له، لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول، وقالوا: هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢]، فخص الإيمان بما نزل على محمد بعد قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من المؤمنين، وقوله: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: ٥]، والصلاة والزكاة من العبادة، فقوله: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: ٥].فإنه قصد أولاً: أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره، ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم أنهما عبادتان واجبتان، فلا يكتفي بمطلق العبادة الخالصة دونهما، وكذلك يذكر الإيمان أولاً؛ لأنه الأصل الذي لابد منه، ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه، فلا يظن الظان اكتفاء بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح، وكذلك قوله: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١: ٥].

وقد قيل: إن هؤلاء هم أهل الكتاب الذين آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل على من قبله، كابن سلام ونحوه، وأن هؤلاء نوع غير النوع المتقدم الذين يؤمنون

بالغيب، وقد قيل: هؤلاء جميع المتقدمين الذين آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وهم صنف واحد، وإنما عطفوا لتغاير الصفتين كقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى ۝﴾ [الأعلى: ١: ٥]، فهو سبحانه واحد وعطف بعض صفاته على بعض، وكذلك قوله: ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ و﴿الصَّلاَةِ﴾، وهي صلاة العصر.

والصفات إذا كانت معارف كانت للتوضيح، وتضمنت المدح أو الذم. تقول: هذا الرجل هو الذي فعل كذا، وهو الذي فعل كذا، وهو الذي فعل كذا تعدد محاسنه؛ ولهذا مع الاتباع قد يعطفونها وينصبون، أو يرفعون، وهذا القول هو الصواب؛ فإن المؤمنين بالغيب إن لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين ولا متقين، وكذلك الذين آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله إن لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، لم يكونوا على هدى من ربهم، ولم يكونوا مفلحين، ولم يكونوا متقين، فدل على أن الجميع صفة المهتدين المتقين الذين اهتدوا بالكتاب المنزل إلى محمد، فقد عطفت هذه الصفة على تلك مع أنها داخلة فيها، لكن المقصود صفة إيمانهم، وأنهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه، لا يفرقون بين أحد منهم، وإلا فإذا لم يذكر إلا الإيمان بالغيب، فقد يقول: من يؤمن ببعض ويكفر ببعض، نحن نؤمن بالغيب.

ولما كانت سورة البقرة سَنَام القرآن، ويقال: إنها أول سورة نزلت بالمدينة، افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين، فإنه من حين هاجر النبي صلىالله عليه وسلم صار الناس ثلاثة أصناف: إما مؤمن، وإما كافر مظهر للكفر، وإما منافق، بخلاف ما كانوا وهو بمكة، فإنه لم يكن هناك منافق؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره: لم يكن من المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار؛ فإن مكة كانت

للكفار مستولين عليها. فلا يؤمن ويهاجر إلا من هو مؤمن ليس هناك داع يدعو إلى النفاق، والمدينة آمن بها أهل الشوكة، فصار للمؤمنين بها عز ومنعة بالأنصار. فمن لم يظهر الإيمان آذوه، فاحتاج المنافقون إلى إظهار الإيمان، مع أن قلوبهم لم تؤمن، والله تعالى افتتح البقرة ووسط البقرة وختم البقرة بالإيمان بجميع ما جاءت به الأنبياء، فقال في أولها ما تقدم، وقال في وسطها: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ الآية [البقرة: ١٣٦، ١٣٧]، وقال في آخرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ والآية الأخرى [البقرة: ٢٨٥].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " الآيتان من آخر سورة البقرة: من قرأ بهما في ليلة كفتاه " والآية الوسطى قد ثبت في [الصحيح] أنه كان يقرأ بها في ركعتي الفجر: وب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤]، تارة. وبـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ تارة. فيقرأ بما فيه ذكر الإيمان والإسلام، أو بما فيه ذكر التوحيد والإخلاص.

فعلى قول هؤلاء يقال: الأعمال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان، وعطف عليه عطف الخاص على العام، إما لذكره خصوصاً بعد عموم، وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام. وقيل: بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان، فإن أصل الإيمان هو ما في القلب، ولكن هي لازمة له، فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً؛ لأن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الإيمان إذا أطلق، كما تقدم في

كلام النبي ﷺ، فإذا عطفت عليه ذكرت، لئلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد، فكان ذكرها تخصيصاً وتنصيصاً ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، لا يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل، وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله: آمنت، لابد أن يقوم بالواجب، وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على انتفائه عمن سواهم.

✍وللجهمية هنا سؤال ذكره أبو الحسن في كتاب [الموجز] وهو أن القرآن نفي الإيمان عن غير هؤلاء، كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ولم يقل: إن هذه الأعمال من الإيمان، قالوا: فنحن نقول: من لم يعمل هذه الأعمال لم يكن مؤمناً، لأن انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه.

❁ والجواب عن هذا من وجوه:

١/ أنكم سلمتم أن هذه الأعمال لازمة لإيمان القلب، فإذا انتفت لم يبق في القلب إيمان، وهذا هو المطلوب، وبعد هذا فكونها لازمة أو جزءًا، نزاع لفظي.

٢/ أن نصوصاً صرحت بأنها جزء، كقوله: " الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة "

٣/ أنكم إن قلتم بأن من انتفى عنه هذه الأمور فهو كافر خال من كل إيمان، كان قولكم قول الخوارج، وأنتم في طرف، والخوارج في طرف؛ فكيف توافقونهم؟ ومن هذه الأمور: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، والجهاد، والإجابة إلى حكم الله ورسوله، وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه، وإن كفرتموه كان قولكم قول الخوارج.

٤/ أن قول القائل: إن انتفاء بعض هذه الأعمال يستلزم ألا يكون في قلب الإنسان شيء من التصديق بأن الرب حق، قول يعلم فساده بالاضطرار.

٥/ أن هذا إذا ثبت في هذه ثبت في سائر الواجبات، فيرتفع النزاع المعنوي.

الرد الثاني: من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب؛ كما تقدم عن جهمية المرجئة.

الرد الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال؛ ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له.

والتحقيق: أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر؛ ولهذا صاروا يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب مثل أن يقولوا: رجل في قلبه من الإيمان مثل ما في قلب أبي بكر وعمر، وهو لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم رمضان، ويزني بأمه وأخته، ويشرب الخمر نهار رمضان، يقولون: هذا مؤمن تام الإيمان، فيبقى سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الإنكار.

ففي كتاب "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ٣٨٢-٣٨٣ (دار ابن القيم، ط١- ١٤٠٦هـ. و"السنة" للخلال (٤/ ٢٩-٣١) دار الراية.ط١ - ١٤١٠هـ. و"أصول الاعتقاد" للالكائي (٥/ ٩٥٣-٩٥٤) دار طيبة. ط١ - ١٤٠٢هـ.) عن عبدالله بن أحمد في السُّنَّة قال أحمد بن حنبل: حدثنا خَلَف بن حَيَّان، حدثنا مَعْقِل بن عبيد الله العبسي قال: قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء فعرضه. قال: فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً ...قال فجلست إلى نافع فقلت له ... إِنَّهم يقولون: نحن نقرُّ بأَنَّ الصّلاة فريضةٌ ولا نصلي، وأَنَّ الخمر حرامٌ ونحن نشربها وأن نكاح الأمهات حرامٌ ونحن نفعل. قال: فنتر يده من يدي ثم قال: من فعل هذا فهو كافر»

قال عبد الله بن أحمد حدَّثنا سويد بن سعيد الهرويّ قال: سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء. فقال: يقولون الإيمان قولٌ وعملٌ، والمرجئة أوجبوا الجنَّة لمن

شهد أَنَّ لا إله إلا الله مصرًّاً بقلبه على ترك الفرائض وسمُّوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء لأَنَّ ركوب المحارم من غير استحلالٍ معصية، وترك الفرائض متعمِّداً من غير جهل ولا عذر هو كفر).

✍وروى البغوي عن عبد الله بن محمد عن ابن مجاهد قال: كنت عند عطاء بن أبي رَبَاح، فجاء ابنه يعقوب فقال: يا أبتاه، إن أصحاباً لي يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، فقال: يا بني، ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله.

✍روى ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي: حدثنا أبي، حدثنا ميمون، حدثنا أبو عثمان بن الشافعي، سمعت أبي يقول ليلة للحميدي: ما يحتج عليهم يعني أهل الإرجاء بآية أَحَجُّ من قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥].

✍وقال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب [الأم] في [باب النية في الصلاة]: يحتج بألا تجزئ صلاة إلا بنية بحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: " إنما الأعمال بالنيات " ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر.

✍وقال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصُّرَاح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الآية. وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله.

وأما احتجاج المرجئة: بقوله ﷺ: للأَمَة: " اعتقها فإنها مؤمنة " فهو من حججهم المشهورة، وبه احتج ابن كُلاَّب، وكان يقول: الإيمان هو التصديق والقول جميعـًا، فكان قوله أقرب من قول جهم وأتباعه، وهذا لا حجة فيه؛ لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة، فإن المنافقين الذين قالوا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨] هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون ويحجون ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر، لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك، بل لما مات عبد الله بن أبيّ بن سَلُول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين.

هل المرجئة كفار؟

تكفير المرجئة ليس من مذهب أحد من أئمة الإسلام؛ فلا يكفر المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. ولا يكفر من يفضل عليا على عثمان... وهناك نصوص صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم، وإنما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ظاهرة بينة، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد ابتلى بهم حتى عرف حقيقة أمرهم، وأنه يدور على التعطيل.

وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة؛ لكن ما كان يُكفّر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية إن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك، ويدعون الناس إلى ذلك، ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم

يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم حتى أنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وغير ذلك، ولا يولون متوليا، ولا يعطون رزقا من بيت المال إلا لمن يقول ذلك، ولذا كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يترحم عليهم ويستغفر لهم لعلمه بأنهم لمن يبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به؛ ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال لهم ذلك.

وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق: كفرت بالله العظيم، بين له أن هذا القول كفر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك؛ لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله، وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم.

وكذلك قال مالك والشافعي وأحمد رحمهما الله في القدري إن جحد علم الله كفر.

الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف على زيادة الإيمان ونقصانه:

الأدلة من القرآن الكريم:

١/ قال تعالى في أول الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

٢/ قال تعالى في أواخر آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

٣/ قال تعالى في آخر التوبة: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فالمؤمنون يزدادون إيماناً بنزول القرآن، والمنافقون يزدادون كفراً ورجساً وينقص إيمانهم إن كان بقى منه شيء قبل نزوله!

٤/ قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٥/ قال تعالى في أول سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٦/ قال تعالى في سورة المدثر: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

٧/ وكما يزيد الإيمان... فإنه يزيد بزيادة أفراده: كالخشوع كما في آية السجدة من الإسراء: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

٨/ وزيادة الهدى والهداية كما في قوله في سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وفي سورة محمد: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

وقوله عن الفتية أصحاب الكهفِ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

فما زاد شيء إلا نقص، بدليل كونه قبل الزيادة أنقص منه بعدها.

٩/ وكما أن الكفر يزيد كما في قوله تعالى في آيتى المائدة: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[المائدة: ٦٤].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: ٦٨].

وقوله في الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: ٦٠].

وفي آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

وفي النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧].

فكذلك الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته، والكفر يزيد حتى يسفل إلى أدنى دركاته.

١٠/ أيضـًا مما يدل على زيادة الإيمان عند أهله تفاضلهم فيه، بكون بعضهم أفضل من بعض.

كما قال سبحانه عن الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي البقرة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وفي الإسراء: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

وفاضل سبحانه بين الصحابة في آية الحديد: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

وفاضل بين المجاهدين وغيرهم في سورة النساء: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

١١/ قال تعالى في: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

وفاضل بين درجات العلماء أهل الإيمان بقوله في سورة المجادلة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

ولم يسوّ سبحانه بين أهل الطاعة والمعصية بقوله في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

✍وفي سورة الواقعة ذكر أصحاب اليمين، ثم أصحاب الشمال، ثم السابقين.

وكل هذه المفاضلات للتمايز في زيادة الإيمان

الأدلة من السنة المطهرة:

منها: ما رواه البخاري في صحيحه باب النهبى بغير إذن صاحبه برقم(٢٣٤٣) قال: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب عن أبي

بكر بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبى ﷺ **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)** وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان نقص الإيمان بالمعاصى رقم ٥٧.

بيان الرواية:

قوله: (حين يزني) يقدم على الزنا ويباشره.

قوله: (وهو مؤمن) ونور الإيمان في قلبه بل ينزع منه فإذا استمر على الفعل أو استحله زال إيمانه وكفر.

قوله: (يرفع الناس إليه فيها أبصارهم) أي ذات قيمة تستتبع أنظار الناس وتجعلهم يطلبونها.

قال النووي في شرح النووي على مسلم - (ج ٢ / ص٤١):

معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الايمان وهذا من الألفاظ التى تطلق على نفى الشيء ويراد نفى كماله ومختاره كما يقال لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا عيش الآخرة»، فنفى عنه كمال الإيمان الواجب بفعل هذه الكبائر، مما دل على نقص الإيمان بفعلها، وهكذا كل ما ورد من نفى كمال الإيمان الواجب أو المستحب تدل على زيادته، ومن ثمَّ نقصانه!

ومنها: ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان باباً في تفاضل أهل الإيمان بالأعمال: قال: حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبى سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة - شك مالك - فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم أنها تخرج صفراء ملتوية).

وأخرجه مسلم في الإيمان باب إثيات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار رقم ١٨٤

❁ بيان الرواية:

(مثقال) وزن.(خردل) نبات صغير الحب يشبه به الشىء البالغ القلة.

(نهر الحيا) المطر لأنه تحصل به الحياة ونهر الحياة هو الذي يحيى من انغمس فيه.(فينبتون) يخرجون.

(الحبة) بذرة النبات من البقول والرياحين.

(صفراء ملتوية) منثنية تسر الناظرين والمعنى أنهم يخرجون بوجوه نضرة مسروين متبخترين]

مما يدل على أنه أنقص المؤمنين إيمانـًا، ولو كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص لاستحق أهله كلهم الجنة، وبدرجات متساوية!

✍وروى الإمام البخاري في صحيحه باب تفاضل أهل الإيمان قال:

حدثنا محمد بن عبيد الله قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب عن أبى أمامة بن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله ﷺ: (**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**). قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: (**الدين**). وأخرجه مسلم في الفضائل باب من فضائل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رقم ٢٣٩٠

ورؤيا الأنبياء حق، فدل على زيادة الإيمان في أقوام، ونقصانه في آخرين.

✍وروى الإمام البخاري في صحيحه باب ترك الحائض الصوم: قال: حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد هو ابن أسلم عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو

فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال (**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**). فقلن وبم يا رسول الله؟ قال (**تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**). قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال (**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل**). قلن بلى قال (**فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**). قلن بلى قال (**فذلك من نقصان دينها**).وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات رقم ٧٩،٨٠).

بيان الرواية:

قوله: (أريتكن) أراني الله إياكن وذلك ليلة الإسراء.

قوله: (تكثرن اللعن) تتلفظن به كثيرا حال الدعاء على أحد واللعن هو الطرد والإبعاد عن الخير والرحمة.

(تكفرن العشير) تجحدن نعمة الزوج وتتكرن إحسانه.

قوله: (أذهب) أشد إذهابا.

قوله: (للب) هو العقل السليم الخالص من الشوائب.

قوله: (نصف شهادة الرجل) أشار بذلك إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ / البقرة ٢٨٢ / .

قوله: (من نقصان عقلها) أي وجود الثانية معها لنسيانها وقلة ضبطها وهذا يشعر بنقص عقلها عن الرجل إجمالا وأما تفصيلا فقد تكون امرأة أكثر عقلا من كثير من الرجال.

قوله: (من نقصان دينها). أي إن ما يقع منها من العبادة وهى من أهم أمور الدين أنقص مما يقع من الرجل فهو وإن كان النقص ليس من فعلهن، لكن من صلى وصام كان أكمل إيمانـاً منهن بهذا الاعتبار لصلاته وصيامه..

وروى الإمام مسلم في صحيحه باب كون النهى عن المنكر من الإيمان قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلاَهُمَا عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ - وَهَذَا حَدِيثُ أَبِى بَكْرٍ - قَالَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاَةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ الصَّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»

فدل على أن الإيمان لا يزال يضعف بتخلف تلك المراتب وهو النقصان، وتحصيلها هو زيادته.

ومثله ما رواه أبو داود في سننه برقم(٤٦٨٣).قال: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « **مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِاسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»

ومثله ما رواه أبو داود في سننه برقم(٤٦٨٤) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

وما رواه البخاري في صحيحه باب زيادة الإيمان ونقصانه. برقم (٤٤) قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا هشام قال حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: (**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**) وأخرجه مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم(١٩٣).

✍وقد وضع الإمام البخاري هذا الحديث تحت باب زيادة الإيمان ونقصانه، وهو ظاهر الدلالة على تفاوت الناس بما في قلوبهم من الإيمان، والمراد بحبة الخردل ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد، مثل ذلك قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً**» **إلى قوله**: «**وذلك أضعف الإيمان**».

وفي حديث الأمانة: «..**وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**..» الحديث.

الأحاديث التى فيها نفى الإيمان كقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**».

وقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**...» الحديث.

وقوله: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**..» إلخ.

✍قال النووي: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه: لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التى تطلق على نفى الشيء ويراد نفى كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة".

فالذي يترك هذه المعاصى أكمل إيمانـاً ممن يقترفها.

قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانـاً أحسنهم خلقـاً**». قال الحليمى -رحمه الله-: "فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيمانـاً من بعض... ".

✍قال الإمام البغوي: "وقالوا – أي: أهل السنة-: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء الحديث بالنقصان في وصف النساء".

وقال الحليمي: "فإذا كانت المرأة لنقصان صلاتها عن صلاة الرجال تكون أنقص ديناً منهم، مع أنها غير جانية بترك ما تترك من الصلاة، أفلا يكون الجاني بترك الصلوات أنقص ديناً من المقيم بها المواظب؟".

أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان وزيادته ونقصانه:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة -سلفاً وخلفاً- على أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح؛ يزيد بالطاعة وكثرة العبادة، وينقص بالمعصية والغفلة، وقد حكى الإجماع على ذلك أكثر أهل العلم -رحمهم الله-، بل أصبح هذا القول من مميزات أهل السنة والجماعة، والفارقة بينهم وبين أهل البدع والأهواء.

وعلى هذه العقيدة توفي الرسول ﷺ ، وعلى هذا المنهج كان جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من المحدثين، والفقهاء، وجميع أئمة الدين، ولم يخالفهم أحد من السلف والخلف؛ إلا الذين مالوا عن الحق في هذا الأمر، وجانبوا الصواب.

والآثار عن السلف في مسمى الإيمان وحقيقته كثيرة جداً، ولا يمكن حصرها هنا، وقد قال بهذا القول خلق كثير -غيرهم- من أهل السنة والجماعة...

نقل الإجماع على أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص:

قال يحيى بن سعيد القطان: "ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص".

وقال الإمام أبو بكر عبدالرازق الصنعاني رحمه الله: "لقيت اثنين وستين شيخًا.. فذكر عددًا منهم، ثم قال: كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: "هلم تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلًا من أهل العلم من

الصحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا".

✍وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحمه الله-: "أجمع سبعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التى توفي عليها رسول الله ﷺ... فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية".

✍وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله-: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص".

✍وقال أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي: "الإيمان عندنا أهل السنة الإخلاص لله بالقلوب والألسنة، والجوارح، وهو قول وعمل، يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا بمكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة، ثم ذكر منهم بضعـًا وثلاثين".

✍وقال سهل بن المتوكل الشيباني: "أدركت ألف أستاذ وأكثر كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص..".

✍وقال ابن جرير الطبري: "وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل".

✍وقال أبو عمر ابن عبدالبر: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".

✍وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به، ولا

جهل به؛ لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبى ﷺ، وإن كنا جميعًا مؤدين للواجب علينا".

✍وقال ابن أبى زيد القيرواني في كتابه: "المفرد في السنة": "فصل فيما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة ومن السنن التى خلافها بدعة وضلالة.. فذكر أموراً منها: أن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصاً عن حقائق الكمال لا محبط للإيمان، ولا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة".

✍وقال ابن بطال المالكى: "مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

✍وقال الحافظ عبدالغنى المقدسى في عقيدته: "اعلم -وفقنا الله وإياك- أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم.. فذكر أموراً ثم قال: بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"، ثم أورد بعض النصوص الدالة على ذلك.

✍وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

✍وقال ابن القيم: ".. فإنه بإجماع السلف: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية".

✍وقال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا مذهب جمهور الأمة، بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعى وأحمد بن حنبل وأبى عبيد".

✍وقال السفارينى: "والذي اعتمده أئمة الأثر وعلماء السلف: أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان".

۞ أقوال السلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص:

بعد هذه النقول السابقة المبينة لإجماع أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان ونقصانه، وأنهم متضافرون على قول واحد فيه، أذكر جملة من النقول عن بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن نقل عنه ذلك، ذاكراً أقوال الصحابة أولاً، فالتابعين، فمن بعدهم، مرتباً لهم حسب وفياتهم، عدا الصحابة فلم أراع في ترتيبهم ذلك:

١- كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: "هلموا نزداد إيمانًا"، وفي لفظ: "تعالوا نزداد إيمانًا".

٢- وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اجلسوا بنا نزداد إيمانًا"، وكان يقول في دعائه: "اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفقهًا".

٣- وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: "اجلسوا بنا نؤمن ساعة".

قال ابن حجر مبينًا وجه دلالته على زيادة الإيمان ونقصانه: "ووجه الدلالة منه ظاهرة؛ لأنه لا يحمل على أصل الإيمان؛ لكونه كان مؤمنـًا وأي مؤمن، وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد إيمانًا بذكر الله تعالى".

أما قول ابن العربى عنه: "لا تعلق فيه للزيادة معللاً ذلك: أن معاذاً إنما أراد تجديد الإيمان؛ لأن العبد يؤمن في أول مرة فرضـًا، ثم يكون أبدًا مجددًا كلما نظر أو فكر"، فغير صحيح؛ لأن الإيمان الذي ينجم عن النظر والتفكر بعد تحقق أصل الإيمان، يعد في الحقيقة زيادة إيمان، فما سماه ابن العربى هنا: تجدد إيمان هو في واقع أمره زيادة إيمان، وإن سمى بغير اسمه؛ ولذا تعقبه الحافظ بقوله: "وما نفاه أولاً أثبته آخرًا؛ لأن تجدد الإيمان إيمان".

٤- وكان عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: "تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ونزدد إيمانًا بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته".

٥- وعن أبى الدرداء عويمر الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "الإيمان يزداد وينقص".

وروي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه".

٦- وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "الإيمان يزداد وينقص".

وروي عنه وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: "الإيمان يزيد وينقص".

٧- وعن جندب بن عبدالله البجلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "كنا مع رسول الله ﷺ فتيانًا حزاورة فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا".

٨- وعن عمير بن حبيب الخطمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّ وَجَلَّ وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه".

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمى".

ولم يتبين لى وجه هذه الأقدمية، ولم أقف على تاريخ وفاة عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما عد ممن أسلم قبل الفتح، وفي الذين نقل عنهم من الصحابة ذلك عبدالله بن رواحة، وكان قد استشهد في غزوة مؤتة في حياة رسول الله ﷺ.

وعن عقبة بن عامر الجهنى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "إن الرجل ليتفضل بالإيمان كما يتفضل ثوب المرأة".

ولعل التشبيه بثوب المرأة هو لكونه ضافيًا وافيًا، وقد تقدم معنا الرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ حيث قال: «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضوه عليَّ وعليهم قمص..» الحديث، ثم فسر القمص بالدين.

١٠- وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم".

١١- وعن علقمة بن قيس النخعى -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنه كان يقول لأصحابه: "امشوا بنا نزدد إيمانًا".

١٢- وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي أحد عماله على الجزيرة: "أما بعد: فإن للإيمان حدودًا وشرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان". علقه البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه، وقال ابن حجر مبينًا سبب ذكر البخاري له: "والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبدالعزيز كان ممن يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل".

١٣- وعن مجاهد بن جبر قال: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

١٤- وقال عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعى: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع".

"وسئل -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن الإيمان أيزيد؟ قال: نعم، حتى يكون كالجبال، قيل: فينقص؟ قال: نعم، حتى لا يبقى منه شيء".

١٥- وقال سفيان الثوري: "الإيمان يزيد وينقص".

١٦- وكتب حماد بن زيد إلى جرير بن عبدالحميد: "بلغنى أنك تقول في الإيمان بالزيادة، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك، أثبت على ذلك ثبتك الله".

١٧- وثبت عن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- القول بزيادة الإيمان ونقصانه من طرق متعددة يأتي ذكرها في مبحث مستقل.

١٨- وقال عبدالله بن المبارك: "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل، فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته".

ولا ريب كذلك في ثبوت لفظ الزيادة والنقصان عند السلف؛ فالزيادة مصرح بها في القرآن، والنقصان مصرح به في السنة كما تقدم بيانه، ولعل سبب عدول ابن المبارك -رحمه الله- عن لفظ الزيادة والنقصان هو استحسانه لكلمة: "التفاضل" لا لسبب آخر، كما أنه روي ذلك عن بعض السلف، فقد ساق الخلال بسنده إلى محمد بن أبان قال: "قلت لعبدالرحمن بن مهدي: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم. قلت: يزيد وينقص؟ قال: يتفاضل كلمة أحسن من كلمة". فهذا هو وجه عدول ابن مهدي عن كلمة الزيادة والنقصان كما هو منصوصه على ذلك، فلعل ذلك أيضًا هو سبب عدول ابن المبارك عن هذه الكلمة، والله أعلم.

وقد كان من السلف من ينكر على من عدل عن لفظة الزيادة والنقصان؛ لثبوتها، كما قد روى ذلك عبدالرحمن بن مهدي نفسه -رحمه الله- قال: "أنا أقول: الإيمان يتفاضل، وكان الأوزاعي يقول: ليس هذا زمان تعلم، هذا زمان تمسك".

ثم وقفت على أثر عن الإمام أحمد -رحمه الله- قد يفهم منه سبب اختيار ابن المبارك للفظة: "يتفاضل"، فقد قال ابن هانئ في مسائله: "سمعت أبا عبدالله يسأل ابن أبي رزمة: ما كان أبوك يقول عن عبدالله بن المبارك في الإيمان؟ قال: كان يقول: الإيمان يتفاضل. قال أبو عبدالله: يا عجباه، إن قال لكم: يزيد وينقص رجمتموه، وإن قال: يتفاضل تركتموه، وهل شيء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان".

وعلى كلٍّ فابن المبارك عدل عن ذلك، وصار يصرح بزيادة الإيمان؛ لكونها منصوصًا عليها في القرآن، قال -رحمه الله-: "لم أجد بدًا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله".

ذكر ذلك لما قال له المستملى: "يا أبا عبدالرحمن: إن هاهنا قومًا يقولون: الإيمان لا يزيد، فسكت عبدالله، حتى سأله ثلاثًا، فأجابه، فقال: لا تعجبنى هذه الكلمة منكم أن هاهنا قومًا، ينبغى أن يكون أمركم جمعًا، ثم ساق ابن المبارك بسنده قول عمر بن الخطاب: لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم، ثم قال: بلى إن الإيمان يزيد، بلى إن الإيمان يزيد. ثلاثًا، وقال: لم أجد بدًا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله".

وقال له شيبان بن فروخ: "ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر هذا أمؤمن هو؟ قال ابن المبارك: لا أخرجه من الإيمان: فقال شيبان: على كبر السن صرت مرجئًا؟ فقال له ابن المبارك: يا أبا عبدالله! إن المرجئة لا تقبلنى؛ أنا أقول: الإيمان يزيد، والمرجئة لا تقول بذلك، والمرجئة تقول: حسناتنا متقبلة، وأنا لا أعلم تقبلت منى حسنة".

بل قد وجد في كلامه رحمه الله التصريح بنقصان الإيمان، كما روى ذلك النجاد عن على بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

وروى إسحاق بن راهويه في مسنده عن محمد بن أعين قال: "قال ابن المبارك وذكر له الإيمان فقال: قوم يقولون: إيماننا مثل جبريل وميكائيل. أما فيه زيادة أما فيه نقصان، هو مثله سواء، وجبريل ربما صار مثل الوضع من خوف الله تعالى. وذكر أشباه ذلك".

قلت: أي ذكر أشباه ذلك من أساليب الإنكار على المرجئة القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، وأن أهله فيه سواء، وبهذا يعلم أن ابن المبارك -رحمه الله- كان يقول بزيادة الإيمان ونقصانه كغيره من أئمة أهل السنة والجماعة، رحم الله الجميع.

١٩ - وقال خالد بن الحارث: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

٢٠- وقال جرير بن عبدالحميد: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص".

٢١- وقال وكيع بن الجراح: "الإيمان يزيد وينقص".

٢٢- وحسّن يحيى بن سعيد القطان: "الزيادة والنقصان ورآه"، قاله الإمام أحمد.

ونقدم في هذا قول يحيى: "ما أدركت أحدًا من أصحابنا إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص".

٢٣- وقال ابن عيينة: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد! لا تقولن يزيد وينقص؛ فغضب، وقال: اسكت يا صبى، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء".

وقيل له: "هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: فأي شيء إذن".

وسئل أيضـًا عن الإيمان فقال: "قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى ما يبقى منه يعنى مثل هذه وأشار بيده".

٢٤- وقال النضر بن شميل: "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل".

٢٥- وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعى: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

وروي أن اثنين تناظرا عند الشافعى في هذه المسألة فذهب أحدهما إلى القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، فحمى الشافعى وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

٢٦- وقال عبدالرزاق الصنعاني: "سمعت معمرًا وسفيان الثوري ومالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

وفي رواية أن عبدالرزاق قال: "وأنا أقول ذلك، الإيمان قول وعمل، والإيمان يزيد وينقص، فإن خالفتهم فقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين".

٢٧- وقال عبدالله بن الزبير الحميدي: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل ولا قول إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة".

٢٨ - وقال إسحاق بن راهويه: "الإيمان يزيد وينقص حتى لا يبقى منه شيء".

٢٩- وأما قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في زيادة الإيمان ونقصانه فكثيرة جدًا.

قال ﵀: "الإيمان بعضه أفضل من بعض، يزيد وينقص، وزيادته في العمل، ونقصانه في ترك العمل؛ لأن القول هو مقر به".

وقال: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا عملت الخير زاد، وإذا ضيعت نقص".

"وسُئل -﵀- عن زيادة الإيمان ونقصانه؟ فقال: يزيد حتى يبلغ أعلى السماوات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع".

وأقواله غير ما ذكرت كثيرة يطول ذكرها.

٣٠- وقال أبو زرعة الرازي: "الإيمان عندنا قول وعمل، يزيد وينقص، ومن قال غير ذلك فهو مبتدع مرجئ".

٣١- وقال أبو حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا وما نعتقده وندين الله به ونسأله السلامة في الدين والدنيا: أن الإيمان قول وعمل.. يزيد وينقص".

هذه بعض أقوال السلف الصالح أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه، والأمر كما قال شيخ الإسلام: "والآثار في هذا كثيرة، رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة".

❁ **قال الناظم:**

٣١- ودعْ عَنْكَ آراءَ الرجالِ وقولَهُم ... فقولُ رسولِ اللهِ أزكى وأشْرَحُ
٣٢ وَلا تَكُ مِن قَومٍ تَلَهَّوْا بدينِهِم ... فَتَطْعنَ في أهلِ الحَديثِ وتَقْدَحُ

❁ **الشرح:**

قوله: (ودع): أي اترك ولا تبن دينك وعقيدتك على الآراء المتلفة والأقوال المحدثة بل ابنها على الكتاب والسنة ففيهما السلامة والعصمة.

فالرأي سبب فساد الأمم الماضية. كما ورد في مسند البزار برقم(٢٤٢٤)

ـ وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلا، حَتَّى بَدَا فِيهِمْ أَبْنَاءُ سَبَايَا الأُمَمِ، فَأَفْتَوْا بِالرَّأْيِ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة. وقال ابن القطان: هذا إسناد حسن ،. والحديث رواه بن ماجه في سننه وضعفه الألباني. السلسة الضعيفة - (ج ٩ / ص ٣٣٨)برقم (٤٣٣٦).

وفي سنن الدارمي - (ج ١ / ص ٧٦) باب تغير الزمان برقم(١٨٩)

- أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي خلف ثنا يحيى بن سليم قال سمعت داود بن أبي هند عن بن سيرين قال: أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس) قال حسين سليم أسد: إسناده جيد.

وفي كتاب العظمة - لأبي الشيخ - (ج ٥ / ص ١٦٢٦)- حدثنا الحسن المالكي حدثنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن عبد العزيز بن العامري عن عبد الله بن شبرمة قال دخلت أنا وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى على جعفر بن محمد بن علي فقال جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اتق الله ولا تقس الدين رأيك فإن أول من قاس إبليس قال قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ثم قال الحسن أن تقيس رأسك من جسدك قال لا قال جعفرلأي شيء جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الملوحة في العينين

والمرارة في الأذنين والماء في المنخرين والعذوبة في الشفتين قال لا أدري قال جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق العينين فجعلهما شحمتين وجعل الملوحة فيهما منا منه على ابن آدم لولا ذلك لذابتا وجعل المرارة في الأذنين منا منه على ابن آدم لولا ذلك لهجمت الدواب حتى تصير إلى دماغه وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل منه الريح الطيبة والريح الخبيثة وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم مطعمه ومشربه.

وفي كتاب - رياض الجنة بتخريج أصول السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)المتوفى ٣٩٩ هـ (ج ١ / ص ٥٢) أن ابن وهب قال: وأخبرني رجل من أهل المدينة عن ابن عجلان عن صدقة بن عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يقول: ' إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها ' وتفلتت ' منهم أن ' يعوها ' واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم '.

وروى البزار في البحر الزخار برقم(٢٣٩٠)- حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني، قال: أخبرنا نعيم بن حماد، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم يحرمون الحلال، ويحلون الحرام** » وهذا الحديث لا نعلم أحدا حدث به إلا نعيم بن حماد ولم يتابع عليه.

وفي كتاب - رياض الجنة بتخريج أصول السنة ابن أبي زمنين المتوفى (٣٩٩ هـ)حدثني وهب عن ابن وضاح عن الصمادحي عن ابن مهدي عن سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: ' لا يأتي عليكم عام إلا الذي بعده شر منه، لا أعني عاما ' أخصب ' من عام ولا أمطر من عام، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم [فيهدم] الإسلام ' ويثلم '.

ﮐﮯوروى أبو داود في سننه باب في قضاء القاضي إذا أخطأ برقم (٣٥٨٨)

– حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّأْيَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُصِيبًا لأَنَّ اللهَ كَانَ يُرِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَّا الظَّنُّ وَالتَّكَلُّفُ. » وفي الحديث انقطاع بين بن شهاب الزهري وعمر رضي الله عنه.

ﮐﮯوروى الطبراني في المعجم الكبير برقم(٨٢)– حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا يونس بن عبيد الله العميري ثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهادا فوالله ما آلو عن الحق وذلك يوم أبي جندل والكتاب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة فقال: (اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب باسمك اللهم فرضي رسول الله ﷺ وأهل مكة بما تقول؟ ولكنك تكتب باسمك اللهم فرضي رسول الله ﷺ وأبيت حتى قال لي رسول الله ﷺ: **(تراني أرضى وتأبى أنت)** قال: فرضيت.

ﮐﮯوروى البخاري في صحيحه باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس برقم (٣٠١٠) – حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة قال سمعت الأعمش قال: سألت أبا وائل شهدت صفين؟ قال نعم فسمعت سهل بن حنيف يقول اتهموا رأيكم رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر النبي ﷺ لرددته وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر تعرفه غير أمرنا هذا) وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية رقم ١٧٨٥

بيان الرواية:

ﮐﮯقوله: (صفين) اسم موضع على الفرات وقع فيه الحرب بين معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي موقعة مشهورة.

قوله: (اتهموا رأيكم) يعظ الفريقين أن لا يقاتلوا وأن يتهموا رأيهم في هذا القتال لأن كلا منهما يقاتل عن رأي رآه واجتهاد اجتهده فهو يحذرهم من هذا القتال لأنه قتال الإخوة في الإسلام وكان سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متهما بالتقصير في القتال فأخبرهم أنه لا يقصر في نصرة الجماعة المسلمة كما لم يقصر يوم الحديبية إذ لو استطاع أن ينصر أبا جندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنصره حين جاء من مكة مسلما يجر قيوده وكان قد عذب على الإسلام فرده رسول الله ﷺ لأنه جاء بعد عقد الصلح مع قريش.

قوله: (ما وضعنا أسيافنا على عواتقنا) ما جردناها في الله تعالى وعواتق جمع عاتق وهو ما بين العنق والمنكب.

قوله: (يفظعنا) شديد علينا.

قوله: (أسهلن بنا) أوصلتنا إلى شيء واضح فيه خير.

قوله: (غير أمرنا هذا) أي إلا هذه الفتنة التي وقعت بين المسلمين فإنها مشكلة علينا فلا ندري على أي شيء يقتل المسلمون فنزع السيف وغمده في هذا الموطن أولى من سله.

وروى أبو داود في سننه باب كيفية المسح على الخفين برقم ١٦٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا حَفْصٌ - يَعْنِى ابْنَ غِيَاثٍ - عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ.). وقال الألباني: صحيح..

المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - (ج ١ / ص ١٧٣) برقم ١٧١- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي قال كل واحد منهما: سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي يقول: سمعت أبي، يقول: سمعت الأوزاعي يقول: عليك

بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال، وإن زخرفوه بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

✍واحذر أيها الموفق: من أن يسبق إلى فهمك أن القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة فلم تنضبط قط شريعة من الشرائع إلا باقتران الاجتهاد بها لأن من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بأن الاجتهاد معتبر وقد رأينا الصحابة ﷺ كيف اجتهدوا وكم قاسوا خصوصا في مسائل المواريث من توريث الأخوة مع الجد وكيفية توريث الكلالة وذلك مما لا يخفى على المتدبر لأحوالهم ، وحسبك قاعدة: لا اجتهاد مع النص.والنص أصل. يعني إذا عدم الأصل كان الإجتهاد. والأصول هي الكتاب والسنة والإجماع. فالاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه وأشرفوا على خطر عظيم فإن الأحكام الشرعية الاجتهادية إذا كانت مترتبة على الاجتهاد ترتب المسبب على السبب ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة والآراء كلها فائلة فلا بد إذا من مجتهد

وإذا اجتهد المجتهدان وأدى اجتهاد كل واحد منهما إلى خلاف ما أدى إليه اجتهاد الآخر فلا يجوز لأحدهما تقليد الآخر.

✍**ولك أيها الموفق أصناف المجتهدين:**

المجتهدون من أئمة الأمة محصورون في صنفين لا يعدوان إلى ثالث:

أصحاب الحديث وأصحاب الرأي.

١/ أصحاب الحديث: وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني

وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا.

وقد قال الشافعي: إذا وجدتم لي مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فاعلموا أن مذهبي ذلك الخبر.

ومن أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني والربيع بن سليمان الجيزي وحرملة بن يحيى النجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبو يعقوب البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيها واستنباطا ويصدرون عن رأيه جملة فلا يخالفونه البتة.

٢/ أصحاب الرأي: وهم أهل العراق هم أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت.

ومن أصحاب أبي حنيفة: محمد بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن محمد القاضي وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وعافية القاضي وأبو مطيع البلخي وبشر المريسي

وإنما سموا أصحاب الرأي لأن أكثر عنايتهم بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على آحادا لأخبار.

وقد قال أبو حنيفة: علمُنا هذا رأيٌ أحسن ما قدرنا عليه فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا.

وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا ويخالفونه في الحكم الاجتهادي.

✍**واعلم أيها الموفق**: أن بين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كأنهم قد أشرفوا على القطع واليقين وليس يلزم من ذلك تكفير ولا تضليل.

✍فعامة أهل الأصول على أن الناظر في المسائل الأصولية والأحكام العقلية اليقينية القطعية يجب أن يكون متعين الإصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز أن يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف بالنفي والإثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفي أحدهما ما يثبته الآخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته إلا وأن يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل فإن المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة... ولك مثال على هذا: أخبر رجل فقال: زيد في هذه الدار في هذه الساعة. وقال آخر: زيد ليس في هذه الدار في هذه الساعة.

فمما لا شك فيه. أن أحد المخبرين صادق والآخر كاذب لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار.

✍واعلم أيها الموفق: أن الرأي المذموم المعيب ما خالف السنن في الاعتقاد كمذهب جهم وسائر مذاهب أهل الكلام لأنهم استعملوا آراءهم في رد الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، بل وفي رد ظواهر القرآن لغير سبب يوجب الرد ويقتضي التأويل كما قالوا بنفي الرؤية نفياً للظاهر بالمحتملات، ونفي عذاب القبر، ونفي الميزان والصراط. وكذلك ردوا أحاديث الشفاعة والحوض.

وما كان مثله من ضروب البدع، فإن حقائق جميع البدع رجوع إلى الرأي، وخروج عن الشرع. والأدلة المتقدمة تقتضي العموم في كل بدعة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة، كانت من الأصول أو الفروع، كما قاله القاضي إسماعيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ بعدما حكى أنها نزلت في الخوارج.

قوله: (ولا تك) أي احذر أن تكون يا صاحب السنة ويا من هداك الله إلى لزوم هدي المصطفى ﷺ.

قوله: (من قوم تلهوا بدينهم) أي ممن اتخذوا دينهم لهوا ولعبا. وهذا شامل لأهل البدع والأهواء وأهل الفسق والفجور ، فان الجميع يشتركون في ذلك بين مقل ومستكثر بسبب جهلهم بالسنة ، ومن جهل شيئا عاداه.

قوله: (فتطعن في أهل الحديث وتقدح): أي في عدالتهم وصدقهم وتنسبهم إلى ما هم بريئون منه من الغلط وعدم الضبط والكذب والتخليط وعدم الحفظ مع كونهم حفاظًا عدولاً مقبولي الرواية معلومي العدالة.

ونتيجة اتخاذ الدين لهوا ولعبا: السخرية بأهل الحق والتهكم بالمتمسكين بالسنة والواقعية في أهل الخير والفضل والنبل ، وهذه هي حيلة المفاليس في كل زمان وأوان.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (المطففين ٢٩-٣١).

ولو كان القوم أهل حق وحجة لنافحوا عنه بالبرهان ولقابلوا الحجة بالحجة والدليل بالدليل،ولكن لا حيلة للعاطل المفلس إلا التهكم والسخرية والاستهزاء.

ومن علامات أهل الأهواء والبدع الوقيعة في أهل الحديث والأثر. وهذا من أعظم العقوق وأشد اللوم ، إذ أهل الحديث لم يأت منهم إلا الأيادي البيضاء والجميل والإحسان.

شعر في شرف أهل الحديث

جزى الله أصحاب الحديث مثوبة ... وبوأهم فى الخلد أعلى المنازل
فلولا اعتناهم بالحديث وحفظه ... ونفيهم عنه ضروب الأباطل
وإنفاقهم أعمارهم فى طلابه ... وبحثهم عنه بجد مواصل
لما كان يدرى من غدا متفقها ... صحيح حديث من سقيم وباطل
ولم يستبن ما كان فى الذكر مجملا ... ولم ندرى فرضا من عموم النوافل
لقد بذلوا فيه نفوسا نفيسة ... وباعوا بالحظ آجلاً كلّ عاجل
فحبهم فرض على كل مسلم ... وليس يعاديهم سوى كل جاهل

وقد روى الطبراني في مسند الشاميين - (ج ١ / ص ٣٤٤)برقم ٥٩٩ - حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن علي بن مسلم البكري ح وحدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا مسلمة بن علي ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن علي بن مسلم البكري حدثني أبو صالح الأشعري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس - (ج ١ / ص ٢٩٢)قد كان الإمام أحمد بن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول هذه سرج الإسلام.

وكان الإمام أحمد يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل إلى متى يا أبا عبد الله؟ فقال المحبرة إلى المقبرة.

وقال الإمام أحمد: في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" فقال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم.

وقال ابن الجوزي: (قال الإمام الشافعي لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر).

❁ **قول الناظم:**

٣٣ (إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح فأنت على خير تبيت وتصبح)

❁ **الشرح:**

قوله: (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان.

قوله: (ما): زائدة لمزيد إثبات ما بعدها.

قوله: (اعتقدت): الاعتقاد مأخوذ من العقد ، وهو الربط ، لأن أمور العقيدة لابد من ربط القلب عليها بحيث يكون الإيمان بها جازما بلا شك ولا ارتياب ، فان وجد الشك والريب فما ثم عقيدة. قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات ١٥) أي: أيقنوا ولم يشكوا.

والاعتقاد هم حكم الذهن الجازم فإن وافق الواقع فهو صحيح وإن خالف فهو فاسد.

قوله: (الدهر): أي مد الزمان الطويل، وفي هذا أن المعتقد لا ينفع إلا إذا بقي عليه العبد إلى أن يتوفاه الله ، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران ١٠٢).

ولما روى أبو داود في سننه ت باب الدعاء للميت برقم (٣٢٠٣)- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّىُّ حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ - يَعْنِى ابْنَ إِسْحَاقَ - عَنِ الأَوْزَاعِىِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَالَ « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلاَمِ اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ** ».قال الألباني حديث صحيح.

قوله: (يا صاح) مرخم صاحب ، أي: يا صاحبي ، وهذا من كريم نصح الناظم رحمه الله.

قوله: (هذه): أي ما ذكره المؤلف في هذه المنظومة.

قوله: (فأنت): الفاء جواب إذا.

قوله: (على خير): وذلك لتمسكك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة وأتباعهم.

قوله: (تبيت وتصبح): فأنت على خير في كل حياتك ،وفيه دعوة إلى الثبات على هذا المعتقد الحق والحذر من التلون والتنقل كما هو الحال عند أهل الأهواء. أما أهل السنة فعقيدتهم ثابتة وإيمانهم راسخ ويقينهم مستمر بتوفيق من الله ﷻ.نسأل الله صحة الإيمان والثبات عليه.

الأبيات الزائدة على المنظومة الحائية

جاء في آخر كتاب السنة لابن شاهين زيادة سبعة أبيات بعد الأبيات المتعلقة بالعشرة المبشرين بالجنة ، فأصبح مجموع أبيات المنظومة بهذه الزيادة أربعين بيتاً.

والأبيات المزيدة هي: -

وسبطي رسول الله وابني خديجة ... وفاطمة ذات النقا أمدح
وعائش أم المؤمنين وخالنا ... معاوية أكرم به ثم امنح
وأنصاره والمهاجرون ديارهم ... بنصرتهم عن كبة النار زحزحوا
ومن بعدهم فالتابعون لحسن ما ... حذوا فعلهم قولاً وفعلاً فأفلحوا
ومالك والثوري ثم أخوهم ... أبو عمرو الأوزاعي ذاك المسبح
ومن بعدهم فالشافعي وأحمد ... إماما هدى من يتبع الحق يفصح
أولئك قوم قد عفا الله عنهم ... وأرضاهم فأحببهم فإنك تفلح

ولاشك في أن هذه الأبيات المزيدة ليست لابن أبي داود رحمه الله ، إذ جميع من رووا القصيدة من تلاميذه لم يذكروا هذه الزيادة ، ومن بينهم ابن شاهين رحمه الله كما تقدم في رواية الذهبي للمنظومة من طريقه وليس فيها هذه الزيادة ، مِما يدل على أنها زيدت في القصيدة بعدُ.

شعر في مدح الصحابة

عليك كتاب الله لا تتعده ... ففيه هدى للزيغ ماح وقامع
وما سنه فينا النبي محمد ... فقد خاب عاصيه وفاز المتابع
فخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

وقال آخر:

والاقتداء بهم في الدين مفترض ... فاقتد بهم واتبع الآثار والسور

وقال آخر:

ونشهد أن الله خص رسوله ... بأصحابه الأبرار فضلا وأيدا
فهم خير خلق الله بعد انبيائه ... بهم يقتدى في الدين كل من اقتدى
فكلهم أثنى الإله عليهم ... وأثنى رسول الله أيضا وأكدا
فلا تك عبدا رافضيا فتعتدى ... فويل وويل في الورى لمن اعتدى.

وقال بعضهم:

يا باغي الإحسان يطلب ربه ... ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدى الصحابة والذى ... كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا ... خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى ... سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه ... وبه اقتدوا في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغي الهدى ... فمآله في الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم ... الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيء ... والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم ... وسواهم بالضد في ذي الحال
ما شابهم في دينهم نقص ولا ... في قولهم شطح الجهول الغالي
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا ... فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
وسواهم بالضد في أحوالهم ... تركوا الهدى ودعوا إلى الإضلال
فهم الأدلة للحيارى من يسر ... بهداهم لم يخش من إضلال

وهم النجوم هداية وإضاءة ... وعلو منزلة وبعد منال
يمشون بين الناس هونا نطقهم ... بالحق لا بجهالة الجهال
حلما وعلما مع تقى وتواضع ... ونصيحة مع رتبة الإفضال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم ... بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطال
في الليل رهبان وعند جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال
وإذا بدا علم الرهان رأيتهم ... يسابقون بصالح الأعمال
بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالي
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم ... في سورة الفتح المبين العالي
وبرابع السبع الطوال صفاتهم ... قوم يحبهم ذووا الإذلال
وبراءة والحشر فيها وصفهم ... وبهل أتى وبسورة الأنفال

بعض ما قيل في أهل بيت النبوة

قال حسان بن ثابت:

فمازال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا ترام ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حوله ... رضام إلى طود يروق ويقهر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر
بهاليل منهم جعفر وابن أخته ... علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
وقلت: اقرؤوا في الكتاب قولا ... ومزايا لعترة هاشمية
غفل المبطلون عنها وقالوا ... دعك من حب أسرة رافضية
قلت خبتم فقد نصبتم عداء ... لشريف وسنة نبوية
فضل آل النبي أضحى جليا ... بخصال تحار منها البرية

وقال الشاعر:

هم القوم فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنهم تجلى وآثارهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى ... وطاعتهم ود وودهم تقوى

وقال آخر: فلا تعدل بأهل البيت ... فأهل البيت هم أهل السياده
فبغضهم من الإنسان خسر ... حقيقي وحبهم عباده

وقال الشاعر:

أحب النبي المصطفى وابن عمه ... عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا
هموا أهل بيت أذهب الرجس ... وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
مولاتهم فرض على كل مسلم ... وحبهموا أسنى الذخائر للأخرى

وقال الشاعر:

لقد حاز آل المصطفى أشرف ... بنسبتهم للطاهر الطيب الذكر
محبتهم فرض على كل مؤمن ... أشار إليه الله في محكم الذكر
ومن يدعي من غيرهم نسبة لهم ... فذلك ملعون أتى أقبح الوزر

شعر في ذم الرافضة

قال هارون بن سعيد العجلي:

ألم تر أن الرافضين تفرقوا ... فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالت إمام ومنهم ... طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم ... برئت إلى الرحمن ممن تجعفرا
برئت إلى الرحمن من كل رافض ... بصير بباب الكفر في الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى ... عليها وإن يمضوا على الحق قصرا
ولو قال إن الفيل ضب لصدقوا ... ولو قال زنجي تحول أحمرا
وأخلف من بول البعير فإنه ... إذا هو للإقبال وجه أدبرا
فقبح أقوام رموه بفرية ... كما قال في عيسى الفرى من تنصرا

وقال عبد الله بن المبارك:

إني امرؤ ليس في ديني لغامزة ... لين ولست على الإسلام طعانا
فلا أسب أبا بكر ولا عمرا ... ولن أسب معاذ الله عثمانا
ولا الزبير حواري الرسول ولا ... أهدي لطلحة شتما عز أو هانا
ولا أقول علي في السحاب إذا ... قد قلت والله ظلما ثم عدوانا

وسئل بعض الشعراء أن يصف الرافضة فقال:

وسائل صف لنا ما الرفض قلت له … الرفض داء عظيم يشبه الكلبا
وصاحب الرفض كلب لا علاج له … فاختر له السوط إن واتى أو الهربا
ولا تكلف جدالا لا متاع له … إذا تكون لسب الأوليا سببا
ولا ترج اهتداء لا مكان له … لأنه طافح في حمقه غضبا
واللعن والطعن في الأعراض ديدنه … لأن قلب البعيد الغمر قد قلبا.

وقال عباد بن بشار رحمه الله:

حتى متى عبرات العين تنحدر … والقلب من زفرات الشوق يستعر
والنفس طائرة والعين ساهرة … كيف الرقاد لمن يعتاده السهر
يا أيها الناس إني ناصح لكم … كونوا على حذر قد ينفع الحذر
إني أخاف عليكم أن يحل بكم … من ربكم غير ما فوقها غير
ما للروافض أضحت بين أظهركم … تسير آمنة ينزو بها البطر
تؤذي وتشتم أصحاب النبي وهم … كانوا الذين بهم يستنزل المطر
مهاجرون لهم فضل بهجرتهم … وآخرون هم آووا وهم نصروا
كيف القرار على من قد تنقصهم … ظلما وليس لهم في الناس منتصر
إنا إلى الله من ذل أراه بكم … ولا مرد لأمر ساقه القدر
حتى رأيت رجالا لا خلاق لهم … من الروافض قد ضلوا وما شعروا
إني أحاذر أن ترضوا مقالتهم … أو لا فهل لكم عذر فتعتذروا
رأى الروافض شتم المهتدين فما … بعد الشتيمة للأبرار ينتظر
لا تقبلوا أبدا عذرا لشاتمهم … إن الشتيمة أمر ليس يغتفر
ليس الإله براض عنهم أبدا … ولا الرسول ولا يرضى به البشر
الناقضون عرى الإسلام ليس لهم … عند الحقائق إيراد ولا صدر

والمنكرون لأهل الفضل فضلهم … والمفترون عليهم كلما ذكروا
قد كان عن ذا لهم شغل بأنفسهم … لو أنهم نظروا فيما به أمروا
لكن لشقوتهم والحين يصرعهم … قالوا ببدعتهم قولا بهم كفروا
قالوا وقلنا وخير القول أصدقه … والحق أبلج والبهتان منشمر
وفي علي وما جاء الثقات به … من قوله عبر لو أغنت العبر
قال الأمير علي فوق منبره … والراسخون به في العلم قد
خير البرية من بعد النبي أبو … بكر وأفضلهم من بعده عمر
والفضل بعد إلى الرحمن يجعله … فيما أحب فإن الله مقتدر
هذا مقال علي ليس ينكره … إلا الخليع وإلا الماجن الأشر
فارضوا مقالته أو لا فموعدكم … نار توقد لا تبقي ولا تذر
وإن ذكرت لعثمان فضائله … فلن يكون من الدنيا لها خطر
وما جهلت عليا في قرابته … وفي منازل يعشوا دونها البصر
إن المنازل أضحت بين أربعة … هم الأئمة والأعلام والغرر
أهل الجنان كما قال الرسول لهم … وعدا عليه فلا خلف ولا عذر
وفي الزبير حواري النبي إذا … عدت مآثره زلفى ومفتخر
واذكر لطلحة ماا قد كنت ذاكره … حسن البلاء وعند الله مدكر
إن الروافض تبدي من عداوتها … أمرا تقصر عنه الروم والخزر
ليست عداوتها فينا بضائرة … لا بل لها وعليها الشين والضرر
لا يستطيع شفا نفس فيشفيها … من الروافض إلا الحية الذكر
ما زال يضربها بالذل خالقها … حتى تطاير عن أفحاصها الشعر
داو الروافض بالإذلال إن لها … داء الجنون إذا هاجت بها المرر
كل الروافض حمر لا قلوب لها … صم وعمي فلا سمع ولا بصر

ضلوا السبيل أضل الله سعيهم … بئس العصابة إن قلوا وإن كثروا
شين الحجيج فلا تقوى ولا ورع … إن الروافض فيها الداء والدبر
لا يقبلون لذي نصح نصيحته … فيها الحمير وفيها الإبل والبقر
والقوم في ظلمهم سود فلا طلعت … مع الأنام لهم شمس ولا قمر
لا يأمنون وكل الناس قد أمنوا … ولا أمان لهم ما أورق الشجر
لا بارك الله فيهم لا ولا بقيت … منهم بحضرتنا أنثى ولا ذكر.

وقال أبو محمد القحطاني الأندلسي:

إن الروافض شر من وطئ الحصى … من كل إنس ناطق أو جان
لا تركنن إلى الروافض إنهم … شتموا الصحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد … وودادهم فرض على الإنسان
حب الصحابة والقرابة سنة … ألقى بها ربي إذا أحياني
احذر عقاب الله وارج ثوابه … حتى تكون كمن له قلبان

جمعه
أبو عرفات
محمد بن نبيه علي آل ضيف الله.
الواعظ بالأزهر الشريف
مصر المحروسة / الشرقية / أبوكبير/ كفر السواقي.

تخليط المفتري

لأبي عرفات

محمد بن نبيه علي آل ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

مقدمة

أحمد الله بجميع محامده وأثني عليه بما هُوَ أَهْلُهُ وأصلي وأسلم على رسوله المصطفى وآله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإني رأيتُ أَكْثَرَ أهلِ زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكِبين ومن اسمه مُتَطَيِّرِينَ ولأهله كارهين:

أما الناشِيءُ منهم فراغبٌ عن التعليم.

والشَّادِي تاركٌ للإزدياد.

والمتأدِّبُ في عُنْفُوَان الشباب ناسٍ أو مُتَنَاسٍ ليدخلَ في جملة المجدُودين ويخرج عن جملة المحدودين.

فالعلماء مُغْمُورونَ وبِكَرَّةِ الجهلِ مَقْمُوعُون حين خوَى نجمُ الخير وكسدتْ سوقُ البِرِّ بضائعُ أهله. وصار العِلْمُ عَارًا على صاحبه والفضلُ نقصًا.

وأصبحت أموالُ الملوك وقفا على شهواتِ النفوس.وصار الجاهُ الذي هو زكاة الشرف يُبَاع بيع الخَلَقِ. وَأصبحت المُرُوءات في زخارِف النَّجْد وتشييد البُنْيَان.

وصارت لَذَّاتُ النفوس في اصطِفاق المَزَاهِر ومُعاطاة النَّدْمَان.

ونُبِذَتِ الصنائع وجُهل قَدْرُ المعروف.وماتتِ الخواطر وسقَطَتْ هِمَمُ النفوس.

وزُهِدَ في لسان الصدق وعَقْدِ الملكوت.

وبينما الحال هكذا. إذ ببعض الشببة يجتمعون على أعراض العلماء وطلاب العلم يلوكونها بألسنتهم على المنابر وأقلامهم في الرسائل وينسبونهم إلى الكفر والضلال والخلط والتمييع.

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. فلما كان ما كان رأيت أن أكتب مستعينا بالله مبينا خطأ ما اعتقدوه وسوء ما التزموه.

تقديم

بعد الفوضى التي حدثت في الخامس والعشرين من يناير استشعر الناس فتحا في العمل الدعوي فانقسم العاملون في الدعوة أقساما:

١/قسم ظل على ثوابته واشتغل كما كان واهتم بالناشئة والدروس المنهجية.وكان يعلم أن أحداث الخامس والعشرين من يناير ما هي إلا خروج على الحاكم وكان قانعا بالحال مع التجاوزات لأنه كان على فقه بمآلات الأمور وهذا من التجارب التى مرت بالأمة وكان يفتي الناس بمقولة (حاكم غشوم ولا فتنة تدوم) والتزم الوسطية وبين أنه لكل الناس ودعا الدعاة أن يكونوا على هذا فكان حظه من الألقاب أن لقبهم الناس بعلماء السلطة والسلبيين(حزب الكنبة).

٢/ و قسم ترك ما كان عليه وجلس على الهواء ينظّر في الهراء والهباء بغباء حتى بغض الناس في الإسلام وخوفهم منه وصد المخالفين عن سماحة الإسلام.

٣/و قسم طلق المساجد ودعا إلى الإحتشاد واقتحم الميادين وتجرد من ثوابته ومثل دور الثوري.وقال إن صلاة ركعتين في الميدان أفضل من عمرة ودعا الناس إلى الإعتكاف في الميدان فلما كانت أحداث الثلاثين من يونيو انقسم هذا القسم إلى أقسام:

ا/ قسم ظل في الميدان يدعو الناس للهمجية.

ب/ و قسم ترك الميدان واشتغل في الدعوة السرية للهمجية بالتأليب والشحن واستنفار الناس للخروج والتخريب.

ج/ قسم ترك البلاد إلى غيرها.

د/ وقسم جلس عن المظاهرات وتاب إلى الله من سوء النهج وفساد المنهج.

هـ / وقسم ترك المظاهرات لا ديانة وإنما مداهنة وزلفى. و اشتغل في التفسيق والتضليل وتصنيف العاملين بالدعوة من الدعاة وطلبة العلم ممن كانوا يُدّعون بعلماء السلطة وحزب الكنبة.

فكان حظنا من التصنيف قولهم: محمد نبيه (مخلط ومميع).وهذا لأنهم استدركوا حسب زعمهم أننا نعتقد بالآتي:

١/ : أننا ندعو الناس ونهيجهم للخروج على ولاة الأمر لمقولة: (الشعب يريد إسقاط الرئيس).

٢/ أننا نجيز وجود رجلين للتنافس على الحكم لقولنا:(هذا مسلم وهذا مسلم).

٣/ أننا ندعو إلى الإنتخابات: وهي عندهم من الديمقراطية الكافرة.

٤/ أننا نجيز وجود جماعات وأحزاب.

٥/ أننا ندعو الناس لفكر الإخوان ومقولة (حسن البنا) نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).

ولما كان ما كان رأيت أن أكتب ردا أبين فيه استدراكاتهم حتى يعلموا وغيرهم من فينا المخلط ؟

فأسميت المكتوب (تخليط المفتري)

والله أسأل أن يلزمنا الصواب وأن يغفر لنا الزلّات وأن ينفعنا بما كتبنا وأن يجعله لوجهه العظيم فهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو عرفات/ محمد بن نبيه علي آل ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

رمتني بدائها وانسلت

قديما قالت العرب:رمتني بدائها وانسلت: هذا مثل ضربته العرب لمن يرى القذاة في عين غيره وينسى الجذع في عينه.

قال أبو عبيد بن سلام في كتابه (الأمثال): ويحكى عن المفضل أنّه كان يقول: هذا المثل قيل لرهم بنت الخزرج من كلب. وكانت امرأة سعد بن زيد مناة بن تميم. وكان لها ضرائر، فسابتها إحداهن يوما فرمتها رهم بعيب هو فيها. فقالت ضرتها: " رمتني بدائها وانسلت " فذهبت مثلاً.

قال أبو عبيد: وللعامة في هذا مثل مبتذل، وهو قولهم: عير بجير بجره، نسى بجير خبره. ومنه البيت السائر في الناس للمتوكل الكناني ثم الليثى:

لا تنه عن خلقٍ وتركب مثله... عار عليك إذا فعلت عظيم

قال الأصمعي: ومثله قولهم: محترس من مثله وهو حارس.

يضرب للرجل يعيب الفاسق لفعله، وهو أخبث منه.

ومنه الحديث الذي رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني:قال ﷺ «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه**».

҉◊҉

تفنيد الإستدراكات

١/قول المفتري: أننا ندعو الناس ونهيجهم للخروج على ولاة الأمر لمقولة: (الشعب يريد إسقاط الرئيس).

❁ **أولا**:الجملة قيلت في سياق الإجابة على سؤال نصه: أي الجملتين يصح معناها ؟ الشعب يريد إسقاط الرئيس أم الشعب يريد إسقاط القاضي؟

فأجبت قائلا: الشعب يريد إسقاط الرئيس لأن الرئيس يعمل عند الشعب ويوقع عنه فللشعب حق تقويم الرئيس فإن استقام وإلا خلعه وأسقطه.

أما القاضي يوقع عن الله وليس عن الشعب فلا يصح قول الشعب يريد إسقاط القاضي.

❁ **ثانيا**: هذا السؤال كان يوم الثالث من شهر رجب سنة ألف وأربعمائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وكانت وظيفة رئيس لمصر شاغرة لم يسكن عليها أحد.

❁ **ثالثا**: تقويم الولاة إن أخطأوا شرع الله وسنة الخلفاء الراشدين وسبيل المؤمنين كما روى البزار في مسنده برقم (١٠٠) قال:وَقَدْ رَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال:: **إِنِّي وُلِّيتُكُمْ وَلَسْتُ مِنْ أَخْيَرِكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَاحْمَدُوا اللهَ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَقَوِّمُونِي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعْصَمُ بِالْوَحْيِ.**) قال البزار: هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ بُهْلُولُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، وَلَمْ نُدْخِلْهُ فِي مُسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ لأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعْصَمُ بِالْوَحْيِ، وَلَمْ يُحْكَ عَنْهُ

شَيْئًا عَلَى أَنَّ بُهْلُولا لَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَإِنْ كَانَ قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، فَلَمْ نَذْكُرْ هَذَا الْحَدِيثَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ.

وفي مصنف عبد الرزاق برقم (٢٠٧٠١)- أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن رجل عن الحسن أن ابا بكر الصديق خطب فقال: **أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أني أعمل فيكم سنة رسول الله ﷺ إذا لا أقوم لها إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطانا يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم إلاً فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني** قال الحسن خطبة والله ما خُطب بها بعده.

وفي مصنف عبد الرزاق برقم(٢٠٧٠٢)- أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال وحدثني بعض أهل المدينة قال خطبنا أبو بكر فقال: **يا أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن ضعفت فقوموني وإن أحسنت فأعينوني الصدق أمانة والكذب خيانة الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت - أو قال شاعت - الفاحشة في قوم إلا عممهم البلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.**

وروى الطبراني في الأوسط برقم (٨٥٩٧)- حدثنا منتصر بن محمد نا عبد الله بن عمرو بن أبان نا عبد الرحيم بن سليمان عن أبي أيوب الأفريقي ثنا عيسى بن سليمان عن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر الغد حين بويع فخطب الناس فقال: **يا أيها الناس إني قد اقلتكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم فقاموا إليه فقالوا يا خليفة رسول الله أنت والله خيرنا فقال: يا أيها الناس إن الناس دخلوا في الإسلام طوعا وكرها فهم عواذ الله وجيران الله فإن استطعتم أن لا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا إن لي شيطانا يحضرني فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لا**

أمثل بأشعاركم وأبشاركم يا أيها الناس تفقدوا ضرائب غلمانكم إنه لا ينبغي للحم نبت من سحت أن يدخل الجنة إلا وراعوني بأبصاركم فإن استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني وإن أطعت الله فأطيعوني وإن عصيت فاعصوني).لم يرو هذا الحديث عن أبي أيوب الأفريقي إلا عبد الرحيم بن سليمان تفرد به عبد الله.

فمن يقل إن تقويم المعوج من الولاة خروج وكفر ودعوة إلى الخروج.قلنا حاشا لله ما هذا كفرا إن هذا إلا غباءٌ عريض. لأن الذي دعا إلى تقويم المعوج هو صديق هذه الأمة ﵁ .

وفرق بين التقويم والخروج فالتقويم من نصيحة الولاة إن أخذوا بها أما إن لم يأخذوا بها وظهر الكفر البواح ببرهان من الله كان الأمر الآخر.

منا أمير ومنكم أمير

٢/ يقول المفتري:أننا نجيز وجود رجلين في سدة الحكم لقولنا في الإجابة على السؤال: (هذا مسلم وهذا مسلم).

❁ **أولا**: هذه المقولة كانت يوم الثالث من شهر رجب لسنة ١٤٣٣هـ ولم يكن للبلاد رئيس وكان قد بقي في السباق رجلان مسلمان وعلى الشعب أن يختار.

❁ **ثانيا**: وجود رجلين للإختيار ليس بدعة ولك ما روى البخاري في صحيحه باب قوله ﷺ لو كنت متخذا خليلا: برقم (٣٤٦٧) عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل: يعني بالعالية - فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله ﷺ قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله قال بأبي أنت وأمي طبت حيا ميتا والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾. وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾. فنشج الناس يبكون قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما

قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال: في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال: حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال: أبو بكر لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزارء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال: عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال: قائل قتلتم سعدا فقال: عمر قتله الله.

وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عبد الرحمن بن القاسم أخبرني القاسم أن عائشة رضي الله عنها قالت شخص بصر النبي ﷺ ثم قال (**في الرفيق الأعلى**). ثلاثا وقص الحديث. قالت فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك. ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

٣/ يقول المفتري :إننا ندعو إلى الإنتخابات: وهي عندهم من الديمقراطية الكافرة: وهذا لقولي في إجابتي عن سؤال أُدلي بصوتي أم لا؟

❁ **أولا**:الجملة كانت في إجابت عن سؤال سأله أحد الجالسين أُدلي بصوتي أم لا؟ فقلت:(أدل بصوتك دون محاباة أو مجاملة واستخر ربك واستشر أهل الثقة فما ندم من استشار و لا خاب من استخار).

❁ **ثانيا**: يخلط المفتري فينسبني إلى الكفر بالدعوة إليه ونسي ما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال (**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**).

ونسي أن الصحابة الكرام لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا وأصبح كل من المهاجرين والأنصار حريصا أن تكون فيهم الإمارة أو تكون شركة بينهم.لما في مسند أحمد (١/ ٥٥) برقم (٣٩١) ٠٠٠ أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عنه فقلت له يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلت نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم ان لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عز و جل بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله عز و جل وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم يريدون أن يخزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر فلما سكت أردت ان أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت ان أقولها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه وقد كنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر فقال: أبو بكر رضي الله عنه على رسلك فكرهت ان أغضبه وكان أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله أن أُقدم فتضرب عنقي لا يُقرّبني ذلك إلى إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه إلا أن تغير نفسي عند الموت فقال: قائل من الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فقلت لمالك ما معنى انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب قال كأنه يقول انا داهيتها قال وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت

الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال: قائل منهم قتلتم سعدا فقلت قتل الله سعدا وقال عمر رضي الله عنه أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر رضي الله عنه خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فأما ان نتابعهم على ما لا نرضى وإما ان نخالفهم فيكون فيه فساد فمن بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا).قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فأين الدعوة إلى الديمقراطية الكافرة أيها المفتري؟

٤/ **يقول المفتري: إننا نجيز وجود جماعات وأحزاب.**

قلت الرد على هذا من وجوه:

أولا: وجود الجماعات والأحزاب مع وحدة الهدف وإيمان الكل بما عليه الغير وعدم احتكار الصواب وسيلة تحفيزية للمنافسة والنبي ﷺ كان يقسم أصحابه عند الرمي إلى جماعات وفي صحيح البخاري برقم(٢٧٤٣)- حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد قال سمعت سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال: النبي ﷺ **(ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان)**. قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال: رسول الله ﷺ **(ما لكم لا ترمون)**. قالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال: النبي ﷺ **(ارموا فأنا معكم كلكم)**.

و النبي ﷺ أبقى للأنصار اسمهم، وللمهاجرين اسمهم، بل مُيِّز بعض الصحابة بما كان لهم من عمل سابق فسمي البدريين، وسمي مسلمة الفتح، و هذا لم يكن فيه تفكك أوتحزب، بل كان فيه معنى الاجتماع على الخير، والأنصار كانوا

وحدة، وكانوا يتنافسون مع المهاجرين في الخير، وكان لهم تجمعهم الذي يستجيبون فيه لأمر الرسول ﷺ.

ومن التنافس في الخير أن النبي ﷺ عهد للخزرج قتل كعب بن الأشرف، فأراد الأوس أن يكون لهم منقبة أخرى، فعهد إليهم النبي ﷺ بقتل علم آخر من أعلام اليهود.

وفي حادث الإفك –، لمّا كان المتكلم من الخزرج، وردّ الأوس وكان في ردهم نوعٌ من الشدة، حتى قام سعد بن عبادة – وكان رجلاً صالحاً ولكن أخذته الحمية –، فقال:: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، لأن المتكلم قام للنبي ﷺ وقال: إن شئت يا رسول الله قتلناه، فسعد وهو على إسلامه، وهذا من الأوس وهذا من الخزرج، فالنبي ﷺ نهى عن المخالفة الشرعية، وأبقى أصل ما فيه الخير، والشاهد هنا أن النبي – عليه الصلاة والسلام – لم ينه عن هذه التجمعات التي يمكن أن تؤدي فيها العصبية لمثل هذا، بل بقي للأوس اجتماعهم ورئاستهم، وللخزرج كذلك، وكانوا متعاونين في أكثر أمورهم على البر والتقوى، متنافسين في خدمة الدين، وأحياناً يقع منهم التعصب والإخلال في أصل الموالاة، ومع ذلك لم يكن هذا أن يلقي اجتماعهم، ويلغي جماعتهم، فإن قضية وجود الخطأ في الأصل المشروع لا ينفي مشروعية الأصل، بل يُثْبِت خطأ الفعل، وهذه مسألة مهمة جداً، وقع الخلط بسببها عند كثير من الناس، فتجد أن مجرد وقوع خطأ معين في عمل معيّن، يجعل بعض الناس يفتي بعدم مشروعية العمل كله، وهذا لا شك أنها نظرة غير صحيحة، فالأصل في الحكم إنما هو الدليل من الكتاب والسنة، فإذا ثبتت المشروعية فإن ما يلحق بهذا الأمر المشروع من أخطاء في التطبيق، أو من خطأ يقع من فرد، أو من مفتي أو من مجتهد، لا يمنع أصل ثبوت المشروعية لذلك العمل، بل نقول: الأصل أن هذا الأصل مشروع، وهذا الفعل خطأ، لا يصح أن يكتسب المشروعية بانتسابه إلى ذلك الأصل. فتعلّم أيها المخلّط.

❁ **ثانيا:** الحزب: هو:(الطائفة والجماعة من الناس): روى البخاري في صحيحه برقم (٢٤٤٢)- حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي رسول الله ﷺ هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئا فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها فكلميه قالت فكلمته حين دار إليها أيضا فلم يقل لها شيئا فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته فقال: لها (**لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**). قالت فقالت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال: (**يا بنية ألا تحبين ما أحب**). قالت بلى فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن ارجعي إليه فأبت أن ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت فنظر النبي ﷺ إلى عائشة وقال (**إنها بنت أبي بكر**).

وفي كتاب شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم - (ج ٢١٣ / ص ١٤):زوجات رسول الله تقسمن فيما بينهن على رسول الله وسلم حزبين، ثم جاء حزب ثالث -إن صح هذا التعبير مع التجوز- ينضم إلى رسول الله مناصرة له، اقرءوا إن شئتم قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ [التحريم:٤] انظروا إلى الأسلوب البلاغي! ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ﴾ [التحريم:٤]، لو كان في غير القرآن يمكن أن يقال: فإن الله مولاه، لكن يؤتى بضمير الشأن لتقوية الخطاب والبيان، وهو من تعلمون رب العزة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

نحن قلنا تجوزاً: الحزب الثالث، أو الحزب الثاني مقابل أمهات المؤمنين هو الله وجبريل وصالح المؤمنين وعموم الملائكة ظهيراً.

انظر إلى هذا التعداد: الله، وجبريل، وصالح المؤمنين، والملائكة، أمام تسع نسوة، وهل لدى النسوة من الفاعلية ما يحتاج إلى تجنيد كل هذا؟ وكان يستشهد ببيت واحد من شعرائهم، يقول:

ما استعظم الإله كيدهن إلا لأنهن هن.

ولا يستغرب بعض الأشخاص أن يسمع أن زوجات رسول الله تحزبن عليه؛ لأن هذا من طبيعة النسوة، ومن دافع المحبة والغيرة، والله سبحانه وتعالى عاتبهن وحذرهن، وقبل كل شيء فتح لهن باب التوبة ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم:٤] وهذه القضية بين حفصة و عائشة فيما أمر ما، فقد صغت وصفت وانتهت قلوبكما ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ.﴾ [التحريم:٤].

فهل يحكم بالكفر والضلال على أمهات المؤمنين لتحزبهن وما تقول فيما قاله الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله أهو كذلك من أهل الضلال؟

ثم إنهن تُبنَ من إيذاء النبي ﷺ وبقي التنافس في إرضائه وحبه وبقيت غيرة النساء بدليل صحفة أم سلمة وكسر عائشة لها. فافهم يا موفق.

وفي كتاب الأحاد والمثاني - (ج ٤ / ص ٦٢٣) برقم (٢٧٨١)- حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلْقَمَةَ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ الأَسْوَدِ، وَكَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالا: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَابْنَ السِّمْطِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَا، يَقُولانِ لا يَزَالُ

الْمُؤْمِنُونَ فِي الأَرْضِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا كُلَّمَا ذَهَبَ حِزْبُ قَوْمٍ تَسْتَحْرِبُ قَوْمَ أُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ قَوْمٍ لِيَرْزُقَهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)**.

وما ذا يقول مرشدكم (عبد الوهاب.في الشيخ البسام لما تعرض لفوائد الحج في كتابه(تيسير العلام شرح عمدة الحكام) (ج ١ / ص ٣٣٣) قائلا: إن الحج مؤتمر عظيم، يضم وفوداً متنوعة العلوم، مختلفة الثقافات، متباينة الاتجاهات والنزعات، فإذا اجتمع كل حزب بحزبه، وكل طائفة بشبيهتها، ومثلوا "لجان الحكومة الواحدة" ودرسوا وضعهم الغابر والحاضر والمستقبل، ورأوا ما الذي أخرهم، وما الذي يقدمهم، وما هي أسباب الفرقة بينهم، وما أسباب الائتلاف والاجتماع، وتوحيد الكلمة.

وبحثوا شئونهم الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، على أساس المحبة والوئام، وبروح الوحدة والالتئام.

أصبحوا يداً واحدة ضد عدوهم، وقوة مرهوبة في وجه المعتدي عليهم.

وبهذا يصير لهم كيان مستقل خاص، له مميزاته وأهدافه ومقاصده.

يسمع صوته ويصغى إلى كلمته، ويحسب له ألف حساب.

وبهذا يعود للمسلمين عزَّهم، ويرجع إليهم سؤددهم، ويبنون دولة إسلامية، دستورها كتاب الله وسنة رسوله، وشعارها العدل والمساواة، وهدفها الصالح العام، وغايتها الأمن والسلام.

حينئذٍ تتجه إليهم أنظار الدنيا، وتسلم الزمام إليهم، فيمسكونه بأيديهم، ويُقَوِّضُونَ مجالس بُنِيتْ على الظلم والبَغْي، ويبنون على أنقاضها العدل والإحسان.

وبهذا يقر السلام، ويستتب الأمن، وتتجه المصانع التي تصنع للموت الذريع أسلحة الدمار والخراب، إلى أن تخترع المعدات التي تساعد على التثمير والتصنيع، وإخراج خيرات الأرض، فتحقق حكمة الله بخلقه، ويحل الخصب والرخاء، والأمن والسلام مكان الجدب والغلاء، والخوف والدماء.(هل سيكفره أو يضلله أو يخرجه من أهل السنة). أم هو الهوى يا مفتري ؟.

❁ **ثالثا:** ومع هذا كله لا نقول بالأحزاب الدينية ولا الجماعات الدينية المختلفة المتنازعة لأن المسلمين جماعة واحدة وحزب واحد: وقد قال الله لنبيه:

قال تعالى في سورة آل عمران:١٠٣.: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

وقال تعالى في سورة الروم:٣١-٣٢.: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

وقال تعالى في سورة آل عمران:١٠٥.: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

وقال تعالى في سورة الأنعام:١٥٩.: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

وقال تعالى في سورة الأنبياء٩٢: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.أمة واحدة، ورب ومعبود واحد..

ولكن بما أن المفتري لا يزاحم الطلبة في الحضور والطلب. وفرغ نفسه للوقوف على سماع الأشرطة وظنها عين الطلب قال ما قال.والله يحكم بيننا وبينه.

٥/ يقول المفتري: أننا ندعو الناس لفكر الإخوان ومقولة (حسن البنا) نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).

والرد على هذا أيها المفتري من وجوه:

❁ **أولا:** أما قولنا الخلاف بيننا سائغ فهذا يعلمه أحدث طالب في مجالسنا لأنهم درسوا تأصيله وهو أن الخلاف السائغ هو الخلاف في غير أصول الدين ولا فيما علم منه بالضرورة ولا بتأويل ما كان الدليل فيه قطعيَّ الدلالة.

❁ **ثانيا:** نحن لا نعرف بنّاءك ولا بنّاء غيرك ولكن من سبيل المؤمنين أن نترحم على من مات من أهل القبلة ما ماتو على مادون الكفر.

❁ **ثالثا:** لسنا منكم ولا منهم في الإسم ولا في المنهج ولا نرتضي سوى المسلمين اسما ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/ ٧٨]).

❁ **رابعا:** إن كلامنا ليس بدعا وسأعطيك سنده:

في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء والدعوة والإرشاد، فتوى برقم ٧٨٣١ في ٣/ ١٢/ ١٤٠٤ هـ، كان السؤال يستفتي المفتي وهذه نصها " هل الأحزاب السياسية مباح تأسيسها وعضويتها، أم مندوبٌ إليها ومستحب تأييدها، أم حرام تأسيسها ومناصرتها ؟ "، وأشارت الفتوى إلى فتوى سابقة نصها " الإسلام يدعوا إلى الوحدة، وأن يكون المسلمون على قلب رجل واحد، يعتصمون بحبل الله، ويهتدون بهدي رسول الله ﷺ قولاً وعملاً؛ فإن ذلك أقوى لهم، وأنكى لعدوهم، قال الله – عز وجل-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ وقال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لكن الاختلاف ظاهرة كونية، ذلك بأن عقول الناس وأفكارهم قد تباينت، وأن عواطفهم وميولهم قد

اختلفت، وأن الأهواء المرذولة والعصبيات الممقوتة، قد تسلطت عليهم، وتمكنت من نفوسهم، فمزقتهم شر ممزق، فكان اختلافهم سنة كونية، لا مناص منها إلا بحول من الله، فمن كان اختلافهم عن اجتهاد سائغ، وتأويل مقبول، ولم يمنعهم من التفاهم والتآخي بينهم، فأولئك هم أهدى سبيلا، وأقوم قيلاً، ومن كان اختلافهم عن هوى مضل، أو عصبية جاهلية، فأولئك شر مكانـًا، وأضل سبيلاً.

ويجب على المسلم أن يتعاون مع كل الجماعات الإسلامية، فيما لديها من حق وصواب، وأن يجتنبها فيما وقعت فيه من خطأ و انحراف، وأن يجتهد في إرشادها، وبيان الحق لها بالحكمة والموعظة الحسنة، عسى الله أن يهديها على يديه سواء السبيل، ومن أراد أن يلتزم جماعة معينة منها، فليلتزم أسعدها بالحق، وأتبعها لكتاب الله وهدي رسول الله ﷺ وأئمة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم - رضي الله عنهم أجمعين -، مع مخالفتهم فيما علم أنه مخالف للحق، والنصح لهم في ذلك وبالله التوفيق "

ومن فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز: سؤال واستفسار ورد لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وأجاب عنه وهذا نصه: " سائل يسأل، وهو في بلد غير هذه البلاد، يقول: في الجامعة جماعتان هما جماعة اتحاد طلبة المسلمين، وجماعة التبليغ، وأيّتهما الجماعة التي يريدها الإسلام، هذا مع العلم بأني أرى أن بعضهم أنشط في الدعوة وأسبق فيها، فقال: فضيلته: " العصمة من الخطأ، ومن الانحراف عن الصواب، إنما هي لكتاب الله، ولسنة رسوله ﷺ الثابتة عنه، ولإجماع الأمة " هذا هو الذي فيه العصمة، الكتاب والسنة وإجماع الأمة الذي انعقد عليه إجماع أهل الحل والعقد من علمائها وأئمتها، قال " أما كل فرد من أفراد الأمة، وكل جماعة على حدتها من جماعات الأمة كجماعة التبليغ، أو جماعة اتحاد طلبة المسلمين، أو جماعة الإخوان المسلمين، أو جماعة الشبان المسلمين، أو جماعة أنصار السنة المحمدية، أو الجمعية الشرعية لإحياء الكتاب، والسنة المحمدية إلى آخر ذلك، فكل منها ليست معصومة بل تخطأ

وتصيب، ولها محاسن ومساوئ في الأحكام التي تدعوا إليها أو تنشرها، وفي طريقة دعوتها إلى ما تعتقده وتعمل به وتتبنى إرشاد الناس إليه، وحملهم عليه، وعلى كل جماعة من الجماعات الإسلامية أن تتعاون مع الأخرى فيما اتفقوا عليه من الحق، وأن تتفاهم معها فيما اختلفوا على ضوء الكتاب والسنة، عملاً بقوله - عز وجل - ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، عسى الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل، وعلى كل طائفة من هذه الجماعات أن تنصح للأخرى، فتثني عليها بما فيها من خير، وترشدها إلى ما فيها من خطأ في الأحكام، أو انحراف في العقيدة والأخلاق، أو تقصير في العلم والبلاغ بالتي هي أحسن، قصداً للإصلاح، وطلباً لاستدراك ما فات، لا ذماً لها وتعييراً، عسى أن تستجيب لما دعيت إليه فتستكمل نقصها، وتصلح شأنها، وتجتمع القلوب على الحق، وتنهض بنصرته ".

وسئل الشيخ بن باز كذلك: هل تعتبر قيام جماعات إسلامية في البلدان الإسلامية لاحتضان الشباب وتربيتهم على الإسلام، من إيجابيات هذا العصر؟ ".

فأجاب سماحته: " وجود هذه الجماعات خير، لكن عليها أن تجتهد في إفصاح الحق مع دليله، وألا تتنافر مع بعضها، وأن تجتهد بالتعاون فيما بينها، وأن تحب إحداها الأخرى، وتنصح لها، وتنشر محاسنها، وتحرص على ترك ما يشوش بينها، ولا مانع أن تكون هناك جماعات لأنها كلها إن شاء الله تدعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ "

ثم قال السائل " وبم تنصح الشباب داخل هذه الجماعات ؟ ".

قال " أن يترسموا طريق الحق، وأن يطلبوه، وأن يسألوا أهل العلم فيما أشكل عليهم، وأن يتعاونوا مع الجماعات فيما ينفع المسلمين بالأدلة الشرعية، لا بالعنف ولا بالسخرية بالكلمة والأسلوب الحسن، وأن يكون الصالحين قدوتهم ودليلهم، وهذا كما أشرت فيه ما فيه من الفطنة والفقه بهذا الدين.

وسئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان سؤالا يقول " ما رأي الشرع في بعض المسميات مثل السلف، التكفير، والهجرة، وأنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية، والجهاد "؟

فقال: فضيلته " قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ثم قال هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ التي جاءت بمعناها كلها تحث على اجتماع الكلمة، وأن يكون المسلمون في أمة واحدة، وفي جماعة واحدة، وفي مسمى واحد وهو أهل السنة والجماعة، أو مسمى المسلمين والمؤمنين، ولا يتحقق هذا إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأن يسير المسلمون في دعوتهم على منهج رسول الله ﷺ الذي سار عليه وعلّمه لأمته، فالواجب على المسلمين أن ينهجوا نهجه، وأن يسيروا على خطواته، ويعتصموا بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، وعند ذلك لا يحصل الاختلاف، ولا توجد مسميات متعددة، فإن هذا مما فرّق كلمة المسلمين وشتت شملهم، وأضعف جهدهم، وأوقع بينهم التخاذل والتناحر، والأسماء ليس لها دخل، إنما العبرة بالحقائق، ولو تسمّت جماعة بالسلفيين أو بأي مسمى من المسميات التي ذكرتها، فالعبرة بالحقائق والمنهج الذي تسير عليه، إن كان مخالفـًا لهدي النبي ﷺ فإنهم ليسوا سلفيين، وليسوا إخوانـًا مسلمين، وليسوا جماعة شرعية، أما إذا كانت الحقائق صحيحة، والمنهج مستقيم فالاسم أمره سهل، وهذا أيضا فيه فطنة، إن التقويم إنما هو في حكم الشرع فالإنسان عندنا في الحكم عليه أمور ثلاثة (الأقوال والأفعال والنيات) فالنية والتي محلها القلب، علمها عند الله – سبحانه وتعالى –، ليس لأحد أن يجترئ فيقول إن فلانـًا نيته كذا وكذا، وأن قصده كذا وكذا، وأن يجرِّمه أو يؤثِّمه بما لم يظهر قطعـًا ويقينـًا من أن هذا مقصده، فبقي عندنا الأقوال

والأفعال، والأقوال والأفعال لها في حكم الله - سبحانه وتعالى - وشرعه تفصيل كامل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

فكل إنسان عمل عملاً أو قال قولاً أرجعه لحكم الشرع، فإن وافق حكم الشرع، صح فعله وعمله، ولا ضير إن كان هذا العمل قد أخذ له اسماً معيناً، أو ربما صورة معينة، بل العبرة بالمسميات لا بالأسماء وهذا الأمر مهم جداً، لأن كثيراً من الأشياء التي تجدُّ في حياة الناس قد تكون لها أسماء معينة، لكن ينبغي التفطن إلى حقيقتها، وأن التقويم بميزان الشرع عائد إلى الأقوال والأفعال.

وسئل الشيخ الألباني سؤال، يقول السائل له " يقال إن فضيلتكم يرفض أن يتعاون مع الجماعات الإسلامية كلها، إلا إذا انصاعت لمعتقداته الكلامية والفقهية فما مدى صحة هذا القول " ؟.

فيقول فضيلة الشيخ " أبداً فأقول: إن هذا الكلام زور وبهتان، فقد سبق أن سجّلنا ثلاثة أشرطة وضّحت فيها هذا الأمر بصراحة، وكان مما قلته: إنني أؤيد قيام الجماعات الإسلامية، وأؤيد تخصيص كل جماعة منها بدور اختصاصي، سواء كان سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً ولكنني اشترطت أن تكون دائرة الإسلام هي التي تجمع هذه الجماعات كلها، وذكرت أننا نحن معشر السلفيين لا نعمل إلا في سبيل أهم ما نزل به كتاب الله - عز وجل -، وبعث من أجله رسله ألا وهو التوحيد " ثم بعد ذلك أيضاً قال: " أعود ثانياً فأدعو المسلمين جميعاً إلى أن يرجعوا إلى دينهم الصحيح، وإلى الاعتماد في ذلك على كتاب الله أولاً، وعلى السنة الصحيحة ثانياً، وأصر على هذه الدعوة " ويقول: " ولن نتراجع عنها مهما كانت الادِّعاءات والافتراءات، أقول هذا وأنا أتذكر السنوات الطوال التي عشتها، وكان يحضر دروسي خلالها أعضاء من الإخوان، ومن التبليغ والتحرير، والمذهبيين، وفي هؤلاء من يعترف بتتلمذه عليّ، ويقر بالفضل، وكيف نتهم بعد ذلك بمحاربة الجماعات الإسلامية " ويقول " كل ما نخالف به تلك الجماعات إنما هو الخروج عن الكتاب والسنة في تربية أعضاء تلك الجماعات ".

فإذاً أيضــاً التقويم هو أن ننظر في الأفعال والأقوال، ومدى انطباقها مع موافقة شرع الله – سبحانه وتعالى –

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للدعوة والإفتاء والإرشاد، يقول السائل: " في هذا الزمان عديد من الجماعات، وكل منها يدعي الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولا ندري أيهم على الحق فنتبعه "

فأجابت اللجنة " كل هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية، إلا من أتى منها بمكفر يخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوةً وضعفاً بقدر إصابتهم الحق، وعملهم به، فاعرف منهم وجهة نظرهم، وكن مع أتبعهم للحق ولا تبخس الآخرين إخوتهم في الإسلام، فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حيث ما كان، ولو ظهر على لسان من يخالفك، فالحق رائد المؤمن.

(فما تقول أيها المفتري: في اللجنة وسيدها وشيخ محدثي الزمان أهم ضالون مضلون أو ليسوا من أهل السنة أم هو الهوى يامفتري).

أريدك يا مفتري: أن تتعلم كيف تكتب ولن تتعلم حتى تتأدب ومن الأدب التأني في إصدار الحكم على الناس وللشيخ الشنقيطي – رحمة الله عليه كلام نفيس: في مسألة عدم الحرص على تكفير المعيَّن والتنفير منه – يقول: اعلم أنّك إن متّ ولم تقل في فرعون شيئاً، لم يؤاخذك الله بذلك يوم القيامة، ليس مطلوباً منك أصلاً أن تحكم على عباد الله، وأن تعطيهم درجات ومنازل، ـ والعياذ بالله ـ في جهنم، هذا في الدرك الأسفل من النار متهماً له بالنفاق، وهذا مخلد تتهمه بالكفر، وذاك مبتدع يستحق من الله – عز وجل – وعيداً وكذا وكذا، هذا الأصل أنك لست مطالباً به، لكنه يكون مهماً في أحيان كثيرة لئلا تتميع الأمور، ولئلا يلتبس الحق بالباطل على الناس، فإن من أشهر كفره ومن قال مقالة الكفر، ينبغي أن يبين أن هذا القول كفر، وأن المعتقد له مع وجود الشروط وانتفاء الموانع كافر، لكن التكفير المعين هذا أمر آخر، حذَّر منه أهل العلم وغالب أهل السنة على أنهم لا يقولون بالتكفير المعين، ولذلك قال شارح الطحاوية " ولا ننزل أحدا منهم أي

من المسلمين جنة ولا ناراً " فقال: الشارح: في هذا، إننا لا نقول عن أحد من أهل القبلة إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق المصدوق أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، و قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم حكم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه بتوبة - أحياناً في الشخص المعيّن قد يقول قولاً فيه كفر لكن حكم الوعيد يلغى في حقه - أو حسنة ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ، لكنه قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجَحْد ما يجحده، حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً، وكنت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: (**إذا أنا متّ فاحرقوني ثم ذُرُّوني في البر والبحر، فوالله لإن قدر الله عليّ ليعذبني**).

خاتمة

اعلم أيها المفتري: أن الشاعر يقول:

ونقول: ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك في القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْمًا وأصدقُ قِيلاً وأعدلُ شاهداً وليس كلُّ مَن تَرَكَ المعارضَةَ فقد صفح كما أنَّه ليس من عَارضَ فقد انتصرَ.

وقد قال الشاعر قولاً إن فهمتَه فقد كفَيتَنا مئونةَ المُعارضَة وكفيتَ نفسَك لزوم العارِ وهو قوله:.

(فاخشَ سُكُوتي إذ أنا منصت فيكَ لمسموعِ خَنَا القائلِ)

(فالسامعُ الذمِّ شريكٌ لهُ ومُطِعمُ المأكولِ كالآكِلِ)

(مقالةُ السُّوء إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدر سائلِ)

(ومن دَعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل)

(فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إربَةٍ حرْبَ أخي التجرِبة العاقل)

(فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خَبَلٍ خابل)

(تُبْصرُ في عاجلِ شدَّاته عليك غِبَّ الضرَر الآجلِ)

وقديما قالوا:

إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم

وقد قال الشاعر:

والعَفو عندَ لبيبِ القوم موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ

فإنْ كنَّا أسأنا حسب زعمكم في هذا العرض والتوقيفِ فالذي لم يأخُذ فينا بحُكم القرآن ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يَفزَع إلى ما في الفِطَن الصحيحة وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّرِدةُ والأمثالُ المضرُوبة والأشعار السائرة أولَى بالإساءَة وأحقُّ باللائمة.

فلا تأخذ البريء بذنب المذنب: قال اللّه عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

هذا حكمُ اللّه تعالى وأدبُ رسوله والذي أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حُجَج العقول.

وهل من أصول العلم الجرح والتعديل حال الحياة وبدون إقامة الحجة ولا يعلم أحد من الخلق مآلات الأمور وخواتيمها أم هي الرغبة في القضاء على الطلب لأنكم بلا طلب. فمثلنا ومثلكم مثل الأسرَّة والكنب.

وهل من الأمانة في نقل العلم أن تقطع من الشريط ما يوافق هواك أم تذكر كامل الشريط بلا تفسير منك أو ترجع إلى قائله محاججا لتقيم عليه الحجة إن كانت عندك حجة ثم تكتب ما شئت أن تكتب أم اختيار العنوان من أجل الإبتزاز لجمع المال أيها المفتري.

أيها المفتري:

دهتنا أُمورٌ تُشيبُ الولـيدَ ... ويَخذلُ فيها الصَّديقَ الصَّـديقُ

قتالٌ مُبيدٌ، وسيفٌ عَتـيدٌ ... وجوعٌ شديدٌ، وخوفٌ، وضـيقٌ

وداعي الصَّباحِ يُطيلُ الصِّياحَ ... السِّلاحَ السِّلاحَ، فَما يَسْتَفـيقُ

فباللـه نبلُغُ ما نَرتجـي ... وباللـهِ ندفـعُ ما لا نُطيـقُ

قال أبو هِفَّان:

فإن تســأَلوا عنّـا فإنا حُلى العُلــى بنو مِهزَم، والأَرض ذات المناكـبِ
وليسَ لنا عَيــبٌ سِوى أَنَّ جودَنـــا أَضَــرَّ بنا، والنَّاسُ فــي كلِّ جانـبِ
وأَفنــى النَّدى أَموالَنا غيرَ ظالـــمٍ وأَفنى الرَّدى أَعمارَنا غيرَ عاـــئبِ
أَبونا أَبٌ لــو كانَ للنَّاسِ كلِّهـــم أَبٌ مثلُــهُ أَغناهــمُ بالمناقـــبِ

أيها المفتري:

أمتعك الله بنعمته عليك، وتولاّك بحسن معونته لك؛ وألهمك حمده، وأوزعك شكره، ومنحك صنعه وتوفيقه؛ وألبسك عفوه وعافيته، وأوصل إليك رأفته، وصرف رغبتك إلى ما خلص عندك نفعه عاجلاً، وحلَّت لك ثمرته آجلاً؛ وعرفك ما في الغيبة من الهُجنة والشناعة؛ وما في إظهار العيب والتنديد من العار والتباعة، وما في الإعراض عن أعراض الناس من السلامة والفائدة، وما في مباقاتهم ومقاربتهم والتوقير لهم من الراحة والعائدة، حتى لا تأتي ما تأتي إلاّ وأنت واثق بعاقبته ومرجوعه، ولا تدع ما تدع إلا وأنت محسوم الطمع من خيره ومردوده.

واعلم أيها المفتري:

أن من لم يحفظ ما بين فكيه، ظلّ يقلب كفيه. وبات يتململ على دَفّيه، حزنـًا على ما فرّط فيه من التحفظ. وأسفـًا على ما فرط منه من التلفظ، ولو كان اللسان مخزونـًا. لم يكن الفؤاد محزونـًا، وقلما يحرس مهجته. من لا يُخرس لهجته. ولن تجد على السر أمينـًا. إلا من كان بكل أمانة قمينا.

فترحم على العلماء الخاشين من الله وحسابه، الماشين على سبيل محمد ﷺ وأصحابه. المتواصين بالحق قلّما يحيصون عن فجّه الرحب إلى ثنيّات المضايق، ولا يحيدون عن نهجه اللّحب إلى بُنيات الطرائق. في أفواههم بيض بواتر على

رقاب المبطلين، وفي أيديهم سُمر عواتر في نُغر المعطلين. جمعوا إلى الدين علم وحلم سيد المرسلينّ. فنفوسهم رواسي الحلم، وقلوبهم معادن العلم. لله بلادها من جبال وَقار، بحاث معادنها يرجع بأوقار. لعمرك ما عُمار ساحة الأرض، إلا عمّالها بالسنة والفرض. أولئك العلماء حق العلماء، وسائرهم كالغثاء يطفو على الماء. فلا تُسمّهم إلا بالحملة والرواة، وادعُهم زوامل الكتاب والدواة.

واعلم أيها المفتري:

أن الله أمر الروح الأمين، أن يضج مع الملائكة بآمين. إذا دعا المتقي لأخيه بظهر الغيب، عن نصوع القلب ونصوح الجيب. على أن الأخوة في الله يستوي فيها المحضر والمغيب، ولا يختلف في مراعاتها البعيد والقريب. وذلك لأن المعني فيها واحد وإن اختلفت بصاحبها الأحوال، وتصرّف به الحلّ والترحال. وهو القصد بها إلى وجه الله الكريم، والإعراض عن كل عرض لئيم.

واعلم أيها المفتري:

أنه رُب كلمة غمستك في الذنوب، وأفرغت على أخيك ملء الذنوب.

واعلم أيها المفتري:

أنه رُب دعاء ودمعة من أجل رياء وسمعة. فلا يزدهينك كل داع دامع العين، ولا تغتر إذا سمعت بسرى القين. ولا تثق فالدين خال عن ثقاته، وأين من يتقي الله حق تقاته. واعلم أن أكثر الأمور مُموّه، ظاهره جميل وباطنه مشوه. فاستعذ بالله من شر ما أنت راءٍ، فإن الدنيا كل يوم إلى وراء.

واعلم أيها المفتري:

أنه ربّ قلم يقول لحامله ضعني، وربّ كلمة تقول لصاحبها دعني. إن أسلة اللسان تنفذ ما لا تنفذ الأسل، وتأخذ مالا تأخذ القنا العسل. فإياك وفلتات الكلم، إلا المتدبر منها بفيم ولم.

واعلم أيها المفتري:

أنه رب علوم لا تنفع، وأعمال لا ترفع. وليس لأهلها منها إلا كدّ القرائح، وكدح الجوارح. فأهلاً بمن استخلص العلوم الدينية، وأخلص الأعمال بالنية.

واعلم أيها المفتري:

أنه رب موصوف بالمكارم والمساعي، وهو معروف بالمكاره والمساوي. ومنعوت بالحلم الراسي والعلم الراسخ، وهو منهما على أميال وفراسخ. حسبك بهذا الشطط، مستنزلاً للسخط.

واعلم أيها المفتري:

أن أهل النجاة والخلاص،هم أهل الوفاء والإخلاص. الذين أوفوا الله بالمواثيق، وأخلصوا دينهم بعد التصديق. فيا ليت شعري من أين يرجو، أنه ممن ينجو. من هو يومـاً فيومـاً أغدر، وحاله ساعة فساعة أكدر.

كتبه أبو عرفات/ محمد بن نبيه علي آل ضبف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

الفهـرس